



نظم الدرر

في تناسب الآيات والسور

للامام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر اليقاعي

(المتوفى ٨٨٥ هـ = ١٤٨٠ م)

الجزء السابع

طبع

باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية

تحت إدارة

محمد علي العباسي مدير دائرة المعارف العثمانية

الطبعة الأولى

بَطْبَعَتْ فِي دَارَةِ الْمَطْبَعَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ بِإِذْنِ دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ

—

جميع الحقوق محفوظة
لدارة المعارف العثمانية حيدرآباد
All copyrights reserved

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنعام

مقصودها الاستدلال على مادعا إليه الكتابُ في السورة الماضية من التوحيد بأنه الخالق^١ لجميع الكائنات من الإيجاد والإعدام والقدرة على الموت وغيره ، وأنسب الأشياء المذكورة فيها لهذا المقصد الأنعام ، لأن الإذن فيها - كما يأتي - مسبب عما ثبت له من الفلق^٢ والتفرد بالخلق ، هـ وخص ما في ذكرها إحطالاً ما اتخذوه من أمرها ديناً ، لأنه لم يذن فيه ، ولا إذن لأحد معه ، لأنه المتوحد بالإلهية ، لا شريك له ، وحصر المحرمات من المطاعم التي هي مُجْلِها في هذا الدين وغيره ، هذا ذلك على إحاطة علمه ، وسيأتي في سورة طه البرهان الظاهر على أن إحاطة العلم ملزومة لشمول القدرة وسائر الكائنات ، وذلك عين مقصود السورة ، ١٠ وقد ورد من عدة طرق - كما يبدت^٣ ذلك في كتابي «مساعد النظر» ،

(١) مكية إلا آيات عبد العصى ، وإلا ثلاث آيات أوست آيات عند الآخرين ، وعدة آياتها عند الكوفيين مائة وخمس وستون ، وعند البصريين والشاميين ست وستون ، وعند الحنطاريين سبع وستون - راجع روح المعاني ٢/ ١٩٤ (٢) ط : الحائر (٣) في ظ : العلو - كذا (٤) سقط من ظ (٥) في ظ : ثبت (٦) في ظ : المطر ، واسمه التام . مساعد النظر للاشراف على مقاصد السور.

أنها نزلت جملة واحدة يشيعها سمون ألف ملك ، لهم زجل بالتسريح ،
 وفي رواية : إن نزولها كان ليلا ، وإن الأرض كانت ترتج لنزولها .
 وهي كلها في حجاج المشركين وغيرهم من المبتدعة^١ و القدرية و أهل الملل
 الزائفة ، وعليها مبنى أصول الدين لاشتغالها على التوحيد و العدل و النبوة
 ٥ و المعاد و إبطال مذاهب الملحدين ، و إنزالها على الصورة المذكورة يدل
 على أن أصول الدين في غاية الجلالة ، و أن تعلمه واجب على الفور
 لنزولها جملة ، بخلاف الأحكام فانها تفرق بحسب المصالح . و لنزولها
 ليلا دليل^٢ على غاية الركة لانه محل الانس بنزوله تعالى إلى سماء الدنيا ،
 و على^٣ أن هذا العلم لا يقف على أسراره إلا البصراء الأيقاظ من ستة
 ١٠ الفعلات ، أولو الأبواب أهل الخلوات و الأرواح الغالبة على الأبدان
 و هم قليل . ﴿ بسم الله ﴾ الذي بين دلائل توحيده بأنه الجامع لصفات
 الكمال ﴿ الرحمن ﴾ الذي أفاض على سائر الموجودات من رحمته بالإيجاد
 و الإعدام ما حير لعمومه^٤ الأفهام ، فضاعت به^٥ الآوهام ﴿ الرحيم ﴾
 الذي حبا أهل الإيمان بنور البصائر حتى كانت الوجود ناطقا لهم ،
 ١٥ بالإعلام بأنه الحى القيوم السلام . ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة^٦ بأوصاف
 الكمال ﴿ الله ﴾ . . .

لما حتم سبحانه تلك بتحميد عيسى عليه السلام لحلاله* في ذلك

(١) في ظ : المبتدعين (٢) سقط من (٣) في ظ : لعموم (٤-٤) في ظ :
 بالأوصاف الكاملة (٥) في ظ : الحلاله .

اليوم في ذلك الجمع، ثم تحميد نفسه^١ المقدسة بشمول الملك والقدرة؛
 إذ الحمد هو الوصف بالجليل^٢؛ التمجيد سبحانه^٣ وتعالى هذه السورة^٤ بالإخبار^٥
 بأن ذلك الحمد وغيره من المحامد مستحق له استحقاقاً ثابتاً دائماً قل
 إيجاد الخلق وبعد إيجاد سواه شكره العباد أو كبره، لما له سبحانه وتعالى
 من صفات^٦ الجلال والكمال - على ما تقدمت الإشارة إليه في الفاتحة -
 فأتى بهذه الجملة الاسمية المفتحة باسم الحمد الكلي الجامع لجميع أنواعه
 الدالة على الاستغراق، إما بأن اللام له عند الجمهور، أو بأنها للجنس -
 كما هو مذهب الزمخشري، ويؤيد^٧ إلى مذهب الجمهور، فإن الجنس إذا
 كان مختصاً به لم يكن^٨ فرداً منه لغيره، إذ الجنس لا يوجد إلا ضمن
 أفراد، فتي وجد فرد منه لغيره^٩ كان الجنس موجوداً فيه فلم يكن^{١٠}
 الجنس مختصاً به وقد قلنا: إنه مختص، وهذا التحيد صار^{١١} بوصفه
 فرداً^{١٢} من أفراد تحميد الفاتحة تحقيقاً لكونها^{١٣} أمّا، وعقبها سبحانه
 بالدليل الشهودي على ما ختم به تلك من الوصف بشمول القدرة بوصفه
 بقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾.

ولما كان تعدد السارات ظاهراً بالكواكب في سيرها وحركاتها ١٥
 في السرعة والبطء واستتار^{١٤} بعضها ببعض عند الخسوف وغيره وغير ذلك
 (١) زيد في الأصل: ثم تحمده لنفسه، ولم تكن الزيادة في ظننا لها (٢) سقط
 من ظ (٣) في ظ: الاحار (٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ، وفي
 الأصل: موول - كذا (٦) في ظ: لم يكن (٧) في ظ: سا - كذا (٨) في ظ:
 فرد (٩) في ظ: لكونه (١٠) من ظ، وفي الأصل: استار.

بما هو محرر عند أهله : جمعها فقال : ﴿ السَّمَوَاتِ ﴾ أى على علوها
وإحكامها ، [قدمها لما تقدم قريبا - ١] ﴿ والارض ﴾ أى على تحليها^٢
بالمنافع و انتظامها .

ولما كان في الجمل معنى التضمن^٣ فلا يقوم المجعول بنفسه قال :
هـ ﴿ وجعل ﴾ أى أحدث ، وأنشأ لمصالحكم ﴿ الظلمات ﴾ أى الاجرام
المتكاثفة كما تقدم^٤ ﴿ والنور ﴾ وجمع^٥ الاول تنبيها على أن طرق
الشر والهلاك كثيرة تدور على الهوى ، وقد تقرر بهذا ما افتتح به السورة ،
لان من تمرد باختراع الاشياء كان هو المختص بجميع المحامد ، ومن
اختص بجميع المحامد لم يكن إله سواه ولم يكن له شريك ، لا ثاني
١٠ اثنين ولا ثالث ثلاثة ولا غير ذلك ، وما أحسن ختمها - بعد الإشارة
إلى هذه المقاصد المبعدة لآل^٦ يكفر به أو يعدل به شيء - بقوله :
﴿ ثم الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دلتهم عليه عقولهم من أدلة وحدانيته
التي لا خفاء بها عن أحد حرّده من الهوى ، وعالج أدواءه بأنفع
دواء ، لإحاطته بجميع صفات الكمال ، وزاد الأمر تقيحا عليهم ما بدال^٧
١٥ ما كان الأصل في الكلام من الضمير^٨ بقوله : ﴿ برهم ﴾ أى المحسن
إليهم الذي لم يروا إحسانا لإلآهته ﴿ يعدلون هـ ﴾ أى يجعلون غيره بمن
لا يقدر على شيء معادلا له مع^٩ معرفتهم به^{١٠} بأنه الذي أبدع الأشياء ،
(١) زيد من ظ (٢) في ظ : تحملها (٣) في ظ : التضمين (٤-٤) سقط ما بين الرقين
من ظ (٥) من ظ ، وفي الأصل : جعل (٦) في ظ : بدل (٧) من ظ . وفي
الأصل : الضم (٨) سقط من ظ .

كفرا نعمته و بُعدا من رحمته ، فعضهم عدل به بعض الجواهر من خلقه
من السماء كالنجوم ، أو من الأرض كالأصنام ، أو بعض ما ينشأ عن
بعض خلقه من الأعراض وهو خلقه كالنور و الظلمة ، و الجال أن
تقلباتهما^١ تدل بأدنى^٢ النظر على أمرين : الأول مُعدهما عن الصلاحية
للإلهية لتغيرهما " قال^٣ لا أحب الأفلين " ، و الثاني قدرة خالقهما •
و مغيرهما على البعث^٤ لإيجاد كل منهما بعد إعدامه كما هو شأن البعث -
إلى غير ذلك من الأسرار التي تدق عن^٥ الأفكار ، و تقديم الظلمة
مناسب لسياق العادلين ، و التعبير بتم^٦ للتنبيه^٧ على ما^٨ كان ينبغي لكل
راي^٩ لهذا الخلق من الإبعاد عن الكفر لعدده عن الصواب ، فقد لاح
أن^{١٠} مقصد السورة الاستدلال على ما دعا إليه الكتاب الذي تبين
أنه الهدى من توحيد الله و الاحتماع عليه و الوفاء بعهوده بأنه سبحانه
وحده الخالق الحائز لجميع الكمالات من القدرة على البعث و غيره ،
و ما أنسب ذلك بختم المائة بذكر يوم الجمع و أن لِمَلِكِهِ جميع الملك ،
و هو على كل شيء قدير ، و هذه السورة أول السور الأربع^{١١} المشيرة
إلى جميع النعم المتدرجة تحت " النعم الأربع " التي اشتملت عليها الفاتحة ، ١٥
و كل سورة منها^{١٢} مشيرة إلى^{١٣} نعمة من النعم الأربع^{١٤} ، فقوله^{١٥} " خلق
السّموات و الأرض " - الآية ثم " خلقكم / من طين " ثم^{١٦} " و ما من

(١) من ظ ، وفي الأصل : تقلباتها (٢) من ظ ، وفي الأصل : ياداني (٣) من
القرآن الكريم آية ٧٦ ، وفي الأصل و ظ : اني (٤) من ظ ، وفي الأصل :
البعث (٥) في ظ : على (٦-٧) من ظ ، وفي الأصل : عليها (٧) في ظ : واحد .
(٨) سقط من ظ (٩) في ظ : الملكة - كذا (١٠) من ظ ، وفي الأصل :
الأربعة (١١-١٢) في ظ : الأربع النعم (١٢) في ظ : بقوله .

دابة في الارض - الآية، متكفل^١ بتفصيل نمشة الإيجاد الأول لجميع العالمين من السماوات والارض وما بينهما وما فيها من آدمي وغيره المشار إليه في الفاتحة رب العالمين كما تقدم .

ولما تكفلت السور^٢ المتقدمة بالرد على مشركي^٣ العرب واليهود والنصارى مع الإشارة إلى إبطال جميع أنواع الشرك، سبق مقصود هذه السورة في أساليب متكفلة بالرد على بقية الفرق، وهم الثوية^٤ من المجوس القاتلون^٥ بالهين اثنين وأصلين^٦ : النور والظلمة، ويقرون بنبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقط، والصابئة القاتلون بالأدثان السامية والأصنام الأرضية متوسطين إلى رب الأرباب، وينكرون الرسالة في الصورة البشرية، وأصحاب الروحانيات، أئمة مدبرات الكواكب والأفلاك، ويتنسبون^٧ إلى ملة إبراهيم عليه السلام، ويدعون أنه منهم - وقد أعاده الله من ذلك، والسمنية^٨ القاتلون بالهية الشمس، مع تأكيد الرد على الفرق المتقدمة على أن جميع فرقهم يجتمعون في اعتبار النجوم، يقين ذلك لمن نظر في كتب فتوح بلاد الفرس في أيام الصديق والماروق رضي الله عنهما، وقال تنكلوشا^٩ البابلي في أول كتابه

- (١) في ظ : تنكفل (٢) في ظ : السورة (٣) من ظ ، وفي الأصل : مشرك .
(٤) وقع في الأصل : التريه ، وفي ظ : بالثوية - كذا ، والتصحيح من كتاب البدء والتاريخ ٤ / ٢٤ حيث ذكر أديان من قال باثنين أو بأكثر (٥) في ظ : القائلين (٦) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ لحذفها .
(٧) في ظ : يفسون (٨) في ظ : الشمسية، والصواب ما في الأصل - راجع البدء والتاريخ (٩) في ظ : تنكلوا - كذا .

في أحكام الدرج^١ الملكية أن القدماء من الكسديين استنبطوا
غوامض أسرار الفلك، وكان عديم أجل العلوم ولم يكونوا يظهرون
علم الفلك لكل الناس، بل كانوا يخفون أكثره عن عامتهم، ويعطونهم منه^٢
بمقدار ما يصلح، ويتدارسون الباقي بينهم مطويًا^٣ بين علمائهم^٤ وحكائهم^٥،
ثم ذكر تقسيمهم درج الفلك على ثلاثمائة وستين، ثم قال: وقسموا الدرج ٥
أقسامًا كثيرة حتى قالوا: إن بعضها ذكور^٦ وبعضها إناث، وبعضها مسعدة
وبعضها منحسة، ثم قال: كل ذلك يريدون فيه الدلالة منها على ما تدل
عليه في عالمنا وعلى أحوالنا حتى جعلوا لكل درجة عالما خلقا منفردا
بعده^٧، وأن ذلك العالم والخلق يندرسون وينشأ بعدهم غيرهم - إلى
غير ذلك من الكلام الذي يرجع إلى اعتقاد تأثير النجوم بنفسها - ١٠
تعالى الله عن أن يكون له شريك أو يكون له^٨ كفو أحد.

ولما قرر سبحانه أنه^٩ هو الذي خلق السماوات والأرض اللتين
منها وفيها الأصنام والكواكب والأحرام التي عنها النور والظلمة، ثبت
وجوده على ما هو عليه من الإحاطة بأوصاف الكمال التي أثبتتها الحد،
فبطلت جميع مذاهبهم، فوجب منهم يكونهم يدلون به غيره، أتبع ذلك ١٥
اختصاصه بخلق هذا النوع البشري، وهو - مع ما فيه من الشواهد له

(١) من ظ، وفي الأصل: للدرج، وسمى هذا الكتاب في كشف الظنون
٧٤٠/١: درج الفلك - في الأحكام (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: مطلوبًا.
(٤ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) في ظ: ذكورا (٦ - ٧) من ظ، وفي
الأصل: تفرد بعده.

بالاختصاص بالحمد والرد على المطيرين لميسى عليه السلام المخلوق من الطين مطلق أيهم آدم عليه السلام - مؤكداً^١ لإبطال مذهب التنوية ، وذلك أنهم يقولون : إن النار خالق الخير ، والظلمة خالقة^٢ للشر ، فإذا ثبت أنه الخالق^٣ لنوع الآدميين الذين منهم الخير والشر من شيء واحد ، هـ وهو الطين الذي ولد منه الملى الذي جعل منه الأعضاء المختلفة في اللون والصورة والشكل من القلب وغيره من الأعضاء البسيطة^٤ بالعظام والنضاريف^٥ والرباطات والأوتار ، ثبت أن خالق أوصافهم من الخير والشر واحد قدير عليم ، لأن توليد الصفات المختلفة من المادة المتشابهة لا يكون إلا ومبدعه واحد مختار ، لا اثنان ، / وهو الذي خلق الأرض ١٥٩ /

١٠ التي منها أصلهم ، وهو الله الذي اختص بالحمد فقال : ﴿ هو الذي خلقكم ﴾ ، لما كانوا يستمدون البعث لصيرورة الاموات تراباً واختلاط تراب الكل ببعضه بعض و^٦ بتراب الأرض ، فيتعذر التمييز^٧ ، وكان تمييز^٨ الطين لشدة اختلاط أجزائه بالماء أعسر من تمييز التراب قال : ﴿ من طين ﴾ أى فيز طينة كل^٩ منكم - مع أن منكم الأسود والايض ١٥ وغير^{١٠} ذلك والشديد وغيره - من طينة الآخر بعد أن جعلها ماء فنجينا له قوة الدفع ونماها إلى حيث شاء من الكبر .

- (١) في ظ : مؤكداً (٢) في ظ : خالق (٣) من ظ ، وفي الأصل : خالق .
 (٤) في ظ : كالطعام والعضايف - وهو خطأ ، والنضاريف جمع غضروف وهو كل عظم رخص ، ويقال أيضاً : الغضروف (٥) من ظ ، وفي الأصل : التشابه (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : التمييز (٨) من ظ ، وفي الأصل : تمييز (٩) من ظ ، وفي الأصل : كلا (١٠) من ظ ، وفي الأصل : ثم .

- ولما كان من المعلوم أن ما كانا^١ من شيء واحد كانت مدة بقائهما واحدة ، فه بأداة التراخي على كمال قدرته واختياره من^٢ المعاودة بين الآجال فقال : (ثم قضى) أى حكم حكما تاما وبت^٣ وأوجد (احلا^٤) أى وقتا مضويا لانقضاء العمر وقطع التأخر لكل واحد منكم خيرا كان^٥ أو شريرا ، قويا كان^٦ أو ضيفا ، من أجل يأجل أجولا - إذا^٧ تأخر ، وجعل تلك الآجال - مع كونها متفاوتة^٨ - متقاربة لا مزية لأحد منكم بصفة على آخر بصفة مغايرة لها ، وفاعل ذلك لا يكون إلا واحدا فاعلا بالاختيار .
- ولما ذكر الآجل الأول الذى هو الإبداع من الطين إشارة إلى ما فرغ منه من الآجال المتفاوتة ، ذكر الآجل الآخر الجامع للكل ، لأن ذكر البداية يستدعى ذكر النهاية ، فقال مشيرا إلى تعظيمه بالاستئناف ١٠ والتكثير : (و اجل) أى عظيم (مسمى) أى لكم أجمعين لانقضاء الرزخ للاعادة التى هى فى مجارى عاداتكم أهون من الانتداء لمجازاتكم^٩ والحكم بينكم الذى هو محط حكمته ومظهر نعمته ونعمته فى وقت واحد ، يتساوى فيه الكل ، وسترعله عن الكل كما أشار إليه بالتكثير ، وهذا لا يصح أن يكون إلا لواحد ، لا متعدد ، وإلا لتباينت المقادير ١٥ والإرادات وانشق كل مقدور فى صنف^{١٠} لا يتعداه ، وإلا لعل بعضهم على بعض وانتهكت^{١١} أسرار البعض بالبعض - سبحانه الله وتعالى عما يصفون ، وغير السياق إلى الاسمية إشارة إلى اختصاصه بهله وأنه ثابت لا شك فيه ١ و يؤكد^{١٢} إثبات قوله : (عنده) فى هذه الجملة وحذفها
- (١) من ظ ، وفى الأصل : كان (٢) فى ظ : فى (٣ - ٢) سقط ما بين الرقين
 من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : لمجازتكم (٦) فى ظ : صنعته (٧) من ظ ،
 وفى الأصل : انتهكت (٨) فى ظ : مؤكدة .

من الأولى ' هنا ' وفي قوله " ثم يمشكم " فيه ليقضى اجل مسمى " وقدم
المبتدأ مع تنكيده - والاصل تأخير - إفادة ' لتعظيمه .

ولما كان في هذا من البيان لوحديته * وتام قدرته لا سيما على

البحث الذي هو مقصود حكمته ما يبعد منه الشك في الإعادة ، أشار إليه
بأداة التراخي و صيغة الافعال فقال : (ثم اتم تمترون *) أى تكلفون

أنفسكم الشك في كل من الوحداية و الإعادة التى هى أهون على مجارى
عاداتكم من الابتداء ، بتقليد الآباء . الركون إلى مجرد الهوى و الإعراض

عن الأدلة [التى - ٧] هى أظهر من ساطع الضياء ، وهذه الآية نظير آية
الروم " أو لم يتفكروا فى أنفسهم " أى كيف خلقهم الله من طين ، وسلط بعضهم

على بعض بالظلم و العدوان ، وجعل لهم اجالا فأتت بينهما ' ' و سارى فى

ذلك بين الاصل و الفرع ، فأتج هذا أنه ما خلق الله السماوات و الارض
" و ما بينهما " إلا بالحق ، أى بسبب إقامة العدل فى جميع ما وقع بينكم من

الاختلاف كما هو شأن كل مالك فى عبيده " و اجل مسمى " - الآية . وقال

الإمام أبو جعفر " بن الزبير : لما بين سبحانه / و تعالى حال ' المتقدمين " ١٦٠ /

١٥ و هو الصراط المستقيم ، و أوضح ما " ظهر الحذر " [من - ٧] جانبى

الاخذ و الترك ، و بين " حال من تنكب عنه ممن كان قد يلحقه " ، و هم

(١) من ظ ، و فى الأصل : الاول (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل و ظ :

نبحكم - كذا . و التصحيح من القرآن الكريم آية ٦٠ ، و الآية بالغبية بلا خلاف .

(٤) مر ظ . و فى الأصل : لإفادة (٥) فى ظ : الوحداية (٦) فى ظ : القدرة (٧) زبه

من ظ (٨) آية ٨ (٩) فى ظ : بعض (١٠) فى ظ : منها (١١ - ١٠) سقط ما بين

الرقمين من ظ (١٢) فى الأصل : جعفر ، و الصواب ما فى الأصل ، و هو أحد

ابن إبراهيم بن الزبير - راجع معجم المؤلفين ١٣٨ / ١ (١٣) فى ظ : المتقين .

(١٤ - ١٤) فى ظ : يحذر - كذا (١٥) فى ظ : من (١٦) فى ظ : تلمحه .

اليهود والنصارى ، وكوهم لم يلتزموا الوفاء به^١ و سادوا عما أنهج^٢ لهم ،
وانقضى أمر الفريقين ، ذما لحالهم و يانا لتقضهم وتحذيرا للمتقين أن
يصيبهم ما أصابهم ، و ختم ذلك ببيان حال المؤمنين في القيامة يوم ينفع
الصادقين صدقهم ، و قد كان انجمر^٣ مع ذلك ذكر مشركى العرب و صممهم
عن الدعى و عوام عن الآيات . فكانوا أشبه بالبهائم منهم بالاناسى ، أعقب^٤
ذلك تعالى بالإشارة إلى طائفة مالت^٥ إلى النظر و الاعتبار ، فلم توقع
لإصابة الحق و قصرت عن الاستضاءة بأنوار الهدى . و ليسوا بمن يرجع
إلى شريعة قد حرمت . غيرت . بل هم في صورة ممن همم^٦ أن يهتدى^٧
بهدى الفطرة و يستدل بما بسط الله تعالى في المخلوقات فلم يمن النظر
و لم يوفق فضل^٨ هم المحجوس و سائر الثنوية عن كان قصارى^٩ أمره نسبة ١٠
العمل إلى النور و الإطلام ، و لم يكن تقدم لقوله ذكر و لا إخبار بحال
فقال تعالى ” الحمد لله الذى خلق السموات و الارض و جعل الظلمت و النور “
فبدأ تعالى بذكر خلق السموات و الارض التى عنها وحد النور و الظلمة ،
إذ الظلمة ظلال هذه الأجرام ، و النور على أجرام نيرة محمولة فيها
[و هى الشمس - ١] و القمر و النجوم ، فكان الكلام : الحمد لله الذى ١٥
أوضح الأمر لمن اعتبر و استبصر ، فلم أن وجود النور و الظلمة متوقف
بحكم السببية التى شاءها تعالى على وجود أجرام السماوات و الارض
(١) سقط من ظ (٢) من ظ . وفى الأصل : انج (٣) من ظ ، وفى الأصل :
اومات - كذا (٤-١٤) من ظ ، وفى الأصل : منهم - كذا متصلا (٥) من ظ ،
وفى الأصل : يهتدى (٦) من ظ ، أى غاية أمره ، وفى الأصل : قصارين (٧) ريد
من ظ .

وما أودع فيها، ومع بيان الأمر في ذلك حاد [عنه - ١] من عصى
 عن الاستبصار "ثم الذين كفروا بربهم يعدلون" وقوله تعالى "هو
 الذى خلقكم من طين" بما يزيد هذا المعنى وضوحا، فانه تعالى ذكر
 أصلنا والمادة التى عنها أوجدنا، كما ذكر للنور والظلمة ما هو كالمادة،
 ٥ وهو وجود السماوات والأرض، وأشعر لفظ 'حمل' بتوقف الوجود
 بحسب المشيئة على ما ذكر، وكان قد قيل: أى فرق [بين - ١]
 وجود النور والظلمة عن وجود السماوات والأرض وبين وجودكم
 عن الطين حتى يقع امتراء فيه^٢ عن نسبة الإيجاد إلى النور والظلمة، وهما
 لم يوجد إلا بعد مادة أو سبب كما طرأ في إيجادكم؟ فالأمر في ذلك أوضح
 ١٠ شئ. "ثم انتم تمترون"، ثم مرت السورة من أولها إلى آخرها منبهة
 على سط الدلالات في الموجودات مع التنبية على أن ذلك لا يصل
 إلى استتار فائدته^٣ إلا من هيق^٤ بحسب السابقة فقال تعالى "انما يستجيب
 الذين يسمعون" ثم قال تعالى "والموق يعثنهم الله". وهو - والله أعلم -
 من نمط "او من كان ميتا فأحييناه"، أجمل هنا ثم مرر بعد في السورة
 ١٥ بعينها، والمراد أن من الخلق من جعله الله سامعا مطيعا متيقظا معتبرا بأول
 وهلة، وقد أرى المثال سبحانه وتعالى في ذلك في قصة إبراهيم عليه
 السلام في قوله "وكذلك رى ابراهيم ملكوت السموات والأرض"،
 فكانه يقول لعاده المتقين: تماالوا فانهجروا طريق الاعتبار ملة أبيكم

(١) ريد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: فتدعى (٣) في ظ: زائدة (٤) في
 ظ: هيا (ه) من ظ، وفي الأصل: كاه.

إبراهيم 'كيف نظر' عليه السلام نظر السامع المتيقظ ! فلم يرجع في أول
نظره على ما سبب وجوده بين^١ فيحتاج فيه إلى غرض في الكواكب
والقمر والشمس ، بل نظر فيما عنه^٢ صدر النور ، لا في النور ، فلما جن
عليه الليل رأى كوكبا ، فتأمل كونه عليه السلام لم يطول النظر بالفتات
النور ، ثم كان يرجع إلى اعتبار الحرم / الذي عنه^٣ النور ، بل لما رأى هـ / ١٦١
النور عن أجرام سماوية تأمل تلك الاجرام وما قام بها من الصفات ،
فراى الآفول والطلوع والانتقال والتقلب فقال : هذا لا يليق بالربوبية
لأنها صفات حدوث ، ثم رقى^٤ النظر إلى القمر والشمس فراى ذلك
الحكم جاريا فيها لحكم بأن ورامها مدرا لها ينزه عن الانتقال والغية
والآفول فقال : " انى وحمت وجهى للذى فطر السموات والارض " ، ١٠
وخص عليه السلام ذكر هذين لحملها أجرام^٥ النور وسيئتهما في
وجود الظلمة^٦ . ثم تأمل هذا النظر منه عليه السلام وكيف خص بالاعتبار
أشرف الموجودين^٧ وأعلامها ، فكان في ذلك وجهان من الحكمة :
أحدهما علو النظر وتفوذ الصيرة في اعتبار الأشرف الذى إذا بان منه
الامر فهو فيما سواه أبين ، فجمع بين قرب التناول وعلو التهدي^٨ ، ١٥
والوجه الثانى التاسب بين حال الناظر والمنظور فيه والتناول والجرى
على الفطرة العلية ، وهو من قيل أخذ بينا صلى الله عليه وسلم اللين
حين عرض عليه اللبن والحمر فاختر اللين ، فليل له : اخترت الفطرة !
(١-١) سقط ما بين الرقعين من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : عند (٣) من ظ ،
وفي الأصل : رمى (٤-٤) في ظ : النورية وسيئهما (٥) من ظ ، وفي الأصل :
الوحدون (٦) أى الاسترشاد ، وفي ظ : الهدى .

فكان قد قيل : هذا العطر والاعتبار بالانعام لا نظر من أخذ إلى الأوض
فسد الضياء والظلام ، وينبى أن يعتمد في قصة إبراهيم عليه السلام في
هذا الاعتبار أنه صلى الله عليه وسلم في قوله : « هذا ربى » [عما] [قصد - ١]
قطع حجة من عدد شيئا من ذلك ^٢ إذ كان ^٣ دين قومه ، فيسط لهم الاعتبار
والدلالة ، وأخذ يمرض ما قد تزه ^٤ قدره عن الميل إليه ، فهو كما يقول
المنظر لمن ينظره : هب أن هذا على ما تقول ^٥ . يريد بذلك إذعان خصمه
واستدعائه ^٦ للاعتبار حتى يكون غير ^٧ مناظر له ^٨ ما لا يعتقده ، ليبى على
ذلك مقصوده ليقلع ^٩ خصمه وهو على يقين من أمره ، فهذا ما ينبى أن
يعتمد هنا لقول يوسف عليه السلام " ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ^{١٠} "
١٠ والصصة قد اكتسبهم عما يتوهمه ^{١١} المبطلون ، ويتقوله المعترون ، ويشهد
لما قلناه قوله تعالى " وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ^{١٢} " ، فهذه حال
من علت درجته من الذين يسمعون ، فمن الخلق من جعله الله سامعا بأول
وهلة وهذا مثال شاف في ذلك ، ومهم الميت ، والموق على ضربين ^{١٣} :
منهم من يزاح ^{١٤} [عن - ١] حله وعجه ، ومنهم من يبقى في ظلماته
١٥ ميتا لا حراك له ، بين ذلك قوله تعالى " أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له

(١) زيد من ظ (٢-٢) في ظ : مكان (٣) من ظ ، وفي الأصل : تزه (٤) في
ظ : يقول (٥) في ظ : استدعاء (٦-٦) في ظ : مسا قوله (٧) في ظ : ليقع .
(٨) سورة ١٢ آية ٣٨ (٩) في ظ : يتوهمونه (١٠) من القرآن الكريم - راجع
آية ٨٣ من الأنعام . وفي الأصل و ظ : قوله (١١) من ظ ، وفي الأصل :
حزئين - كذا (١٢) في ظ : يرج - كذا .

نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها“؛
ولما كانت السورة متضمنة لجهات الاعتبار والحركة إلى النظر والمعلنة
من مجموع آياتها أن المعتبر والمتأمل - وإن لم يكن متيقظاً بأول
وهلة، ولا سامعاً أول محرك، ولا مستجيباً لأول سامع - قد يتنقل
حاله عن جوده، وغفلة إلى أن يسمع ويلحق بمن كان يتيقظ في
أول وهلة؛ ناسب تحريك العباد وأمرهم بالنظر أن تقع الإشارة في
صدر السورة إلى حالتين: حالة السامعين لأول وهلة، وحالة السامعين

في ثاني حال، فقيل: ”أما يستجيب الذين يسمعون والموتى
يعتبرهم الله“ ولم تقع هنا إشارة إلى القسم الثالث مع العلم به، وهو
الباقى على هموده وموته عن لم يحركه زاجر ولا واعظ ولا اعتبار، ولأن
هذا الضرب لو ذكر هنا لكان فيه ما يكسر من ضعف همتهم، رجعت حالة
ابتدائه، فقيل: ”والموتى يعتبرهم الله“ وأطلق ليعمل الكل على هذا
البعث من الجهل والتيقظ من سنة النفلة كما دعا الكل إلى الله دعاء
واحداً فقيل: ”يا أيها الناس اعدوا ربكم“ ثم اختلفوا في إجابة الداعي
بحسب السوايق هكذا. ورد هذا ”والموتى يعتبرهم الله“ إسماعاً للكل،
وفي صورة التساوى مناسبة للدعاء لتقوم الحجة على العباد، حتى إذا
انبسطت الدلائل وانشرحت الصدور لتلقيها وتثبت النفوس

(١) من ظ، وفي الأصل: مضممة (٢-٣) من ظ، وفي الأصل: يكسر.

(٣) من ظ، وفي الأصل: مسحياً - كذا (٤) في ظ: نحوده (٥) في ظ:

يعظ (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: تسب - كذا.

و تعلقت بحسب ما قدر، و فاز بالخير أهله، قال تعالى بعد آي: "او من كان ميتا فأحييناه و جعلنا له نورا يمشى به في الناس" و كان قد قيل [لمن-١] انتقل عن حالة الموت فرأى قدر نعمة الله عليه بأحيائه: هل يشبه الآن حالك النيرة؟ - بما منحت حين اعتبرت - بحالك الجهادية؟ فاشكر ربك ٥ و اضرع إليه في طلب الزيادة، و اتعظ^٢ بحال من لزم حال موته لم تغن عنه الآيات، و هو المشار إليه [بقوله-١] "كن مثله في الظلمات ليس بخارج منها"، "انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه"، "و لو انا نزلنا اليهم المثلثة و كلهم الموتى و حشرنا عليهم كل شيء قلا ما كانوا يؤمنوا الا ان يشاء الله"، "سواء عليهم ء انذرتهم ام لم تنذرهم [لا يؤمنون-٤]" ١٠ و كان القسم المتقدم الذي سمع لأول وهلة لم يكن ليقع ذكره هنا من جهة قصد أن أراه قدر هذه النعمة و لإقناذ المتصف بها من حيرة شك^٣ موقعها فيما تقدم من قوله "انما يستجيب الذين يسمعون" فذكر هنا ما هو واقع في إراءة^٤ قدر نعمة الإقناذ و التخليص^٥ من عمى الجهل، هذا حال من انتقل بتوفيق الله و حال من بقي على موته، أو يكون الضربان^٦ قد ١٥ شملها قوله "او من كان ميتا فأحييناه" و أما الثاني و هو الذي ثبت^٧ فيه صورة النقل فأمره صريح من الآية و أما الضرب الأول و هو السامع لأول^٨

(١) زيد من ظ (٢) في الأصل: التزه - كذا، وفي ظ: البره (٣) من ظ ، وفي الأصل: و النقص - كذا (٤) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ٢ آية ٦ (٥) في ظ: اساد (٦) من ظ ، وفي الأصل: شكه (٧) من ظ ، وفي الأصل: اراه - كذا (٨) من ظ ، وفي الأصل: التخليص (٩) وقع في ظ: ضر - كذا مقطوعا (١٠) من ظ ، وفي الأصل: يسبب (١١) في ظ: الأول .

وهلة المكثي الموقى العصمة من طوارق الجهل والفكوك ، فدحوه
 [تحت - ١] مقتضى هذا اللفظ من حيث أن وقايته تلك أو سماعه بأول وهلة
 ليس من جهته ولا بما سبق أو تكلف ، بل بإسداء^٢ الرحمة وتقديم النعمة ، ولو^٣
 أبقاه نفسه أو وكله إليها لم يكن كذلك ” وما بكم من نعمة فمن الله “ فهذا
 النظر قد تكون الآية قد شملت الضروب الثلاثة وهو أولى ، أما سقوط هـ
 الضرب الثالث من قوله ” إنما يستجيب الذين يسمعون “ فلما تقدم -
 والله أعلم بما أراد ، ولما تضمنت هذه السورة الكريمة من بسط الاعتبار
 وإيداء جهات النظر ما إذا تأمله المتأمل علم أن حجة الله قائمة على العباد ،
 وأن إرسال الرسل رحمة ونعمة وفضل وإحسان ، وإذا كانت الدلالات^٤
 مبسطة والموجودات مشاهدة مفصحة ، ودلالة النظر من سمع وأبصار ١٠
 / وأقده موجودة ، فكيف يتوقف عاقل في عظيم رحمته تعالى بإرسال
 الرسل ! فتأكدت الحجة وتماضت البراهين ، فلما عرف الخلق لقيام الحجة
 عليهم بطريق الإصغاء إلى الداعي^٥ والاعتبار^٦ بالصنعة ، قال تعالى ” قل فله
 الحجة البالغة “ ، ” فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة “ ، فيما^٧ عذر المعتذر
 بهذا ؟ أتريدون كشف الغطاء ورؤية الأمر عيانا ! لو استصرتم ١٥
 لحصل لكم ما منتحم ، ” هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك
 أو يأتي بعض آيات ربك “ - الآية ، ثم ختمت السورة من التسليم والتعويض
 (١) ربه من ظ (٢) في الأصل وظ : بإسد - كذا (٣) سقط من ظ .
 (٤) سورة ١٦ آية ٥٣ (٥) في ظ : في (٦) في ظ : الدلائل (٧-٧) في ظ :
 فلا اعتبار (٨) في ظ : فما -

بما يهدى مع قوله " فلو شاء لهدنكم اجمعين " وحصل من السور الأربع
بيان أهل الصراط المستقيم وطبقاتهم^١ في سلوكهم وما ينبغى لهم
التزامه^٢ أو تركه ، و بيان حال المتكبين عن سلوكه من اليهود والنصارى
وعدة الأوثان والمجوس - انتهى .

٥ ولما كان علم جميع أحوال المخلوق دالا على أن العالم بها هو خالقه ،
و^٣ أن من ادعى أن خالقه عاجز عن ضبط مملكته : عن كشف غيره
لموراتها و علم ما لا يعلمه هو^٤ منها ، فلم يكن^٥ إلها ، و كان الإله هو العالم
وحده ، و كان المحيط العلم لا يعسر عليه تمييز التراب من التراب ، و كان
صلى الله عليه وسلم يخبرهم عن الله من مغيبات أسرارهم و خفايا أخبارهم
١٠ بما يقصون منه العجب و يعلون منه إحاطة العلم حتى قال أبو سفيان
ابن حرب يوم الفتح : لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصاة^٦ ، قال
تعالى طافقا على " هو الذى " دالا على الوحدانية بشمول العلم بعد قيام
الدليل على تمام^٧ القدرة و الاختيار ، لأن إنكارهم المعاد لأمرين : أحدهما
ظن أن المؤثر فى الأبدان امتزاج الطباع و إنكار أن المؤثر هو^٨ قادر
١٥ مختار ، و الثانى أنه - على تقدير تسليم الاختيار - غير عالم بالجزئيات ،
فلا يمكنه تمييز بدن^٩ زيد عن أجزاء^{١٠} بدن عمرو ، فإذا قام الدليل على

(١) فى ظ : تلقايتهم - كذا (٢) فى ظ : التزامهم (٣) من ظ ، و فى الأصل :
أو (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ : و كان (٦) و فى سيرة ابن هشام ٢١٩/٢ :
الحصى - و كلاهما واحد (٧) زيد بعده فى الأصل : علم ، و لم تكن الزيادة فى
فى ظ لحدفتها (٨) فى ظ : بدون .

كآل قدرته سبحانه و اختياره و شموله على جميع المعلومات : الكلّيات و الجزئيات^١ ، زالت جميع الشبهات : (و هو الله) أى الذى له هذا^٢ الاسم المستجمع لجميع الاسماء الحسنى و الصفات العلى المدعو به تألها له و خضوعا و تعبدا ، و علق بهذا المعنى قوله : (فى السموات) [لأن من فى الشيء يكون متصرفا فيه -^٣] .

و لما كان الخطاب لمنكرى البعث أكد فقال : (و فى الارض^٤) أى هذه صفته دائما [^٢ - على هذا المراد من أنه سبحانه ثابت له هذا^٢ الاسم الذى تفرد به على وجه التأله ، و التعد فى كل من جهتي^٤ العلو و السفل ، و لا يفهم ذو عقل صحيح ما يقتضيه الظاهر من أنه محوى ، فان كل محوى منحصر محتاج إلى حاويه و حاصره ، ضعيف التصرف^{١٠} فيما وراءه ، و من كان محتاجا نوع احتياج لا يصلح للألوهية و المشيئة لحدث الجارية : أين الله ؟ قالت : فى السماء ، و محجوج بحدث " أنت الأول فليس قبلك شيء " ، و أنت الآخر فليس بعدك شيء ، و أنت الظاهر فليس فوقك شيء ، و أنت الباطن فليس دونك شيء " فان ظاهره متافٍ لظاهر الأول ، و ظاهر هذا مؤيد بقاطع النقل من أنه غير محتاج ،^{١٥} و مؤيد بصحيح النقل " ليس كمثل شيء " أى لا فى ذاته و لا صفاته و لا شيء من شئونه ، و " قد كان الله و لا شيء معه " ، و حديث " ليس فوقك شيء " - رواه مسلم و الترمذى و ابن ماجه فى الدعوات و أبو داود فى الأدب عن أبي هريرة رضى الله عنه - و الله الموفق] .

(١) سقط من ظ (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : بهذا (٤) زيدت الواو بعده فى ظ لحذفها لاستقامة العبارة .

ولما كان المراد إثبات أن عليه تعالى محيط ، نسبة كل من الخفي والجلي إليه على السواء^١ ، و كان السياق هنا للخفي فإنه في بيان خلق الإنسان وعجيب صنعه فيه مما خلق^٢ فيه من إدراك المعاني وهياه له من قبل أن يقدر على التعبير عنه ، ثم أقدره على ذلك ، قدم الخفي فقال
 ه شارحا لكونه لا يغيب عنه شيء : ﴿ يعلم سركم ﴾ .

ولما كان لا ملازمة بين علم السر والظهر لأنه قد يكون في الجهر لفظ شديد يمنع اختلاط الأصوات فيه من عليه ، صرح به فقال : ﴿ وجهركم ﴾ ونسبة كل منها إليه على حد سواء^٣ ، ولا توصف واحدة منها بقرب في المسافة إليه ولا بعد ، ولما كان السر والظهر شائعين في الأقوال ، وكانت الأقوال تتعلق بالسمع ، ذكرهما معهما وهو شائع في الأفعال المتعلقة بالبصر فقال :

١٠ / ﴿ ويعلم ما تكسبون ﴾ فأفاد ذلك صفق السمع والبصر مع إثبات العلم ، فلما تظاهرت الأدلة وتضافرت الحجج وهم عنها فاكون ، وصل بذلك في جملة حالية قوله ، معرضا عنهم إيداما باستحقاقهم شديد الغضب :
 ﴿ وما تاتينهم ﴾ أي هؤلاء الذين هم أهل للاعراض عنهم ، وأعرق في
 ١٥ النفي بقوله : ﴿ من آية ﴾ أي علامة على صحة ما دعاهم إليه رسولهم صلى الله

عليه وسلم ، وبعض بقوله : ﴿ من آيت ربهم ﴾ أي المحسن إليهم بنصب الأدلة وإفاضة العقول وبعث الرسول ﴿ الا كانوا عنها معرضين ه ﴾ أي هذه صفتهم دائما قصدا للعتاد لثلاث يلزمهم الحجة ، ويجوز أن يكون

(١) من ظ ، وفي الأصل : استوله (٢) في ظ : تعلق (٣) في ظ : السواء (٤) في ظ :

صعة (٥) من ظ ، وفي الأصل : تنافرة - كذا (٦) في ظ : دليلا - كذا .

ذلك معطوفا على " يدلون " .

ولما كان إعراضهم عن النظر سببا لتكذيبهم ، وهو سبب لتعذيبهم
قال : ﴿ هـذ كذبوا ﴾ أى أوقفوا تكذيب الصادق ﴿ بالحق ﴾ أى
بسبب الأمر الثابت الكامل فى الثبات كله . لأن الآيات كلها متساوية
فى الدلالة على ما تدل عليه الواحدة منها ﴿ لما جاءهم ﴾^١ أى لم يتأخروا
عند المجيء أصلا لنظر ولا لغيره ، وذلك أدل ما يكون على العناد^٢ .
ولما كان الإعراض عن الشيء هكذا فعل المكذب المستهزئ الذى
بلغ تكذيبه^٣ الغاية القصوى ، وهى الاستهزاء ، قال : ﴿ سوف ياتيهم ﴾
أى وعد صادق لا خلف فيه عند نزول العذاب بهم وإن تأخر لإتيانه
﴿ ابسؤا ما كانوا ﴾ أى جلة وطعا ﴿ به يستهزئون ﴾^٤ أى يحددون^٥
الجزء به بقاية الرغبة فى طلبه ، وهو أمد شيء من المزمع ، والنبا : الخبر
العظيم ، وهو الذى يكون معه الجراء ، وأقاد تقديم الظرف أنهم
لم يكونوا يهزؤون بغير الحق الكامل - كما ترى كثيرا من المترفين لا يحسب^٦
من العجب ويعجب^٧ من غير العجب ، أو أنه عدل استهزاهم بغيره بالنسبة
إلى الاستهزاء به عدما .

١٥

ولما أحرر بتكذيبهم على هذا الوجه وتوعدهم^٨ بتحتم تعذيبهم^٩ ،
أنعم ما يجرى بجرى الموعظة والنصيحة ، فعجب من تماديهم مع ما علوا
(١) من ظ ، وفى الأصل : فقال (٢-٢) تأخر ما بين اليقين فى الأصل عرب
« الاستهزاء قال » والترتيب من ظ (٣) فى ظ : تكذيبه (٤) فى ظ : فلا تعجب .
(٥) فى ظ : تعجب (٦) فى ظ : قد (٧-٧) فى ظ : نصحتهم .

من إهلاك من كان أشد منهم قوة وأكثر جمعا و جنى^١ من سوابغ النعم بما لم^٢ يعتبروه فيه مع ما ضوه إلى تحقق^٣ أخبارهم من مشاهدة آثارهم و عيب اصطناعهم في أبينتهم و ديارهم مستدلا بذلك على تحقيق ما قبله من التهديد على الاستهزاء ، فقال مقررا منكرا موجها معجبا: ﴿الم يروا﴾ و دل على كثرة المخبر عنهم تهويلا للخبر بقوله: ﴿كم اهلكنا﴾ .

ولما كان المراد ناسا معينين لم يستغرقوا زمن القبل ، و هم أهل المكنة الزائدة كقوم نوح و هود و صالح ، أدخل الجار فقال: ﴿من قبلهم﴾ و بين^٤ ” كم “ بقوله: ﴿من قرن﴾ أى جماعة مقترنين فى زمان واحد ، و [م - °] أهل كل مائة سنة - كما صححه القاموس - لقول النبى صلى الله عليه وسلم لفلان^٥: عش قرنا ، فعاش مائة . هذا نهاية القرن ، و الأقرب^٦ أنه لا يتقدر ، بل إذا انقضى أكثر أهل عصر قيل : انقضى القرن ، و دل على ما شاهدوا من آثارهم بقوله: ﴿مكنهم﴾ أى بثناهم بتقوية الأسباب^٧ من البسطة^٨ فى الأجسام و القوة فى الابدان و السعة^٩ فى الأموال ﴿فى الارض﴾ أى بالقوة و الصحة و الفراغ ما لم تمكنكم ، و مكننا لهم بالخصب و البسطة و السعة^{١٠} ﴿ما لم نمكن﴾ أى تمكيننا لم يجعله ﴿لكم﴾ أى نخضعكم به ، فالآية من الاحتباك أو شبهه ، و الالتفات من

(١) من ظ ، و فى الأصل: حى - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل: له (٣) من ظ ، و فى الأصل: نطق (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) وهو عبد الله بن بشر - كما فى البحر المحيط ٤ / ٦٥ (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) فى ظ : الاشياء (٩) فى ظ : البسط .

الغنية إلى الخطاب ثلثا يلتبس^١ الحال ، لأن ضمير الغائب يصلح لكل من
المفضول^٢ والفاضل ، ولا يبقى اللبس التعبير بالماضي^٣ في قوله : (وارسلنا
السماء) / أى المطر تسمية للشيء باسم سببه أو السحاب (عليهم) .
ولما كان المراد المطر ، كان التقدير : حال كونه (مدراراً) أى ذا سيلان
غزير^٤ متتابع . لانه صفة مبالغة من الدر ، قالوا : يستوى فيه المذكر
والمؤنث .

ولما ذكر قطعهم بماء السماء ، وكان غير دائم ، أتبعه ماء الأرض
لدوامه وملازمته للبساتين والرياض فقال : (وجعلنا الانهر تجري)
ولما كان عموم الماء بالأرض^٥ وبعده مانعاً من تمام الارتفاع بها ، أشار
إلى قربه وعدم عموم الأرض به بالجاء فقال : (من تحتهم) أى على ١٠
وجه الأرض وأسكنه في أعماقها فصارت بحيث إذا حفر نبع منها
[من - ٦] الماء ما يجري منه نهر .

ولما كان من المعلوم أنه من الماء كل شيء حي ، فكان من أظهر
الاشياء أنه غزر نباتهم وانضرت سهولهم وجبالهم ، فكثرت زروعهم
ونمارم ، فاتسعت أحوالهم وكثرت أموالهم فغيسرت آمالهم ، أعلم ١٥
سبحانه أن ذلك ما كان إلا لحوالهم استدراجاً لهم بقوله مسيياً عن ذلك :
(فاهلكنهم) أى بعظمتنا (بذنوبهم) أى التي كانت عن بطرهم^٦ النعمة

(١) من ظ ، وفي الاصل : ثلثا يلتبس (٢) في ظ : من (٣) في الأصل : بالماضي ،
وفي ظ : لما مضى (٤) في ظ : عظيم (٥) من ظ ، وفي الأصل : للأرض .
(٦) زيد من ظ (٧) في ظ : بطونهم .

ولم نبال بهم ولا اغت' عنهم نعمهم .

ولما كان الإنسان ربما أبقى على عده أو صاحبه خوفاً من الاحتياج إلى مثله ، بين أنه سبحانه غير محتاج إلى شيء فقال : (وانشأنا) ولما كان سبحانه لم يجعل لأحد الخلد ، أدخل الجار فقال : (من بعدهم) أى فيما كانوا فيه (قرنا) ودل على أنه لم يُبق من المهلكين أحداً ، وأن هذا القرن الثانى لا يرجع^٢ إليهم نسب^٣ بقوله : (آخرين *) ولم يقص ملكنا شيئاً ، فاحذروا أن تفعل بكم كما فعلنا بهم ، هذه الآية مثل آية الروم " اولم يسيرا فى الارض " - الآية ، فتمكنهم^٤ هو المراد بالشدّة هناك ، و التمكن لهم هو المراد بالعصاة ، والإهلاك بالذنوب هو المراد ١٠ بقوله " فما كان الله ليظلمهم " - إلى آخر الآيتين .

ولما كانت ترجمة ما مضى : ثم هم^٥ يدلون ربهم^٦ غيره^٧ ويكذبونك فيما جئت به من الحق مع ما أوضحت عليه من الحجج ونصبت من الدلائل ، و كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على إيمانهم ، كان المقام يقتضى أن يقول لسان الحال : أنزل عليهم يارب ما يتقلون به من النظر بالفكر ١٥ إلى العيان كما اقترحوا على^٨ ، فأخبره أنهم لا يؤمنون بذلك . بقوله عطفاً على " وما تاتيه من آية " تحقيقاً له وتصويراً فى جريته^٩ : (ولو نزلنا) أى على ما لنا من العظمة (عليك كتباً) أى مكتوباً من السماء (١ - ١) من ظ ، وفى الأصل : اعتب - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : سبب (٤) آية (٥) من ظ ، وفى الأصل : فتمكنهم (٦ - ٧) فى ظ : برهم بعد لون (٧) فى الأصل : حربه ، وفى ظ : خرقه - كذا .

(في قرطاس) أى ورق ، إجابة لما أشار عليهم اليهود باقتراحه ، ثم حقق أنه واضح الأمر ، ليس بخيال ولا فيه نوع ليس بقوله : (فلسفه) أى زيادة على الرؤية ، وزاد فى التحقيق والتصوير و دفع التجوز بقوله : (بايدهم لقال) و أظهر ولم يضر تعليقاً للحكم بالوصف وتنبها على أن الموجودين من يسكت ويؤمر ولو بعد ذلك فقال : (الذين كفروا) هـ
أى حكماً بتأيد كفرهم سترًا للآيات عناداً ومكابرة ، ولعله أسقط 'منهم' إشارة إلى عموم دعوته ، أى من العرب ومن غيرهم من أمة دعوتك ولا سيما اليهود المشار إلى تمتهم وكذبهم بقوله " يستلك اهل الكشب ان تنزل عليهم كتباً من السماء " (ان) أى ما (هذا الا سحر) أى تويه وخيال لا حقيقة له ، وزادوا فى الوقاحة فقالوا : (ميين) أى ١٠ واضح ظاهر ، قال صاحب كتاب الزينة : معنى السحر فى كلام العرب التعليل^٢ بالشئ والمدامنة به والتعزيز بشئ لا محصول له ، يقال : سحره - إذا علله وعززه وشبه عليه حتى لا يدري من أين يتوجه ويقلب عن وجهه / ، فكان السحرة يعللون الناس بالباطل ويشبهون الباطل فى صورة الحق ويقلبونه عن حقه .

١٥

ولما بين ما يترتب على الإجابة إلى ما أشار إلى أن اليهود اقترحوه من إزال الكتاب ، أخبر أنهم اقترحوا ظهور الملك [لهم -^٨] . وبين لوازمه ، فأنهم قالوا : لو بحث الله رسولا لوجب كونه ملكا ليكون أكثر

(١) تأخر فى الأصل عن ذلك قال (٢) فظ : تعدد (٣) من ظ ، وفى الأصل : حكنا (٤) فظ : بئر (٥) من ظ ، وفى الأصل : بينهم (٦) من ظ والقرآن الكريم آية ١٥١ من سورة النساء ، وفى الأصل : ينزل (٧) من ظ ، وفى الأصل : التعليل (٨) زيد من ظ .

علما وأقوى قدرة وأظهر امتيازا عن البشر، فتكون^١ الشبهة في رسالته أقل،
والحكيم^٢ إذا أراد تحصيل مهم^٣ كان الأولى تحصيله بما هو أسرع إحصالا
إليه، فقال: ﴿وقالوا لو لا﴾ أى هلا ولِمَ لا ﴿أنزل عليه ملك^٤﴾ أى
من السماء ظاهرا لنا يكلمنا ونكلمه ولا يحتجب عنا .

٥ ولما ذكر قولهم مشيرا إلى شبهتهم ، قضه بقوله : ﴿ولو﴾ أى
والحال أنا لو ﴿أنزلنا﴾ وأسقط أداة الاستعلاء لعدم الاحتياج في رد
كلامهم إلى ذكرها . و^٥ ثلثا يكون فيه تسليم لما لوحوا إليه من إنكارهم
نزول الملك عليه مالموسى ﴿ملكاً﴾ أى كما اقترحوه^٦ ، فلا يخلو إما أن
يكون على صورته^٦ أولا ، فإن كان على صورته^٦ التى خلق عليها لم يثبتوا
١٠ لرؤيته ، ولو كان كذلك ﴿لقضى الامر﴾ أى هلاكهم ، وبناء^٧ للمعول
إشارة على^٨ طريق كلام القادرين إلى غاية السرعة لسهولة الامر وخفة
مؤته ، فانه لا ينظره أحد منهم إلا صق ، ولئن أعطيتهم قوة يثبتون بها
لنظره ليكون^٩ قضاء الامر وانفصال للزاع من وجه آخر ، وهو
أن ذلك كشف للعطاء وفوات للايمان الغيب ، وقد جرت عادتنا
١٥ بالإهلاك عند ذلك ، فإذا هم هالكون على كل من هذين التقديرين ، وهو
معنى قوله مهولا لرتبته بحرف التراحى : ﴿ثم لا ينظرون ه﴾ أى على
حالة من هاتين ، وأما إن جعلناه على صورة يستطيعون نظرها فانا نجعله

(١) من ظ ، وفي الأصل : يكون (٢) في ظ : الحكم (٣) في ظ : مهمهم .

(٤) سقط من ظ (٥) في ظ : قروه (٦-٧) تكرر ما بين الرقيين في الأصل .

(٧) في ظ : بناوه (٨) من ظ ، وفي الأصل : الى (٩) في ظ : ليكون .

على صورة رجل ، فانها أكل الصور ، وحينئذ يفتح لهم اللبس الذى وقع لهم بدعاتك ، وهو معنى (ولو جعلته) أى مطلقهم (ملكا) أى يمكن فى مجارى العادات فى هذه الدار رؤيتهم^٢ له وبقاؤهم بعد رؤيته (لجعلته رجلا) أى فى صورة رجل . ولكنه عبر بذلك إشارة إلى نمام اللبس حتى [أنه -^٢] لا يشك أحد يراه فى كونه رجلا ، كما كان هـ جبريل عليه السلام يزل فى بعض الأوقات على النى صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية الكلبي ، فاذا رآه بعض الصحابة رضى الله عنهم لم يشك أنه دحية رضى الله عنه (و) لو جعلناه رجلا (للبسنا عليهم ما يلبسون هـ) أى لخلطنا عليهم بجعلنا إياه رجلا ما يخلطونه^٤ على أنفسهم وعلى غيرهم فى قولهم : إن الرسالة لا تصح من البشر ، فلو كان هذا [الذى يقول : ١٠ إنه رسول -^٣] رسولا لكان ملكا ، فوقع اللبس عليهم بأنه لما كان [هذا -^٣] الذى يقول : إنه رسول ، ملكا كان رجلا ، ويحوز أن يقرر ذلك على وجه آخر ، وهو أن يكون " ولو نزلنا " فى حيز " كانوا عنها معرضين " ، أى عرضوا عنها لو نزلناها عليك فى غير قرطاس ، ولو نزلنا عليك من السماء كتابا فى قرطاس لجعلناه لهم فى ١٥ ذلك بين حس^٥ البصر واللس لاعرضوا ، وقال الذين أبَدُّوا كعَرمَ عنادا

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : رويه (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : ما يخلطونه .

(٥) زيد بعده فى الأصل : يقول رسولهم الذى ، ولم تكن الريادة فى ظ لخدماتها .

(٦) فى ظ : لجعلنا (٧) فى ظ : حيز - كذا .

ومكافرة: ما هذا إلا سحر ظلم، ويكون "وقالوا" مطروفاً على "لقال الذين كفروا" ويكون ذلك قبل اقتراحهم لذلك بما حكاه الله تعالى عنهم في سورة الإسراء بقوله "وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً" - إلى آخرها، فيكون إخباراً بمغيب .

٥ ولما قطع الرجاء لهداية مر حكم بشقاوته، و كان طلبهم لإنزال الملك ومحوه إنما هو على سبيل^٢ التمت^٢ والاستهزاء، و كان ذلك يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضى الله عنهم غاية المشقة /، التمت النفس إلى الإراخة منهم وتوقفت لما تقدم من مظاهر العظمة، فأحرره أنه فاعل ذلك في سياق متكفل بتسليته، وأن^٣ ذلك لم يزل^٢ سنته^٤ فيمر عمل فعلهم، فقال - عاطفاً على قوله "فسوف يأتيهم انبؤا" - : (ولقد) أى هذا منهم إنما هو استهزاء بك ولقد (استهزئ) أى أوقع المهز و أوجد من الأمم، ونى للفعول لأن المنكى الاستهزاء، لا كونه من معين، وإشارة إلى أنه كان يقع لهم ذلك من الأعلى والأدنى (برسل) .

/ ١٦٧

١٥ ولما كان القرب في الزمر في مثل هذا بما يسلى، و كان كل^١ من الاستهزاء والإرسال^٢ لم يستغرق الزمن^٣، أدخل الجار فقال : (من قبلك) فأهلكنا من هزأهم، و هو معنى (لحاق) أى فأحاط (١) آية ٩٠ (٢-٣) سقط ما بين الرقيين من ط (٣-٤) في ط : تلك لم تزل . (٤) من ط، وفي الأصل : ستة (٥) من ط، وفي الأصل : ذلك (٦-٧) في ط : الارسال والاستهزاء (٧) في ط : الزمان .

(بالذين سحروا منهم) أى من أولئك الوسل (ما كانوا به يستهترون)
أى من العذاب الذى^١ كانوا يتوعدون به^٢ ، و كان سببا لمرتهم .

ولما [علم الله تعالى أنهم يقولون فى جواب هذا : إن هذا إلا أساطير
الاولين -]^٣ ، أمره صلى الله عليه وسلم بعد ما معنى من التعجيب من كونهم
لم ينظروا بقلوبهم أو أبصارهم مصارع الماضين فى قوله " ألم يروا كم أهلكنا " .
أن يأمرهم بأن يشاهدوا مصارع من تمكن فى قلوبهم علم أنهم أهلكوا
بمثل تكذيبهم من قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ليغنيهم ذلك عن
مشاهدة ما اقترحوا فقال تعالى : (قل سيروا) أى أوقموا السير
للاعتبار ولا^٤ تغفروا بامهالككم وتمكينكم (فى الارض) - " الآية ، وهى^٥
كالدليل على قوله تعالى " لقال " الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين " . ١٠

ولما كان السياق للتهديد بالتحذير من مثل أخذ الامم الماضية ،
وكان قد سلف^٦ أنه لا قدمهم^٧ عن آجالهم ، أمهلهم فى النظر فانه أقوى
فى التهديد ، و أدل على القدرة ، و ادعى إلى النصفة^٨ و لاسيما و السورة
من أوائل القرآن نزولا^٩ و أوائله ترتيبا فقال : (ثم انظروا) و أشار
إلى أن هذا أهل لأن يسأل عنه قوله : (كيف كان عاقبة) أى آخر أمر ١٥

(١) فى ظ : الذين (٢) سقط من ظ (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى ظ :
اولم (٥) فى الأصل : لتعتهم ، و فى ظ : ليعينهم - كذا (٦) فى ظ : فلا .
(٧-٧) فى ظ : و هو (٨) فى ظ : لقاه (٩) فى الأصل و ظ : اسلف - كذا .
(١٠) فى ظ : يقدمهم (١١) من ظ ، و فى الأصل : النص - كذا (١٢) من ظ ،
و فى الأصل : ولا - كذا .

(المكذبين) أي أنعموا النظر و بالقراء في الفكر و أطيحوا^١ التدبر إذا رأيتم آثار المعذنين لاجل تكذيب الرسل، فانكم إذا شاهدتم تلك الآثار كمل لكم الاعتبار و قوى الاستبصار، وذلك إشارة إلى أنه الأمر في غاية الانكشاف، فكلما طال الفكر فيه ازداد ظهورا .

٥ ولما أمرهم سبحانه بالسير، سألهم هل يرون في مسيرهم^٢ و تطوافهم و جولانهم و اعتسافهم شيئا لغير الله؟ تذكيرا لهم بما^٣ رحمهم به من ذلك في إيجادهم^٤ لهم أولا و تيسير منافعه و دفع مضاره ثانيا، استمطافا لهم إلى الإقبال عليه و الإعراض عن الخضوع لما هو مثلهم أو أقل منهم، وهو ملكه سبحانه و في قبضته، و تقييحا لأن يأكلوا خيره و يعبدوا غيره . فقال مقررا لهم على إثبات الصانع و النبوة و المعاد، و مبتكبا بسفهمهم و شدة جهلهم و عمهم : (قل لمن) و به بتقديم المعمول على الاهتمام بالمعبود^٥ (ما في السموات و الأرض)^٦ .

١٥ ولما كانوا في مقام العناد حيث لم يادروا إلى الإذعان بعد نهوض^٧ الأدلة و إزاحة كل علة، أشار إلى ذلك بقوله معرضا عن انتظار جوابهم توييحا لهم بعدم^٨ النصفة التي يدعونها : (قل لله) أي الذي له الإحاطة الكاملة قدرة و علما و لا كموء له، لا لغيره، و هم وإن كانوا معاندين فانهم لا يمكنهم رد قولك، لا سيما و جواب الإنسان عما سأله إنما يحسن

(١) في ظ : اطيحوا (٢) في ظ : سيرهم (٣) في ظ : بما (٤) في ظ : إيجاد (٥) في ظ : بالمعبود (٦) في ظ : شهود (٧) من ظ ، وفي الأصل : بعد .

أن يتعاطاه هو بنفسه / إذا كان قد بلغ في الظهور إلى حد لا يقدر على إنكاره منكر ، وهو هنا كذلك لأن آثار الحدوث والإمكان ظاهرة على صفحات الأكوان ، فكان الإقرار به ضروري ، لا خلاف فيه .
ولما كان أكثر ما في هذا الكون منافع مع كونها حسنة لذينة طيبة شهية ، وما كان فيها من مضار فهي محجوبة بمنوعة عنهم^٥ ، يقل وصولها إليهم^٥ إلا بتسييم^٥ فيها ، والكل مع ذلك دلائل ظاهرة على وحدانيته وتمام علمه وقدرته ، وكان ذلك أهلا لأن يتعجب منه لعموم هذا الإحسان ، مع ما هم عليه من الإثم والعدوان ، وتأخير العذاب عنهم مع العناد والطفيان ، قال دالا على أن رحمته سبقت غضبه مستأقفا :
(كتب) أي وعد وعدا هو كال مكتوب الذي ختم ، وأكد غاية التأكيد ،
أو كتب حيث أراد سبحانه .

ولما كانت النفس يعبر بها^٦ عن الذات على ما هي عليه قال :
(على نفسه الرحمة^٦) أي فلذلك أكرمكم هذا الإكرام بوجوه الإنعام ، وأخر عنكم الانتقام بالاستئصال . ولو شاء [هو -^٦] لسلط عليكم المضار ، وجعل عيشكم من غير اللبذ كالتراب وبعض القاذورات التي يعيش بها^{١٥} بعض الحيوانات .

(١) من ظ ، وفي الأصل : الانكار (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : فيه (٤) في ظ : منهم (٥ - ٥) في ظ : لانفسهم (٦) في ظ : عنها (٧) زيد من ظ (٨) في ظ : لسلطهم .

ولما كان ذلك 'مطمعا للظالم البطر' ، و 'محبيا محيرا مؤسفا' للظالم^٢
 المنكر ، قال محذرا مرحبا مبشرا ملتفتا إلى مقام الخطاب لأنه أبلغ وأنص
 على المقصود دالا على البعث بما مضى من إثبات أن الأكوان لله ، لأن
 كل ما فيها 'موصوف بصفات يحوز اتصافه بأعدادها ، فاختصاص كل
 جسم بصفته المعينة إنما يكون بتخصيص الفاعل المختار ، فيكون قادرا على
 الإعادة ، لأن التركيب الأول إنما كان لأن صانه قادر على جميع الممكنات
 لكونه عالما بجميع المعلومات ، والاتصاف بذلك لا يحوز اتصافه عنه
 فهو ملك مطاع آمرناه مرسل من يبلغ عنه أوامره ونواهي لإظهار
 ثمرة الملك من الثواب والعقاب في يوم الجمع : { ليجمعنكم } أى
 ١٠ والله محشورين شيئا فشيئا { الى يوم القيمة } للعدل بين جميع العباد
 كائنا { لا ريب فيه } أى بوجه من الوجوه ، وذلك الجمع لتخصيص
 الرحمة في ذلك اليوم بأوليائه والمقت والنفقة بأعدائه بعد أن كان عم بالرحمة
 الفريقين في يوم الدنيا ، وجعل الرحمة أظهر في حق الأعداء ، [وبهذا
 الجمع تمت الرحمة من كثير من الخلق ، ولولاه ارتفع الضبط وكثر
 ١٥ الخط كما كان في الجاهلية -] .

ولما كانت ذلك كذلك في عدم الرب لإخبار الله به على
 السنة رسله ولما عليه من الأدلة لما في هذا الخلق من بدائع الحكم
 مع خروج أكثر أعمال الحيوانات عن العدل ، فصار من المعلوم
 (١-٢) في ظ : مطعما (٢) في ظ : موسعا (٣) زيدت الواو بعده في ظ (٤) في
 الأصل وظ : فيه - كذا (٥) زيد من ظ والقرآن الكريم (٦) في الأصل وظ :
 النعمة - كد (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

لكل ذى وعى أن البعث محط الحكمة لإظهار التحلى بالصفات الثملى لجميع
الخالق : الشقى والسعيد القريب والبعيد ، كان كأنه قيل : فما
لنا نرى أكثر الناس كافرا به ، يقال جوابا : (الذين خسروا أنفسهم)
أى باهلاكم إياها بتكذيبهم به لمخالفة الفطرة الأولى التى تهدى
الأخرس ، وستر العقل السليم (مهم) أى بسبب خسارتهم لأنفسهم .
باهمال العقل وإعمال الحواس والتقىد بالتقليد (لا يؤمنون *)
فصاروا كمن يلقى نفسه من شاق ليموت لغرض من الأغراض الفاسدة ،
لا بسبب خفاء فى أمر القيامة ولا لئس بوقع ربنا ، وصار المعنى : إن
الذين لا يؤمنون فى هذا اليوم هم المقضى بخسارتهم فى ذلك اليوم .

ولما استنارت الأدلة / استنارة الشمس واتصبت البراهين حتى ١٥ / ١٦٩

لم يبق أصلا نوع لبس ، عم بالخر عما تقدم عما يشاهدونه وغيره ، فقال
ذاكرا الزمان بعد المكان^١ ، وقدمه لأنه أظهر ، والمعلم الكامل هو الذى
يبدأ بالأظهر فالأظهر متوقفا إلى الأخفى فالأخفى ، فم بذلك الخبر عن
الزمان والزمانات والمكان والمكانات : (وله) أى وحده (ما سكن)
أى حل وتميز^٢ وحصل (فى الليل والنهار^٣) أى ما من شأنه أن يسكن ١٥
فيهما وإن كان متحركا ، ولكنه عبر بذلك دون التحرك لأنها
دار الموت ، ودخل فى ذلك النور والظلمة اللذان أشرك بهما من أشرك .
ولما دل ما مضى على القدرة التامة ، وانقسم إلى متحرك وساكن ،

(١) فى ظ : لا يرى (٢) فى ظ : بمخالفة (٣) فى ظ : الذى (٤) من ظ ، وفى
الأصل : العقلا (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : هو (٧-٧) فى ظ : لزمان (٨) من
ظ ، وفى الأصل : تحتر .

وكانت القدرة لا تتم إلا بالعلم ، دل عليه بقوله : ﴿ وهو ﴾ أى لا غيره
 ﴿ السميع ﴾ أى البالغ السمع لكل متحرك ﴿ العليم ﴾ أى العالم العلم
 بالبصر والسمع وغيرهما بكل متحرك وبكل ساكن من أقوالكم وأفعالكم
 وغيرهما ، فلا تطعموا^١ فى أن يترك شيء من مجازاتكم ، والعليم هنا أبلغ
 من البصير ، وذلك مثل ما تقدم فى قوله " قل اتعبدون من دون الله
 ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم " وهو ترجمة قوله
 " يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون " .

ولما نهض من الحجج ما لم يبق معه لذى بصيرة شك ، كان لسان
 الحال مقتضيا لأن ينادى [بالإنكار عليهم فى الالتفات عن جنبه والإعراض
 ١٠ عن بابه فأبرز - ٢] تعالى ذلك فى قالب الأمر له صلى الله عليه وسلم
 بالإنكار على نفسه ، ليكون أدعى لهم وأرق بهم ، ولأن ما تقدم منبى
 عن غاية المخالفة ، منذر بما أندر من سوء عاقبة المشاققة ، فكأنهم قالوا :
 فهل من سبيل إلى الموافقة ؟ قيل : لا إلا باتخاذكم^٣ 'إلهى وليا' ، وذلك لعمري
 سعادتك فى الدارين ، وبتطعمكم^٤ فى اتخاذى أندادكم أولياء ، وهذا
 ١٥ ما لا يكون أبدا ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ قل ﴾ أى مصرحا لهم بالنكار
 أن تميل^٥ إلى أندادهم بوجه .

ولما كان الإنكار منصبا إلى كون الغير متخذا ، لا إلى اتخاذ الولي ،

(١) فى ظ : التام (٢) من ظ ، وفى الأصل : فلا تطعموا (٣) زيد ما بين الحاجزين
 من ظ (٤ - ٥) فى ظ : الى اوليا - كذا (٥) فى ظ : بتطعمكم (٦) فى الأصل
 و ظ : يميل .

أولى "غير" ^١، الممزة [قال - ^٢] : (غير الله) أى الذى لا شئ يدانيه
 فى العظمة (اتخذ) [أى - ^٣] أكلف نفسى إلى خلاف ما تدعو إليه
 الصطرة الأولى والعقل المجرد عن الهوى كما فعلتم أتم و أخذ (وليا)
 أى أعبد له لكونه بلى جميع أمورى ، ثم وصفه بما يحقق ولايته و يصرف
 عن ولاية غيره فقال : (فاطر السموات والارض) أى خالقها ابتداء ٥
 على غير مثال سبق (و هو) أى والحال أن الله (يطعم) أى يرزق
 كل من سواه بما فيه روح .

و لما كان المنق كونه ^٤ سبحانه مفعولا من الطعم ، لا كون ذلك من
 مطعم معين ، بنى للفعل قوله : (ولا يطعم ^٥) [أى - ^٢] ولا يلغ
 أحد بوجه من الوجوه أن يطعمه ، والمعنى أن المنافع من عنده ، ولا ١٠
 يجوز عليه الانتفاع ، فامتنع فى العقل اتخاذ غيره وليا ، لأن غيره محتاج
 فى ذاته و [فى - ^٢] جميع صفاته إليه ، و هو سبحانه النقى على الإطلاق ،
 وهذا التفات ^٦ إلى قوله تعالى " ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت
 من قبله الرسل و أمه صديقة كانا يا كلن الطعام ^٧ " و تعرض بكل من عبد
 من دون الله ولا سيما الأصنام . فأنهم كانوا يهدون لها الأطعمة فتأكلها ^٨ ١٥
 الدواب و الطيور ، فعلوم أنها لا ^٩ تطعم ولا تطعم ، روى الدارمى فى ^١

(١) من ظ ، وفى الأصل : عن (٢) زيد من ظ ، غير أن فيه « قال » (٣) زيد
 من ظ (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : الالتفات (٦) سورة ٥
 آية ٧٥ (٧) من ظ ، وفى الأصل : تأكلها .

أول / مسنده بسند حسن عن الأعمش عن مجاهد قال : حدثني مولاى
 أن أهله بشوا معه يتدح فيه زبد و لبن إلى آلتهم ، قال : ففنى أن
 آكل الزبد بمخافتها^١ ، فجاء كلب فأكل الزبد و شرب اللبن ثم بال على
 الصنم . ومولاه كان شريك النبي صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام ،
 ٥ و اختلف فيه فقيل : هو قيس بن السائب بن صويمر بن عائذ بن عمران^٢
 ابن مخزوم ، وقيل : قريه السائب بن أبي السائب صني بن عائذ بن عبد الله
 ابن عمر بن مخزوم ، وقيل : ابنه عبد الله بن السائب - والله أعلم ، وله
 ص أبي رجاء - هو^٣ المطاردى وهو مخضرم - قال : كنا في الجاهلية
 إذا أصبنا حجرا حسنا عبدناه ، وإن لم نصب حجرا جمعنا كعبة^٤ من
 ١٠ رمل ، ثم جئنا بالناقة الصني^٥ فنفاج^٦ عليها فنحلبها^٧ على الكعبة حتى
 نزويها ، ثم نمبد تلك الكعبة ما أفنا بذلك المكان . وفيه أيضا إيماء إلى
 أنه كما خلقكم كلكم من طين على اختلافكم في المقادير والألوان
 والأخلاق وهو غنى عنكم ، فكذلك خلق المطعومات على اختلاف
 أشكالها وطعومها ومنافعها وألوانها من طين ، وجعلها منافع لكم
 ١٥ وهو غنى عنها^٨ ، وسيأتى التصريح بذلك في قوله " وهو الذى اتزل
 (١) في ظ : نخافة (٢) وفي الإصابة : وقيل في نسبه : عبد الله بن ممر - بدل
 عمران (٣) في ظ : عن (٤) في ظ : اد (٥) في ظ : كشيبة (٦) من الدارمى ،
 وفي الأصل : الصني ، وفي ظ : العيفا - كذا ، وفي الدارمى : قال أبو عبد
 الصني : الكثيرة الألبان (٧) أى تفرج بين رجلها - راجع أول الدارمى .
 (٨-٨) من الدارمى ، وفي الأصل : عليه فيحلبها ، وفي ظ : عليه فيجعلها .
 (٩) سقط من ظ .

من السماء ماء فآخرجنا به نبات كل شيء، المستوفى^١ في مضماره " فكلوا
 بما ذكر اسم الله عليه " وفي الآية كلها التفات إلى قوله أول السورة " ثم الذين
 كفروا بربهم يعدلون " وقوله في التي قبلها " ولو كانوا يؤمنون بالله
 والنبى^٢ وما أنزل عليه^٣ ما اتخذوهم أولياء " في أمثالها بما فيه تولى الكفار
 لغير خالفهم سبحانه وتعالى، هذا لو لم يرد أمر^٤ من قبل الخالق كان هـ
 " النظر الشديد " كافيا في التنزه عنه، كما كنت^٥ قبل النبوة لا ألفت إلى
 أصنامكم ولا أعتبر للعبادة شيئا من أصابكم، فكيف وقد أمرت بذلك !
 وهو معنى (قل اتق الله) أى من جهة من له الأمر، ولا أمر إلا له،
 وهو من تقدم^٦ أن له كل شيء، وهو الله وحده (إن اكون) أى^٧
 قلى وقالى (أول من أسلم) في الرتبة مطلقا، وفي الزمان بالنسبة ١٠
 إلى الأمة .

ولما كان الأمر بالإسلام نهيا^٨ عن الشرك، لم يكتف به، بل صرح
 به جمعا بين الأمر والنهى من هذا الرب الكريم الذى يدعو إحسانه
 وكرمه إلى ولايته، وينهى تمام ملكه وحروته عن شيء من عداوته،
 في قوله عطفًا على " قل " على^٩ وجه التأكيد : (ولا تكون) أى بوجه ١٥
 من الوجوه في وقت من الأوقات أصلا^{١٠} (من المشركين) أى في
 (١) في الأصل : للمرف، وفي ظ : للمستوف (٢ - ٣) سقط ما بين الرقين
 من ظ، وراجع آية ٨١ (٣) من ظ، وفي الأصل : امرأ (٤ - ٥) في ظ : البطر
 الشديد (٥) من ظ، وفي الأصل : كتب (٦) من ظ، وفي الأصل : عدم .
 (٧) سقط من ظ (٨) في ظ : قليا .

عدادهم باتاعهم في شيء من أغراضهم ، وهذا التأكيد لقطع أطاعهم عنه صلى الله عليه وسلم في سؤالهم أن يطرد بعض أتباعه ليوالوه ، ونحو ذلك مما كانوا يرجون مقاربتهم منهم به ، إعلاما بأن فعل شيء مما يريدون مصحح للنسبة^١ إليهم والكون في عدادهم « من تشبه بقوم فهو منهم » .
 ٥ ولما كان فعل النهي قد لا يعذب عليه ، قال معلما بأن المخالفة في هذا

من أبلغ المخالفات ، فصاحبها مستحق لأعظم الانتقام ، وكل ذلك فطرا لم عن الطمع فيه ، وأكدته لذلك وإنكارهم مضمونه : ﴿ قل اني ﴾ ولما كان المقام للخوف ، قدمه فقال : ﴿ اعاف ان عصيت ﴾ أى شيء مما تريدون مني^٢ أن أواظبكم فيه بما أمرت به أو نهيت عنه ﴿ ربى ﴾ أى المحسن إلى^٣ ١٠ ﴿ عذاب يوم ﴾ ولما كان عظم الظرف بعظم مظلوفه قال : ﴿ عظيمه ﴾ .

/ ولما كان قد تقدم من عموم رحمة ما أطمع العاجر ثم أياسه من / ١٧١

ذلك بما أشير^٤ إليه من الحسارة ، صرح هنا بما اقتضاه ذلك المتقدم ، فقال واصفا لذلك العذاب مبينا أن الرحمة في ذلك اليوم على غير المعهود الآن ، فانها خاصة لا عامة دائمة السبوغ على من ناله ، لا زائلة .
 ١٥ وكذا النعمة ، هكذا شأن ذلك اليوم ﴿ من يصرف عنه ﴾ أى ذلك

العذاب ، ولما كان المراد دوام الصرف في جميع اليوم ، قال : ﴿ يومئذ ﴾ أى يوم إذ يكون عذاب ذلك اليوم^٥ ﴿ فقد رحمه ﴾ أى صل به بالإنعام عليه فعل المرحوم^٦ ﴿ وذلك ﴾ أى لا غيره ﴿ العوز ﴾ أى
 (١) في ظ: مقارنته (٢) من ظ، وفي الأصل : للتثنية (٣) من ظ، وفي الأصل :
 معلما (٤) من ظ، وفي الأصل : من (٥) في ظ : بما (٦-٧) من ظ، وفي الأصل :
 المكان عظيم (٧) في ظ : اشار (٨) سقط من ظ .

الظفر بالمطلوب (المين) أى الظاهر جدا ، ومن لم يصرف عنه فقد أهانه ، وذلك هو العذاب العظيم .

ولما كان التقدير : فان يصرف عنك ذلك العذاب فقد قوت عينك ، عطف عليه دليلا آخر لانه^١ لا يجوز فى العقل أن يتخذ غيره وليا ، فقال معهما للحكم فى ذلك العذاب وغيره مبينا أنه لا مخلص^٢ لمن أوقع^٣ به : (وان يمسك الله) أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له ؛ ولما كان المقام للرهيب^٤ ، قدم قوله : (بضر) أى هنا أو هناك (فلا كاشف له) أصلا بوجه من الوجوه (الا هو^٥) أى لانه لا كفوء له ، فهو قادر على إيقاعه ، ولا يقدر غيره على دفعه ، لانه على كل شئ قدير (وان يمسك بخير) أى فى أى وقت أراد . ١٠

ولما كان القياس على الاول موجبا لأن يكون الجزاء : فلا مانع له ، كان وصفه^٦ من صفة^٧ قوله : (فهو على كل شئ) أى من ذلك وغيره (قديره) ولا يقدر غيره على منعه ، منها على أن رحمته سبحانه سبقت غضبه . ولما كانت الجملتان من الاحتباك ، فأفادت^٨ بما ذكر وما دل عليه المذكور بما حذف أنه تعالى غالب على أمره ، قال مصرحا بذلك : ١٥

(وهو القاهر) أى الذى يعمل^٩ مراده كله ويمنع غيره^{١٠} مراده إن شاء ، وصور قهره وحققه [تمكن الغلبة -^{١١}] بقوله : (فوق عاده) وكل ما سواه عبد ؛ ولما كان فى القهر ما يكون مذموما ، قاه بقوله : (وهو) أى وحده (الحكيم) فلا يوصل^{١٢} أثر القهر بإيقاع المكروه

(١) من ظ ، وفى الأصل : انه (٢) فى ظ : لا يخلص (٣) فى ظ : فترتيب (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) فى ظ : فاما (٧) زيد فى ظ : بقوله . (٨) من ظ ، ولا يتضح فى الأصل (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ : فلا توصل .

إلا المستحق، وأتم المعنى بقوله: ﴿الخير﴾ أى بما يستحق كل شيء،
قمت الأدلة على عظيم سلطانه وأنه لا قاعل غيره .

ولما [ختم - ٢] بصفتى الحكمة والخبرة، كان كأنه قيل: فليمن
لم يعلم أنا نكذبك^٢ بخبرته فيرسل معك محكمته من يشهد لك - على ما يقول
هـ من أنه أمرك أن تكون أول من أسلم، ونهاك عن الشرك لتصدقك -
من ملك كما تقدم سؤالنا لك^٣ فيه^٤ أركتاب في قرطاس أو غيرهما؟ فقال:
قد فعل، ولم يرض لى^٥ إلا بشهادته المقدسة فقال - أو يقال: إنه لما
أقام الأدلة على الوحدانية والقدرة وصل إلى صفة القهر المؤذن بالانتقام،
لم يبق إلا الإشهاد عليهم إيذانا بما يستحقونه من سوء العذاب وإنذارا به
١٠ لتلا يقولوا إذا حل بهم: إنه لم يأتنا نذير، فقال - : ﴿قل﴾ أى يا أيها
الرسول لهم ﴿أبى شيء أكر﴾ أى^٦ أعظم وأجل^٧ ﴿شهادته^٨﴾ فإن
أنصفوا وقالوا: الله أقل: هو الذى يشهد^٩ لى، كما قال فى النساء "لكى
الله يشهد بما أزل اليك"^{١٠}، ولكنه قطع الكلام هنا إشارة إلى عنادهم
أو سكوتهم، أو إلى تنزيلهم منزلة المعاند، أو العالم بالشئ العامل عمل
١٥ الجاهل، فقال آرا له صلى الله عليه وسلم: ﴿قل الله^{١١}﴾ أى الملك
الاعظم المحيط علما وقدرة أكر شهادة .

(١) فى ظ: دللت (٢) زيد من ظ (٣-٢) فى ظ: لا فذلك (٤) فى ظ: فان .
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ، وفى الأصل: منه (٧) من ظ، وفى الأصل:
كل (٨-٨) فى ظ: أجل وأعظم (٩) فى ظ: شهد (١٠) من ظ والقرآن الكريم -
آية ١٦٦، وفى الأصل: إليه .

١٧٢ /

ولما كانوا بمعرض أن يسلبوا ذلك ويقولوا : إنه كذلك ، ولكن
 لهم شهادته ^١ قال : (شهد) أى هو أبلغ شاهد يشهد (بى و بينكم م)
 أى بهذا القرآن الذى ثبت بعجزكم عنه^٢ أنه كلامه ، وبنيته من الآيات
 التى عجزتم عن معارضتها ؛ ولما قرر أنه أعظم شهد^٣ ، وأشار إلى شهادته
 بالآيات كلها ، نبه على أعظمها ، لأن إظهاره تعالى للقرآن على لسانه صلى
 الله عليه وسلم على وفق دعواه شهادة من الله له^٤ بالصدق . قال ذاكر
 لهائده في سياق تهديد متكفل باثبات الرسالة وإثبات الوحانية ، وقدم
 الأول لأنه المقرر للثاني والمفهم^٥ له بنيته^٦ ، عاطفا على جملة^٧ "شهد" بانيا للمفول ،
 تنبيها على أن الفاعل معروف للاعجاز ، وبى للفاعل في السواد : (واوحى الى)
^٨ وحقق موسى^٩ وشخصه بقوله^{١٠} : (هذا القرآن) ولما كان في سياق
 التهديد قال مقتصرا على ما^{١١} يلائمه^{١٢} : (لا تذرکم) أى أحوكم وأحذرکم
 من اعتقاد شائبة نقص في الإله لاسيما الشرك^{١٣} (به ومن) أى وأقرب به
 كل من (بلغ^{١٤}) أى بلغه^{١٥} ، قال الفراء^{١٦} : والعرب تضمر الهاء في صلات
 "الذى" و"من" و"ما" ، وقال البخاري في آخر الصحيح : "لا تذرکم"

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : شهيدا (٣) في ظ : المهم (٤) من ظ ، وفي الأصل :
 فاقه - كذا (٥) من ظ . وفي الأصل : متعلق (٦ - ٧) تدخل ما بين الرقين
 في ظ بين «سياق التهديد» و«قال مقتصرا» (٧) في الأصل : يلائمه ، وفي
 ظ : ملائمة - كذا (٨) زيد بعده في الأصل : الذى ومن وما وقال ، ولم تكن
 الزيادة في ظ لحذفها (٩ - ١٠) في الأصل : لا فراء ، والعبارة من هنا إلى «من
 وما» تقدمت في الأصل على «وحقق موسى» .

يعنى أهل مكة ، ومن بلغ هذا القرآن فهو له نذير . علقه بصيغة الجزم عن ابن عباس و وصله إليه ابن أبي حاتم كما أفاده شيخنا في شرحه .
 وقال عبد الرزاق في تفسيره : أخبرنا معمر عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بلغوا عن الله ، فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله . وقال الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي^٢ في جواب سؤال ورد عليه سنة ثمان و ثلاثين و سبعمائة في أن النبي صلى الله عليه وسلم هل بعث إلى الجبر - ومن خطه نقلت - : الكتاب^٣ و السنة ناطقان^٤ بذلك ، و الإجماع قائم عليه ، لا خلاف بين المسلمين فيه ، ثم أسند الإجماع إلى أبي طالب القضاعى و أبى عمر بن عبد البر في التمهيد و أبى محمد بن حزم في كتاب الفصل^٥ و غيرهم ثم قال : أما الكتاب فآيات إحداها " لا تدرك به و من بلغ " قال محمد بن كعب القرظي^٦ : من بلغه القرآن فكأما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، و قال ابن عباس - ذكره ، و قال

(١) راجع فتح البارى - كتاب الرد على الجهمية ، باب قوله تعالى " بل هو قرآن مجيد " ، و رواه الطبري أيضا بسنده و أوصله إلى ابن عباس - راجع تفسير هذه الآية في جامع البيان (٢) و في تفسير الطبري : بلغته ، و رواه هناك من عبد الرزاق بالسند المذكور (٣) هو عالم مشارك في الفقه و التفسير و الأصول و المنطق و اقراءات و الحديث و الخلاف و الأدب و النحو و اللغة و الحكمة ، و كان قاضى الشام - راجع معجم المؤلفين ١٢٧ / ٧ (٤) في ظ : بالكتاب . (٥) من ظ ، و في الأصل : ناطقا (-) في ظ : الفصل ، و الصواب ما في الأصل - راجع معجم المؤلفين ١٦ / ٧ (٧) في ظ : القرظي .

السدى : من بلغ^١ القرآن فهو له نذير ، وقال ابن زيد : من بلغه هذا القرآن فأنا نذيره . وهذه كلها أقوال متفقة المعنى ، وقد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول هذا الكلام وأن^٢ ينذر بالقرآن كل من بلغه ، ولم ينص إنساناً لا جناً من أهل التكليف ، ولا خلاف أن الجن مكلفون - انتهى^٣ . وسيأتى بما ذكر من الآيات وغيرها ما يليق بالاستدلال على الإرسال إلى الملائكة عليهم السلام ، فالمعنى : فنصدق هذا القرآن فقد أطلع ، ومن كذب فليأت بسورة من مثله ، ثم يحضر شاهد على نفسه بالكذب ، وهو شهادة الله لى بالصدق ، ولاجل أن الله هو الشاهد لم تنقص الشهادة بموت النبي صلى الله عليه وسلم ، بل استمرت على مر الأيام^٤ . وكثر الأعرام لبقاء الشاهد وتعاله عن شوائب النقص وسمات^٥ الحديث^٦ ، وإلى ذلك الإشارة بقول النبي صلى الله عليه وسلم : ما من الأنبياء نبي إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحياً أوحاه الله إلى^٧ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة . - أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك / رضى الله عنه . ولعل الاختصار على الإنذار مع ما تقدم إشارة إلى أن أكثر الخلق هالك ، وقد ذكر^٨ فى نزول هذه الآية أن أهل مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أما وجد الله رسولا غيرك ؟ ما نرى أحداً يصدقك بما تقول ،

(١) وفى تفسير الطبرى حيث أخرج هذا الحديث : بلغه - راجع فيه آية ١٩ من الأنعام (٢) من ظ ، وفى الأصل : أنه (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : ما . (٥) من ظ ، وفى الأصل : الآثار (-) من ظ ، وفى الأصل : الحديث .

ولقد سألنا عنك^١ اليهود والنصارى^٢ فزعموا أنه ليس عندهم منك ذكر،
فأرنا من يشهد أنك رسول الله كما زعم، فأنزلها الله .

ولما لم يبق لمنعت شبهة ، ساق^٣ فذلكة ذلك وقطب دأثرته - وهو
لزوم التوحيد الذي جعلت الرسالة مرقى^٤ إليه ، فاذا ثبت في قلب فاضت
أنواره بحسب^٥ ثباته حتى أنها ربما ملأت الأكوان وعلت على كيوان^٦ -
مساق استفهام على طريقة الإنكار والتعجب تعظيما لشأنه وتفخيمًا لمقامه^٧
وتنبهها لهم على أن يعدوا عن الشرك فقال : ﴿ انتم لتشهدون ان مع الله^٨ ﴾
أى الذى حاز جميع العظمة ﴿ الالهة ﴾ .

ولما كانوا لكثرة تعنتهم ربما أطلقوا على أسمائه سبحانه إله^٩ كما
١٠ قالوا حين سمعوه صلى الله عليه وسلم يقول : يا الله يا رحمن - كما سيأتى
إن شاء الله تعالى آخر الحجر وآخر سبحان ، صرح بالمقصود على وجه^{١٠}
لا يحتمل النزاع فقال : ﴿ اخرى^{١١} ﴾ ولما كان كأنه قيل : إنهم^{١٢} ليقولون
ذلك ، فماذا يقال لهم ؟ قال : ﴿ قل لا اشهد ﴾ أى معكم بشئ مما تقولونه
لأنه باطل ، ولو كان حقا لشهدت^{١٣} به .

١٥ ولما كان هذا غير قاطع لطعمهم فيه ، اجتثته من أصله وبرمته
بقوله : ﴿ قل انما هو ﴾ أى الإله ﴿ اله واحد ﴾ وهو الله^{١٤} الذى

(١) فى ظ : ع (٢) سقط من ظ : (ـ) من ظ ، وفى الأصل : مساق (٤) من ظ ،
وفى الأصل : بخبر - كذا (٥) بفتح اوله : اسم زحل بالعربية (٦) من ظ ،
وفى الأصل : لشأنه (٧) من ظ ، وفى الأصل : آله (٨) من ظ ، وفى الأصل :
بصه - كذا (٩) من ظ ، وفى الأصل : شهدت .

- لا يعجزه شيء ، وهو سجز كل شيء ، لأنه واحد لا كفوء له ، فانكم عجزتم
عن الإيمان سورة من مثل كلامه و أتم أفصح الناس .
- ولما كان معنى هذا البراءة من إندارهم ، صرح به في قوله مؤكدا
في جملة اسمية : (و انى رى بما تشركون ؟) أى الآن و في مستقبل الزمان
إيعادا من تطمعهم أن تكون الموافقة بينه وبينهم باتخاذ الانداد أو شيئا
منها ولما ، ثبت التوحيد بهذه الآية بأعظم طرق البيان^١ و أبلغ وجوه
التأكيد^٢ ، و لقد امتثل^٣ صلى الله عليه و سلم الأمر بإندار من يمكن
إبلاغه القرآن ، فلما استراح^٤ عن حرب^٥ قريش و كثير من حوله من
العرب في عام الحديبية ، و هو سنة ست^٦ من الهجرة ، و أعله^٧ الله تعالى
أن ذلك فتح مبين ، أرسل إلى من يليه من ملوك الأمصار في ذلك
العام و ما بعده ، و كان أكثر^٨ عند منصرفه من [ذلك -^٩] الاعتبار
يدعوم إلى حنات و أنهار في دار القرار ، و يندرم دار البوار ، قال
أهل السير : خرج صلى الله عليه و سلم - بعد رجوعه من عمرة الحديبية إلى
صد عنها - على أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين فقال : أيها الناس ! إن الله
بمشى رحمة و كافة ، و إنى أريد أن أبعث سعة منكم إلى ملوك الأعاجم - و قال ابن
عبد الحكم في^{١٠} فتوح مصر عن عبد الرحمن بن عبد القادر أن رسول الله
صلى الله عليه و سلم قام ذات يوم على المنبر فحمد الله و أثنى عليه و تشهد
-
- (١) من ظ ، و في الأصل : يكون (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : التوكيد .
(٤) من ظ ، و في الأصل : امتثله (٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) من
ظ ، و في الأصل : سنة (٧) من ظ ، و في الأصل : اعلم أن (٨) من ظ ، و في
الأصل : أكثرهم (٩) زيد من ظ (١٠) و العبارة من هنا إلى « و قال ابن
عبد الحكم » الآخر ، ساقطة من ظ .

ثم قال : أما بعد فاني أريد أن أبث بعضكم إلى ملوك السجم ، فأدوا
عني يرحمكم الله ، ولا تختلموا عليّ كما اختلف الحواريون - وقال ابن عبد الحكم :
بنو إسرائيل - على عيسى ابن مريم عليها السلام ، فقال المهاجرون :
يا رسول الله ! والله لا نختلف عليك في شيء أبدا ، قرنا وبعثنا ، فسألوه :
كيف اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام ؟ قال : دعاهم إلى الذي -
١٧٤ / ' وفي رواية ' . مثل الذي - دعوتكم / إليه ، وقال ابن عبد الحكم : إن الله
تبارك وتعالى أرحى إلى عيسى عليه السلام أن ابث إلى مقدس الأرض ،
فبعث الحواريون - فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم ، وأما من
بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وثاقل - قال ابن عبد الحكم : وقال : لا أحسن
١٠ كلام من تبعني إليه - فشكا ذلك عيسى عليه السلام إلى الله عز وجل ،
فأصبح كل رجل - وقال ابن عبد الحكم : فأوحى الله تعالى إليه أني
سأكفيك ، فأصبح المتأقلون وكل واحد منهم - يتكلم بلفظة الأمة ^٢ التي
بعث إليها . فقال عيسى عليه السلام : هذا أمر قد عزم الله عليه ^٣ فامضوا له ^٤ .
وقال الشيخ مجد الدين الفيروزابادي في القاموس : إن المكان الذي جمع
١٥ فيه ^٥ عيسى عليه السلام الحواريين وأقدمهم إلى النواحي ^٦ قرية بناحية ^٧
طبرية تسمى الكرسي ^٨ . وقال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب
(١ - ١) في الأصل : ما روايته - كذا (٢) من ظ وسيرة ابن هشام / م / ٧٧ ،
وفي الأصل : الآية - كذا (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : اليه (٥) من ظ ،
وفي الأصل : به (٦ - ٧) في ظ : قريب رحبة (٧) من ظ و اقاموس ، وفي
الأصل : الكرئين - كذا .

المصرى أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان و ملوك [العرب و - ^١] العجم و ما قال لأصحابه حين بعثهم ، قال : فيعث به إلى محمد بن شهاب الزهري ففرقه - فذكر نحو ما تقدم إلى أن قال : قال ابن إسحاق : و كان من بعث عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم من الحواريين : الاتباع الذين كانوا بعدهم ^٢ في الأرض بطرس الخواري و معه بولس - و كان [بولس - ^٣] من الاتباع و لم يكن من الحواريين - إلى رومية ^٤ ، و أندرائس ^٥ و متا ^٦ إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس ، و توماس إلى أرض بابل من أرض المشرق و قيليس ^٧ إلى قرطاجنة ^٨ ، و هي إفريقية ، و يحنس ^٩ إلى أفسوس ^{١٠} قرية [القية - ^{١١}] أصحاب الكهف ، و يعقوبس إلى أوراشلم و هي إيلياء قرية بيت المقدس ، و ابن ثلثا ^{١٢} إلى الأعرابية ، و هي أرض الحجاز ، و سيمس ^{١٣} إلى أرض البربر ، و يهودا و لم يكن من الحواريين ، فجعل مكان يودس ^{١٤} - انتهى . كذا رأيت في

(١) زيد من سيرة ابن هشام ٧٨ / ٢ (٢) في ظ : كانوا بعثهم - كذا (م) من ظ و السيرة ، و في الأصل : رومة (٤) في ظ : اندراس (٥) في ظ : ميتا ، و بهامش السيرة : قوله : و متا ، في نسخة : و متا - بالثلثة (٦) من السيرة ، و في الأصل : فيلس ، و في ظ : فيلس - كذا ، و الصحيح أنه فيلس - كما يأتي من نص الإنجيل (٧) في ظ : قرطاجية (٨) من السيرة ، و في الأصل : محس ، و في ظ : بجيس - كذا (٩) في ظ : اقيوس (١٠) من ظ و السيرة ، و في الأصل : سلما (١١) من السيرة ، و في الأصل : سيمين ، و في ظ : -نين . (١٢) من ظ و السيرة ، و في الأصل : يورس - كذا .

نسخة معتمدة مقالة من تهذيب السيرة لابن هشام ، وكذا في مختصرها
للإمام جمال الدين محمد بن [المكرم - ^١] الأنصارى عدد رسله وأسمائهم ،
وفي آخرهم : قوله : مكان يودس ، ولم يتقدم ليودس ذكر ، والذي
حررته أنا من الأناجيل التي بأيدي النصارى غير هذا ، ولله أصح ،
٥ وقد جمعت ما تفرق ^٢ من ألفاظها ، [قال - ^٢] في إنجيل متى ما ^٣ نصه -

ومعظم السياق له : ودعا - يعنى عيسى عليه السلام - تلاميذه الاثني عشر
وأعطاهم سلطانا على جميع الأرواح [النجسة - ^٤] لكي يخرجوها
ويشفوا كل الأمراض ، وفي إنجيل مرقس : وصعد إلى الجبل ودعا
الذين أحبههم فأتوا إليه ، وانتخب اثني عشر ليكونوا معه ولكي يرسلهم
١٠ ليكرزوا ، وأعطاهم سلطانا على شفاء الأمراض وإخراج الشياطين ؛

وفي إنجيل لوقا : وكان في تلك الأيام خرج إلى الجبل يصل ، وكان
ساعرا في صلاة الله ^٥ ، فلما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثني
عشر ؛ وقال في موضع آخر : ودعا الاثني عشر الرسل وأعطاهم قوة
وسلطانا على جميع الشياطين وشفاء المرضى ، وأرسلهم يكرزون

١٥ بملكوت الله ؛ يشعرون ^٦ الإوجاع ؛ وهذه أسماء ^٧ الاثني عشر الرسل :
سمعان المسمى بطرس - ونسبه في موضع ^٨ من إنجيل [متى - ^٢] :

ابن يونا - وأندراوس أخوه ^٩ ، ويعقوب بن زبدي ^{١٠} و يوحنا أخوه -

(١) زيد من معجم المؤلفين ٤٦/١٢ ، وموضعه في ظ : المكر - كذا (٢) من ظ ،
وفي الأصل : تعرف - كذا (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) زيد من
الإنجيل (٦) في ظ : الليل (٧) في ظ : يقون - كذا (٨) من ظ ، وفي الأصل :
الاسماء (٩) راجع الأصحاح السادس عشر - آية ١٧ (١٠) في ظ : زيدا - كذا .

قال في إنجيل مرقس : و سماهما باسمي يوارجس^١ الذين^٢ ابنا^٣ الرد -

/ وفيلس^٤ و برثولوماوس ، و توما و متى المشار ، و يعقوب بن حلفي ،
و لباس^٥ الذي يدعى تداوس^٦ . و جعل في إنجيل مرقس بدل هذا :

تدى ، و في إنجيل لوقا بدلها : يهوذا بر يعقوب ، ثم اتفقوا : و سمان

القسانى ، و قال في إنجيل لوقا : المدعو القيور ، و يهوذا الإسخريوطى^٥

الذى أسلمه - أى دل عليه في الليلة التى ادعى اليهود القبض عليه فيها -

هؤلاء الاثنا عشر^٧ الرسل الذين أرسلهم يسوع - و في إنجيل مرقس :

و دعا الاثني عشر^٨ و جعل يرسلهم اثنين اثنين^٩ ، و أعطاهم السلطان

على الأرواح النجسة - قاتلا : لا تسلكوا طريق الأمم ، و لا تدخلوا

مدينة السامرة ، و انطلقوا خاصة إلى^{١٠} الخراف التى ضلت من بيت

إسرائيل ، و إذا ذهبتم فاكرزوا و قولوا : قد اقتربت ملكوت السماوات ،

اشفوا المرضى ، أقيموا الموتى ، طهروا البرص ، أخرجوا الشياطين ،

مجانا أخذتم مجاناً أعطوا ، لا تكذبوا^{١١} ذبوا و لا ضنة و لا محاسا في مناطقكم

و لا هيما^{١٢} في الطريق و لا توبين و لا حذاء و لا عصي ، و الفاعل

(١) من إنجيل مرقس ، و في الأصل : يوارجس ، و في ظ : ترا برجس - كذا .

(٢) في ظ : الذين هم (٣) من ظ ، و في الأصل : ابن (٤) في ظ : قبلس - كذا .

(٥) من إنجيل متى ، و في الأصل و ظ : لنا - كذا (٦) من ظ و الإنجيل ، و في

الأصل : بذاسوس - كذا (٧-٨) في ظ : هو الاثني عشر - كذا (٨) من ظ

و الإنجيل ، و في الأصل : الاثنا عشر (٩) سقط من ظ (١٠) في ظ : في (١١) من

ظ ، و في الأصل : لا تنكروا - كذا (١٢) في ظ : هيما .

مستحق طعامه^٤ ، وفي إنجيل مرقس : وأمرهم أن لا يأخذوا^١ في الطريق غير
عصى فقط ولا هميانا^٢ ولا خبزا^٣ ولا فنة^٤ ولا محاسا في مناطقهم إلا سالا
في أرجلهم ولا يلبسوا^٥ قيصين^٦ ، وفي إنجيل لوقا : وقال لهم^٧ : لا تحملوا
في الطريق^٨ شيئا ، لا عصى ولا هميانا^٩ ولا خبزا ولا فنة ، ولا يكون
لکم^{١٠} ثوبان^{١١} ، وأى مدينة أو قرية دخلتموها لخصوا^{١٢} فيها عن
يستحقكم ، وكونوا هناك حتى تخرجوا^{١٣} ، فادا دخلتم إلى البيت فسلوا
عليه ، فان كان البيت مستحقا لسلامکم^{١٤} فهو يحل عليه ، وإن كان
لا يستحق فسلامکم راجع إليکم ، من لا يقبلکم ولا يسمع كلامکم فادا
خرجتم من ذلك البيت و تلك القرية أو تلك المدينة انفضوا غبار أرجلکم ؛
١٠ وفي إنجيل مرقس : وقال لهم : أى بيت دخلتموه أقيموا فيه إلى أن
تخرجوا^{١٥} منه ، وأى موضع لم يقبلکم ولم يسمع منکم فاذا خرجتم من
هاك فانفضوا الغبار الذى تحت أرجلکم للشهادة عليهم ، الحق أقول^{١٦}
لکم^{١٧} إن لأرض^{١٨} سدوم^{١٩} و^{٢٠} عامورا^{٢١} راحة في يوم الدين أكثر من تلك

(١) من ظ ، وفي الأصل : لا يؤخذوا (٢) في ظ : هميانا (٣-٣) ليس ما بين
الرقمين في إنجيل مرقس (٤) من ظ ، وفي الأصل : لا تلبسوا (٥) زيدت الواو
بعده في ظ (٦) زيدت الواو بعده في الأصل و ظ ، ولم تكن في إنجيل لوقا
لحدفاها (٧) في ظ : لهم (٨) من ظ و إنجيل لوقا ، وفي الأصل : ثوبا (٩) من
ظ ، وفي الأصل : لخصوا (١٠) من ظ و إنجيل متى ، وفي الأصل : يخرجوا .
(١١) في ظ : لسلامکم (١٢) من ظ و إنجيل مرقس ، وفي الأصل : يخرجوا .
(١٣) سقط من ظ (١٤) من إنجيل متى ، وفي الأصل و ظ : الأرض (١٥) من
ظ ، وفي الأصل : عامور ، وفي الإنجيل : عمورة .

المدينة، هو ذا أنا مرسلكم كالخراف بين الذئاب، كونوا حكماء كالحيّة
 وودعاء^٢ كالحمائم^٣، احذروا من الناس، فانهم يسلبونكم إلى المحافل، وفي
 مجامعهم^٤ يضربونكم، ويقدمونكم إلى القواد والملوك من أجل شهادة لهم^٥
 وللأمم - وفي إنجيل مرقس^٦: شهادة عليهم وعلى كل الأمم، ينبغي
 أولاً أن يكرزوا بالإنجيل - فاذا أسلبوك فلا تهتموا بما تقولون^٧ - وفي
 إنجيل مرقس: لا ما ذا تهيمون - فانكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون
 به، ولستم أنتم المتكلمين لكن روح أيكم - وفي إنجيل مرقس: لكن
 روح القدس يتكلم فيكم - وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والاب ابنه،
 ويقوم الأبناء على آباءهم فيقتلوهم، وتكونون^٨ مبغوضين من الكل
 من أجل اسمي، والذي يصر إلى المنتهى يخلص، فاذا طردوكم^٩ من
 هذه المدينة اهربوا إلى أخرى، الحق الحق أقول لكم! إنكم لا تكلمون
 مدائن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان، ليس تليذ أفضل من معلمه،
 ولا عبد أفضل من سيده، وحسب التليذ أن يكون مثل معلمه والعبد
 مثل سيده، إن كانوا سموا رب البيت باعل زبول فكم بالحرى أهل بيته!
 فلا تخافوهم، طيس خفي لا سيظهر ولا مكتوم إلا سيعلم، الذي أقول لكم^{١٥}

- (١) ريدت الواو بعده في ظ (٢) جمع ودع: هادئ ساكن، وفي الإنجيل:
 بسطاء (٣) من ظ و الإنجيل، وفي الأصل: الحما - كذا (٤) في ظ: معاملهم.
 (٥) من الإنجيل، وفي الأصل وظ: لكم (٦) العبارة من ها إلى «إنجيل مرقس»
 - الآتي، ساطعة من ظ (٧) في الأصل: يقولون، ومنى التصحيح نص الإنجيل.
 (٨) سقط من ظ (٩) في ظ: يكونون (٩) من ظ و الإنجيل، وفي الأصل:

طردوهم.

في الظلة قولوه أتم في التور، و ما سمعتموه بأذانكم فاكرزوا / به على
السطوح، و^١ لا تخافوا من^٢ يقتل الجسد ولا يستطيع أن يقتل النفس^٣،
خافوا من يقدر أن يهلك النفس و الجسد جميعا في جهنم، [أليس^٤]
عصفوران يباعان بخلس، و واحد منها لا يسقط على الأرض دون
إرادة أربابهم، و أتم فثعور^٥ رؤسكم كلها عصاة، فلا تخافوا، فانكم أفضل
من عصافير كثيرة، لا تظنوا أني جئت لآلئ على الأرض سلامة،
لكن سيفا^٦، أتيت لأفرك الإنسان من أبيه و الابنة^٧ من أمها، و العروس
من حماتها^٨، و أعداء الإنسان^٩ أهل بيته، من أحب أبا أو^{١٠} أما أكثر
منى فاستحقى، و من وجد نفسه ظليها، و من أهلك نفسه من
أجل وحدها، و من قلكم قد قبلنى، و من قبلنى فهو يقبل الذى
أرسلنى، و من يقبل نيا باسم نبي فأجر نبي^{١١} يأخذ، و من يأخذ صديقا
باسم صديق فأجر^{١٢} صديق يأخذ، و من سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء
بارد فقط باسم تلميذ^{١٣} - الحق أقول لكم^{١٤} - إن أجره لا يضيع . ولما
أكمل يسوع أمره لتلاميذه^{١٥} الاثني عشر، انتقل من هناك ليعلم و يكرز

- (١) سقط من ظ (٦) في ظ : من (٣) زيد من ظ و الإنجيل (٤) من ظ ،
و في الأصل : شعور (٥) في ظ : سيف (٦) من ظ ، و في الأصل : الأمة .
(٧) من ظ ، و في الأصل : حمايتها (٨) زيد بعده في ظ : من (٩) من إنجيل
متى ، و في الأصل « و » (١٠) من ظ ، و في الأصل : نبي - كذا (١١) من
ظ ، و في الأصل : فاجر (١٢) من ظ و الإنجيل ، و في الأصل : التلميذ .
(١٣) زيد بعده في ظ : إن أجره تلميذ الحق أقول لكم (١٤) في ظ : تلاميذه .

في مداهم^١ ، و في إنجيل مرقس : فلما خرجوا - يعنى الرسل - كردوا
 بالتوبة وأخرجوا شياطين كثيرة و مرضى عديسة^٢ يدعنونهم بالزيت
 فيشفون^٣ و في إنجيل لوقا : و من بعد هذا أيضا من الرب مسبحين آخرين^٤
 و أرسلهم اثنين اثنين قدام وجهه إلى كل مدينة و موضع أزمع أن
 يأتيه ، و قال لهم : إن الحصاد كثير و الفعلة قليلون^٥ ، أطلبوا [من]^٥
 رب الحصاد ليخرج فعلة لحصاده^٦ و في إنجيل متى ما ظاهره أن هذا
 الكلام كان^٧ للاثني عشر ، فانه^٨ قال قبل ذكر عددهم : فلما رأى الجمع
 تحنن عليهم لأنهم كانوا ضالين و مطرحين كالحراف التي ليس لها راع ،
 حيثن قال لتلاميذه الاثني عشر - إلى آخر ما ذكرته عنه أولا ، فيجمع
 بأنه قاله للفرقتين^٩ - رجع إلى السياق الأول : اذهوا ، هو ذا أرسلكم^{١٠}
 كالحراف بين الذئاب ، لا تحملوا هميانا ولا حذاء ولا مزودا
 و^{١١} لا تقبلوا أحدا^{١٢} في الطريق ، و أى بيت دخلتموه فقولوا^{١٣} أولا :
 سلام لاهل هذا البيت ، فان كان هناك ابن سلامكم^{١٤} فان سلامكم يحل^{١٥}

(١) من ظ و الإنجيل ، و في الأصل : مدينتهم (٢) في الأصل : عدة ، و في ظ :
 عددهم ، و في الإنجيل : كثيرين (٣) من إنجيل لوقا . و في الأصل و ظ : آخر .
 (٤) من الإنجيل ، و في الأصل و ظ : قليل (٥) زيد من الإنجيل (٦) سقط
 من ظ (٧) في ظ : واه (٨) في ظ : للفقير من - كذا (٩-١٠) و في إنجيل لوقا :
 لا تسلموا على أحد (١٠) في ظ : فسلموا (١١ - ١٢) سقط ما بين الرقيين
 من ظ .

عليه ، و إلا فسلامكم راجع إليكم ، و كونوا في ذلك [البيت - ١] ، كلوا
واشربوا من عندكم^٢ ، فان الفاعل مستحق أجرته . و لا تقتتلوا من بيت
إلى بيت ، و أى مدينة دخلتموها و يقبلكم أهلها فكلوا مما يقدم لكم^٣ ،
و اتفوا المرضى الذين فيها ، و قولوا لهم : قد قربت ملكوت الله ، و أى
مدينة دخلتموها و لا يقبلكم أهلها فاخرجوا^٤ من شوارعها و قولوا
[لهم - ٦] : نحن نفرض لكم الغبار الذى لصق بأرجلنا من مدينتكم ، لكن
اعلموا أن ملكوت الله قد قربت ، أقول لكم : إن سدوم^٥ فى ذلك
اليوم لها راحة أكثر من تلك المدينة^٦ ، الويل لك يا كورزين^٧ ! و الويل
لك يا بيت صيدا ! لانه لو كان فى صور و صيدا القوات التى كسب^٨ فيكما^٩
١٠ جلسوا و تابوا بالمسوح و الرماد ، و أما صور و صيدا فلهما راحة فى
الدينونة أكثر منكم ، و أنت يا كفرناحوم لو أنك ارتفعت إلى السماء
سوف تهبطين^{١١} إلى الجحيم ، من سمع منكم فقد سمع منى ، و من جحدكم
فقد جحدنى ، [و من جحدنى - ٦] فقد شتم الذى أرسلنى ، فرجع
السبعون بفرح قائلين^{١٢} : يا رب ! الشياطين باسمك تخضع لنا^{١٣} يا رب^{١٤} ! فقال
١٥ لهم : قد رأيت الشيطان^{١٥} سقط من السماء مثل البرق ، و هو ذا قد أعطيتكم

(١) زيد من الإنجيل (١٢) فى ظ : عندكم (٣) سقط من ظ (٤) من الإنجيل ، و فى
الأصل وظ : اخرجوا (٥) فى الإنجيل : إلى (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل :
سدومة (٨) فى ظ : كوزن (٩) من الإنجيل ، و فى الأصل : سيكون ، و فى
ظ : فيك (١٠) من ظ ، و فى الأصل : تهبطن (١١) فى ظ : ثلثون (١٢-١٣) ليس
ما بين الرقين فى الإنجيل (١٣) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : الشياطين .

سلطاناً / لتدوسوا^١ الحيات والعقارب وكل قوة العدو، ولا يضركم شيء،
 ولكن^٢ لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم، افرحوا لأن أسماءكم
 مكتوبة في السموات، وفي تلك الساعة تهل يسوع بالروح، والتفت
 إلى تلاميذه خاصة وقال: طوبى للأعين التي ترى ما رأيتم! أقول لكم:
 إن أنبياء كثيرين^٣ وملوكا اشتبهوا أن ينظروا ما نظرتهم فلم ينظروا،^٤
 وبسموا ما سمعتم لم يسمعوا، وفي إنجيل متى - بعد ما ادعى اليهود صلبه -
 أنه ظهر لتلاميذه الأحد عشر - وهم من تقدم غير يهوذا الإسخريوطي
 الذي أسلمه في الجليل في الجبل الذي أمرهم به يسوع، وكلهم قاتلاً:
 أعطيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا الآن وتلبذوا كل
 الأمم، وفي آخر إنجيل مرقس أنه ظهر لهم وهم مجتمعون، وكانوا^٥
 في تلك الأيام سيكون وينوحون فسكتهم لقلة^٦ إيمانهم وقسوة قلوبهم
 وقال لهم: امضوا إلى العالم أجمع^٧، واكرزوا بالإنجيل في الخليقة
 كلها، فمن آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدان، وهذه الآيات
 تتبع^٨ المؤمنين، يخرجون الشياطين [باسمى - ^٩] : يتكلمون بالسنة
 جديدة، ويحملون بأيديهم الحيات ولا تؤذيهم. ويشرعون السم القاتل^{١٠}
 فلا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون، ومن بعد ما كلمهم

(١) من الإنجيل، وفي الأصل وظ: لتدوسوا (٢-٣) من الإنجيل، وفي الأصل
 وظ: تفرحون (٣) من الإنجيل، وفي الأصل وظ: كثيرا (٤) من ظ وفي
 الأصل: أو (٥) من ظ، وفي الأصل: لغة - كذا (٦) في ظ: اجتمعوا.
 (٧) من الإنجيل، وفي الأصل: يتبعون. وفي ظ: يتبع (٨) زيد من الإنجيل.

يسوع ارفع^١ إلى السماء ، مخرج أولئك يكرزوا في كل مكان ، وفي
 انجيل لوقا : فلما خرجوا كانوا يهللون في القرى و يبشرون و يشفون
 في كل موضع - وفي آخره بعد أن ذكر تلاميذه الأحد عشر^٢
 و كلاماً كانوا يخوضون فيه بعد ادعاء اليهود لصلبه : و فيما هم يتكلمون
 ٥ وقف يسوع في وسطهم و قال لهم : السلام لكم^٣ ، أنا هو لا تخافوا ،
 فاضطربوا و ظنوا أنهم ينظرون روحاً فقال : ما بالكم تضطربون ؟
 و لم تأت الأفكار في قلوبكم ؟ انظروا يدي ورجلي فاني أنا هو اجسؤوا
 و انظروا ، إن الروح ليس له لحم و لا عظم كما ترون أنه لي ؛ و لما قال
 هذا أرام^٤ يديه ورجليه ، و إذا هم غير مصدقين من العرج ، قال لهم :
 ١٠ أعندكم ههنا ما يؤكل ؟ فأعطوه^٥ جزءاً من حوت مشوى و من شهد
 غسل ، فأخذ قدامهم و أكل ، أخذ الباقي و أعطاهم ، و قال لهم : هذا
 السلام الذي كلمتكم به إذ كنت معكم . و أنه سوف يكمل كل شيء
 هو مكتوب في ناموس موسى و الأنبياء و المزامير لأجلي ، و حينئذ
 فتح أدهامهم ليهيئوا ، و قال لهم : اجلسوا أنتم في المدينة يروشلیم حتى
 ١٥ تنذروا^٦ لقوة من العلي ، ثم أخرجهم خارجاً إلى بيت عيا ، فرفع يديه
 و باركهم ، و كان فيما هو يباركهم انفرد عنهم^٧ و صعد إلى السماء
 أمامهم ، فرجعوا إلى يروشلیم بفرح عظيم ، و كانوا في كل حين يسبحون
 (١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : الاحدى عشر (٣) في ظ :
 عليكم (٤) من ظ ، وفي الأصل : ارايتم (٥) في ظ : فأعطوهم (٦) في ظ : ادا .
 (٧) في ظ : تدعوا - كذا (٨) في ظ : عليهم .

و يساركون الله - انتهى ما نقله من الأناجيل . و ما^١ كان فيه من لفظ
يوهم قصا [ما -^٢] فقد تقدم في أول^٣ آل عمران أنه لا يجوز في
شرعنا إطلاقه على الله تعالى وإن كان صح إطلاقه في شرعهم ، فهو مؤول
و قد نسخ ، و قال الإمام عجي الستة الخوى في تفسير آل عمران فيما نقله
عن وهب : قلنا كان بعد سبعة أيام - أى من ادعاء اليهود لصلبه - قال الله
تعالى لعيسى عليه السلام : اهبط على مريم المجدلانية في جبلها ، فانه لم يك
عليك أحد بكامها ، ولم يحزن [عليك -^٤] أحد حزنها ، ثم لتجمع لك
الحواريين فتبثهم^٥ في الأرض دعاة إلى الله تعالى ، فأهبطه^٦ الله تعالى عليها
فاشتعل^٧ الجبل حين هبط هورا ، / فجمعت له الحواريين فتبثهم^٨ في الأرض
دعاة ، ثم رعبه الله إليه ، و تلك الليلة هى التى تدخن^٩ فيها الصارى ، فلما
أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى عليه السلام
إليهم ، فذلك قوله تعالى ” و مكروا و مكر الله و الله خير الماكرين “^{١٠}
هذا ما ذكر^{١١} من شأن رسل عيسى عليه السلام أنهم كانوا دعاة ، و أما
رسل^{١٢} النى صلى الله عليه وسلم فاتهم^{١٣} كانوا مبشرين لكاتبه صلى الله عليه وسلم ،

(١) فى ظ : ما (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) زيد من معالم التنزيل -
راجع الحازن ٢٩٩/١ (٥) فى ظ : فهم (٦) من العالم ، وفى الأصل و ظ : فاهبط .
(٧) من ظ و المعالم ، وفى الأصل : فاسعد - كذا (٨) فى ظ : ليتهم (٩) من
العالم ، وفى الأصل : يدخل ، وفى ظ : يدخر - كذا (١٠) راسع آية ٥ من
آل عمران ، و زيد الواو بعده فى ظ (١١) فى ظ : ذكره (١٢) زيد بعده
فى الأصل : عيسى عليه السلام ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (١٣) فى ظ : قائما .

فمن قبل ذلك كان حظه من الله، ومن أبي كان جوابه السيف
المالحق لـ^١ له. كما ذكرته مستوفى في شرحى لنظي للسيرة^٢ وهو مذكور
في فتوح البلاد؛ ولما بعث صلى الله عليه وسلم رسله اتخذ لاجل مكاتبة
الملوك الخاتم. أخرج أبو يعلى في مسنده عن أنس رضي الله عنه أن
٥ رسوا، الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصرو. وفي رواية:
وأكيدر دومة و^٣ إلى كل جار - يدعوم إلى الله؛ وأخرج الشيخان
في صحيحهما - وهذا لفظ مسلم - عن أنس بن مالك أيضا رضي الله عنه قال:
[لما -^٣] أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم - وفي رواية: إلى
الحكم - قالوا: إنهم لا يقرؤون كتابا إلا عتوما، فاتخذ رسول الله صلى
١٠ الله عليه وسلم خاتما من فضة كأنى أنظر إلى ياضه في يد رسول الله صلى
الله عليه وسلم، نقشه محمد رسول الله، فبعث دحية بن خليفة الكلبي رضي
الله عنه إلى قيصرو ملك الروم وأمره أن يوصل الكتاب إلى عظيم
بصرى ليوصله إليه، فعظم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وقبلة وقراه
ووضعه على وسادة وعلم صدقه صلى الله عليه وسلم [و-^٤] أنه
١٥ سيغاب على ملكه، لجمع الروم وأمرهم بالإسلام فأبوا، فخافهم فقال:
إنما أردت أن أجركم، ثم لم يقدر الله له الإسلام، فأزال الله حكمه
عن الشام وكثير من الروم على يدى أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم،
[ثم -^٤] عن كثير من الروم أيضا على يد من بعدهم، ومكن بها
(١) في ظ: السيرة (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ وصحيح مسلم - كتاب
العباس (٤) زيد من ظ (٥) في ظ: لاله.

الإسلام، لكن أتابه^١ الله على تعظيم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم بأن أبقى ملكه في أطراف بلاده إلى الآن، وبلغنى أن الكتاب محفوظ عندهم إلى هذا الزمان؛ وبث شجاع بن وهب الأسدى رضى الله عنه إلى الحارث بن أبى شمر الفسائى - وقال القضاعى: المنذر بن أبى شمر عامل قيصر على تخوم الشام - [ثم - ٢] إلى جلة بن الأيهم^٢ الفسائى، فأما هـ الحارث أو المنذر فغضب من الكتاب وهم^٣ بالمسير إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليقاتله، زعم فنهاه^٤ عن ذلك قيصر، فأكرم شجاعا ورده وأسلم^٥ حاجبه مرى الرومى^٦ بما عرف من صفة النبي صلى الله عليه وسلم^٧ فى الإنجيل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم^٨: ماد ملك الحارث، وقاز مرى، قتل^٩ ما لبث الحارث حتى مات، وولى بعده [فى مكانه - ٢] جلة بن الأيهم^{١٠} الفسائى، وهو آخر ملوك غسان على نواحى الشام، فرد^{١١} إليه النبي صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب رضى الله عنه، فرد^{١٢} على النبي صلى الله وسلم ردا جميلا ولم يسل، واستمر يترصد حتى أسلم فى خلافة عمر رضى الله عنه لما رأى من ظهور نور الإسلام ونحوه فار الشرك، ثم إنه

(١) من ظ، وفى الأصل: أتابه - كذا (٢) زيد من ظ (٣) من سيرة ابن هشام ٧٨/٣، وفى الأصل: الا انهم، وفى ظ: الايهم - كذا (٤) فى ظ: هو. (٥) من ظ، وفى الأصل: فنها (٦) من ظ، وفى الأصل: فاسلمه (٧) ذكر قصته فى السيرة الحلبية مبسوطا من غير تعرض لاسمه - راجع ٣٥٣/٣ منها، ولكن ذكره فى السيرة التى بهامش الحلبية فقال: وكان هذا الخاحب روميا اسمه مرى - راجع ٨٥/٣ منها، وذكر اسمه أيضا فى الخصائص الكبرى ١١/٢. (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) فى ظ: فبرد (١٠) فى ظ: فرده.

ارتد - ولحق يلاذ الروم - في لطة أريد أن يقتص منه فيها، فبجان
 الفاعل لما يشاء! وبعث عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه إلى كسرى
 ملك الفرس، وأمره أن يدفع الكتاب / إلى عظيم البحرين ليوصله إليه،
 فلما رأى أن النبي صلى الله عليه وسلم بدأ^١ باسمه الشريف مزق الكتاب قبل
 أن يلم ما فيه، فرجع عبد الله، فلما سكن غضب الحديث التمسه فلم يجد
 فأرسل في طلبه فسبق الطلب، فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن
 تمزيق الكتاب، دعا على كسرى أن يمزق كل ممزق، فأجاب الله دعوته فشتت
 شملهم وقطع وصلهم على يد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم قتل يزدجرد
 آخر ملوكهم في خلافة عثمان رضي الله عنه، فأصبح ملك الأكاسرة
 ١٠ كأمس الدار^٢، وعم بلادهم الإسلام، وظهرت بها كلمة الإيمان، بل
 تجاز الإسلام ملكهم^٣ إلى ما وراء النهر وإلى بلاد الحظا. وبعث حاطب
 ابن أبي بلتعة^٤ رضي الله عنه إلى المقوقس صاحب مصر والإسكندرية،
 فلمن من صدق النبي صلى الله عليه وسلم ما عليه قيص من الإنجيل،
 فأكرم الرسول وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم ورددا جيلا ولم يسل،
 ١٥ فأباد الله ملكه على يد عمرو بن العاص أمير لعمر رضي الله عنهما. وبعث
 عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه إلى النجاشي فأمن رضي الله عنه وقال:
 أشهد أنه النبي صلى الله عليه وسلم الأحمى الذي ينتظره أهل الكتاب،
 وأن شارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل عليهم السلام،
 (١) وفي الروض الأتق ٢ / ٣٥٧: وهو الذي أسلم ثم تنصر من أجل نطفة
 حاكم فيها إلى أبي عبيدة بن الحراح (٢) من ظ، وفي الأصل: مارا - كذا.
 (٣) في ظ: الدائر (٤) سقط من ظ (٥) من ظ والسيرة، وفي الأصل: أبي ثعلبة.
 وأن (١٥) ٦٠

- و أن العيان ليس بأشقى من الحر^١، وأهدى للتي صلى الله عليه وسلم هدايا^٢ كثيرة، وأرسل ابنه بإسلامه في سبعين من الحبشة، وقال في كتابه: وإني لا أملك إلا نفسي ومن آمن بك من قومي، وإذ أحببت أن آتيك يا رسول الله فعلت؛ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على النجاشي . استغفر له ؛ وبعث العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه إلى المنذر ه ابن ساوى العبدى ملك البحرين وإلى أبيحت^٣ مرزبان هجر بكتتاب يدعوهما فيه إلى الإسلام أو الجزية . وأرض البحرين من بلاد العرب، لكن كان الفرس قد غلوا عليها، وبها خلق كثير من عبد القيس وبكر ابن وائل وتميم فأسلم المنذر وأسيحت^٤ وجميع من هناك من العرب وبعض العجم، فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على عمله ؛ وبعث سليط ١٠ ابن عمرو العامري رضي الله عنه إلى هوزة بن علي الحنفي صاحب اليمامة ، وكان عاملا لقيصر على قومه ، فقرأ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ورد ردا دون رد ، فصادف أن قدم عليه راهب من دمشق ، فأخبره أنه لم يجب إلى الإسلام ، فقال : لم ؟ قال : ضننت بمسكي^٥ ، قال الراهب : لو تمت لا قرك والخير لك في اتباعه ، فانه النبي صلى الله عليه وسلم . بشر به ١٥
- (١) كذا وقع في المصباح المضيء ، وزيد بعله فيه : عنه ، وكذا ذكره في السيرة الحلبية ٣/٣٤٥ ، وفي السيرة بهامش الحلبية : وانه ليس الخبر كالعيان - راجع السيرة الحلبية ٣/٧٣ ، وهو الصواب (٢) في ظ : بهدايا (٣) من المصباح المضيء ، وفي الأصل : سبخت . وفي ظ : سحمت - كذا ، ونُسبَ هو هناك إلى ابن عبد الله . (٤) في ظ : يدعو لها (هـ) من ظ ، وفي الأصل : تملكي .

عيسى عليه السلام ، قال هوذة للراهب : فالك لا تبعه ؟ فقال : أجدني^١
أحسده . وأحب الحر ، فكتب هوذة كتابا [وبعث - ٢] إلى النبي
صلى الله عليه وسلم بهدية مكانه ذلك ، وشعر به قومه [فأتوه - ٢]
فهندوه^٢ ، فرد الرسول واستمر^٣ على نصرانيته ، فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لما رجع إليه سليط : باد هوذة . باد ما في يده ! فلما انصرف
النبي صلى الله عليه وسلم من فتح [مكة - ٢] جاءه^٤ جبرئيل عليه السلام
بأن هوذة مات ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما إن اليامة سيخرج
بها كذاب^٥ يتبأ ، يقتل بعدى . فكان^٦ كذلك كما هو مشهور من أمر
مسيلة لكذاب ، وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي رضى الله عنه
١٨٠ / ١٠ إلى الحارث بن عبد / كلال الحيرى ملك اليمن ، فلما بلغه رسالة النبي
صلى الله عليه وسلم قال الحارث : قد كان هذا النبي عرض نفسه على^٧ فخصمت^٨
عنه ، وكان ذخرا لمن صار إليه ، وسأظفر ، وتباطأ به الحال إلى أن
أسلم عند رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك سنة الوفود ، وكاتب
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك^٩ رعت عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى
١٥ حيفر^{١٠} وعبد^{١١} انى الجنندى^{١٢} الأزديين ملكى عمان ، فتوقفا واضطرب^{١٣}

(١) في ظ : بأك (٢) في ظ : اخذه (٣) ريد من ظ (٤) في ظ : وهدوه .
(٥) من ظ ، وفي الأصل : استمرت (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل :
وكان (٨) من ظ و الروض الأتف ٢ / ٣٥٨ ، وفي الأصل : تخطيته - كذا .
(٩) من السيرة ٣ / ٧٧ ، وفي الأصل و ظ : حنيفة - كذا (١٠) في نسخة من
السيرة : عياذ (١١) في ظ : الحامدى - كذا (١٢) في ظ : اضرب .

- رأيهما، ثم عزم الله لهما على الرشد فقال جعفر: إله و الله قد دلتني على هذا النبي صلى الله عليه وسلم الأسمى أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، و [لا - ١] ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يعطر، و يغلب فلا يفجر، و أنه يوفى بالعهد و ينجز الوعد، و لا يزال يطع على سر قوم يساوى فيه أهله، و إني أشهد أنه رسول الله، و أسلم أخوه أيضا، ٥ و كتبنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أسلامهما، فقال حيرا و أثني خيرا، و كان في سير هؤلاء الرسل لعمري غير ما ذكر أحاديث عجائب و أقاصيص غرائب من دلائل النبوة و أعلام الرسالة، خشيت من ذكرها الإطالة و أن تمل و إن لم يكن منها ما يقتضى ملاله، و قد شفيت في شرحي لنظمي للسيرة باستيفائها القليل في ترتيب جميل و نظم أسلوبه لعمري ١٠ حليل، هؤلاء رسل البشر، و أما الرسل من الجن فقد روى الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى " و اد صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن " قال: كانوا تسعة نفر من أهل نصيبين، فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا إلى قومهم، قال الهيثمي: ر في سننه النظر أبو عمر: هو متروك، : يؤيد عموم هذه الآية في ١٥ تناولها الملائكة عليهم السلام قوله تعالى " ليكون للعلمين نذيرا " و إذا
-
- (١) زيد من ظ (٢) في ظ: فلا ينظر (٣) في ظ: فلا يضجر، و في الخصائص الكبرى ٢ / ١٤ - فلا يهجر (٤) في ظ: كتب (٥) من ظ، و في الأصل: يقص (٦-٦) سقط ما بين الرقعين من ظ، و راجع سورة ٤٦ آية ٢٩ - (٧) في ظ: كما - كذا (٨) سورة ٢٥ آية ١ -

تأملت نسيق الآيات التي بعدها مع آخر "سورة التي قلها قطعت بذلك
 " لينذر من كان حيا " ، " انما تنذر من اتبع الذكر " إذ هم من جملة
 العالمين ومن بلغه القرآن ومن هوحي ومن " اتبع الذكر " ،
 والخطاب بالإنذار وارد مورد التغليب ، إذ الإنس والجن أهل له ،
 ه فاتقوا ما يقال : إن الملائكة في غاية الخوف من الله تعالى مع عصمتهم
 فليسوا^٢ ممن يخوف ، ويزيد ذلك وضوحا قوله تعالى " ومن يقل منهم
 اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين " ولا إنذار
 أعظم من ذلك ، وإن عيسى عليه السلام من هذه الأمة ومن شملته
 ١٠ الآيات الدالة على عموم الرسالة عبر شك ، و أن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال " والنبي هسي يده ! لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعي " .
 أخرجه الإمام أحمد والدارمي والبيهقي في الشعب عن جابر رضي الله
 عنه ، ومذهب أهل السنة أن رسل البشر أفضل من رسل الملائكة ،
 وقد ثبتت رسالته إلى الأفضل المصوم بالفعل لعيسى ، وبالتعلق بالحياة
 ١٥ لموسى عليه السلام . وقد أخذ الله سبحانه ميثاق النبيين كلهم عليهم السلام
 إن أدركوه ليؤمنن به ، وقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم -
 وهو أشرف الخلق وأكملهم - بالإنذار في غير آية ، فيها أول به ذلك
 في حقه صلى الله عليه وسلم / قبل مثله في حقهم عليهم السلام ،

/ ١٨١

(١) زيد بعده في ظ : هو (٢) زيد بعده في ظ : ادهم من جملة العالمين (٣) في ظ :

فليس (٤) سورة ٢١ آية ٢٩ (٥) من ظ ، وفي الأصل : ثمث .

وما يرفع^١ النزاع ويدفع^٢ تعلل المتعلل بالإنداز قوله تعالى "لتنذر به
وذكرى للمؤمنين"^٣ "غذف مفعول 'تنذر' دال على عموم رسالته، وتعليق
الذكرى بالمؤمنين مدخل لهم بلا ريب لأنهم من رؤسهم - عليهم السلام،
وقوله تعالى "لتبشر به المتقين"^٤ - إلى غيرها من الآيات، فيكون عموم
رسالته لهم زيادة شرف له، وهو واضح^٥، وزيادة شرف لهم بحمل^٥
أنفسهم على طاعته والتقيده بما حده لهم من أعمال ملته طاعة لله تعالى
زيادة في أجورهم ورفعة درجاتهم، وذلك مثل ما قال أبو حيان^٦ في
قوله تعالى^٧ "نخذ ما أنيتك وكن من الشكرين"^٨ : "إن في الأمر له
بذلك مزيد تأكيد وحصول أجر بالامثال، وقال القاضي عياض^٩
في الفصل السابع من الباب الأول من القسم الأول من الشفا في قوله ١٠
تعالى^{١٠} "وإذا أخذ الله ميثاق النبي لما أنيتكم من كتب^{١١} وحكمة"^{١٢} - الآية :
قال المفسرون : أخذ الله الميثاق بالوحي، فلم يبعث نبيا إلا ذكر له عمدا ونعته^{١٣}
وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه يؤمن به، ويعتد ذلك ما قال في أول الباب
الأول : وحكى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبرئيل عليه السلام :
(١) في ظ يقع : - كذا (٢) في ظ : يمع (٣) سورة ٧ آية ٢ (٤) من ظ ،
وفي الأصل : الذكر (٥) سورة ١٩ آية ٩٧ (٦) زيد بعده في ظ : لهم (٧) في
ظ : الله (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) سورة ٧ آية ١٤٤ (١٠) سقط
من ظ (١١) هو ابن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي
المالكي، محدث حافظ مؤرخ فقيه مفسر فقيه أصولي، واسم كتابه هذا : الشفا
بتعريف حقوق المصطفى - راجع معجم المؤلفين وكشف الظنون (١٢) سورة ٣
آية ٨١ (١٣) في ظ : حثه - كذا .

هل أصابك من هذه الرحمة المذكورة في قوله تعالى " وما أرسلناك
 الا رحمة للعالمين " ثم ٩ قال : نعم ! كنت أخشى العاقبة فأمّنت
 لثناء الله عز وجل على بقوله " ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع
 ثم أمين " وروى مسلم في كتاب الصلاة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضلت على الأنبياء بست : أعطيت
 جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لى الغنائم ، وجعلت لى
 الأرض طهورا ومسجدا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بنى النبون .
 وحمل من حمل الخلق على الناس - للرواية التى فيها « إلى الناس » تحكم ،
 بل العكس أولى لمطابقة الآيات ، وقد خرج من هذا العموم من لا يعقل
 ١٠ بالدليل العقلى ، فبقى غيرهم داخلا فى اللفظ ، لا يحل لأحد أن يخرج
 منه أحدا منهم إلا بنص صريح ودلالة قاطعة ترفع النزاع ، وقال عياض
 فى الباب الثالث من القسم الأول : وذكر البزار عن على بن أبى طالب
 رضى الله عنه : لما أراد الله تعالى أن يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ٥ الإذان - فذكر المعراج وسماع الأذان من وراء الحجاب ثم قال :
 ١٥ ثم أخذ الملك يد محمد صلى الله عليه وسلم ، فأمّ بأهل السماء فبهم
 آدم ونوح - انتهى . وروى عبد الرزاق عن سليمان الفارسى رضى الله عنه
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان الرجل بأرض قى

(١) سورة ٢١ آية ١٠٧ (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٨١ آية ٢٠ و ٢١ (٤-٥) سقط
 ما بين الرقین من ظ (٥) فى ظ : لى - كذا ، وفى اللسان : أبدلوا الواو ياء
 طلبا للخفض ، وكسروا القاف لمجاورتها الياء - راجع (قوا) .

فلحنت الصلاة فليترضاً ، فان لم يجد الماء فليقيم ، فان أقام صلى معه ملكاه ، وإن أذن وأقام صلى خلفه من جنود الله مالا يرى طرفاه . قال المنذرى : القى - بكسر القاف و تشديد الياء ، وهى الأرض^٢ الفقير . و روى مالك و الستة إلا الترمذى و أبو يعلى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال^١ : إذا قال الإمام " غير المفضوب^٥ عليهم ولا الضالين ، يقولوا " آمين - وفى رواية : إذا أمن الإمام فأمنوا - فانه من وافق [تأمينه -^٣] تأمين الملائكة - وفى رواية : من وافق قوله قول الملائكة - غفر له ما تقدم من ذنبه . وفى رواية^٤ فى الصحيح : إذا قال أحدكم فى الصلاة : / آمين ، و قالت الملائكة فى السماء : آمين ، فراقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم له من ذنبه . وفى ١٠ رواية^٦ لأبى يعلى : إذا قال الإمام " غير المفضوب عليهم ولا الضالين " قال الذين خلفه : آمين ، التفت^٦ من أهل السماء و أهل الأرض [آمين -^٧] ، غفر للعبد ما تقدم من ذنبه . و للشيخين عن أبى هريرة أيضاً رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا^٨ لك الحمد ، فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ١١ ما تقدم من ذنبه ؛ وفى رواية : فإذا وافق قول أهل السماء قول^٩ أهل

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : أرض (٣) زيد من الخمسة .
(٤-٥) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) فى ظ : الذى (٦) من مجمع الزوائد ١١٣/٢ حيث سبق هذا الحديث ، وفى الأصل وظ : التفت - كذا (٧) زيد من المجمع (٨) زيدت الواو بعده فى ظ و نسخة من صحيح البخارى .

الأرض غفر له ما تقدم من ذنبه ، في أشكال ذلك بما يؤذن باتتمام
 الملائكة بأئمتنا ، وذلك ظاهر في التقيد^١ بشرعنا ، وروى أحمد
 وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحها والحاكم -
 وحزم ابن معين والذهلي بصحته - عن أبي بن كعب رضى الله عنه أن
 ٥ النبي صلى الله عليه وسلم قال : وإن الصف الأول على مثل صف الملائكة .
 وأدل من جميع ما مضى ما روى مالك والشيخان وأبو داود وابن خزيمة
 عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من
 اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب
 بدته ، ومن راح في الساعة^٢ الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في
 ١٠ الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ، ومن راح في الساعة^٣ الرابعة
 فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بضعة ،
 فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون^٤ الذكر ؛ وفي رواية :
 فإذا قعد الإمام طويت الصحف ، [وفي رواية لأحمد عن أبي سعيد :
 فإذا أذن المؤذن وجلس الإمام على المنبر طويت الصحف -^٥] ودخلوا
 ١٥ المسجد يستمعون الذكر . فان تركهم لكتابة الناس وإقبالهم على الاستماع
 دليل واضح على الاتهام ، بما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة أيضا
 رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا قلت لصاحبك

(١) في ظ : التقيد (٢-٣) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) في ظ : يسمعون .
 (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ ، و « على المنبر » كان ساقطة من ظ فأثبتناه
 من مستند الإمام أحمد ٨١/٣ .

يوم الجمعة : أنصت ، و الإمام يخطب^١ فقد لقوت^٢ ، قال الحلبي في الرابع من شعب الإيمان في الجواب عما أورد على قوله "لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله^٣" من أن التخصيص بالإنس والجن لا يمنع قدرة الملائكة على المعارضة ما نصه : و أما الملائكة فلم يتحدثوا على^٤ ذلك لأن الرسالة إذا لم تكن إليهم^٥ لم يكن القرآن حجة عليهم ، فسواء كانوا قادرين على مثله أو عاجزين ، وهم عندنا عاجزون ؛ و قال في الخامس عشر في أن من أنواع تعظيمه الصلاة عليه فأمر الله عباده أن يصلوا عليه و يسلموا ، و قدم قبل ذلك إخبارهم بأن ملائكتهم يصلون عليه ، فأمر الله عباده^٦ لتبهم بذلك على ما في الصلاة عليه من الفضل إذا كانت الملائكة مع اتفاقكم عن شريعته تقرب^٧ ١٠ إلى الله تعالى بالصلاة و التسليم عليه^٨ ، ليعلموا أنهم بالصلاة و التسليم عليه أول و أحق - هذا نصه في الموضعين ، و لم يذكر لذلك دليلا ، و نسب الحلال المحلى في شرحه لجمع الجوامع مثل ذلك إلى البيهقي في الشعب فانه قال : و صرح الحلبي و البيهقي في الباب الرابع من شعب الإيمان بأنه عليه الصلاة و السلام لم يرسل إلى الملائكة ، و في الباب الخامس عشر ١٥ باضكاكم من شره ، قال : و في^٩ تفسير الإمام الرازي و الرهان النسفي^{١٠}

(١) زيد في ظ : يوم الجمعة (٢) زيد بعده في ظ : لكن (٣) سورة ١٧ آية ٨٧ .
(٤) في الأصل و ظ : عن (٥) من ظ ، و في الأصل : تعظيم (٦-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) في الأصل و ظ : يقرب (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و في الأصل : للسمي ، و هو يرهان الدين عدي بن محمد النسفي الحنفي ملخص تفسير الرازي - راجع معجم المؤلفين ٢٩٥/١١ .

جكاة الإجماع^١ في تفسير الآية^٢ الثانية - أي "ليكون للعلمين نذيرا" أنه لم يكن رسولا إليهم - انتهى ، وهو شهادة نفي كما ترى ، لا ينهض بما ذكرته من النصوص على أن الحلبي لم يقل بذلك إلا لقوله بأن الملائكة أفضل من الأنبياء - كما نقله عنه الإمام غفر الدين في كتاب الأربعين

١٨٣ /

٥. والشيخ سعد الدين التتازاني في شرح المقاصد وغيرهما ، ولم يوافق على ذلك أحد من أهل السنة إلا القاضي أبو بكر الباقلاني ، فكما لم يوافق على الأصل لا يوافق على الفرع ، وأما البيهقي فأما نقله عن الحلبي وسكوته عليه لا يوجب القطع برضاه^٣ ، قال الزركشي في شرح جمع الجوامع : وهي مسألة ونوع النزاع فيها بين فقهاء مصر مع فاضل درس عندهم

١٠. وقال لهم : الملائكة ما دخلت^٤ في دعوته ، قساموا عليه ، وقد ذكر الإمام غفر الدين في تفسير سورة الفرقان^٥ الدخول محتجا بقوله تعالى "ليكون^٦ للعلمين نذيرا" : والملائكة داخلون في هذا العموم - انتهى .

وهذا يقدر فيما نقل عنه من نقل الإجماع ، وعلى تقدير صحة فيه أمور ،

أما أولا فالإجماع لا يرجع إلا^٧ إلى أهل الاطلاع على المنقولات من

١٥. حفاظ الآثار وأقارب السلف فيه^٨ ، وأما ثانيا فانه نقل "يحتمل التصحيح والتضعيف ، لأنه بطرقه احتمال أن يكون نقل^٩ عن لا يمتد به ، أو يكون

(١) في ظ : بالإجماع (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : لرضاه (٤) في ظ : دخلت .

(٥) من ظ ، وفي الأصل : القرآن (٦) من ظ ، وفي الأصل : اليه (٧-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ .

أخذه عن أحد مذاكره^١ وأحسن الظن به، أو حصل له^٢ سهو، وبحر ذلك، فلا وثوق إلا بيد معرفة المتقول عنه وسند الثقل والاعتضاد بما يوجب الثقة ليقاوم هذه الظواهر^٣ الكثيرة،^٤ وأما ثالثاً^٥ فانه سيأتى عن الإمام تقي الدين السبكي أن بعض المفسرين قال بالإرسال إلى الملائكة، وقال الإمام ولي الدين أبو زرعة أحمد بن الحافظ زين الدين العراقي^٥ في شرحه لجمع الجوامع: وأما كونه مبعوثاً إلى الخلق أجمعين فالمراد المكلف منهم، وهذا يتناول الإنس والجن والملائكة، فأما الأولان^٦ بالإجماع، وأما الملائكة فحل بخلاف فإين الإجماع^١ هذا على تقدير صحة هذا النقل وأى لدعى ذلك به^١ فاقى راجعت تفسير الإمام للآية المذكورة فلم أجد فيه قتل الإجماع، وإما قال: ثم قالوا: هذه الآية تدل على أحكام: ١٠ الأول أن العالم كل ما سوى الله، فيتناول جميع المكلفين من الجن والإنس والملائكة، لكننا نبئنا أنه عليه السلام لم يكن رسولاً إلى الملائكة، فوجب أن يتنى كونه رسولاً إلى الجن^٢ والإنس^٣ جميعاً، وظل قول من قال: إنه كان رسولاً إلى المعص دوى المعص، الثاني أن لفظ "الْعُلْدِين" يتناول جميع المخلوقات، فدل الآية على أنه رسول إلى المكلفين إلى^٥ يوم القيامة، فوجب أن يكون خاتم الأنبياء والرسول - هذا لفظه في أكثر النسخ، وفي بعضها: لكننا^٤ أجمعنا - بدل: نبئنا - وهى غير صريحة في إجماع الأمة كما ترى، ولم يبين الموضع الذى أحال عليه في النسخ

(١) فى ظ: مداكرة (٢) سقط من ظ (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٤) من ظ، وفى الأصل: الإيمان (٥) من ظ، وفى الأصل: لكن .

الآخري - فليطلب من مظاه و يتأمل^١، وأما النفس فختصر له - و الله
الموفق؛ ثم رأيت في خطبة كتاب^٢ الإصابة في أسماء الصحابة لشيخنا
حافظ عصره أبي الفضل ابن حجر في تعريف الصحابي: وقد قل
الإمام غفر الدين في أسرار التنزيل الإجماع على أنه صلى الله عليه وسلم
لم يكن مرسلًا إلى الملائكة، ونوزع^٣ في هذا النقل، بل رجح الشيخ
تقي الدين السبكي أنه كان مرسلًا إليهم و احتج بأشياء يطول شرحها -
انتهى . و العجب من الرازي في نقل هذا الذي لا يوجد لغيره مع أنه
قال في أسرار التنزيل في أواخر الفصل الثاني من الباب الثالث في
الاستدلال بخلق الآدمي على وجود الخالق: الوجه الرابع - أي في
١٨٤ / ١٠ تكريم بني آدم - أنه جعل أبام / رسولًا إلى الملائكة حيث قال " أنبهم
باسمائهم "، وقد تقرر أن كل كرامة كانت لشي من الأنبياء فلتبينا صلى الله
عليه وسلم [مثلها أو أعظم - °] منها، [وقال في تفسيره الكبير في
" و علم آدم الاسماء " : ولا يعد أيضًا أن يكون مبعوثًا إلى من يوجه
التحذير إليهم من الملائكة، لأن جميعهم وإن كانوا رسلًا فقد يحوز الإرسال
١٥ إلى الرسول لبعث إبراهيم إلى لوط عليها السلام - انتهى . و أنت خير
بأمر عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء - °]، والحاصل أن رسالته
صلى الله عليه وسلم إليهم - صلوات الله عليهم - رتبة فاضلة و درجة عالية
(١) من ظ ، وفي الأصل: قائل - كذا (٢) في ظ : كتابه (٣) من خطبة
كتاب الإصابة ٤/١ ، وفي الأصل: من راع ، وفي ظ : يوزع - كذا .
(٤) سورة ٢ آية ٣١ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

كاملة جائزة له^١، لانه بمنصبه، مطابقة لما ورد من القواطع لمعوم^٢ رسالته وشمول دعوته، وقد دلت على حيازته لها ظواهر الكتاب والستة مع أنه لا يلزم من إثباتها^٣ له إشكال في الدين ولا محذور في الاعتقاد، فليس لنا التجري^٤ على فيها إلا بقاطع كما قال إمامنا الشافعي رحمه الله في كتاب الرسالة في آية الانعام "قل لا اجد فيا اوحى الى مجرما" - ه الآية. قال: فاحتملت معنيين^٥: أحدهما أن^٦ لا يحرم على طالع يعلم يعلمه^٧ أبدا إلا ما استثنى الله عز وجل، وهذا المعنى الذى إذا ووجه^٨ رجل مخاطبا به كان الذى يسبق إليه أنه لا يحرم [عليه -^٩] غير^{١٠} ما سمي الله عز وجل مجرما، وما كان هكذا فهو الذى يقال له أظهر المعاني وأعمها وأظلمها [والذى -^٩] - لو احتملت الآية معاني سواء - كان^{١٠} هو المعنى الذى يلزم أهل العلم القول به إلا أن تأتى ستة للنبي صلى الله عليه وسلم - بأبى هو وأمى - تدل على معنى غيره ما^{١١} تحتمله الآية، فنقول^{١٢}: هذا معنى ما أراد الله عز وجل، ولا يقال بخاص في كتاب الله ولا سنة إلا بدلالة فيهما أو في واحد [منها -^٩]، ولا يقال

- (١) سقط من ظ (٢) في ظ: بعموم (٣) في ظ: أتاها (٤) في ظ: التحرى .
(٥) في ظ: تعيين (٦) في ظ: أنه (٧) سقط من الرسالة ٢٩ (٨) في ظ: وجه ،
وفي الرسالة: واحه، وما في الأصل أقرب صوابا (٩) زيد بن الرسالة .
(١٠ - ١١) في ظ: المعنى - كذا (١٢) من الرسالة، وفي الأصل و ظ: يقول .
(١٣) من ظ والرسالة، وفي الأصل: فما (١٤) من الرسالة، وفي الأصل: مقول،
وفي ظ: مقول - كذا .

بخاص حتى تكون الآية 'تحتمل أن تكون' أريد بها ذلك الخاص،
 فأما ما لم تكن محتملة له فلا يقال فيها بما لا تحتمل' الآية - انتهى .
 وشرحه الإمام أبو محمد ابن حزم في المحلى فقال: ولا يحل لأحد أن
 يقول في آية أو [في - ٣] خبر: هذا منسوخ أو مخصوص في بعض
 ما يقتضيه ظاهر لفظه، ولا أن لهذا النص تأويلاً غير مقتضى ظاهر لفظه،
 ولا أن هذا الحكم غير واجب علينا من حين وروده إلا بنص آخر
 وارد بأن هذا النص كما ذكر، أو باجماع متيقن بأنه كما ذكر، أو بضرورة
 حس موجبة أنه كما ذكر، برهانه: "وما ارسلنا من رسول
 إلا ليطاع بأذن الله" ، "وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليسبين
 لهم" ، وقال "فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة" ،
 ومن ادعى أن المراد بالنص بعض ما يقتضيه [في اللغة العربية، لا كل
 ما يقتضيه - ١٣] قد أسقط بيان النص، 'وأسقط' وجوب الطاعة له
 بدعواه الكاذبة، وليس بعض ما يقتضيه النص بأولى بالاعتصار عليه

(١-١) من الرسالة، وفي الأصل: يحتمل أن يكون، وفي ظ: تحتمل أو يكون -
 كذا (٢) من الرسالة، وفي الأصل وظ: يحتمل (٣) زيد من المحلى ١/٤٩٠ -
 (٤) من المحلى، وفي الأصل وظ: منصوص (٥) في المحلى: وهذا (٦) من المحلى،
 وفي الأصل وظ: وردوه - كذا (٧) في ظ: خبر (٨) زيد في المحلى: وإلا فهو
 كاديب (٩) العبارة من هنا إلى « من رسول » ساقة من ظ (١٠) سورة ٤
 آية ٦٤ (١١) سورة ١٤ آية ٤ (١٢) من ظ والمحلى والقرآن الكريم سورة ٢٤
 آية ٦٣، وفي الأصل: يصيبهم (١٣) زيد من ظ والمحلى ١/٥٠ (١٤-١٤) سقط
 ما بين الرقعين من ظ .

- من سائر ما يقتضيه - انتهى - وقال أهل الأصول: [إن الظاهر] ما -^١
 دل على المعنى دلالة ظنية أى راجحة، والتأويل حمل الظاهر على المحتمل
 المرجوح،^٢ فإن حمل عليه لدليل فصيح^٣ - أو لما فطن - دليلاً وليس في
 الواقع بدليل - فمأسد^٤، أو لا شيء فقلب لا تأويل، [قال الإمام
 الغزالي في كتاب المحبة من الإحياء في الكلام على أن رؤية الله تعالى في
 الآخرة هل هي بالعين أو بالقلب: و الحق ما ظهر لأهل السنة والجماعة
 من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين، ليكون لفظ الرؤية والنظر
 وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجرّى على ظاهره إذ لا يجوز إزالة
 الظواهر إلا لضرورة - انتهى -^٥]، وقال الإمام تقي الدين السبكي في جواب
 السؤال عن الرسالة إلى الجن الذي تقدم في أول الكلام على هذه الآية ١٠
 أن رأيت بخطه^٦: الآية العاشرة: "ليكون للعلمين نذيراً"^٧ قال المفسرون
 كلهم في تفسيرها: للجن والإنس، وقال بعضهم: والملائكة^٨. الثانية
 عشرة^٩ "وما أرسلناك إلا كافة للناس"^{١٠}، قال المفسرون: معناها^{١١}:
 إلا إرسالاً عاماً شاملاً لجميع الناس، أى ليس بخاص بخاص ببعض الناس،
 فقصد الآية نفي^{١٢} الخصوص وإثبات العموم، ولا مفهوم لها فيما وراء^{١٣}
 الناس، بل قوتها في العموم يقتضى عدم^{١٤} الخصوصية فيهم وحيث يشمل
-
- (١) زيد من ظ (٢-٢) في ظ: قال أحمل الدليل صحيح (٣) في ظ: تفاسد.
 (٤) من ظ، وفي الأصل: بخط (٥) سورة ٢٥ آية (٦-٦) في ظ: الثانية.
 (٧) سورة ٢٤ آية ٢٨ (٨) من ظ، وفي الأصل: معناه (٩-٩) تكرر ما بين
 الرقيم في الأصل، وثبتت صفحة ١٨٥ من الأصل في العبارة المتكررة بعد
 «إثبات العموم».

الجن، ولو كان مقصود الآية حصر^١ رسالته في الناس لقال : وما أرسلناك إلا إلى الناس، فان كلمة 'إلا' تتصل على ما يقصد الحصر فيه، فلما أدخلها على "كافة" دل على أنه المقصود بالحصر، وبقى قوله "لناس" لا مفهوم له، أما أولا فلائه مفهوم قلب^٢، وأما ثانيا فلائه لا يقصد بالكلام، وأما ثالثا فلائه^٣ قد قيل : إن "الناس" يشمل الإنس والجن، أى على القول بأنه مشتق من النوم، وهو التحرك، وهو على هذا شامل لللائكة أيضا، ومن صرح من أهل اللغة بأن "الناس" يكون من الإنس ومن الجن الإمام أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي في كتابه ديوان الادب^٤، قال السبكي : السابعة عشرة^٥ "إن ١٠ هو الا ذكر للعالمين"^٦ "الثامنة عشرة"^٧ "أما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب"^٨ ونحوهما كقوله^٩ "لتنذر من كان حيا"^{١٠} وكذا قوله "هدى للتقين"، وأما الستة فأحاديث : الأول حديث مسلم^{١١} عن أبي هريرة رضى الله عنه : وأرسلت إلى الخلق كافة،، «إلى الخلق» عام يشمل الجن بلا شك، ولا يرد على هذا أنه ورد في روايات هذا الحديث من طرق أخرى في صحيح البخارى وغيره «الناس» موضع «الخلق»، لأننا نقول : ذلك من رواية جابر، وهذا من رواية أبي هريرة، فلملها حديثان، وفي رواية الخلق زيادة معنى على الناس، فيجب

(١) في ظ : حضور (٢) في الأصل و ظ : لقب - كذا (٣) سقط من ظ .
(٤) في ظ : يكونون (٥) زيد بعده في ظ : قال (٦) في ظ : عشر (٧) سورة ٣٨ آية ٨٧ (٨) سورة ٣٦ آية ١١ (٩) في ظ : لقوله (١٠) سورة ٣٦ آية ٧٠ .
(١١) من ظ ، وفي الأصل : سلة .

- الآخذ به^١ إذ لا تعارض^٢ بينهما، ثم جوز أن يكون من روى الناس، روى
بالمعنى فلم يوف به، قال: وهذا الحديث يؤيد قول من قال: إنه مرسل إلى
الملائكة ولا يستنكر هذا، فقد يكون ليلة الإسماء يسمع^٣ من الله كلاما فبلغه
لهم في السماء أو لبعضهم، وبذلك يصح أنه مرسل إليهم، ولا يلزم من
كونه مرسلا إليهم من حيث الجملة أن يلزمهم جميع الفروع التي تضمنتها ٥
شريعته، فقد يكون مرسلا إليهم في بعض الأحكام أو في بعض الأشياء
التي ليست بأحكام، أو يكون يحصل لهم بسماع القرآن زيادة إيمان،
ولهذا جاء فيمن قرأ سورة الكهف: قزلت عليه مثل الغلة، ثم قال في
أثناء كلام: بخلاف^٤ الملائكة، لا يلزم أن هذه التكاليف كلها ثابتة
في حقهم إذا قيل بعموم الرسالة لهم، بل يحتمل ذلك ويحتمل في شيء ١٠
خاص كما أشرنا إليه فيما قبل - انتهى - قلت: ولا ينكر اختصاص الأحكام
بعض المرسل إليهم دون بعض في شرع واحد في الأحرار والعبيد
والنساء والرجال والحطالين والرعا بالنسبة إلى بعض أعمال الحج وغير
ذلك مما يكثر تعداده - والله الموفق؛ ومن تَجَرَّأ على نفي الرسالة إليهم
من أهل زماننا بغير نص صريح يضطره إليه، كان ضعيف العقل ١٥
مضطرب الإيمان منزول اليقين سقيم^٥ الدين، ولو كان حاكيا لما قيل
(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: لا يعارضه - كذا (٣) في ظ:
سمع (٤) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ لغدناها (٥) من ظ،
وفي الأصل: يجره (٦) في ظ: القلب (٧) من ظ، وفي الأصل: سيعصم.

على وجه الرضى به ، ' فاكل ' ما يُعَلَّم يقال ، وكفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع ، ولعمري ! إن الأمر لعلى ما قال صاحب البردة وتلقته^١ الأمة بالقبول ، وطرب عليه في المحافل والمجوع :

دع ما ادعته النصرى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
٥ ولما أثبت شهادة الله تعالى له^٢ بالتصديق بأنه حق ، وكان ذلك

ربما^٣ أوم أن غير الله تعالى لا يعرف ذلك ، لا سيما وقد ادعى كفار
فريش أنهم سألوا أهل الكتابين فادعوا^٤ أنهم لا يعرفونه ، أتبعه بقوله
على طريق الاستئناف : (الذين اتينهم) أى بما لنا من العظمة / من

اليهود والنصارى (الكتب) أى الجامع لخبرى الدنيا والآخرة ،
١٠ وهو التوراة والإنجيل (يعرفونه) أى الحق الذى كذبتم به لما جاءكم

وحصل النزاع بينى وبينكم فيه لما عندكم فى كتابهم من وصنى الذى
لا يشكون فيه ، ولما هم بمثله آنسوا بما أثبت به من المعجزات ، ولما فى
هذا القرآن من التصديق لكتابهم والكشف لما أخفوا من أخبارهم ،
ولاساليم^٥ التى لا يرتابون فى أنها خارجة من مشكاة كتابهم مع زيادتها

١٥ بالإيجاز^٦ ، فهم يعرفون هذا الحق (كما يعرفون أبناءهم)^٧ أى من بين
الصبيان بمجلاهم ونوتهم معرفة لا يشكون^٨ فيها ، وقد وضعتموم موضع

(١-١) فى ظ : فكل (٢) فى ظ : تلقه (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى
الأصل : بما (٥) فى ظ : و ادعوا (٦) فى الأصل : لاسالته ، وفى ظ : لاسالته -
كدا (٧) فى ظ : لاجاز (٨) من ظ ، وفى الأصل : لاسكون .

الوثوق ، وأزالتهم منزلة الحكم بسؤالكم لهم عن غيرة مرة ، وقد آمن
 في جماعة منهم وشهدوا لي ، فقالكم لا تابونهم ! لقد بان الهوى وانكشف
 عن ضلالكم النطاء .

ولما كان أكثرهم يخفون ذلك ولا يشهدون به ، قال جوابا لمن
 يسأل عنهم : (الذين خسروا) أي منهم ، ولكنه حذفها للتعميم .
 (انقسمهم فهم) أي بسبب ذلك (لا يؤمنون) أي لما سبق لهم من
 القضاء بالشقاء الذي خسروا به أنفسهم بالعدول عما دعت إليه الفطرة
 السليمة والمكرة المستقيمة ، ومن خسر نفسه فهو لا يؤمن فكيف يشهد !
 فقد بينت^٢ هذه الجملة أن من لا يشهد منهم فهو في الحقيقة ميت أو موات ،
 لأن من ماتت نفسه كذلك ، بل هم أشق منه ، فلقد أدام^٣ ذلك^٤ .
 الشقاء إلى أن حرروا كتابهم واخلصوا كثيرا مما يشهد لي بالنبوة ، فكانوا
 أظلم الخلق بالكذب في كتاب الله للتكذيب لرسل الله .

ولما كان التقدير : خسروا فئاتهم الإيمان ، لأنهم ظلموا بكميان
 الشهادة ، فكان الظلم سبب خسارتهم ، فمن أظلم منهم^٥ عطف عليه
 ما يؤذن^٦ بأنهم بدلوا كتابهم ، أو نسبوا إليه ما ليس فيه ، فقال واضفا^٧
 للظاهر موضع ضميرهم لذلك : (ومن أظلم عن اقترى) أي تعدد

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : الذين (٣) في ظ : ثبت (٤) من ظ ، وفي
 الأصل : اسر - كذا (٥) من ظ ، وفي الأصل : هداهم (٦) زيد بعده في الأصل :
 الى ، ولم تكن الريادة في ظ حذفناها (٧) في ظ : ممن (٨-٨) سقط ما بين الرقيين
 من ظ .

(على الله كذبا) كهؤلاء الذين حرفوا كتابهم ونسبوا إلى الله ما لم يقوله،
 زيادة كتبوها بأيديهم لا أصل لها^١، إضلالا منهم^٢ لعباده (أو كذب بآياته^٣)
 أى الآتى بها الرسل كالقرآن وغيره من المعجزات كالمشركين، لا أحد
 أظلم منهم فهم لا يفعلون (انه لا يطلع الظلون^٤) أى فكيف بالآظلمين!
 ٥ ولما كان معنى هذا أنهم أكذب الناس، دل عليه بكذبهم يوم
 الحشر بعد انكشاف الغطاء فقال: (ويوم) أى اذكر كذبهم على
 الله^٥ وتكذيبهم فى هذه الدار، واذكر أعجب من ذلك، وهو كذبهم
 فى عالم الشهادة عند كشف الغطاء وارتفاع الحجب يوم (نحشرهم)
 أى نجعلهم بما لنا من العظمة وهم كارهون صاغرون (جميعا) [أى-٤]
 ١٠ أهل الكتاب والمشركون وغيرهم ومعبوداتهم، وأشار إلى عظمة ذلك
 اليوم وطوله ومشقته وهوله بقوله بأداة التراخي: (ثم تقول) أى
 بما لنا من العظمة التى انكشفت لهم أستارها وتبدت لهم بحورها وأغوارها^٦
 توينها وتنديما (للذين أشركوا) أى سموا شيئا من دوننا إلهًا وعبدوه^٧
 بالفعل من الأصنام أو عزير أو المسيح أو الظلة أو النور أو غير ذلك،
 ١٥ [أو-٤] بالرضى بالشرك، فان الرضى بالشيء فعل له لا سيما إن انضم
 إليه تكذيب الحق والشهادة للبطل بأن دينه خير^٨ (ابن شركاؤكم)
 أضافهم إلى ضميرهم لتسميتهم^٩ لهم بذلك (الذين كنتم تزعمون^{١٠}) أى
 (١) فى ظ: لهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: انه (٤) زيد من
 ظ (٥-٥) فى ظ: بحورها واعوارها (٦) فى ظ: دونها (٧) من ظ، وفى الأصل:
 عبدوها (٨) فى ظ: خيرا (٩) فى ظ: لتسميتهم.

أنهم شركاؤنا بالعبادة أو الشهادة بما يؤدي إليها، ادعوم اليوم لينقصوك^١
 ١٨٧/ ما نريد من ضررك، / أو يرفعوك بما نريد من وضعكم، وسؤالهم هذا يجوز
 أن يكون مع غيبة الشركاء عنهم وأن يكون عند^٢ إحضارهم لهم، فيكون
 الاستمهام عما كانوا يظنون من ضمهم، فكأن غيبته^٣ غيبتهم .

ولما كان إخبارهم بغير الواقع في ذلك اليوم مستبعدا بعد رفع الحجاب ه
 عن الأحوال وإظهار الزلازل والأوجال^٤، أشار إليه بأداة البعد فقال :
 ﴿ ثم لم تكن فتنتهم ﴾ أى عاقبة مخالطتنا لهم بهذا السؤال وأمثاله من
 البلايا التى من شأنها أن يمين^٥ ما خاطبته فتحيله - [و - ^٦] لو أنه جبل -
 عن حاله بما ناله من^٧ قوارعه وزلاله لإكذبهم في ذلك الجمع ، وهو
 معنى قوله : ﴿ إلا ان قالوا ﴾ ثانيا منهم فيما هم عريقون فيه من وصف ١٠
 الكذب : ﴿ والله ﴾ فذكروا الاسم الأعظم الذى تندك لعظمته الجبال
 الشمس ، وتنطق بأمره الأحجار الصم ، الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى
 التى ظهر لهم كثير منها في ذلك اليوم ، وأكدوا ذلك بذكر الوصف
 المذكور بتريتهم ودوام الإحسان إليهم فقالوا : ﴿ ربنا ﴾ فلم يقنعوا^٨
 بمجرد الكذب حتى أقسموا ، ولا بمجرد القسم حتى ذكروا الاسم الجامع ١٥
 والوصف المحسن ﴿ ما كنا مشركين ﴾ أى إن تكذيبهم لك أوصلمهم إلى
 حد يكذبون^٩ فيه في ذلك اليوم بعد كشف الغطاء تطلعا بما لا ينفعهم ،

(١) في ظ : ليعفوكم (٢) في ظ : نعهده (٣) في ظ : عليه (٤) من ظ ، وفي الأصل :
 الأحوال (٥) في ظ : تمين (٦) زيدت الواو كي تستقيم العارة (٧) في ظ : عن .
 (٨) من ظ ، وفي الأصل : دعوا - كذا (٩) في ظ : يكونون .

كما ترى الحائر المدهوش في الدنيا يفعل مثل ذلك فهو إيثاس^١ من فلاح
الجميع: المشركين وأهل الكتاب، أو يكون المعنى تنديما لهم وتأسيفا:
أنه لم يكن عاقبة كفرهم الذي اقتنوا به في لزومه و الاختيار به
و القتال عليه - لكونه دن الآباء - إلا جوده والبراءة منه و الحلف
ه على الانتفاء من التدبير به، و المعنى على قراءتي النصب و الرفع في
'فتنة' على جعلها خبرا أو اسما واحداً. فعلى قراءة النصب: لم يكن
شيء إلا قولهم - أى غير قولهم الكذب - فتنتهم، أى لم يكن شيء
فتنتهم إلا هذا القول، فهذا القول وحده فتنتهم، فتنى عن فتنتهم و سلب
عنها كل شيء غير قولهم هذا، فالفتنة مقصورة على قولهم الكذب،
١٠ 'و الكذب' قد يكون ثابتا لغيرها، أى إنهم يكذبون من غير فتنة،
بل في حال الرخاء^٢، و هذا بعينه معنى قراءة ابن كثير و ابن عامر و حفص
برفع 'فتنة'، أى لم تكن فتنتهم شيئا غير كذبهم، فقد قيت^٣ فتنتهم
عن كل شيء غير الكذب، فاحصرت فيه، و يجوز أن يكون ثابتا
في حال^٤ غيرها - على ما^٥ مر، و هذا التقدير نفيس عزيز الوجود
١٥ دقيق المسلك - يأتي إن شاء الله تعالى عند "وما كان صلاتهم عند البيت"
في الآمال ما ينفع هنا فراجع.

و لما كان هذا من أعجب العجب، أشار إليه بقوله: ﴿انظر﴾
و بالاستفهام في قوله: ﴿كيف كذبوا﴾ و بالإشارة إلى أنهم فعلوه

(١) من ظ، و في الأصل: بائس - كذا (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ.

(٢) في ظ: الرخاء (٤) في ظ: قيت (٥) سقط من ظ (٦) راجع آية ٣٥.

مع عليهم بما انكشف لهم من الغطاء أنه لا يجديهم بقوله : ﴿ على أنفسهم ﴾
و هو نحو قوله " فيحلفون له كما يحلفون لكم " - الآية .

و لما كان قولهم هذا مرشدا إلى أن شركاءهم غابوا عنهم ، فلم ينفعهم^٢
بنافعة ، و كان الإعلام بقوات ما أنهم مقبل عليه فرح به ، سارا^٣
لخصمه^٤ جالبا لنعمه ، صرح به في قوله : ﴿ و ضل ﴾ أى غاب ﴿ عنهم ﴾^٥
إما حقيقة أو مجازا ، أو هما بالنظر إلى وقتين ، لسكون إنكار ﴿ ما كانوا
يقترنون ﴾ أى يتعمدون الكذب في ادعاء شركته^٦ عنادا لما على ضده
من الدلائل الواضحة .

و لما علم أن هذه الآيات قد ترابطت / حتى كانت آية واحدة ،
و ختم بأن مضمون قوله " فقد كذبوا بالحق لما جاءهم " - الآية ، قد صار^{١٠}
وصفا لهم ثابتا حتى ظهر في يوم الجمع ،^٦ قسم الموسمين^٦ بما كانت
[تلك - ٧] الآية سيالاه ، و هو الإعراض عن الآيات المذكور في قوله
" الا كانوا عنها معرضين " ، فكان كأنه قيل : فتنهم من أعرض بكيته ،
فعطف عليه قوله : ﴿ و منهم من يستمع اليك ع ﴾ أى يصنى بجهده
كما في السيرة عن أنى جهل بن هشام و أبى سفيان بن حرب و الأخس^{١٥}
بن شريق أن كلا منهم جلس عند بيت النبی صلى الله عليه و سلم في الليل
يستمع القرآن ، لا يعلم أحد منهم بمجلس صاحبه ، فلما طلع الفجر

(١) سورة ٨٨ آية ١٨ (٢) في الأصل : فلم يسمعهم و هم ، و في ظ : لم ينفعهم -
كذا (٣) في الأصل : سا ا ، و في ظ : سار - كذا (٤) من ظ ، و في الأصل :
لهة - كذا (٥) من ظ ، و في الأصل : شر - كذا (٦-٧) في ظ : فتم المؤمنين .
(٧) زيد من ظ .

انصرفوا فضمهم الطريق قلاوموا وقالوا: لو رأكم ضغفاؤكم لاسرعوا إليه ، و تعاهدوا على أن لا يعودوا ، ثم عادوا تمام ثلاث ليال ، ثم سأل الاخفس أبا سفيان عما سمع فقال: سمعت أشياء عرفتها وعرفت المراد منها ، وأشياء لم أعرفها ولم أعرف المراد منها ، فقال : وأنا كذلك ، ثم سأل أبا جهل فأجاب بما يعرف منه أنه علم صدقه وترك تصديقه حسدا وعنادا ، وذلك هو المراد من قوله : ﴿ وجعلنا ﴾ أى والحال أنا قد جعلنا ﴿ على قلوبهم اكنة ﴾ أى أغطية ، جمع كنان أى غطاء ﴿ ان ﴾ أى كراهة أد ﴿ يفقهوه ﴾ أى القرآن ﴿ وفي اذانهم وقرا ﴾ أى ثقلا يمنع من سماعه حق السمع ، لانه يمنع من وعيه الذى هو غاية السماع .
١٠ فهم لا يؤمنون بما يسمع منك لذلك .

ولما ذكر ما يتعلق بالسمع ، ذكر ما يظهر للعين ، معبرا بما يعم السمع وغيره من أسباب العلم فقال : ﴿ وان يروا ﴾ أى بالبصر أو البصيرة ﴿ كل اية ﴾ أى من آياتنا سواء ﴿ لا يؤمنوا بها ﴾ لما عندهم من العناد والنخوة فى تقليد الآباء والاجداد ﴿ حتى ﴾ كانت غايتهم فى هذا الطبع على قلوبهم أنهم مع عدم فقههم ﴿ اذا جاءوك يجادلونك ﴾ أى بالفعل أو بالقوه ، والغاية داخلة ، وكأنه قيل تعجبا : ماذا يقولون فى جدالهم ؟ فقال مظهرا للوصف الذى أدام إلى ذلك : ﴿ يقول الذين كفروا ﴾ أى غطوا لما هو ظاهر لعقولهم وهو معنى الطبع ﴿ ان ﴾ أى ما
(١) من ظ ، وفى الأصل : سمع (٢) من ظ ، وفى الأصل : كذلك (٣) فى ظ : فكأنه .

(هذا) أى الذى وصل إلينا (الأساطير) جمع سطور وأسطر
 جمع سطر وهى أيضا جمع إسطار وإسطير بكسرهما وأسطور ، وبالهاء
 فى الكل (الاولين) وقد قال ذلك النضر بن الحارث ، فصدق قوله
 إخبار هذه الآية (وهم) حال من فاعل " يستمع " أى يستمعون إليك
 والحال أنهم (يهون عنه) أى عن الاستماع أو عن اتباع القرآن ه
 (ويتون) أى يبعدون (عنه) أى كما وقع لأبى جهل وصاحبه
 فى المعاهدة على ترك^١ المعاودة للسباع وما يتبعه (وان) أى وما
 (يهلكون) أى بعبادتهم ومكابذتهم (إلا انفسهم) أى وما هم
 بضاريك ولا بضارى^٢ أحد من أتباعك فيما يقدح فى المقصود من
 إرسالك من إظهار الدين ومحو الشرك وإذلال^٣ المفسدين (وما يشعرون) ١٥
 أى وما لهم نوع شعور بما يؤديهم إليه الحال ، بل هم كالهائم ، بل هى
 أصلح حالا منهم .

ولما جعل عدم إيمانهم^٤ فى هذه^٥ بشىء من الآيات موصلا لهم
 إلى غاية من الجهل عظيمة مؤتة من ادعائهم فى هذه الدار ، وهى مجادلتهم
 له صلى الله عليه وسلم ، وختم الآية بما رأيت من عظيم التهديد استشرفت ١٥
 النفس / إلى معرفة حالهم عند ردهم إلى الله تعالى والكشف لهم [عما - ٥]
 ١٨٩ / هددوا^٦ به ، فأعلم^٧ فيهم صلى الله عليه وسلم أن حالهم إذ ذاك الإيمان ،

(١) فى ظ : تلك (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : بضاريك ولا بضارى (٣) من ظ ،
 وفى الأصل : الادلال - كذا (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) زيد من ظ .
 (٦) فى ظ : عاهدوا (٧) فى ظ : واعلم .

حيث يسر غاية السرور تصديقهم له ، و تمنيم متابعتهم^١ لما يركبهم^٢ من
الذل و يحيط بهم من الصغار ، و لا يزيدهم ذلك إلا ضررا و عى
و ندما و حسرة ، فكأنه قيل : فلو رأيت حالهم عند كشف الغطاء -
و هو المطلع - لرأيتمهم يؤمنون : ﴿ و لو ترى آذا ﴾ أى حين ﴿ و تقوا ﴾
هـ فى الحشر ، [و -^٢] بنى للجهول لأن المشكى^٣ الإيقاف ، لا كونه من
معين ﴿ على النار ﴾ أى عندها ليدخلوها مشرفين^٤ على كل ما فيها من
أنواع النكال ، و ذلك أعظم فى النكابة . أو على الجسر و هو [على -^٣]
الصراط و هى تحتهم ، أو عرفوا حقيقتها و مقدار عذابها من قولك :
أوقفته على كذا - إذا عرفته أباه ﴿ فقالوا ﴾ تمنا للحال^٥ ﴿ يلىتنا نرد ﴾
١٠ أى إلى الدنيا .

و لما كان التقدير بشهادة قراءة من نصب الفعلين - جوابا للتمنى -
أو^٦ أحدهما : فطبع ، عطف على الجملة قوله : ﴿ و لا ﴾ أى و الحال
أنا لا ، أو و نص لا ﴿ نكذب ﴾ إن^٧ رددنا ﴿ بآيت ربنا ﴾ أى المحسن
إلىنا^٨ ﴿ و نكون من المؤمنين ﴾ أى الراضين فى الإيمان ، و التقدير
١٥ عند ابن عامر فى نصب الثالث : لىتنا نرد ، و لىتنا لا نكذب فنسعد^٩
و أن نكون^{١٠} ، و على قراءة حمزة و الكسائى و حفص بصب الفعلين :

(١) فى ظ : فبايعته (٢) فى ظ : فزلتهم (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : المبكى .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : ليدخلها (٦) فى ظ : مرديت (٧) فى ظ : للحال .
(٨) من ظ ، و فى الأصل « و » (٩) فى ظ : اى (١٠) سقط من ظ (١١) فى
ظ : فلشهد (١٢) فى ظ : يكون .

- ليتنا زرد قسعد، و أن لا نكذب و أن نكون^١، و المعنى: لو رأيت إقافهم^٢
و وقوفهم في ذلك الذل و الانكسار و الحزى و العار و سؤلهم و جواهرهم
رأيت أمرا هائلا عظيما و منظرا^٣ كرها شنيعا، و لكنه حذف تصغيرا
له لتذهب^٤ النفس فيه كل مذهب^٥، و جاز حذفه للعلم به في الجملة .
- و لما أخبروا^٦ - في قراءة الرفع^٧ - عن أنفسهم بما تمنوا لأجله الرد،^٨
و تضمنت قراءة النصب الوعد، فانه كما لو قال قائل: ليت الله يرزقني
مالا فأكافئك على صنيعك، فانه ينجر^٩ إلى: إن رزقني الله مالا كافأتك،
فصار لذلك مما يقل التكذيب، أضرب عنه سبحانه تكذبا لهم بقوله:
(بل) أى ليس الأمر كما قالوا، لأن هذا التمنى ليس عن حقيقة
ثابتة في أنفسهم من حجة مضمونه و عمرته، بل (بدا) أى ظهر (لهم)^{١٠}
من العذاب الذى لا طاقة لهم به (ما كانوا يخفون) أى [مر -^{١١}]
أحوال الآخرة و مرأيتهم^{١٢} على باطل، و لما كان إخفاؤهم ذلك في بعض
الزمان قال: (من قبل^{١٣}) أى يدعون أنه خفى، بل لا حقيقة له،
^{١٤} و يسترون^{١٥} ما تبديه الرسل من دلائله [عنادا منهم مع أنه أوضح
من شمس النهار -^{١٦}] بما يلبسون من الهية فذلك تمنوا ما ذكروا^{١٧}
(و لو ردوا) أى إلى الدنيا (لعادوا لما نهوا عنه) أى من الكفر

(١) في الأصل و ظ: نكون - كذا (٢) في ظ: اتقادهم (٣) في ظ: مذكرا (٤) في
ظ: لتذهب (٥) في ظ: مهذب (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) في
الأصل: صد، و في ظ: يتحل - كذا (٨) زيد من ظ (٩) من ظ، و في
الأصل: زانهم - كذا .

والفضائح التي كانوا عليها وسر ما اتضح لقولهم من الدلائل
 (وانهم لكذوبون هـ) أي فيما أخبروا به عن أنفسهم من مضمون
 تنبيههم أنهم يفعلونه لوردوا، وأكد طبعهم على الكفر بقوله عطفًا على
 قوله "لما دوا": (وقالوا) أي بعد الرد ما كانوا يقولونه قبل الموت
 هـ في إنكار البعث (ان هي) أي ما هذه الحياة التي نحن ملابسوها
 (الاحياتنا الدنيا) أي التي كنا عليها قبل ذلك (وما نحن)
 وأغرقوا في النفي فقالوا: (بمعوئين هـ) أي بعد أن نموت، وما رؤيتنا
 لما رأينا قبل هذا من البعث إلا سحر لا حقيقة له، ولم ينفعهم مشاهدة
 البعث بل ضررتهم، هذا / محتمل وظاهر، ولكن الأنسب لسياق الآيات
 ١٠ قبل وبعد أن يكون هذا حكاية لقولهم له صلى الله عليه وسلم في هذه
 الدار عطفًا على قوله "وقالوا لو لا أنزل عليه ملك" على الوجه الأول،
 وقوله: (ولو ترى) متصل بذلك، أي قالوا هذا القول لما أخبرتهم
 بالبعث، فساء ذلك من قولهم والحال أنك لو رأيت اعترافهم به إذا
 سألهم خالقهم لسرك ذلك من ذلهم وما يؤل إليه أمرهم، وعبر بالمضارع
 ١٥ تصويراً لحالهم ذلك، وقوله: (اذ وقعوا على رءوسهم ط) مجازاً عن
 الخس ٢ في مقام من مقامات الجلال بما اقتضاه إضافة الرب إليهم،
 أي الذي طال إحسانه إليهم وحله عنهم، فأظهر لهم ما أظهر في ذلك

(١) من ظ، وفي الأصل: على (٢) يريد به في ظ: الموت (٣) من ظ، وفي
 الأصل: ضرهم (٤) من ظ، وفي الأصل: تصورا (هـ) سقط ما بين الرقعتين
 من ظ (٦) من ظ، وفي الأصل: مجاز (٧) في ظ: الخس (٨) من ظ، وفي
 الأصل: عليهم.

المقام من^١ تبكيتهن وتويخهن وتقرصهن ، وأظلمهن بما^٢ يقتضيه أداة الاستعلاء - على ما له سبحانه من صفات العظمة من الكبرياء والانتقام من^٣ الترية إذ^٤ لم يشكروا إحسانه في تربيتهن ، وسباق الآية يقتضى أن يكون الجواب: لرأيتهم قد منعتهم الهبة وعدم الناصر وشدة الوجل من الكلام ، فكان سائلا قال : المقام يرشد إلى ذلك حتى كأنه مشاهد ، هـ
فهل يكلمهم الله لما يشعر^٥ به التعبير بوصف الربوبية ؛ قيل : نعم ، لكن كلام إنكار وإخزاء وإذلال (قال اليس هذا) أى الذى أتاكم به رسول من أمر البعث وغيره مما تزعمه الآن من دلائل كبريائى (بالحق^٦) أى الأمر الثابت الكامل فى الحقيقة^٧ الذى لا خيال فيه ولا سحر (قالوا) أى حين إيقافهم عليه ، فكان ما أراد : (بلى) ، ١٠
وزادوا على ما أمروا به فى الدنيا القسم فقالوا^٨ : (وربنا) أى الذى أحسن إلينا بأنواع الإحسان ، وكان كلامهم هذا منزل على حالات تتكشف لهم فيها أمور بعد أخرى ، كل أمر أهول مما قبله ، ويوم القيامة - كما قال ابن عباس رضى الله عنهما - ذوه ألوان^٩ : تارة لا يكلمهم^{١٠} الله ، وتارة يكلمهم^{١١} فيكذبون ، وتارة يسألهم عن شيء فينكرون ، فتشهد ١٥

(١) فى ظ : عن (٢) فى ظ : ما (٣) فى ظ : فى (٤) فى ظ : اذا (٥) من ظ ، وفى الأصل : يسر (٦) فى ظ : الحقيقة (٧) فى ظ : الاول - كذا (٨) من ظ ، وفى الأصل : دل - كذا (٩) فى ظ : الران - كذا (١٠) فى ظ : فلا يكلمهم . (١١) زيد فى ظ : الله .

جوارحهم، وثلة يصدقون كهذا^١ الموقف ويحلفون على الصدق .
ولما أقروا^٢ قهرا بعد كشف النطاء وفوات الإيمان بالغيب^٣ بما
كانوا به يكذبون، تسبب عنه إمامتهم، فلذا قال مستأقفا: (قال) أى
الله مسيا عن اعترافهم حيث لا ينفع، وتركهم فى الدنيا حيث كان
ينفع (فتوقروا العذاب) أى الذى كنتم به توعدون (بما كنتم تكفرون^٤)
أى بسبب دوامكم على ستر ما دلنكم عليه عقولكم من صدق رسولكم،
ولا شك أن الكلام -^٥ وإن كان على هذه الصورة - فيه نوع إحسان، لأنه
أهون من التعذيب مع الإعراض فى مقام "أخسوا فيها ولا تكلمون"^٦
ولذلك^٧ [كان ذلك -^٨] آخر المقامات .

١٠ ولما أنتج هذا ما تقدم الإخبار به عن خسارتهم لأنفسهم فى القيامة
توقع السامع ذكره، فقال تحقيقا لذلك، وزاده المحل فأنه من ذوق العذاب:
(قد خسر) وأظهر موضع الإضمار تسميا وتنبها على ما أوجب لهم
ذلك فقال: (الذين كذبوا بقاء الله^٩) أى الملك الأعلى الذى له
الأمر كله، ولا أمر لأحد معه، [قد -^{١٠}] خسروا كل شيء . يمكن
١٥ إحرازه من الثواب العظيم واستمر تكذيبهم (حتى إذا جاءتهم الساعة)
أى الحقيقية، وكذا الموت الذى هو مبدأها فإن [من -^{١١}] مات جاءت
ساعته، وحذرهم منها بقوله: (بغتة) أى باغتة، أو ذات / بغتة،
أو بغتتهم^{١٢} بآياتها على حين خفلة، لا يمكن أن يشعروا بين الوقت الذى

/ ١٩١

(١) فى ظ: لهذا (٢-٣) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) سورة ٢٣ آية ٨-١٠ (٤) فى
ظ: لذا (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: العباد (٧) من ظ، وفى الأصل: بغيتهم .

تجىء فيه نوعا من الشعور ﴿ قالوا يخسرنا ﴾ أى تعالى احضرنا^١ أيها
الحسرة اللاتمة بنا فى هذا المقام^٢ فانه لا نديم لنا سواك، وهو كناية
عن عظمة^٣ الحسرة وتنبه عليه، لىتهى الإنسان عن أسبابها
﴿ على ما فرطنا ﴾ أى قصرنا ﴿ فيها^٤ ﴾ أى بسبب الساحة، ففاتنا
ما يسعد فيها من تهذيب الأخلاق المهيئة^٥ للسباق^٦ بترك اتباع الرسل^٧، ه
وذلك أن الله خلق المكلف وبعث^٨ له النفس الناطقة القدسية منزلا لها
إلى العالم السفلى، وأفاض عليه نهما ظاهرة وهى^٩ الحواس الظاهرة
المدركة والأعضاء والآلات الجثمانية، ونما باطنة وهى العقل والفكر
وغيرهما، ليتوسل باستعمال هذه^{١٠} القوى والآلات إلى تحصيل المعارف
الحقيقية^{١١} والأخلاق الفاضلة التى تنظم منافعها بعد الموت، وبعث الأنبياء^{١٢}
عليهم السلام للهداية وأظهر عليهم المعجزات ليصدقوا، فأعرضوا
عما دعوا إليه من تزكية النفس، وأقبلوا على استعمال الآلات والقوى فى
اللذات^{١٣} والشهوات القانية فقالت الآلات البدنية التى هى رأس المال^{١٤}،
وما ظنوه من اللذات^{١٥} التى عدوها أرباحا فأتفقوا الزاد^{١٦}، ولم يهتوا
بالنفوس للاهتمام، فلا رأس مال ولا ربح، فصاروا فى غاية الانقطاع^{١٧}
والفقر، ولا خسران أعظم من هذا .

(١) فى ظ : احضرنا (٢) فى ظ : عدم (٣) فى ظ : المتهمة (٤) من ظ ، وفى
الأصل : السابق (٥) فى ظ : للرسل (٦) من ظ ، وفى الأصل : مقت (٧) فى
ظ : هو (٨) من ظ ، وفى الأصل : هذا (٩) من ظ ، وفى الأصل : الحقيقة .
(١٠) فى ظ : الذات (١١) سقط من ظ .

ولما كان هذا أمرا مفضلا، زاد في تفضيله بالإخبار في جملة حالة
بشدة تبعهم في ذلك الموقف ومن ظهورهم بذنوبهم، حتى كأن عليهم أحمالا
فقالا فقال: (وم) أى و' قالوا ذلك والحال أنهم (يحملون أوزارهم)
أى أحمال ذنوبهم التى من شأنها أن يثقل، وحق الأمر وصوره
ه بقوله: (على ظهورهم^١) لاعتقاد الحمل عليه، كما يقال: ثقل عليك
كلام فلان، ويحوز أن يحمدا أحمالهم أجسادا فقالا، فيكلفوا حملها،
ولما كان ذلك^٢ الحمل أمرا لا يبلغ الوصف الذى يمتلئه عقولنا كل
حقيقة ما هو عليه من البشاعة والثقل، أشار^٣ إلى^٤ ذلك بقوله جامعا
للذام: (الأساء ما يذرون^٥) .

١٠ فلما تأكد أمر البعث غاية التأكد^٦، ولم يبق فيه لى لب وقفة،
صرح بما اقتضاه الحال من أمر هذه النار، فقال منها على خصاصتها^٧
معجبا منهم فى قوة رغبتهم فى إثارة لذاتها، ملما بأنه قد كشف الحال
عن أن ما ركنوا إليه خيال، وما كذبوا به حقيقة ثابتة ليس لها زوال،
عكس ما كانوا يقولون: (وما الحىوة الدنيا^٨) .

١٥ ولما كان السياق للخصارة^٩، وكانت أكثر ما تكون^{١٠} من اللب -
وهو فعل ما يزيد سرور النفس على وجه غير مشروع، ويسرع^{١١} اقتضاؤه -
(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: إشارة (٣) زیده بعده فى الأصل:
ان، ولم تكن الزيادة فى ظ لخدمتها (٤) فى ظ: التاكيد (٥) فى ظ: حاسنها -
كذا (٦) من ظ، وفى الأصل: يكون (٧) فى الأصل: شرع، وفى
ظ: تشرع .

قدمه فقال : ﴿ الالعب وهو ^١ ﴾ [أى - ^١] للاشقياء ، ولحياة الدنيا شر للذين يلعبون ، واللهو ما من شأنه أن يسحب النفس كالغناء والزينة من المال والنساء على وجه لم يؤذن فيه ، فيكون سببا للغفلة عما ينفع ، [فتأخيره إشارة إلى أن الجهلة كلما قفروا في اللعب وهو اشتغال بالأمور السافلة والشواغل الباطلة بملو النفوس ^٢ أثاروا الشهوات بالملاهي - ^١] ، ^٥ والمعنى أنه تحقق من هذه الآيات زوال الدنيا ، فتمحقت سرعته ، لأن كل آت قريب ، فحيث ^٣ ما هي ^٢ إلا ساعة لعب ، يندم الإنسان على ما فرط فيها ، كما يندم اللاعب - إن كان له عقل - على تقويت ^٤ الأرباح إذا رأى ما حصل أولو الجد وأرباب المزائم .

ولما كان التقدير / بما أرشد إليه المعنى : ^٥ وما ^٥ الدار الآخرة إلا جـد ١٠ / ١٩٢

وحضور وبقاء للاشقياء ، أنتمه قوله مؤكدا : ﴿ والدار الآخرة خير ﴾ ولما كان الكل مألما ^٦ إلى الآخرة ، خصص ^٧ فقال : ﴿ للذين يتقون ^٨ ﴾ أى يوجدون التقوى ، وهى الخوف من الله الذى يحصل على فعل الطاعات وترك المعاصي ، ليكون ذلك وقاية لهم من غضب الله ، وذكر حال الدنيا وحذف نتيجة لاهلها لدلالة ثمرة الآخرة عليه ، ^{١٥} وحذف ذكر حال الآخرة لدلالة ذكر حال الدنيا عليه ، هو احبأك ؛ ولما كان من شأن العقلاء الإقبال على الخير وترك غيره ، تسبب عن

(١) زيد من ظ (٢) زيدت الواو بعده فى ظ فأسقطناها لاستقامة العبارة ، ويمكن أن يكون جواب « كلما قفروا » سقط من ظ (٣-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) فى ظ : تقوية (٥-٥) فى ظ : فاما (٦) فى ظ : لهم - كذا . (٧) فى ظ : خصوص .

إقبالهم على الفاني وتركهم الباقي قوله منكرا: ﴿اعلأ يقولون^١﴾ -

ولما كرر في هذه السورة أمره بمقاتلتهم^٢، وأطال في الحث على مجادلتهم، وختم بما يقتضى سلهم العقل مع تكرير الإخبار بأن المقضى^٣ بضارته منهم لا يؤمنون الآية^٤ من الآيات، وكان من المعلوم أنهم حال إسماعهم ما أمر به لا يسكتون لما عندهم من عظيم النخوة وشماخة الكبر وقوة الجرأة. وأنه لا جواب لهم إلا التبعة^٥ والبذاة كما هو دأب المعاند المغلوب، وأن ذلك يحزنه^٦ صلى الله عليه وسلم لما جبل عليه من الحياء والشهامة والصيانة والنزاهة^٧، كان الحال محتاجا إلى التسلية فقال تعالى: ﴿قد نعلم﴾ والمراد بالمضارع وجود العلم من غير نظر إلى زمان، وعدل عن الماضي ثلثا يظن الاختصاص به، فالمراد تحقق التجدد لتعلق العلم بتجدد الأقوال ﴿انه ليحزنك﴾ أى يوقع على سبيل التجديد والاستمرار لك الحزن على ما فاتك من حالات الصفاء التى كدرها ﴿الذى^٨ يقولون﴾ أى من تكذيبك، فقد علمنا أمثالك لأوامرنا فى إسماعهم ما بكرهون^٩ من تنزيها، وعلمنا ردم عليك بما لا يرضيك، وعلمنا أنه يبلغ منك، فلا تحزن^{١٠} الآن من علم^{١١} أن ربه يرضى المطيع له

(١) هذا على قراءة ابن كثير، وأما فى مصاحفنا فعلى الخطأ (٢) من ظ، وفى الأصل: بمقاتلتهم (٣) فى ظ: المقضى (٤) فى ظ: الآية (٥) فى الأصل: السعة، وفى ظ: السعة - كذا (٦) فى ظ: يحزنه - كذا (٧) زیدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ فخذناها (٨) من ظ والقرآن الكريم، وفى الأصل: الذين (٩) فى ظ: يكون (١٠ - ١١) فى ظ: لمن.

ويجزى عاصيه ، وهو عالم بما ينال^١ المطيع في طاعته لا ينبغي أن يحزن
بل يسر ، وهو كقوله تعالى في سورة يس^٢ " فلا يحزنك قولهم انا نعلم
ما يسرون وما يعلنون^٣ " ولا شك أن الحزن عند وقوع ما يسوء^٤ من
طبع البشر الذي لا يقدر على الاتصاك^٥ عنه ، فالنهي عنه [هو -]
نهي عما ينشأ عنه من الاسترسال المؤدى إلى الجزع المؤدى إلى عدم الصبر^٥
ونسيان ما يعزى ، فهو من النهي عن السبب للبالغة في النهي عن المسبب ،
وما أنسب ذكر ما يحزن بعد تقرير^٥ أن الدنيا لاهلها لعب ولهو وأن
الآخرة خير للتقين ، ومن المعلوم أنها ضدان ،^٦ فلا تنال إحداهما^٦
إلا بضد ما^٧ للآخرى ، فلا تنال^٨ الآخرة إلا بضد ما لاهل الدنيا من
اللعب واللهو ، وذلك هو الحزن الناشئ عن التقوى الحامل عليها الخوف^{١٠}
كما روى في حديث قديمي " أنا عند المتكسرة قلوبهم من أجلي^٩ " .
ولما أخبره سبحانه بعله بذلك ، سبب عنه قوله : ﴿ فانهم ﴾ أى
فلا يحزنك ذلك فانهم ﴿ لا يكذبونك ﴾ بل أنت عندهم الأمين ، وليكن علينا
بما تلقى منهم سبباً لزوال حزنك ، وكذا إخبارنا لك بعدم تكذيبهم لك ،
بل أنت عندهم فى نفس الامر أمين^{١٠} غير متهم^{١١} ولكنهم لشدة عنادهم^{١٥}
وقوفهم مع المخطوئ وعجزهم عن جواب يرد غلهم^{١٢} ويشنى عليهم^{١٣}

(١) من ظ ، وفي الأصل : يقال (٢) راجع آية ٧٦ (٣) فى ظ : يسر (٤) زيد من
ظ (٥) فى ظ : تقدم - كذا (٦-٧) من ظ ، وفي الأصل : فلا يقال احدى -
كذا (٧) سقط من ظ (٨) فى الأصل : فلما ، وفى ظ : فلا ينال - كذا .
(٩) من ظ ، وفى الأصل : اجل (١٠-١١) من ظ ، وفى الأصل : لم نهم - كذا .
(١١) من ظ ، وفى الأصل : فساد (١٢-١٣) سقط ما بين الرقيين من ظ .

ينكرونها آيات الله مع علمهم بحقيقتها^١، فليخفف^٢ حزنك لنفسك ما اتهمكوه من حرمة من أرسلك^٣، والآية من الاحقابك : حذف من الجملة الأولى - إظهارا لشرف النبي صلى الله عليه وسلم وأدبا منه - سبب الحزن، / وهو التكذيب لدلالة الثانية عليه، ومن الثاني انتهى عن

/ ١٩٣

هـ المسبب لدلالة الأولى عليه؛ روى الطبري^٤ في تفسيره عن السدي أنه

لما كان يوم بدر^٥ قال الأخنس بن شريق لبني زهرة^٦: إن محمدا ابن أختكم، وأتم أحق من كف عنه، فانه إن كان نيا لم تقتلوه^٧ [اليوم -^٨]، وإن كان كاذبا [كنتم -^٩] أحق من كف عن^{١٠} ابن أخته، قتلوا نهنا حتى ألقى أبا الحكم، فان غلب محمد رجعت سالمين، ١٠ وإن غلب محمد فان قومكم لن يصنعوا^{١١} بكم شيئا، فيومئذ سمى الأخنس^{١٢}، وكان اسمه دأب^{١٣}، فالتقى^{١٤} الأخنس وأبو جهل، غلا الأخنس به فقال: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب، فانه ليس نهنا من قريش أحد غيبي وغيرك^{١٥} يسمع كلامنا، فقال أبو جهل: ويحك والله إن محمدا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن

(١) في ظ: بحقيقتها (٢) من ظ، وفي الأصل: فليخفف - كذا (ب) في ظ: الطبراني (٤) سقط من ظ (٥) زيد بعده في ظ: كان (٦) زيد بعده في الطبري: يابني زهرة (٧) في ظ: لم يقتلوه (٨) زيد من الطبري (٩) زيد من الطبري (١٠) من الطبري (١١) في ظ: عنه (١٢-١٣) في ظ: لا يصنعون (١٤) من الخنوس، وهو الاتقياض عن الشيء والتأخر عنه (١٥) في ظ: فالتقى (١٦) من ظ والطبري، وفي الأصل: غيبي.

- إذا ذهب بنو قصي^١ باللواء والحجاة والسقاية والنبوة فماذا يكون
لسائر قريش^٢ وعن ناجية قال قال أبو جهل لئن لم يبعث الله نبيا عليه وسلم :
ما تهكم^٣ ولكن تهتم^٤ الذي جئت به ، فأُنزل الله الآية . وعلى ذلك
يدل قوله تعالى : (ولكن) ، وقال : (الظالمين) في موضع الضمير
تعميما وتعليقا للحكم بالوصف ، أى الذين كانوا في مثل الظلام (بابت) أى •
سبب آيات (الله) أى الملك الأكبر الذى له الكمال كله (يمحذون •)
قال أبو على الفارسي في أول كتاب الحجة : أى يمحذون ما عرفوه من
صدقك وأمانتك ، وعلق بآء الجهر^٥ بالظالمين كما هي في قوله ” واثينا •
نمود الناقه مبصرة فظلموا بها • “ ونحوها ، وقال ابن القطاع^٦ في كتاب
الأفعال : جسد الشيء جسدا وجودا : أنكره وهو عالم به . هذا تقدم ١٠
غير أنه لا طريق لهم إلى إنكار^٧ الآيات إلا^٨ بالتكذيب ، أو ما يؤل
إليه ، وأنت تعلم أن الذى أرسلك على كل شيء قدير ، وهو القاهر
فوق عباده ، هو الحكيم الخبير ، فاقضت قدرته وقهره واتصاره لاهل
ولايت وجره أن يحل بأعدائهم سطوة تجل عن الوصف ، واقتضت
حكمتهم عدم المعالجة بها تشريفا لك وتكثيرا لأمتك . ١٥
ولما سلاه^٩ بوعده النصره المسبية عن علم المرسل القادر ، وبأن
-
- (١ - ١) من ظ والطبرى ، وفى الأصل : ذهبت بنواقص - كذا (٢) من ظ
والطبرى ، وفى الأصل : ما تهكم (٣) من ظ والطبرى ، وفى الأصل : يهتم .
(٤) فى ظ : الجزء (٥) سورة ١٧ آية ٥٩ (٦) وهو على بن جعفر بن على السعدي
- راجع معجم المؤلفين ٥٢/٧ (٧ - ٧) فى ظ : لا (٨) فى ظ : تلاه .

تكذيبهم إنما هو له سبحانه ، وهو مع ذلك يصبر عليهم ويصلح عنهم ،
بل ويحسن إليهم بالرزق والمنافع ، زاده أن ذلك سنة في إخوانه من
الرسل فقال : ﴿ ولقد ﴾ ولما كان المتكى هو التكذيب لا كونه من
معين ، بنى للفعول قوله : ﴿ كذبت رسل ﴾ .

٥ ولما كان تكذيبهم لم يستغرق الزمان ، [وكان الاشتراك في شيء
يهوته ، وكلما قرب الزمان كان أجدر بذلك - '] أدخل الجار فقال :
﴿ من قبلك ﴾ بأن جحد قومهم ما يعرفون من صدقهم وأمانتهم كما
ضل بك ﴿ فصبروا ﴾ أى قسب عن تكذيب قومهم لم أنهم صبروا^١
﴿ على ما كذبوا واذنوا ﴾ أى فصبروا أيضا على ما أذنوا ، ثم أشار
١٠ إلى الوعد بالنصر بشرط الصبر فقال : ﴿ حتى ﴾ أى وامتد صبرهم حتى
﴿ أنهم نصرنا ﴾ أى فليكن لك بهم أسوة ، وفيهم مسلاة ، فاصبر حتى
يأتبك النصر كما أتاهم ، فقد سبقت كلتا لبيادنا المرسلين أنهم لم
المنصورون في قولنا " فان حزب الله هم الغالبون " ﴿ ولا تبدل لكلمات الله ﴾
أى لأن له جميع العظمة فلا كفوه له ، ودل سبحانه على صعوبة مقام
١٥ الصبر جدا بالتأكيد فقال : ﴿ ولقد جاءك ﴾ ودل على عظيم ما تحملوا
قوله : ﴿ من نبأ المرسلين ﴾ أى خرم العظيم في صبرهم واحتياهم
وطاعتهم وامثالهم ورققهم بمن أرسلوا إليهم ونصرنا / لهم على من بنى^٢
عليهم ، وجمي نأهم تقدم إجمالا وتفصيلا ، أما إجمالا ففى مثل قوله
/ ١٩٤
(١) من ظ : وفى الأصل : يحله (٢) زيد من ظ (٣) فى الأصل : صبر ، وسقط
من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) سورة ٥ آية ٥٦ (٦) فى ظ : بقى .
(٧) من ظ ، وفى الأصل : يباينهم .

"وكان من نبي قتل معه ويون كثير"، "افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى
 انفسكم"، وأما تفصيلا ففي ذكر موسى "وعيسى" وغيرهما، وفي قوله
 "فصبروا" أدل دليل على ما تقدم من أن النهي عن "الحزن نهى عن
 تابعه المؤدى إلى عدم الصبر، والتعير بمن التبعية تهويل لما لقوا،
 فهو أبلغ في التعرية .

- ٥ ولما سلاه بما هو في غاية الكفاية في التسلية، أخبره بأنه لا حيلة
 له غير الصبر، فقال عاطفا على ما تقديره: قتل^١ واصر كما صبروا،
 و ليصفر عندك ما تلاقى منهم في جنب الله: (وان كان كبر) أى عظم
 جدا (عليك اعراضهم) أى عما يأتهم^٢ به من الآيات الذى قدمنا الإخبار
 عنه بقولنا "وما تأتاهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين" ١٠
 وأردت أن تقتل - فى إخبارنا لك بأنه لا ينفعهم الآيات المقترحات -
 من علم اليقين إلى عين اليقين (فان استطعت ان تبغى) أى تطلب
 بجهدك وغاية طاقتك (نفقا) أى منفذا (فى الارض) تنفذ فيه
 إلى ما عساك تقدر على^٣ الانتهاء إليه (او سلما فى السماء) أى جهة^٤
 الملو لترتقى فيه إلى ما تقدر عليه (فتأتهم بآية^٥) أى بما اقترحوا عليك ١٥
 فاقبل لتشاهد أنهم لا يزدادون عند إتيانك بها إلا إعراضا كما^٦ أخبرناك ،

(١) سورة ٣ آية ١٤٦ (٢) سورة ٢ آية ٨٧ (٣ - ٢) سقط ما بين الرقيمن من
 ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : على (٦) فى ظ : فليس (٢) فى الأصل : يأتهم ،
 وفى ظ : تأتاهم (٨) من ظ ، وفى الأصل : ينفذ (٩) فى ظ : الى (١٠) من ظ ،
 وفى الأصل : بهذا - كذا (١١) من ظ ، وفى الأصل : نباتك (١٢) فى ظ : عما .

لأن الله قد شاء ضلال بعضهم ، والمراد بهذا بيان^١ شدة حرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم بأنه لو قدر على^٢ أن يتكلف النزول إلى تحت الأرض أو فوق السماء فيأتيهم بما يؤمنون به لفعل .

ولما كان هذا السياق ربما أوم شيا^٣ في القدرة ، فناه إرشادا ه إلى تقدير ما قدرته فقال : ﴿ ولو شاء الله ﴾ أى الذى له العظمة الباهرة والقدرة الكاملة القاهرة ﴿ لجمعهم على الهدى ﴾ أى لأن قدرته شاملة ، وإيمانهم فى حد ذاته ممكن ، ولكنه قد شاء اقترانهم باضلال بعضهم ، ولما كان^٤ صلى الله عليه وسلم - بعد إعلام الله له بما أعلم من حكمه بأن الآيات لا تنفع من حتم^٥ بكفره - حريصا على إجابتهم إلى ما يقترحونه ١٠ رجاء جمعهم^٦ على الهدى لما طبع عليه [من - *] مزيد الشفقة^٧ على الغريب^٨ فضلا عن القريب ، مع ما أوصاه الله به ليلة الإسرائا من غير واسطة - كما أفاده الحوالى - من^٩ إقامة الشفقة على عباده والرحمة لهم والإحسان إليهم واللين لهم وإدخال السرور عليهم ، فظافر على ذلك الطبع والإبصار حتى كان^{١٠} لا يكف عنه إلا^{١١} لأمر جازم^{١٢} أو^{١٣} نهى ١٥ مؤكدا صارم ، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فلا تكونن ﴾ فأكد الكلام سبحانه ليعلم صلى الله عليه وسلم أنه قد حتم باقترانهم ، فيسكن إلى ذلك

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : سببا (٣) فى ظ : ختم (٤) فى ظ : جمعهم (٥) زيد من ظ (٦ - ٦) فى ظ : عن القرب (٧) من ظ ، وفى الأصل : كانا (٨ - ٨) من ظ ، وفى الأصل : مرجاز - كذا (٩) فى ظ : و . و .

و يخالف ما جبل عليه^١ من شدة الشفقة عليهم ﴿ من الجهلين ﴾ أى
إنك أعلم الناس مطلقا و لك القراءة التامة و البصر الناقد و الفكرة^٢
الصادقة بمن لم تعاشره ، فكيف بمن بلوتهم^٣ ناشئا و كهلا و يافعا^٤
فلا تعمل بحجة ما أوصاك^٥ الله به من الصبر و الصفيح^٦ ، و جبلك^٧ عليه
من الآثام و الحلم^٨ فى ابتغاء إيمانهم بخلاف^٩ ما يعلم من خسراتهم ، فلا تطمع^{١٠}
نفسك فيما لا مطمع فيه ، فان ما شاهده لا يكون [غيره -^{١١}] ، فهذه
الآية و أمثالها - بما فى ظاهره غلظة - من الدلالة / على عظيم رتبة صلى الله
عليه و سلم و من لطيف أمداح القرآن له - كما بين^{١٢} " إن شاء الله تعالى
فى سورة التوبة عند قوله تعالى " عفا الله عنك " .

١٩٥ /

ولما أنهم هذا القضاء الحتم أنه قد صار حالهم [حال -^{١٣}] من ١٠
حتم بالموت ، فلا يمكن إسماعه إلا الله^{١٤} ، ولا يمكن أن يستجيب عادة ،
قال : ﴿ انما يستجيب ﴾ أى فى مجارى عاداتكم ﴿ الذين يسمعون^{١٥} ﴾
أى فيهم قابلية السمع لأنهم أحياء فيتدبرون حيث ما يلقى إليهم
فيتفهمون به ، و هؤلاء قد ساءوا^{١٦} الموتى فى عدم قابلية السماع للخنم
على مشاعرهم ﴿ و الموتى ﴾ أى كلهم حسا و معنى ﴿ يعثهم الله ﴾ أى ١٥

(١) فى الأصل : على ، و سقط من ظ (٢) فى ظ : الفكر (٣-٢) فى ظ : باشيا
و كيلا و تاهلا - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : اوصاك (٥) فى ظ : الصلح .
(٦) من ظ ، و فى الأصل : حملك (٧) من ظ ، و فى الأصل : الحكم (٨) من ظ ،
و فى الأصل : بخلا - كذا (٩) زيد من ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : تبين .
(١١) آية ٤٣ (١٢) من ظ ، و فى الأصل : لله (١٣) من ظ ، و فى الأصل :
ساروا .

الملك المحيط علما وقدره ، فهو قادر على بعثهم بافاضة الإيمان على الكافر
وإعادة الروح إلى الهالك^١ فيسمعون حينئذ ، فالآية من الاحتباك : حذف
من الأول الحياة لدلالة "الموت" عليها ، ومن الثاني السماع لدلالة
"يسمعون" عليه .

٥ ولما قرر أن [من - ٢] لا يؤمن كالكيت ، حثا^٢ على الإيمان وترغيا
فيه ، وقدر^٣ قدرته على البعث ، خوفا من سطواته بقوله : ﴿ثم إليه﴾
أى وحده ﴿يرجعون^٤﴾ أى معنى فى الدنيا فانه قادر على كل ما يشاء
منهم ، لا يخرج شيء من أحوالهم عن^٥ مراده أصلا وحسا بعد الموت ،
فيساقون قهرا إلى موقف يفصل فيه بين كل مظلوم وظالمه .

١٠ ولما سلاه صلى الله عليه وسلم فيما أخبرته من أقوالهم بما شرح
صدره وسر خاطره ، وأعلمه تخفيفا عليه أن أمرهم إنما هو يده ، ذكره^٦
بعض كلامهم الآكل إلى التكذيب عقب إخباره بالحشر الذى يجازى
فيه كلا بما يفعل ، فقال عطفا على قوله "وقالوا ان هى الاحيائنا الدنيا"
وقوله "وقالوا لو لا انزل عليه ملك" يعجب منه تعجبا آخر :
١٥ ﴿وقالوا﴾ أى مغالطة أو عنادا أو مكارة ﴿لو لا﴾ أى هلا ﴿نزل﴾

(١) من ظ ، وفى الأصل : فهذا (٢) من ظ ، وفى الأصل : الهلاك (٣) زيد
من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : حقا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ والقرآن
الكریم ، وفى الأصل : ترجعون - كذا ، ولا خلاف فى أنه على النية ، والخلاف
فى أنه بالبناء للفاعل أو للمفعول (٧) فى ظ : على (٨) فى ظ : ذكر (٩) فى ظ :
لعجب - كذا (١٠) من ظ ، وفى الأصل : تعجبا (١١) من ظ والقرآن ،
وفى الأصل : انزل - كذا ، والفعل بالتشديد بلا خلاف .

أى بالتدرج (عليه) أى خاصة (آية) أى واحدة تكون ثابتة بالتدرج لا تنقطع ، وهذا منهم إشارة إلى أنهم لا يعدون القرآن آية و^٢ لا شيئاً بما^٣ رآه^٤ منه صلى الله عليه وسلم من غير ذلك نحو انشقاق القمر (من ربه^٥) أى المحسن إليه على حسب ما يدعيه لنستدل بها على ما يقول^٦ من التوحيد والبعث .

- و لما كان فى هذا - كما تقدم - إشارة منهم إلى أنه لم يأت بآية على هذه الصفة إما مكابرة وإما مغالطة ، أمره بالجواب بقوله^٧ : (قل ان الله) أى الذى له جميع الأمر (قادر على أن) وأشار بتشديد الفعل إلى آية القرآن المتكررة عليهم كل حين تدعوهم إلى المباشرة^٨ و تتحداهم^٩ بالمبالغة والمعاجزة فقال : (يزل) وقراءة ابن كثير بالتخفيف مشيرة^{١٠} إلى أنهم بلغوا فى الوقاحة الغاية ، وأنهم لو قالوا : لو لا أنزل ، أى مرة واحدة ، لكان أخف فى الوقاحة ، [أو إلى أنه أنزل عليهم أى آية ، كانت تلجئهم وتضطرهم إليه فى آن واحد كما قال تعالى " ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين "] ولكنه لا يسأل ذلك إلا بالتدرج كما يشير إليه -^{١١} [صيغة التفعيل فى قراءة " غيره المذكرة "]^{١٥}

(١) من ظ ، وفى الأصل : يكون (٢) من ظ ، وفى الأصل : يعدلون . (٣ - ٤) فى ظ : لا سيما - كذا (٤) فى الأصل و ظ : رواء - كذا (٥) من ظ ، وفى الأصل : عر - كذا (٦) فى ظ : قول (٧) من ظ ، وفى الأصل : لقوله . (٨) زيد بعده فى ظ : كله (٩) من ظ ، وفى الأصل : يدعوهم (١٠) فى ظ : المبادرة (١١) من ظ ، وفى الأصل : يحدهم (١٢) سورة ٢٦ آية ٤ (١٣) زيد ما بين الحائزين من ظ ، وریدت الواو بعده فى لأصل ، ولم تكن فى ظ مخذفاها (١٤ - ١٥) فى الأصل : غيره مذكرة ، وفى ظ : غير المذكورة .

بأن آية القرآن لا تنقضى^١، بل كلما سمعها أحد منهم أو من غيرهم طول الدهر كانت منزلة عليه لكونها واصله إليه، فهو أبليغ من مطلوبهم آية^٢ ينزل عليه^٣ وحده، والحاصل أنهم طلبوا آية باقية محصنة، فلوح لهم إلى آية هي - مع كونها خاصة به فيما حصل له من الشرف - عامة لكل من بلغته، باقية طول المدى (آية) أي بما اقترحوه ومن غيره، لا يمجزه شيء، وفي كل شيء له من الآيات ما يعجز الوصف، وكفى بالقرآن العظيم مثالا لذلك (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي ليس فيهم قابلية العلم، فهم لا يتفكرون في شيء من ذلك الذي يحده من مصنوعات ليدلهم على أنه على كل شيء قدير، فلا فائدة لهم في إنزال ما طلوه، وأما غير الأكثر فهو سبحانه يردم بآية القرآن^٤ أو غيرها^٥ بما لم يقترحوه^٦.

ولما عجب منهم "في قولهم هذا" الذي يقتضى أنهم لم يروا [له -'] آية قط^٧ بعد ما جاءهم من الآيات الخاصة به ما ملأ الأقطار، ورد إلى الصم الأسماع، وأثار من العمى الأبصار، ذكرهم بآية غير آية القرآن تشتمل^٨ على آيات مستكنة كافية لصلاحهم، رتبها سبحانه

(١) من ظ، وفي الأصل: لا تنقص (٢) في ظ: انه (٣) من ظ، وفي الأصل: عليهم (٤) سقط من ظ (٥) في الأصل: فايد، وفي ظ: يدة - كذا (٦) من ظ، وفي الأصل: عن (٧) من ظ، وفي الأصل: فهذا (٨) من ظ، وفي الأصل: لو غيرها - كذا (٩) من ظ، وفي الأصل: لم يفرحوه (١٠ - ١٠) في ظ: هو (١١) ريد من ظ (١٢) من ظ، وفي الأصل: قط (١٣) في الأصل: يشتمل، وفي ظ: مشتمل (١٤) من ظ، وفي الأصل: وبها.

قبل سؤالهم / تفضلا منه عليهم دالة على باهر قدرته على البعث و غيره
من الآيات التى طلبوها و غيرها وعلى قدره بجميع الامر، إذا تأملوها
حق تأملها كفتهم^٥ فى جميع ما يراد منهم فقال تعالى: ﴿وما﴾ أى
قالوا ذلك والحال أنه مذ، وهى ناظرة^٦ أتم نظر إلى قوله "هو الذى
خلقكم من طين" أى فعل ذلك بكم^٧ وما^٨ (من دابة فى الارض)^٩
أى تدب أى تتقل برجل وغير رجل ﴿ولا ظئر يطير﴾ وقرر الحقيقة
بقوله^{١٠}: ﴿بجناحه﴾ وشمل ذلك جميع الحيوان حتى ما فى البحر، لأن
سيرها فى الماء إما أن يكون دينيا أو طيارا مجازا.

ولما كان المراد بالدابة والطائر الاستفراق قال: ﴿الأمم﴾ أى

- يقصد كل منها فى نفسه، ويقصد هو نوعه وينضم إلى شكله ﴿امثالكم﴾^{١١}
أى فى ذلك وى أنا خلقناهم ولم يكونوا شيئا وحفظنا جميع أحوالهم،
وقد رنا كل أرواقهم وآجالهم، وجعلنا لكم^{١٢} فيهم أحكاما جددناها لكم،
وجعلنا لكل منهم أجلا للوت لا يتعداه بعد أن فواتنا بينهم فى الحياة،
وللكل أجل فى علنا فى البرزخ مثبت قبل أن نخلقهم، لا ينقص ذرة
ولا يزيد خردلة، وجعلنا فى هذه الحيوانات ما^{١٣} هو أقوى منكم وما هو^{١٤}
أضعف، وجعلناكم أقوى من الجميع بالعقل، ولو شئنا لجعلنا له بين قوة
البدن والعقل، وربما سلطنا الأضعف^{١٥} عليكم كالجراد والفأر والدود
بما تعجز عنه عقولكم، ولو شئنا لسلطنا عليكم من أضعفها خلقا - البعوض -

(١) فى ظ: كثر (٢) ويد بعده فى ظ: الى (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ.

(٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ: جعلناكم (٦) فى ظ: بما (٧) تكرر فى ظ.

ما أخذ بأفاسكم^١ ومنكم القرار وأخرجكم^٢ من حركات الاختيار إلى أن أهلككم جميعا هلاك قهس واحدة - إلى غير ذلك من أمور تكل عنها المقول^٣ وتقف دونها واذ الفكر، وهذا كله معنى قوله : ﴿ ما فرطنا ﴾ أى تركنا وأغفلنا لما لنا من القدرة الكاملة^٤ والعلم الشامل ﴿ فى الكشب ﴾ أى اللوح المحفوظ والقرآن ، وأغرق فى النقي بقوله : ﴿ من شيء ﴾ أى ليذهب ذكره كما يذهب المقدر الذى ينقطع سلكه فيتفرط ، بل ذكرنا جميع أحوال خلقنا من الجن والإنس والملائكة وغيرهم من كل ناطق وصامت ، فصارت فى غاية الضبط حتى أن الحفظة يعرضون ما يحدث من عمل المكلفين وغيره ١٠ آخر النهار^٥ على ما كان مثبتا فى أم الكتاب فيجدونه كما هو ، لا يزيد شيئا ولا ينقص ، فيزدادون إيمانا ، وأثبتنا فى هذا القرآن مجامع الأمور ، فهو تبيان لكل شيء من الأحكام الأصلية والفرعية [و-٦] الدلالات على كل ذلك وأخبار الأولين والآخرين وكل علم يمكن أن يحتاجه المخلوق ، فن أراد الهداية هداة بدقيق^٦ أسرار ، ومن ١٥ أعرض أوقعه فى الردى ، وعمى حتى عن^٧ واضح^٨ أنواره ، والآية كما قال تعالى " أن فى خلق السموات والأرض - إلى أن قال : وبث فيها^٩ من كل دابة - لايت لقوم يعقلون^{١٠}"

(١) من ظ ، وفى الأصل : ناغايصكم - كذا (٢) فى ظ : اخركم (٣) من ظ ، وفى الأصل : القول (٤) سقط من ظ (٥-٥) من ظ ، وفى الأصل : حراؤها - كذا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : بتوفيق (٨) من ظ ، وفى الأصل : واضح - (٩) فى ظ : فيها (١) سورة ٢ آية ١٦٤ .

وفي كل شيء له آية . تدل على أنه واحد

أفلا يكون لكم في ذلك آيات تغليكم من إرسال الرسل فضلا عن أن
توقفوا^٢ بعد إرسالهم ولا ترضوا^٣ منهم من ينوارق العادات إلا
بما تقرر حونه^٤ .

ولما أشار إلى ما شارك فيه سائر الحيوان للآدميين^٥ من أحوال
الحياة وغيرها، نهى على الحشر الذي هو محط الحكمة فقال: (ثم)
أى بعد طول الحياة والإقامة في البرزخ (إلى ربحهم) أى خاصة،
[وبنى^٦ للفعول على طريق كلام القادرين قوله -^٧]: (يخشرونه)
[أى يجمعون كرها^٨ -] بعد أن يعيدهم كلهم كما بدأهم، ويصف كل
مظلوم منهم من ظلمه، كل ذلك [عليه -^٩] حين^{١٠} "ما خلقكم ولا بهتكم
الا كنفس واحدة"^{١١} والكل محفوظون في كتاب مبين^{١٢} على اختلاف
أنواعهم^{١٣} وتباين حقائقهم وأشخاصهم وزيادتهم في الجدة على أن يوجه^{١٤}
نحوهم المد - سبحانه من أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا،
إن ذلك على الله يسير، وهو على كل شيء قدير .

/ ولما كان التقدير بعد التذكير بهذه الآية التى تنوعت^{١٥} فيها الآيات ١٥ / ١٩٧

(١) من ظ ، وفي الأصل : تعينكم (٢) في الأصل و ظ : يوقفوا (٣) من ظ ،
وفي الأصل : لا تعرضوا (٤) في الأصل : يفرحونه ، وفي ظ : يقرر حونه - كذا .
(٥) في ظ : الآدميين (٦) في ظ : بناء - كذا (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفي
الأصل : حين (٩) سورة ٣١ آية ٢٨ (١٠) من ظ ، وفي الأصل : بين (١١) من
ظ ، وفي الأصل : أنواعكم (١٢) من ظ ، وفي الأصل : يوجد (١٣) في ظ :
يتوعد - كذا .

و تكررت وتكثر فيها الدلالات: فالذين آمنوا أحياء سامعون لأقوالنا،
 فاطقون بحامدنا راؤن^١ لأفاننا، عطف عليه قوله: (و الذين كذبوا)
 أنى أوقعوا التكذيب (نايتنا) أى على ما لها من العظمة المقتضية
 لإضافتها إلينا، مرية كانت أو^٢ مسموعة، تكذبا متكررا على عدد
 ٥ الآيات بالفعل أو بالقوة ولو^٣ بالإعراض عنها (صم) أى أموات
 فهم^٤ لا يسمعون (و بكم) لا ينطقون (في الظلمت^٥) أى عمى
 لا^٦ يصرون، فذلك^٧ لا يزالون غابطين^٨ خبط العشواء^٩ ساعين غايه
 السعى إلى الردى^{١٠}، لأن ذلك شأن من في الظلمة، فكيف بمن هو في
 جميع الظلمات^{١١} وله^{١٢} جمعها إشارة إلى أن المكذب لا يتفجع يصير
 ١٠ ولا يصيرة، وذلك أنهم لما لم يتصموا بحياتهم ولا بأسماعهم ولا نطقهم
 ولا أبصارهم ولا عقولهم كان كل ذلك مهم عدما.

ولما بين أن الأصم الأبكم الأعشى لا تمكن^{١٣} هدايته، بين^{١٤} أن
 ذلك إما هو بالنسبة لغيره سبحانه فطما عن طلب إجابتهم إلى ما يقترحون
 من الآيات، وأما هو سبحانه فقال^{١٥} لما يريد، قال في^{١٦} جواب من
 ١٥ كأنه قال: إنما تمكن هدايتهم: (من يشا الله) أى^{١٧} الذى له الأمر
 كله ولا أمر لأحد معه^{١٨} إضلاله (يضلله^{١٩} و من يشا) هدايته

(١) في ظ: راويتنا - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: لا .
 (٤) زيد بعده في الأصل: صم، ولم تكن الزيادة في ظ لغزها (٥) في ظ:
 فذلك (٦-٧) في ظ: العشو - كذا (٧) من ظ، وفي الأصل: المراد (٨) في
 ظ: لا يمكن (٩) في ظ: فعال (١٠-١١) سقط ما بين الرقيين من ظ .

(يجمعه) ١ أو أشار إلى تكميته بأداة الاستعلاء فقال: (على صراط مستقيم) بأن يخلق الهداية في قلبه - ومن يهد^٢ الله فإله من مصل ومن يضلل الله^٣ فإله من هاد، مع أن الكل عباده وخطقه، متقلبون في نعمه، غادون راحمون في بره وكرمه - إن في ذلك على وحدانيته وتمام قدرته لآيات بينات لقوم يعقلون .

و لما كانت هذه الآية - بما فيها من التصريح بالكذب - شديدة الاعتناق لقوله " ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا " وقوله " كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انبؤا " - الآيتين ، رجع^٤ بالذي بعدها إلى فذلك^٥ التفاصيل الماضية واسطة عقدها وفريدة درها^٦ ، وهو التوحيد الذي أبانته الأدلة قل الآيتين ، فقال دالا على اعتقادهم القدرة التي استلزم^{١٠} نعمتهم بطلب الآية فيها^٧ ، واعتقادهم للتوحيد في الجملة وهم يكذبون به^٨ ، يانا لأنهم في الظلمات مهجورون بيد المشيئة لعدم تحاشيهم من التناقض معجبا منهم: (قل ارهيتكم) أى أخبروني يا من كذب بالآيات والقدرة^٩ عنادا . وشهد^٩ أن مع الله آلهة أخرى ، وعدل^{١٠} باقته الذي يعلم السر والجمهور ، وهو مع من يدعو في كل سماء وكل أرض بنيائته^{١١} ونصره . ١٥

و لما كانت حقيقة " ارهيتكم " : هل رأيتم أنفسكم ، و كان هذا

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : يهدى (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : وجع (٥) في ظ : تلك (٦) في الأصل و ظ : ردها - كذا (٧) في ظ : معها (٨) من ظ ، وفي الأصل : العقدة (٩) في ظ : اشهد . (١٠) من ظ ، وفي الأصل : غدر - كذا (١١) في الأصل : بنيائته ، وفي ظ : بنيائته - كذا .

- لكونه سؤالا عن معلوم لا يحمله أحد - مشيرا^١ إلى أن السؤال عن غيره مما قد يخفى من أحوال النفس، كما كأنه قيل: عر أي أحوال نفوسنا نُسأل؟ قيل ثنيتها لهم على حالة تلزمهم بالتوحيد أو العناد الذي يصير في العلم به كالسؤال عن رؤية النفس سواء: ﴿ان اتاكم﴾ أي قبل مجيء الساعة كما أتى من قبلكم ﴿عذاب الله﴾ أي المستجمع لمجامع العظيمة، فلا يقدر أحد على كشف ما يأتي به ﴿او اتاكم الساعة﴾ أي القيامة بما فيها من الأهوال.

ولما عجب منهم بما مضى - كما مضى، قال مجيبا للشرط موجبا لهم منكرا عليهم عدم استمرارهم على دعائه^٢ ولزوم سؤاله وندائه، [ويحوز ١٠ أن يكون جواب الشرط محذوفا تقديره: من تدعون؟ ثم زادم تويخا وتبكيئا بقوله -^٣]: ﴿اغير الله﴾ أي الملك الذي له العظيمة كلها ﴿تدعون ع﴾ أي لشدة من تلك الشدائد، ولا تدعون الله مع ذلك الغير ﴿ان كنتم صدقين ه﴾ أي في أن غير الله يغى شيئا حتى يستحق الإلهية، وجواب الشرط محذوف تقديره: فادعوا ذلك الغير، وهذه حجة ١٥ لا يسمعهم معها غير التسليم، فإن عادتهم كانت مستمرة أنهم إذا اشتد الأمر وضاق الخناق لا يدعون غير الله ولا يوجهون الهمم إلا إليه، فإن سلكوا سبيل الصدق الذي له يتحلون وبه يتفخرون فقالوا: لا ندعو غيره، فقد لزمهم الحجة في أنه لا يبدل به شيء ولا شريك له،

/ ١٩٨

(١) من ظ، وفي الأصل: مشير (٢) في ظ: دعايهم (-) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) في ظ: لا يستفهم - كذا (٥) في ظ: عدائهم - كذا.

و إن عانديا نطق^١ لسان الحال أنهم على محض الضلال، وإن سكتوا
 أثبت عليك الخطاب^٢، وهى مع ذلك - كما ترى - دليل على ما أخبرت
 به الآية^٣ قبلها من أن الأمر كله لله، أى إنكم كلكم مشتركون فى وضوح
 الأمر فى أنه لا منصرف إلا إليه^٤ وقد افترقم^٥ فصدق بعض^٦ وكذب
 آخرون، فلو أن الأمر موقوف على وضوح الدلالة فقط كان الكل على^٧
 نهج واحد، هذا ونقل أبو حيان عن العراء أنه قال: للعرب فى 'أرأيت'
 لثنتان ومعنيان: أحدهما أن تسأل^٨ الرجل: أرأيت زيدا^٩، أى بينك، فهذه
 مهموزة، وثانيهما أن تقول^{١٠}: أرأيت. وأنت تريد^{١١}: أخبرنى، فههنا^{١٢} ترك
 الهمزة إن شئت، وهو أكثر^{١٣} كلام العرب، وتسمى^{١٤} إلى ترك الهمزة للفرق
 بين المعنيين، ثم قال أبو حيان: وكون 'أرأيت' و'أرأيتك' معنى^{١٥}
 'أخبرنى' نص عليه سيويه وغيره من أئمة العرب، وهو تفسير معنى
 لا تفسير إعراب، لأن 'أخبرنى' يتعدى بمن، و'أرأيت' متعد^{١٦}
 لمفعول به صريح وإلى جملة استفهامية هى فى موضع المفعول الثانى؛ وقال
 (١) سقط من ظ (٢) فى الأصل: الخطاب، وفى ظ: الخفايب - كذا (٣) فى
 ظ: العادة (٤-٤) فى ظ: لا يتصرف إلا الله (٥) من ظ، وفى الأصل:
 احترقم - كذا (٦) من ظ، وفى الأصل: بعضهم (٧) من البحر المحيط ١٢٥/٤،
 وفى الأصل: يعمل، وفى ظ: أما إن قيل - كذا (٨) فى ظ:ريد (٩) من
 البحر، وفى لأصل وظ: بقول (١٠) فى البحر: قول - كذا (١١) فى ظ: وههنا.
 (١٢) فى ظ. الأكثر (١٣) من ظ والبحر، وفى الأصل: وقرئ (١٤-١٤) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (١٥-١٥) فى ظ: رأيت يتعدى - كذا.

في سورة يونس عليه السلام: تقدم في سورة الانعام أن العرب تضمن
 'أرأيت' معي 'أخبرني' وأنها تعدى^١ إذ ذاك إلى مفعولين، و^٢ أن
 المفعول الثاني أكثر ما يكون جملة استفهام، يعقد منها وما قبلها مبتدأ
 وخبر، يقول العرب: أرأيت زيدا ما صنع؟ المعنى: أخبرني^٣ عن زيد
 ٥ ما صنع! وقبل دخول^٤ 'أرأيت' كان الكلام: زيد ما صنع - انتهى.
 قلت: و حقيقة المعنى كما مر: هل رأيت زيدا؟ فلما استفهم عن رؤيته -
 والمراد الخبر لا البصر - علم أن السؤال عن بعض أحواله، فكأنه قيل:
 ما له؟ قليل: ما صنع؟

ولما كان استفهام الإنكار بمعنى النفي، كان كأنه قيل: لا تدعون^٥
 ١٠ غيره، فعطف عليه قوله: (بل اياه) أي خاصة (تدعون) أي
 حيثئذ؛ ولما كان يتسبب^٦ عن دعائهم تارة الإجابة وأخرى^٧ غيرها قال:
 (فيكشف) أي الله في الدنيا أو^٨ في الآخرة، فانه لا يجب عليه^٩ شيء،
 ولا يقبح منه شيء (ما تدعون اليه) أي إلى كشفه (ان شاء) أي
 ذلك تفضلا عليكم كما هي عادته معكم في وقت شدائدكم، ولكنه لا يشاء
 ١٥ كشفه في الآخرة، لانه لا يبدل القول لديه وإد كان له أن يفعل
 ما يشاء، ولو كان يبيحكم دائما وأتم لا تدعون غيره، لكان ذلك كافيا
 في الدلالة على اعتقادكم أنه لا قادر إلا هو، فكيف وهو يبيحكم في الدنيا

(١) من ظ، وفي الأصل: متعدى (٢) سقط من ظ (٣) تكرر في ظ (٤) في
 ظ: لا يدعون (٥) من ظ، وفي الأصل: تسبب (٦) من ظ، وفي الأصل:
 الأخرى (٧) في ظ هـ و (٨) من ظ، وفي الأصل: على.

إذا دھوتموہ^١ ستارۃ و یحیکم أخرى ، و^٢ مع ذلك^٣ فلا یردکم عدم إجابۃ عن
اعتقاد قدرۃ و دوام الإقبال علیہ فی مثل تلك الحال لما رکز فی العقول^٤
السلیمة و الفطر^٥ الأولى من أنه الفاعل المختار ، و علی ذلك دل قوله
عطما علی " تدعون " : (و تنسون) أى تتركون فی تلك الاوقات
دائما (ما تشرون ؟) أى من معبوداتکم الباطلة لعلکم أنها لا تقى ٥
شیئا ، كما هی عادتکم دائما فی أوقات الشدائد رجوعا إلى حال الاستقامة ،
أفلا یكون لکم هذا زاجرا عن الشرک فی وقت الرخاء خوفا من
إعادة الضراء^٦

ولما أقام لهم بهذه الآیۃ علی توحیدہ الدلیل حتى استنارت^٧ السبل^٨
فی تذکیرهم أن التضرع قد یکشف به البلاء ، أخبرهم أن ترکہ^٩ یوجب ١٠
/ الشقاء ، ترغیا فی إدامتہ و ترهیا من^{١١} مجانبته فقال : (و لقد ارسلنا^{١٢})
أى بما لنا من العظمة (إلى أمم) أى أناس یوم بعضهم بعضا ، و هم
أهل لأن یقصدہم الناس ، لما لهم من الکثرة و العظمة .

ولما کان المراد بعض الأمم ، و هم الذین أراد الله إسهادهم^{١٣} و قص^{١٤}
أخبارهم ، أدخل الجار فقال : (من قبلك) أى رسلا غالموهم ، و حسن ١٥
هذا الحذف^{١٦} کونه مفھوما (فاخذنهم) أى فكان إرسلنا^{١٧} إلیهم سیما

(١) فی ظ : دعوتکم (٢-٣) فی ظ : فی ذلك (٣) سقط من ظ (٤) فی ظ : الفکر .
(٥) فی ظ : استنار (٦) من ظ ، و فی الأصل : السبل (٧) فی ظ : ترکهم (٨) فی
ظ : فی (٩-١٠) فی ظ : شهادتهم و خص (١٠) من ظ ، و فی الأصل : الحدیث .
(١١) من ظ ، و فی الأصل : ارسلنا .

لأن أخذناهم بظلمتنا، ليرجموا عما زين لهم الشيطان إلى ما تدعوهم^١
إليه الوسيل (بالبأساء) من تسليط القتل عليهم (والضراء) بتسليط
الفقر والابواب (لعلهم يتضرعون) أي ليكون حالهم حاله من
يرجى خضوعه وتذلل على وجه يليق^٢، بما يرشد إليه - مع صيغة
التفعل^٣ - الإظهار، ولأن مقصودها الاستدلال على التوحيد، وعند
الكشف للأصول ينفي الإبلاغ في العبادة، بخلاف ما يأتي في الأعراف^٤.

ولما لم يقع منهم ما أوجبت الحال رجاءه، تسبب عنه الإنكار
عليهم، فقال معرا بأداة التخصيص ليفيد مع النفي أنهم ما كان لهم عذر
في ترك التضرع: (فلو لا) أي فهلا (اذ جاءهم بأسنا تضرعوا)
١٠ [ولما - °] كان معنى الإنكار أنهم [ما - °] تضرعوا قال:
(ولكن قست قلوبهم) أي فلم يذكروا ربه أصلاً (وزين لهم الشيطان)
أي مما دخل عليهم به^٥ من باب الشهوات (ما كانوا يعملون) من
الغشائم والمناكر إلى أوجبها النكس بالرد أسفل سافلين
(فلما نسوا ما ذكروا به) أي فتسبب^٦ - عن تركهم التذكير^٧ والاختذ
١٥ بفائدته التي هي التخنش والتسكر^٨، كما هو اللائق بهم لا سيما في
تلك الحالة - أنا (فتحنا) أي مما يليق بظلمتنا (عليهم ابواب كل شيء)
أي من الخيرات والأرزاق والملاذ التي كانت مغلقة عنهم وقلوبهم من

(١) في ظ: يدعوهم (٢) سقط من ظ (٣) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٤) راجع آية ٩٤ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ . وفي الأصل: مسب .
(٧) في ظ: التذكر (٨) في ظ: التمسك، وهو مرادف لما في الأصل .

الشدة إلى الرخاء، وذلك استدراجاً لهم، و مددنا زمانه و طولنا أيامه
 ﴿ حتى إذا فرحوا ﴾ أى تنامى بهم الفرح ﴿ بما أوتوا ﴾ أى مرضين
 عن آتاهم هذا الرخاء بعد أن كان ابتلاءم بذلك، فلم أنهم [فى ١]
 غاية من الغباوة، لا يرتدعون بالتأديب بسياط^٢ البلاء، ولا يتفخعون ببساط^٣
 المنة و الرخاء، بل ظنوا أن البلاء عادة الزمان، و الرخاء باستحقاقهم ٥
 الامتنان، فلم أن قلوبهم لا يرجى لها ابتلاء محار و لا بارد و لا رطب
 و لا يأس ﴿ احذنبهم ﴾ عظمنا، و إنما أخذناهم فى حال الرخاء ليكون
 أشد لتحسرم ﴿ بقتة ﴾ فلم نمكنهم^٤ من التضرع عند حقوق الأمر،
 و لا أمهلتهم أصلاً بل نزل عليهم من أقال العذاب، و أراح بهم من
 أحوال الشدائد و صروف البلايا ما أذهلهم و شغلهم عن كل شئ حتى ١٠
 جهتوا ﴿ فاذا هم مبلسون ٥ ﴾ أى تسبب عن ذلك البغت أن فاجأوا^٥
 السكوت على ما فى أنفسهم و اليأس تحسرا و تحميراً^٦، و استمروا
 بعد أن سکوا إلى أن همدوا رخصتوا^٧، ففى نقي^٨ التضرع عن المتقدمين
 بعد أن أثبتة لمشركى^٩ هذه الأمة استعطاف لطيف، و^{١٠} فى ذكر استدراج
 أولئك بالنعم عند سيان ما ذكروا به إلى ما أخذهم بقتة من قواصم^{١١} ١٥
 النعم غاية التحذير .

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) فى ظ : لم يمكنهم .
 (٤) من ظ و القرآن الكريم ، وفى الأصل : فاد (٥) زيد فى ظ : او (٦) فى
 ظ : تحميراً (٧) فى ظ : احقنوا - كذا (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، وفى
 الأصل : لمشرك (١٠) فى ظ : قواصم .

ولما كان من عادة الغالب من 'أهل الدنيا أن يغوثه آخر الجيوش
 وشدائهم' لملل أصحابه من الطلب وضجرهم من النصب والتعب وقصورهم
 عن الإحاطة بجميع الأرب ، أخبر تعالى أن أخذه على غير ذلك ، وأن
 قبله للآخر كنيته للأول على حد سواء ، فقال مسيلا عن الأخذ
 ٥ الموصوف مشيرا بالبناء للفعول إلى تمام القدرة ، وبالدار إلى الاستكمال :
 (قطع دار) أى آخر (القوم الذين ظنوا) أى يوضع الشيء فى
 غير موضعه دأب المائى فى الظلام ، وضوا لقسوة موضع الرقة/ الى /٢٠٠
 تدعو إليها الشدة ، وضعوا الفرح بالنعمة موضع الحشية من الرد إلى
 الشدة ، كما ظلمتم أنتم بدعاه الأصنام وقت الرخاء و كان ذلك موضع
 ١٠ دعاء من أفاض تلك النعم ، ودعوتهم الله وقت الشدة وكان ذلك موضع
 دعاء من عدتموه وقت الرخاء ، لتلا تقفوا فيما جرت عادتكم بالذم به .
 وإذا تكون كربة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب
 ولما كان استئصالهم من أجل العم على من عادوهم فيه من الرسل
 عليهم السلام وأتباعهم رضى الله عنهم ، نه على ذلك بالجملة مع ما يشير
 (١) سقط من ظ (٢) فى ظ : سداتهم - كذا (٣) من ظ ، وفى الأصل :
 محضهم (٤) فى ظ : البساء (٥) فى ظ : دات (٦) فى ظ : كل (٧) من ظ ،
 وفى الأصل : ذكر (٨) زيد بعده فى الأصل : افاض ، ولم تكن الزيادة فى
 ظ لحدوثها (٩) من ظ ، وفى الأصل : لتلا تقفوا (١٠ - ١٠) من اللسان ، وفى
 الأصل : يكون كربة ، وفى ظ : يكون كربة - كذا ، والبيت لهنى بن أحر
 الكثنانى ، وقيل : هو لزرافة الباهلى (١١) من ظ واللسان ، وفى الأصل :
 الحيين - كذا (١٢) من ظ ، وفى الأصل : بالحد .

إليه من ظهور الاستغناء المطلق فقال: ﴿ والحمد ﴾ أى قطع أمرهم كله والحال أن الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ لله ﴾ المتفرد بتعوت الجلال والجمال ﴿ رب العالمين ﴾ الموجد لهم أجمعين ، أى له^٢ ذلك كله^١ بعد فناء الخلق على أى صفة كانت من إيمان أو كفر ، كما كان له ذلك قبل وجودهم وعند خلقهم على كل من حالتهم - كما أشير إليه فأول السورة ، هـ فكأنه قيل : الكمال لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، ثم الذين كفروا بهم يعدلون ، فقطع دارهم ، والكمال له لم يتغير ، لأنه لا يزيده وجود موجود ، ولا ينقصه فقد مفقود ، فهو محمود حال الإعدام والمحق كما كان محمودا حال الإيجاد والخلق ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، فانه لا يخرج شئ^٣ عن^٤ إيمانهم^٥ ولا كفرانهم^{١٠} عن إرادته سبحانه ، فلا عليك منهم اقترحوا^٦ الآيات أو لا ، فانه ليس عليك إلا البلاغ .

ولما قدم التنبيه باتيان مطلق العذاب فى مطلق الأحوال ، وكان الإتيان بالكاف تيمم^٧ مشيرا مع إفادة التأكيد إلى أن تيمم^٨ نوع مهلة ، وأتبعه أن أخذ الأمم كان بغتة ، أعقبه التنبيه بمذاب خاص تصور^٩ شاعته يهدأ^{١٥} الأركان ويقطع الكبود ويملا الجنان ، فانه لا أشنع حالا من أصم أعمى مجنون ، فقال مشيرا - باسقاط كاف الخطاب مع التمييز بالأخذ الذى عهد أنه للنت بالسطوة والقهر - إلى غاية التحذير من سرعة أى^١

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لهم (٣-٢) من ظ ، وفى الأصل : بين من (٤) فى ظ : اجترحوا (٥) أى يقطع قطعاً مريئاً .

الآخذ^١ : (قل اريدتم) فكانت حقيقة المقترن بالكاف : هل رأيتم أنفسكم ، وهذا هل رأيتم مطلق رؤية ، لا تقدمت الإشارة إليه من الإيمان إلى طلب الإسراع بالجواب خوف المفاجأة بالعذاب وإن كان المراد في الموضعين : أخبروني (ان اخذ الله) أى القادر على كل شيء العالم بكل شيء (سمعكم) ه وأفرده^٢ لقلة المفاوئة^٣ فيه ، لأنه^٤ أعظم الطرق لإدراك القلب الذى لا أعظم من المفاوئة فيه حتى للانسان الواحد بالنسبة إلى الأحوال المختلفة ، ليكون ذلك أدل على الفعل بالاختيار (وابصاركم) أى فأصمكم وأعماكم صمى وصمما ظاهرين وباطنين بسلب المنفعة (وختم على قلوبكم) فجعلها لا تسمى أصلا أو لا يتنفع بالوعى (من اله) أى معبود بحق ، ١٠ لأن له^٥ إحاطة العلم والقدرة^٦ ثم وصف هذا الخبر بقوله : (غير الله) أى الذى له جميع العظمة (باتيكم به^٧) أى بذلك الذى هو أشرف معاني أشرف أعضائكم ، أو بشيء منه .

ولما بلغت هذه الآيات - من الإبلاغ فى البيان وفى وحدانيته وبطلان كل معبود سواه - أعلى المقامات ، نبه على أنه على ذلك ، بالامر بالنظر فيها وفى حالهم بعدها ، دالا على^٨ ما تقدم^٩ من أن المقترحات لا تنفع^{١٠} من أراد سبحانه شقاوته فقال : (انظر كيف نصرف) [أى - ٩] بما لنا من العظمة (الأيت) أى وحيها لهم ولنغيرهم فى كل وجه

(١) من ظ ، وفى الأصل : للاحذ (٢) من ظ ، وفى الأصل : أفرده .
(٣) - (٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ « و » .
(٦) تكررت فى ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : قدم (٨) فى ظ : لا يسمع (٩) ريد من ظ .

من وجوه البيان بالغ من الإحسان ما يأخذ بالقول ويدهش الألباب ،
ويكون كافيا في الإيصال إلى المطلوب ؛ ولما كان / الإعراض عن مثل
هذا في غاية البعد ، عبر بأداة التراخي فقال : (ثم هم) أى مد هذا البيان
بصميم ضمائرهم (يصدفون) أى يبرضون إعراضا لازما لهم لزوم الصفة .

ولما قرن الأخذ بالفت تارة صريحا وتارة إشارة بإسقاط الكاف ، ه
كان ربما وقع في وهم السؤال عن حالة الجهر ، أتبع ذلك ذكره مفصلا
لما أجمل من الأحوال في الآيتين قبل فقال : (قل اريدكم) ولما كان
المعنى : أخبروني ، وكان كأنه قيل : عما ذا ؟ قيل : (ان اتكم عذاب الله)
أى الذى له جميع صفات الكمال فلا يسجزه شيء (بقتة) أى بحيث
لا يرى إلا ملتبسا بكم من غير أن يشعر به ويظهر شيء من أماراته ، ١٠
(' او جهره ') أى بحيث ترونه مقبلا إليكم مقدما عليكم (هل) .

ولما كان الخوف بالذات هو الهلاك من غير نظر إلى تعيين الفاعل ،
بنى للفعل قوله : (يهلك) أى فى واحدة من الحالتين هلاكا هو الهلاك ،
٢ وهو هلاك السخط ٣ (الا القوم) أى الذين لهم قوة المدافعة وشده
المقاتلة في زعمكم والمقاومة (الظلول) أى يوضع الأشياء في غير مواضعها ١٥

من إعطاء الشيء لمن لا يستحقه ومنع المستحق ماله ، وأما المصلح
فانه ناج ٤ إما فى الدارين وإما فى الآخرة التى من " فاز فيها " فلا توى

(١) من ظ ، وفى الأصل : تصميم (٢) فى ظ : الصعد - كذا (٣ - ٢) سقط
ما بين الرقيين من ظ (٤ - ٤) تأخر ما بين الرقيين فى ظ عن " مقدما عليكم " .
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : باح - كذا (٧ - ٧) فى ظ :
فاوتها - كذا .

عليه ، وذكر أبو حيان [أنه - ١] لما كان مطلق العذاب صالحا لكل ما يعلم من تفاصيل أهواله وما لا يعلم ، كان التوعد به أهول^٢ ، فذلك أكد فيه في الآيتين الخطاب بالضمير محرف الخطاب ، والتوعد بأخذ السمع وما معه من جملة الأنواع التي اشتمل عليها ذلك المطلق^٣ فأعرى من حرف الخطاب ٥

ولما كان ذلك كله في منازلة من كذب الرسل ، وأعرض عما أرسلهم به رهم من الآيات التي ما^٤ منها إلا^٥ ما آمن على مثله البشر ، وطلب منهم^٦ ما لا يقدر عليه إلا مرسلهم من الإتيان بغير ما أتوا به من الآيات ، بين لهم حقيقة الرسالة إشارة إلى ظلمهم في طلبهم من الرسل ١٠ ما لا يطلب إلا من الإله ، فقال عاطفا على " ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك " . ﴿ وما أرسل ﴾ أي^٧ ما لنا من العظمة ﴿ المرسلين ﴾ أي نوجد هذا الأمر في هذا الزمان و كل زمان من الماضي^٨ وغيره ﴿ الالمبشرين ﴾ لمن أطاع ﴿ ومنذرين ﴾ لمن عصى ، عريقين في كل من الوصفين ، لا يجيبين^٩ إلى ما يقترح الأمم ، لا معدين لمن يعاندهم ، ثم سبب عن ذلك غاية الرسالة من " الفع و الضر " فقال :

﴿ فز امن ﴾ أي تصديقا لإيمانه ﴿ فلا حوف عليهم ﴾ أي في الدنيا ولا في الآخرة ، أما في الآخرة فواضح ، وأما في الدنيا (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : أهون (٣) سقط من ظ (٤) و ظ : منه (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ ، وفي الأصل : محسنين . (٧ - ٧) من ظ ، وفي الأصل : الضر والنفع .

القائنة فلأن خوفهم فيها^١ يزيد أمنهم في الآخرة الباقية ، فهو إلى فناء
ثم إلى سرور دائم ، فهو عدم (ولا هم يحزنون *) أى حزنا يضر^٢
بحياتهم^٣ الأبدية .

ولما بين حال المصلحين ، أتمه حال المفسدين فقال : (والذين كذبوا
بآياتنا) أى على ما لها بنسبتها إلينا من العظمة (يمسهم العذاب) أى الدائم *
المتجدد ، وكفى عن قره^٤ بأن جعل له قوة المس ، كأنه يحيى مريد^٥
فقال : (بما كانوا) أى جلة وطما (يفسقون *) أى يديمون
الخروج مما ينبغي الاستقرار فيه من الإيمان وما يقتضيه ، وأما الفسق
العارض فإن صاحبه يصدر التوبة منه فيعفى عنه .

ولما بين وظيفة الرسل ، وقسم المرسل إليهم ، أمره بنفى ما يتسبب^٦
عنه قولهم من أن البشر لا يكون رسولا ، واقتراحهم عليه الآيات من
ظن قدرته على ما يريد ،^٨ أو أن كل ما يقدر عليه يديه لهم^٩ ، أو إلزامه
بذلك^{١٠} ، منها لهم على وجه ظلهم بلفظهم أو عنادهم فقال : (قل)
[أى - ١٠] فى جواب قولهم " لو لا أزل عليه آية " ونحوه .

ولما [لم - ١٠] يكى لهم عهد بأن بشرى يكون عنده الخزان ، ١٥

يتصرف فيها بما يريد ، و كان يأتيهم من الآيات من انشقاق القمر / ٢٠٢

- (١) سقط من ظ (٢) من ظ . وفى الأصل : يصير (٣) فى ظ : بحياتهم - كذا .
(٤) فى ظ : التجرد (٥) من ظ ، وفى الأصل : قوته (٦-٦) من ظ ، وفى
الأصل : مريد حتى (٧) فى ظ : يفسد (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) زيد
بعده فى ظ : منها (١٠) زيد من ظ .

ومشى الشجر وكلام الضب والحجر ونبع الماء والحراسة بشواظ
 النار وحل الجبال ومحو ذلك مما هو معلوم في دلائل النبوة بما ربما
 أوقع في ظنهم أن لازمه دعواه لآله يملك الخزائن، فكانوا يقترحون
 عليه الآيات الدالة [إلزاما له - ٢] بذلك لقصد التكذيب. نفى ما ظنوا
 ٥ أنه يلزمه دعواه فقال: ﴿لَا أقول لكم﴾ أى الآن ولا فيما يستقبل
 من الزمان، ولما كان تعالى قد أعطاه مفاتيح خزائن الأرض، فأبأها
 تواضعا لله سبحانه، قيد بقوله "لكم" إصاها لما يخبر به المؤمنين من ذلك
 ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم، وأما الكفرة فإن إخبارهم بذلك مما يفرهم
 على الاقتراحات استهزاء فلا فائدة له ﴿عندى خزائن الله﴾ أى الملك
 ١٠ الأعظم الذى له الفنى المطلق والعزة البالغة، فلا كفوء له أى^٢ فأتيكم
 ما تقترحون^٥ من الآيات وما تشتهونه^٦ من الكنوز وما^٧ تستهزؤن به^٨
 من العذاب، وإنما الخزائن بيده، يفعل فيها ما يشاء.

ولما كانوا يعهدون أن بعض البشر من الكهان يخبرون بشيء من
 المغيبات، وكان الكهان يخططون الصق بالكذب، وكان النبي صلى الله
 ١٥ عليه وسلم يخبرهم بمغيبات كثيرة فيكون كما قال دائما لا خلف في شيء
 منها ولا زيادة ولا نقص، فصاروا يظنون أنه يعلم الغيب، ولكنهم
 (١) في ظ: وقع (٢) ريد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) في ظ: وإبأها (٥) في
 ظ: يقترحون (٦) في ظ: يشتهوه (٧-٧) في الأصل: يشتهون به، وفي ط:
 يستهزونه - كذا.

يظنونه من آيات' الكهان حتى أطلقوا عليه أنه كاهن، فكانوا يسألوه
عن وقت العذاب الذى يتوعدهم به وعن غيره، لعلهم^٢ يظفرون عليه^٣
بشيء مما يقوله الكهان ولا يكون، فيعدونه عليه؛ نفى ما ظنوه غيره
على هذا المقام أن ينسب^٤ إلى غير مالكة الذى لا يجوز أن يكون
لغيره، فقال نافيا له من أصله، لا للقول فقط كما فى سابقه ولاحقه، هـ
عاطفا على "لا" أقول" لا على "عندى": (ولا أعلم الغيب)
أى فأخبركم بوقت الفصل ييسى وبينكم من مطلق العذاب أو قيام
الساعة، فإن هاتين الحالتين - ملك الخزان وعلم الغيب - ليستا^٥
إلا لمرتبة^٦ الألوهية، وإنما لم أدع الأول كما أزمتموني هـ، ولا اتصفت
بالثاني بما ظنتم .

١٠

ولما كانوا يظنون أن الرسول لا يكون إلا ملكا، فكانوا يلزمونه
بدعواه الرسالة دعوى الملائكة ليلزموه بذلك ادعاء ما^٧ هو ظاهر البطلان،
قال: (ولا أقول) أى بدعوى الرسالة، ولما كان صلى الله عليه وسلم
أعلى^٨ الأنبياء صفاء وأ نورهم قلبا وأشد^٩ في كل هدى إضاءة وأ أقام
من نقائص البشر، و كان هذا أمرا من الله له؛ قيد بقوله: (لكم) ١٥
إفهاما لأنه "لا يتمتع" عليه أن يقول ذلك، بل لو قاله كان صادقا،

(١) فى الأصل: نابه، وفى ظ: آياته - كذا (٢-٢) من: ظ، وفى الأصل:
يظفرون عليهم (٣) من: ظ، وفى الأصل: يسب - كذا (٤) سقط من: ظ .
(٥) فى ظ: «و» (٦) فى ظ: ليسا (٧) فى ظ: رتبة (٨) فى ظ: على (٩) من
ظ، وفى الأصل: اسدهم (١٠-١٠) فى ظ: يجمع .

و مثله كثير في مجازاتهم و مجارى عاداتهم^١ [في محاوراتهم - ٢] ، و أما إسقاط " لكم " في قصة نوح من^٢ سورة هود^٣ عليها السلام فتواضعا منه لكونه من قوله ، من غير تصريح بأستاد الامر فيه إلى الله تعالى (انى ملك^٤) فأقوى على الأفعال التى تقوى^٥ عليها الملائكة من التحرز^٦ عن المأكول هـ و المشرب و غيرهما من أفعال الملائكة .

فلما اتقى عنه ما ألزمه به و [ما - ٧] ظنوه فيه من كونه إلها أو ملكا ، انحصر الامر في أنه رسول واقف عند ما حده له مرسله ، فقال على وجه النتيجة : (ان) أى ما (اتبع) أى بغاية جهدى (الا ما يوحى^٨ الى^٩) أى ما رتبى إلا امثال ما يأمرنى به ربى في هذا القرآن الذى ١٠ هو - بحزمكم عن معارضته - أعظم شاهد لى ، ولم يوح إلى فيه أن أقول شيئا مما تقدم فيه ، و أوحى إلى لآنفركم به خصوصا ، و أنذر به كل من بلغه عموما ، و ذلك / غير منكر في^{١٠} العقل ولا مستبعد^{١١} بل قد وقع الإرسال لكثير من البشر ، و قد قام على ثبوته لى^{١٢} واضح الدلائل و ثابت الحجج و قاطع البراهين ، فان كان فيه الإذن لى^{١٣} بإبراز خارق ١٥ أرزته ، و ان كان فيه الإعلام بمغيب أبعده ، و إلا اقتضت على الإبلاغ

(١) من ظ ، و في الأصل . عاداتهم (٢) زيد من ظ غير أن فيه : مجاوزاتهم (٣) من ظ ، و في الأصل : في (٤) راجع آية ٣١ (٥) من ظ ، و في الأصل : تعول (٦) في ظ : التجرد (٧) زيد من ظ (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و في الأصل : مستبعدا (١٠) في ظ : الى .

مع التحدى ، و هو مخبر بأن الله - الذى ثبت بجزمكم عن معارضة أنه قوله - شاهد لى بصحة الرسالة و صدق المقالة .

ولما ثبت بهذا أنهم عمى الابصار، والبصار، لا يهتدون إلى ما ينفعهم ، ولا يقدرن على إغاثم خصم ولا التفتى عن وهم ولا وصم ، بل هم كالمالك بين المهالك ، يقين بادئ بدته فى دعواه الحكمة زوره ٥ و كذبه و لجوره لا تباع الهوى الذى هو أذوا [أدواء - ٢] ، ٢ وأنه ٢ صلى الله عليه وسلم أبصر البصراء و أحكم الحكماء لا تباعه علام الغيوب ، و كان موضع أن يقال : ما يوحى إليك فى هذا المقام ؟ قال على وجه التبكيت لهم : (قل) أى لكل من يسمع ٢ قولك بعد هذا البيان الفاتت لقوى الإنسان (هل يستوى) أى يكون سواء من غير مرة ١٠ (الاعمى و البصير) ٢ فان قالوا : نعم ، كابروا الحس ، و إن قالوا : لا ، قيل : فن تبع هذه الآيات الجليات فهو البصير ، و من أعرض عنها فهو العمى ، و من سوى بين الخالق و بين شيء من خلقه فهو أعمى العمى ، ثم أمره بعد الإنكار للتسوية بينهما بأن ينكر عليهم فساد نظرم و عمى فكرهم بقوله : (افلا تفكرون) ٢ أى فإردكم فكركم ٢ عن هذه الضلالات ١٠ . ١٥ و لما أمره ٢ بتوبيخهم ، أمره - عاطفا على قوله " قل " - بالإنذار ٢ على وجه مخز لهم أيضا فقال : (وانذر به) ٢ أى بما يوحى إليك ، و لبس المراد تخصيص الإنذار بالخائف ، بل الإشارة إلى جلاقتهم و عظيم بلادتهم

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٣) في ظ : به (٤) سقط من ظ (٥) في ظ : الضلالة (٦) في ظ : امرهم (٧) في ظ : بالإنكار .

و كائنهم في عدم تمييز الجائز الذي هو أهل لأن يخافه كل واحد^١
بقوله: ﴿الذين يخافون﴾ أى تمييزا للجائز عقلا وعادة .

ولما كان المرهوب الحشر نفسه، لا يقيد كونه من^٢ معين؛
بنى للفعول قوله: ﴿ان يحشروا﴾ أى يجمعوا وهم كارهون ﴿الى ربهم﴾
هـ أى^٣ المحسن إليهم بالإيجاد والترية مع التخصير في الشكر، حال كونهم
﴿ليس لهم﴾ وأشار إلى تحقير ما سواه وسفوله بالجاء فقال:
﴿من دونه﴾ أى من المنزلة التي هي تحت منزلته، ومن المعلوم أن
كل شيء تحت^٤ قهر عظمته ومتضائل^٥ عن رتبته، ليس لهم ذلك،
أى^٦ على وجه الانفراد أو^٧ التوسل ﴿ولى﴾ يتولى أمورهم فينقذهم
١٠ قهرا بما يخافون ﴿ولا شفيع﴾ ينقذهم بحسن سفارته^٨ وعظيم رتبته
وترتيبه ﴿لعلهم يتقون هـ﴾ أى ليكون حالهم حال من يرجى أن يحمل
بينه وبين عذاب الله وقاية .

ولما أمره بدعاء من أعرض عنه وبجأهرته، أمره بحفظ من تبعه
وملاطفته، فقال: ﴿ولا تطرد الذين يدعون﴾ وهم الفقراء من
١٥ المسلمين ﴿ربهم﴾ أى المحسن إليهم عكس ما عليه الكفار في دعاء
من لا يملك لهم ضرا ولا نفعا، ثم بين من حالهم من الملازمة ما يقتضى
الإخلاص فقال: ﴿بالغدوة والعشى﴾ أى في طرق النهار مطلقا

(١) في ظ: احد (٢) سقط من ظ (٣) أى مقاصر، وفي الأصل: متصايل،
وفي ظ: مصال - كذا (٤) من ظ، وفي الأصل: بهم (هـ) في ظ: هـ وهـ .
(٦) في الأصل: سفار به، وفي ظ: شعاعته - كذا .

أو بصلاتيهما أو يكون كناية عن الدوام ، ثم أتبع ذلك نتيجة^١ فقال
معبرا عن الذات بالوجه ، لأنه أشرف - على ما تعارفه^٢ - وتذكره
يوجب التعظيم و يورث الحجل من التقصير : (يريدون وجهه^٣) أى^٤
لأنه لو كان رياء^٥ لاضمحل على طول الزمان و تناوب الحدثان
باختلاف الشأن .

•

ولما كان أكابر المشركين وأغنياؤهم قد وعدوه صلى الله عليه وسلم
الاتباع إن طرد من تبعة من يأتون^٦ من مجالستهم^٧ ، وزهدوه فيهم
فقروهم وأنهم غير مخلصين في اتباعه ، إنما دعاهم إلى ذلك الحاجة ،
بين له تعالى أنه لا حظ له في طردهم ولا في اتباع أولئك بهذا الطريق

/ إلا من جهة الدنيا التي هو^٨ مبعوث للتفكير عنها ، فقال معللا لما مضى ١٠ / ٢٠٤
أو مستأثرا : (ما عليك) قدم الآم عنده وهو تحمله (من حسابهم)
وأغرق في النقي فقال^٩ : (من شيء) أى ليس لك إلا ظاهرهم ،
وليس عليك شيء من حسابهم ، حتى تعاملهم بما يستحقون في الباطن
من الطرد إن كانوا غير مخلصين (وما من حسابك) قدم أمم^{١٠} ما إليه
أيضا (عليهم من شيء) أى وليس عليهم شيء من حسابك فتخشى ١٥
أن يحيفوا^{١١} عليك فيه على^{١٢} تقدير غشهم^{١٣} ، أو ليس عليك^{١٤} من رزقهم

(١) من ظ ، وفي الأصل : ملجية - كذا (٢) في ظ : يتعارفه (٣) سقط من ظ .

(٤) - (٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) في ظ : فاصون - كذا (٦) من ظ ،

وفي الأصل : لستهم - كذا (٧) في ظ : هي (٨) من ظ ، وفي الأصل : صار .

(٩) من ظ ، وفي الأصل : يخففوا (١٠) من ظ ، وفي الأصل : عتهم - كذا .

(١١) من ظ ، وفي الأصل : لك .

شيء فيثقلوا به عليك ، وما من رزقك عليهم من شيء فيضعفوا عنه
 لعقرهم ، بل الرزاق لك^١ ولهم الله^٢ ثم أجاب النبي مسيئا عنه فقال :
 ﴿ فطردهم ﴾ أى فتسبب عن أحد الشيتين^٣ طردك لهم ليقبل عليك
 الأغنياء فلا يكلفوك ما كان أولئك يكلفونك^٤ ، وإن كلفتهم ما كان
 أولئك عاجزين عنه أطاقوه^٥ والحاصل أنه يجوز أن يكون معنى جلتى
 ” ما عليك من حسابهم “ - إلى آخرهما راجعا إلى آية الكهف ” ولا تعد
 عينك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا “ فيكون المعنى ناظرا إلى الرزق ،
 يعنى أن دعاءك إلى الله إنما مداره الأمر الآخرى ، فليس شيء من
 رزق هؤلاء عليك حتى تستمر بهم . ترغب في الأغنياء ، ولا شيء
 ١٠ من رزقك عليهم فيعجزوا^٦ عنه ، وفى اللفظ من كلام أهل اللغة
 ما يقبل هذا المعنى^٧ قال [صاحب -^٨] القاموس وغيره : الحساب : الكافي ،
 ومنه ” عطاء حسابا “ وحسب فلان فلانا : أطعمه وسقاه حتى شبع
 وروى ؛ ^٩ قال أبو عبيد الهروى : يقال : أعطيته فأحسبته ، أى أعطيته
 الكفاية حتى قال : حسى^{١٠} ، وقوله ” رزق من يشاء “ بغير حساب “
 ١٥ أى بغير ” تقدير و تضيق “ ، وفى حديث سماك : ما حسبوا ضيفهم ،
 (١) من ظ ، وفى الأصل : ذلك (٢) من ظ ، وفى الأصل : اسين - كذا .
 (٣) فى ظ : يكلفونكه (٤) آية ٢٨ (٥) فى ظ : يستعمل - كذا (٦) من ظ ،
 وفى الأصل : متعجزوا (٧) زيد من ظ (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : حسنى .
 (١٠ - ١٠) من ظ وفى الأصل : رزق من نشاء ، وقد ورد فى عدة مواضع
 من القرآن بالنية (١١ - ١١) من ظ ، وفى الأصل : تعب و لصق - كذا .

أى ما أكرموه ، وقال ابن فارس فى المجلد : وأحسبه : أعطيته ما يرضيه .
وحسبه أيضا ، وأحسبى الشيء : كفاى .

ولما نهى عن طردهم مينا أنه ضرر لغير فائدة ، سبب عن هذا
النهى قوله : ﴿ فتكون من الظالمين ٥ ﴾ أى بوضعك الشيء فى غير محله ،
فإن طردك هؤلاء ليس سببا للإيمان أو لك ، وليس هدايتهم إلا إلينا ،
وقد طلبوا منا فىك لما فتاهم بتخصيصك بالرسالة ما لم يخف عليك من
قولهم " لو لا أنزل عليه ملك " و يحوه بما أرادوا به الصرف عنك ، فكما
لم يقبلهم^٢ فىك فلا يقبلهم أنت فى أولياتنا ، فإنا فتاهم بك حتى سألوا
[فىك ما سألوا -^٢] و تمنوا [ما تمنوا -^٢] ﴿ وكذلك ﴾ أى و مثل
ما فتاهم بارسالك ﴿ فتنا ﴾ أى فعلنا فعل المختبر قسرا بما لنا من العظمة ١٥
﴿ سنعهم ببعض ﴾ بالتخصيص بالإيمان و النفسى و الفقر و نحو ذلك
﴿ ليقولوا ﴾ أى إنكارا لأن تفضل غيرهم عليهم احتقاراهم و استصغارا
﴿ هؤلاء ﴾ أى الذين لا يساهبوننا بل لا يقاربوننا فى خصلة^٣ من
خصال الدنيا ﴿ من الله ﴾ أى على جلاله^٤ و عظمه ﴿ عليهم ﴾ أى
وفهم لإصابة الحق و ما يسعدهم عنده و هم فيما زى من الحقارة ١٥
﴿ من يئنا ﴾ قالاية^٥ ناظرة إلى ما بآتى فى هذه السورة من قوله تعالى
" حتى توتى مثل ما أوتى رسل الله " .

(١) فى ظ : بغير (٢) فى ظ : لم يقبلهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل :
إنكار (٥) فى الأصل : الله ، وفى ظ : الذى - كذا (٦) من ظ ، وفى الأصل :
حصه (٧) فى ظ : حلا - كذا (٨) سقط من ظ .

ولما كان الإنكار لا يسوغ إلا مع نهاية العلم بمراتب المفضلين،
وأن المفضل لا يستحق التفضيل من الوجه المفضل به، أنكر إنكارهم
بقوله: ﴿ليس الله﴾ أى الذى له جميع الامر، فلا اعتراض عليه
﴿باعلم بالشكرين﴾ أى الذين يستحقون أن يفضلوا لشكرهم على
غيرهم لكفرهم.

ولما نهى صلى الله عليه وسلم عن طردهم، علمه كيف يلاطفهم فقال
[عاطفا على ما تقديره: وإذا جاءك الذين يحتقدون الضعفاء من عبادى
فلا تحفل بهم - ٢]: ﴿وإذا جاءك﴾ وأظهر موضع الإضمار دلالة
على الوصف الموجب لإكرامهم / و تسميا لغيرهم فقال: ﴿الذين يؤمنون﴾
٢٠٥ / أى هم أو غيرهم أغنياء كانوا أو فقراء، وأشار بمظهر العظمة إلى أنهم
آمنوا بما هو جدير بالإيمان به فقال: ﴿بآيتنا﴾ على ما لها من العظمة
بالنسبة إلينا ﴿قل﴾ أى لهم بأدنا بالسلام إكراما لهم وتطيبا لخوارطم
﴿سلم عليكم﴾ أى سلامة منى ومن الله، وسكره لما يلحقهم فى الدنيا
من المصائب: ثم علل ذلك بقوله: ﴿كتب ربكم﴾ أى المحسن إليكم
١٥ ﴿على نفسه الرحمة﴾ ثم علل ذلك [بقوله - ٣] و" استأنف بما حاصله
أنه علم من الإنسان نقصان، لأنه طبعه على طبائع الخسران إلا من جعله
موضع الامتنان فقال: ﴿انه من عمل منكم سوّا﴾ أى أى سوء كان
(١) فى ظ: الفصلين - كذا (٢) فى ظ: فلا تجعل - كذا (٣) زيد ما بين
الحاجزين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: لنا (٦-٦) سقط ما بين الرتين
من ظ (٧) فى ظ: او (٨) فى ظ: الامتحان.

ملتبسا (بجمالة) أى بسفه أو بخفة وحركة أخرجه عن الحق والعلم حتى كان كأنه لا يعلم شيئا (ثم تاب) أى رجع بالتدب والإقلاع وإن طال الزمان ، ولذا ' أدخل الجار فقال^٢ : (من بعده) أى بعد ذلك العمل (واصلح) بالاستمرار على الخير (فانه) أى ربكم بسبب هذه التوبة يغفر له لانه دائما (غفور) أى بالغ السر والنجوى لما كان من ذلك (رحيم^٣) يكرم من تاب هذه التوبة بأن يجعله كمن أحسن بعد أن جعله بالغفر كمن لم يذنب ، ومن أصر وأفسد فانه يعاقبه ، لانه عزيز حكيم ، وربما كانت الآية ناظرة^٤ إلى [ما - ٦] قذفهم به المشركون من عدم الإخلاص ، ويكون حيث ذكر مرشحا لأن المراد بالحساب المحاسبة على الذنوب .

١٠

ولما أتى في هذه السورة وما قبلها بما أتى من عجائب التفاصيل لجميع الأحوال متضمنة واضح الدلالات و باهر الآيات البينات ، قال عاطفا على " و كذلك فتنا " عطفاً للضد على ضده ، فان في الاختبار نوع خفاء : (وكذلك) أى^٥ ومثل^٦ ذلك الفتن بإيراد بعض ما فيه دقة وخفاء من بعض الوجوه لتضل^٧ من نشاء ، فيتميز الضال من المهتدى^٨ (ففصل الأيت) التى زيد بيانها ليتضح سبيل المصلحين فيتبع (ولتستبين) أى تظهر ظهورا بينا (سبيل المجرمين) فتجنب ، وخص هذا بالذكر وإن كان يلزم منه بيان الأول ، لأن دفع المفاسد أهم .

(١) فى ظ : كذلك (٢) فى ظ : فى قوله (٣) زيد الواد بعده فى ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : ظاهرة (٦) زيد من ظ (٧ - ٨) سقط ما بين الرقعتين من ظ . (٨) فى ظ : فضل .

ولما كان محط حالهم في السؤال طرد الضعفاء قصد اتباع أهوائهم، أمره تعالى بأن يخبرهم أنه مبان لهم - لما^١ ين له بالبيان الواضح من سوء عاقبة سيلهم - مبينة لا يمكن معها^٢ اتباع أهوائهم، وهي المبينة في الدين فقال^٣: ﴿قل اني نهيت﴾ أى عن له الامر كله ﴿ان اعبد الذين تدعون﴾ أى تعبدون بناء منكم على^٤ محض الهوى والتقليد في أعظم أصول الدين، و [حقر أمرهم و-] [٥] بين سفول^٦ رتبهم بقوله^٧: ﴿من دون الله﴾ أى الذى لا أعظم منه، فقد وقعت في ترك الأعظم ولزوم الدون^٨ الذى هو دونكم في أعظم الجهل المؤذن سعى القلب مع الكمر بالحس، فبايتى مبناها على المقاطعة^٩، فكيف تطمع^{١٠} في متابعة^{١١} ثم أكد ذلك بأمر آخر دال على أنه لا شبهة لهم في عاداتهم فقال: ﴿قل لا اتبع أهواءكم﴾ أى عوضا عما أنا عليه من الحكمة الالفة المؤيدة^{١٢} بالبراهين الساطعة والأدلة القاطعة.

ولما كان من المعلوم أن الهوى لا يدعو إلى هدى، بل إلى غاية الردى، حقق ما أفهمته هذه الجملة بقوله: ﴿قد ضللت اذا﴾ أى إذا اتبعت أهواءكم^{١٣}، ولما كان الضال قد يرجع^{١٤}، بين أن هذا ليس كذلك، لعراقتهم في الضلال، فقال معمرا بالجملة الاسمية^{١٥} الدالة على الثبات:

(١) فى ظ . ما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : من (٤) زيد من ظ (٥-٥) فى ظ : بسفول (٦) فى ظ : فقال (٧) فى ظ : الدين (٨) من ظ . وفى الأصل : المقاطعة . (٩) من ظ . وفى الأصل : لطمع (١٠) فى ظ : المودية - كذا (١١) فى ظ : رجع (١٢) زيد بعده فى ظ : ضالة .

(وما آتانا) أى إذ ذاك على شيء من الهداية لأعد (من المبتدئين) .

وما كان طلبهم للآيات - أى / العلامات^١ الدالة على الصدق تارة بالرحمة فى إنزال الأنهار والكنوز و^٢ إراحة الحياة^٣ ، و تارة بالعذاب من إيقاع الساء عليهم كسفا ونحو ذلك - ليس فى يده ولا عنده تعين وقت نزوله ، وأمره هنا أن يصرح لهم بالمباينة^٤ و يؤسهم من الملاينة ما داموا على المداينة ، أمره^٥ "بأن يخبرهم" بما هو متمكن فيه من النور وما هم فيه من العمى بقوله : (قل ائى) وأشار إلى تمكنه فى الأدلة الظاهرة والحجج القاهرة بحرف الاستعلاء فقال : (على بينة) أى إن^٦ العدو إنما يصانع عدوه إما لعدم الثقة بالنصرة عليه وتغذيه ببدائنه ، و - [٧] إما لعدم وثوقه بأنه على الحق ، وأما أنا فوافق بكلا الأمرين (من ربى) أى المحسن إلى بارسالى بعد الكشف التام لى عن سر^٧ الملك والملوك (و) الحال أنكم (كذبتم به^٨) أى ربى حيث رددتم رسالته فهو مستقم منكم لا محالة .

ولما قيل ذلك ، فرض أن لسان حالهم قال : فائقنا بهذه البينة !

فقال : إن ربى تام القدرة ، فلا يخاف الفوت فلا يعجل ، وأما أنا فمبذ (ما عندى) أى [فى - ٧] قدرتى وإمكانى (ما تستعجلون به^٩) أى فى قولكم "امطر علينا حجارة من السماء" ونحوه حتى أحكم فيكم^{١٠} بما يقتضيه

(١) فى ظ : العلامات (٢-٣) فى ظ : إراحة الجبال - كذا (٢) من ظ ، وفى الأصل : المباينة (٤) فى ظ : أمرهم (٥-٥) من ظ ، وفى الأصل : بأنا نخبرهم .
(٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : شرك .

طبع البشر من العجلة^١ (ان) أى ما (الحكم) فى شئ من الاشياء
 هذا وغيره (الاقه^٢) أى الذى له الامر كله فلا كفوء له، ثم استأنف
 قوله ميئنا أنه سبحانه يأتى بالامر فى الوقت الذى حده^٣ له على
 ما هو الالىق به من غير قدرة لاحد غيره على تقديم ولا تأخير
 ٥ قال: (يقض^٤) أى يفصل وينفذ بالتقديم والتأخير، وهو
 معنى قراءة الحرمين وعاصم "يقض" أى يقطع القضاء أو القمص
 (الحق) ويظهره ويفصله من الباطل ويوضحه، ايتبعه من قضى بسعاده،
 ويتنكب عنه من حكم بشقاوته (وهو خير الفصلين^٥) لانه إذا أراد
 ذلك لم يدع لبسا لمن يريد هدايته، وجعل فى ذلك الظاهر سببا لمن
 ١٠ يريد ضلالتة، ثم أكد ذلك لمن زاد قلبه فى الجلافة ميئنا ما فى غيره
 من^٦ وخيم العاقبة فقال: (قل لو ان عندى) أى على سبيل الفرض^٧
 (ما تستعجلون به) أى من العذاب (لقضى) و بناء للفعول لأن
 الخوف إنما هو الإهلاك^٨، لا كونه من معين (الامر بينى وبينكم^٩)
 أى فكنت أهلك [من -^{١٠}] خالفنى^{١١} غضبا لربى بما^{١٢} ظهر لى منه من التكبر
 ١٥ عليه، وقد يكون فيهم من^{١٣} كُتِبَ فى ديوان السعداء، لكنه لم يكن الامر

(١) زيد بعده فى الأصل: ما عندى ما تستعجلون به أى حتى احكم فيكم، ولم تكن
 الزيادة فى ظ لخذفها (٢) فى ظ: حد (٣) فى ظ: يقضى - كذا بائيات الياء
 والصواب ما فى الأصل، وقال فى روح المعاني ٢/ ٤٨٩: وحذفت الياء فى
 الخط تبعا لخذفها فى اللفظ لانتفاء الساكنين (٤) فى ظ: شيها (٥) سقط من ظ.
 (٦) فى ظ: المهلاك (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، وفى الأصل: خالفين.
 (٩) فى ظ: لا.
 (١٠) فى ظ: لا.

إلى لأنى لا أعلم الظالم عند الله من غيره ، فليس الأمر إلا إلى الله ،
لأنه أصل المتصفين فينجيهم (والله) أى الذى له الكمال كله
(اعلم بالظلمين) أى المكتوبين فى ديوان الظلة فيهلكهم .

ولما كانت هذه الآيات مثبتة لجزئيات من علمه تعالى وقدرته ، وكان
ختامها العلم بالظالم وغيره ، أتبعها الاختصاص بما هو أعم من ذلك ، وهو هـ
علم مفاتيح الغيب الذى لا يصل إليه إلا من سازما ، إذ لا يطلع على
الحزائن إلا من فتحها ، ولا يفتحها إلا من حاز مفاتيحها وعلم كيف
يفتح بها ، فثبت ذلك فى هذا الأسلوب من باب الرقية فى مراقى
الاعتقاد من درجة كاملة إلى أكل منها ، فقال عاطفا على معنى ما سبق ،
وهو : فنده خاصة^١ جميع ذلك : (وعنده) أى وحده (مفاتيح الغيب) ١٠
[أى - ٢] التى لا يدرك الغيب إلا من عليها .

ولما كان معنى ذلك الاختصاص ، صرح به فى قوله :
(لا يعلمها إلا هو) ونخصيصها بالنق دون الحزائن دال على ما فهمته
من أن التقيد [فيها - ٢] بـ " لكم " يفهم أنه يجوز / أن تقول ذلك للؤمنين .

٢٠٧ /

ولما ذكر علم الغيب ، أتبعه علم الشهادة ، لأن القضايا العقلية ١٥
المحصنة يصعب تحصيل العلم^٢ بها على سبيل التمام إلا للكُمَّل من الأنام

(١) فى ظ : حاصله (٢) ريد من ظ (٣) فى ظ : الذى (٤) فى ظ : يقول (هـ) زيد
بعده فى الأصل : ما يعم الثابت والمتنقل ، خص المتنقل تنقيصا على الجزئيات
و تعظيما للعلم بعظم المعلومات ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذلناها ، وستاقى فى
موضعها الأبقى بها (٦) سقط من ظ .

الذين^١ تهمدوا فعودوا^٢ استحضار المعقولات المجردة، و القرآن إنما أنزل
لنفع^٣ جميع الخلق : الذكى منهم و النبى^٤، فكان ذكر المحسوسات الداخلة
تحت القضية العقلية الكلية معينا على تصور ذلك المعقول و رسوخه في
القلب، فقال مؤكدا لهذا المعقول الكلى المجرد بمثال^٥ داخل تحته^٦ يجرى
هـ مجرى المحسوس، و عطفه بالواو عطف الخاص على العام إشارة إلى
تعظيمه فقال : ﴿ و يعلم ما فى البر ﴾ و قدمه لأن الإنسان أكثر ملاسة
له بما فيه من القرى و المدن و المقاوز و الجبال و التلال و كثرة ما بها
من الحيوان^٧ و النبات^٨ و ذى الساق و المعادن ﴿ و البحر ﴾
و آخره لأن إحاطة العقل بأحواله أقل و إن كان الحس يدل على أن
١٠ عجائبها أكثر، و طولها و عرضها أعظم، و ما فيها من الحيوانات
و أجناس المخلوقات أعجب، فكان هذا الأمر المحسوس مقويا لعظمة
ذلك الأمر المعقول .

ولما ذكر ما يعم الثابت و المتقل . خص المتقل تنصيحا على
الجزئيات و تعظيما للعلم بتعظيم المعلومات فقال : ﴿ و ما تسقط ﴾ و أغرق في
١٥ النفى بقوله : ﴿ من ورقة ﴾ و نكرها إتماما للتعميم ﴿ الا يعلها ﴾ و لما كان
هذا مع عظمه ظاهرا، ذكر ما هو أدق منه فقال : ﴿ و لا ﴾ أى

(١) فى ظ : الذى (٢) فى الأصل : فعودوا ، وفى ظ : فعود (٣) من ظ ،
وفى الأصل : النفع (٤) فى ظ : النفى (٥) من ظ ، وفى الأصل : لمثال (٦) فى
ظ : تحت (٧-٧) سقط ما بين الرعين من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل :
الجم ، و النجم من النبات ما لا ساق له .

وما' من (حبة) ودل على أن الأرض ليس لها من قسها نور
تنبها على ما أودع هذا الأدبى المكوّن منها من الغرائب بقوله:
(في ظلمت الأرض) أى ولو كان فى أقصى بطنها، فكيف بما هو
فى النور وهو أكبر' من الحبة .

ولما خص ، زجع إلى التعميم ردا للآخر على الأول فقال : •
(ولا رطب ولا يابس) أى وجد أو لم يوجد أو " سيوجد
(إلا فى كتب بينة) أى موضع لآحواله وأعيانه و كل أموره
وأحيائه ، ثبت أنه قائل لجميع العالم بجواهره وأراضه على سبيل
الإحكام والإتقان ، لأنه وحده عالم بجميع المعلومات ، ومن اختص بلم
جميع المعلومات كان محصا صنع جميع المصنوعات وقادرا على ١٠
جميع المقدورات .

ولما كان من مفاتيح النيب الموت والبحث الذى ينكرونه ، و كان
من أدلته العظيمة النوم والإيقاظ منه مع ما فيه من الإحسان المتكرر ،
و كان فيه مع ذلك تقرير لكمال " القدرة بعد تقريره لكمال العلم ، أتبع
ذلك قوله : (وهو) أى وحده (الذى يتوفىكم) أى يقبض أرواحكم ١٥
كاملة بحيث لا يبقى عندكم شعور أصلا ، فيمنعكم التصرف بالنوم
كما يمنعكم بالموت ، وذكر الأصل فى ذلك فقال : (بالليل ويلم) أى
والحال أنه يعلم (ما جرحتم) أى كسبتم (بالنهار) أى الذى
(١) فى ظ : لا (٢) من ظ ، وفى الأصل : اكروم (٣) فى الأصل وظ " و " .
(٤) فى ظ : اختاه (٥) فى ظ : الكال .

تَعْقِبُ^١ النوم ، من الذنوب الموجبة للاهلاك ، ويماملكم فيها بالحلم بعد العلم ولا يسهل عليكم ، وهو معنى (ثم يمشكم) أى يوقظكم بعد ذلك النوم المستغرق ، فيصرفكم فيما يشاء (فيه) أى فى النهار الذى تعقب^٢ ذلك النوم^٣ بعد استحقاقكم للاتقام (ليقضى) أى يتم (اجل مسمى^٤)

• كتبه للوثة الكبرى .

^١ ولما تمهد بهذا النشر بعد ذاك الطلى فى الموة الصغرى القدرة على مثل ذلك فى الموة الكبرى^٥ ، وكان فيه تقرب عظيم [له - °] قال : (ثم) (يَمْشِكُمْ) من تلك الموتة كما يمشكم من هذه ، ويكون^٦ (اليه) أى وحده^٧ (مرجعكم) أى حصار^٨ بالحشر إلى دار الجزاء ، ٢٠٨ / ١٠ ومعنى / باققطاع الأسباب على ما عهد فى الدنيا (ثم) بعد تلك^٩ المواقف الطوال والزلازل والأحوال ، [ويمكن أن تشير أداة التراخي إلى عظمة العلم بذلك ، وإليه يرشد أكثر ما قلناه من السياق - °] (يَنْبِشْكُمْ) أى يخرمكم إخبارا عظيما جليلا مستقصى (بما كنتم تعملون) أى فيجازيكم عليه ، ولعله عبر بالمنزل لأن الحساب يكون على المكلفين ١٥ الذين لهم أهلية العلم ، فقرر - مع كمال قدرته سبحانه على اختراع هذه الأشياء والعلم بها - استقلاله^٩ بحفظها فى^{١٠} كل حال وتديرها^{١١} على

(١) فى ظ : يعقبه (٢) فى ظ : يعقب (٣) فى ظ : اليوم (٤ - ٤) سقط ما بين الرقعتين من ظ (٥) زيد من ظ (٦ - ٦) تأخرنا بين الرقعتين فى ظ عن « اليه » (٧) فى ظ : حسا (٨) فى ظ : ذلك (٩) من ظ ، وفى الأصل : استقلاله له - كذا (١٠) من ظ ، وفى الأصل : من (١١) من ظ ، وفى الأصل : يديرها .

أحسن وجه :

ولما أخبر بتمام العلم والقدرة ، أخبر بغالب سلطته وعظيم جبروته
 وأن أفعاله هذه على سبيل القهر لا يستطيع مخالفتها ، فلو بالغ أحد في
 الاجتهاد في أن ينام في غير وقته ما قدر ، أو أن يقوم وقت النوم
 لمعجز ، أو أن يحيي وقت الموت لم يستطع إلى غير ذلك فقال : هـ
 ﴿ وهو ﴾ أى يفعل ذلك والحال أنه وحده بما له من غيب الغيب
 وحجب الكبرياء ١ ﴿ القاهر ﴾ وصور ذلك بقوله : ﴿ فوق عباده ﴾
 أى في الإحاطة بالعلم والفعل ، أما قهره للعدم ٢ فبالسكون ٣ والإيجاد ،
 وأما قهره للوجود ٤ فبالإفناء والإفساد بنقل الممكن من العدم إلى الوجود
 تارة ٥ ومن الوجود إلى العدم أخرى ، فيقهر النور بالظلمة والظلمة ١٠
 بالنور ، والنهار بالليل والليل بالنهار - إلى غير ذلك من ضروب الكائنات
 وضرور ٦ الممكنات ﴿ ويرسل ﴾ ورجع إلى الخطاب لأنه أصرح
 فقال : ﴿ عليكم ﴾ من ملائكته ﴿ حفظة ٧ ﴾ أى يحفظون عليكم كل حركة
 وسكون لتستحيوا منهم وتخافوا ٨ عاقبة كتابتهم ٩ . و يقوم عليكم بشهادتهم
 الحجة على مجارى عاداتكم ، وإلا فهو سبحانه غنى عنهم ، لأنه العالم القادر ١٥
 فيحفظونكم على حسب مراده فيكم ﴿ حتى إذا جاء ﴾ .

- (١) من ظ ، وفي الأصل : الكبير (٢) في ظ : بالعدم (٣) من ظ ، وفي الأصل :
 فبالسكون (٤) من ظ ، وفي الأصل : بوجود (٥) تقدمت في ظ على «تارة» .
 (٦) في ظ : صنوف (٧) من ظ ، وفي الأصل : يحفظوا .

ولما كان تقديم المفعول أخوف قال : (احكم الموت) أى
الذى لا عيده عنه ولا عيب (توفه) أى أخذت روحه كاملة
(رسلنا) من ملك الموت وأعوانه على ما لهم من العظمة بالإضافة
إلينا (وم لا يفرطون) فى قص واحد ولا ما دونه ولا ما فوقه
ه بالتواقي عنه^١ ليتقدم ذلك عن وقته أو يتأخر ؛ ولما أشار سبحانه إلى
قوته بالجنود التى تقوت الحصر - وإن كان عنهم غيا بصفة [القهر^٢] -
به^٣ بصيئة المجهول إلى استحضار عظمتهم وشامل جبروته وقدرته فقال :
(ثم) أى بعد حبسهم فى قيد البرزخ (ردوا) أى ردهم راد^٤
منه لا يستطيعون دفعه أصلا (الى الله) أى الذى لا تحد عظمتهم
١٠ ولا تعد جنوده وخدمته (مولهم) أى مبدعهم ومدير أمورهم^٥
كلها (الحق) أى الثابت الولاية ، وكل ولاية غير ولايته من الحفظة
وغيرهم عدم ، لأن الحفظة لا يعلنون إلا ما ظهر لهم ، وهو سبحانه
يعلم السر وأخفى .

ولما استحضر المخاطب عزته وقهره ، وتصور جبروته وكبره ،
١٥ فتأمل^٦ قلبه وسمعه لما يلقى إليه ويتلى عليه ، قال : (الاله) أى
وحده [حقا -^٧] (الحكم) ولما كان الافراد بالحكم بين جميع الخلق
أمرا يميز الفكر ، ولا يكاد يدخل تحت الوهم ، قال محقرا فى جنب قدرته :
(١) فى ظ : منه (٢) زيد من ظ (٣) فى الأصل و ظ : منه - كذا (٤) من
ظ ، وفى الأصل : رادا (٥) من ظ ، وفى الأصل : امرهم (٦) فى
ظ : فاعمل .

(وهو) أى وحده (اسرع النبين) يفصل بين الخلائق كلهم
 فى أسرع من اللح كما أنه يقسم أرزاقهم فى الدنيا فى مثل ذلك ،
 لا يقدر أحد^٢ أن يفك عن عقابه بمطاوله^٣ فى الحساب ولا معالته^٤
 فى ثواب ولا عقاب ، لأنه سبحانه لا يحتاج إلى فكر و روية ولا عقد
 و [لا -^٥] كتابة ، فلا يشغله حساب^٦ عن حساب^٧ ولا شئ^٨ عن شئ^٩ . .
 ولما تعرف بأفعاله وشؤنه حتى اتضحت وحدانيته وثبتت فردانيته ،
 ذكرهم أحوالهم فى إقرار توحيده^{١٠} وقت الشدائد والرجوع عن ذلك
 عند الإنجاء منها ، فكانوا كمن طلب من شخص شيئا وأكد له الميثاق
 / على الشكر ، فلما أحسن إليه باعطائه سؤله نقض عهده وبالغ فى الكفر^{١١} ،
 ٢٠٩ / وذلك عندهم فى غايته من القبائح لا توصف^{١٢} فقال : (قل) أى ١٠
 لهؤلاء الذين يدعون محاسن الأعمال (من ينجيكم) أى كثيرا وعظيما
 (من ظلمت البر والبحر) أى حيث لا هداية لكم بنجم ولا جبل
 ولا غيرهما ، أو عبر بالظلمات عن الكروب^{١٣} التى بلغت شدتها [إلى أن
 صاحبها يكون كأنه فى أشد ظلام ، فهو بجيت -^{١٤}] أنه لا يهتدى فيها إلى وجه
 حيلة بنوع وسيلة (تدعونه) أى على وجه الإخلاص له والتوحيد ١٥
 والإعراض عن كل شرك^{١٥} وشريك لزوال الحفظ عند إحاطة الرعب
 (١) من ظ ، وفى الأصل : قل (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : مطاوله (٤) من
 ظ ، وفى الأصل : مناظرة (٥) زيد من ظ (٦ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .
 (٨ - ٩) فى ظ : الأفراد بتوحيده (٨) فى ظ : الفكر (٩) فى ظ : لا يوصف (١٠) من
 ظ ، وفى الأصل : الكروب (١١) من ظ ، وفى الأصل : شريك .

واستلثته على مجامع القلب ، فلا يبق إلا الفطرة السليمة ؛ قال الإمام عبد الحق الإشبيلي في كتابه الواسي : ﴿ تضرعا ﴾ أى مظهرين الضراعة ، وهى شدة الفقر ، وحقيقته الخشوع ﴿ و ﴾ قوله : ﴿ خفية ﴾ أى تخفون فى أنفسكم مثل ما تظهرون ؛ قال شمر^٢ : يقال : ضرع له وضرع هـ و تضرع أى تخشع^٣ و ذل ؛ ثم قال : و ضرع الرجل يضرع ضرعا - إذا استكان و ذل ، و هو ضارع بين الضراعة ، و هؤلاء قوم ضرع ، أى إذلاء ، و هم ضرعة أى متضرعون ، و التضرع إلى الله : التخشع إليه و التذلل . و إذا كان الرجل يحتل الجسم قلت : إنه لضرع الجسم بين الضروع ، و فى الذل بين الضراعة - انتهى .

١٠ ولما بين وصفهم وقت الدعاء ، بين قولهم إذا ذاك فقال : ﴿ لن انجيتنا من هذه ﴾ فأكدوا وخصوا وبنوا غاية البيان ﴿ لنكونن من الشكرين هـ ﴾ أى العريقين فى الشكر ؛ ولما كانوا مقرين بأن فاض ذلك هو الله . و لكنهم يكفرون نعمته ، عدوا منكربن ، فأمره بالجواب غير منتظر لجوابهم بقوله : ﴿ قل الله ﴾ أى الذى له جميع المظلة ﴿ بنجيكم منها ﴾ أى [من - ٧] تلك الشدة ﴿ و من كل كرب ﴾

(١) فى ظ : حقيقة (٢) فى ظ : سحر - كذا ، و الصواب ما فى الأصل ، و هو شمر بن حمدويه الهروى - راجع معجم المؤلفين ٤ / ٣٠٦ (٣) من ظ ، و فى الأصل : يخشع (٤) فى ظ : صفتهم (٥) سقط من ظ (٦) و قرأ أهل الكوفة : أنجيتا - بلفظ النية مراعاة لتدعونه دون حكاية خطابهم فى حالة الدعاء - راجع روح المعاني ٢ / ٤٩٦ (٧) زيد من ظ .

أى وقتهم فيه ، وما أعظم موقع قولهم : ﴿ ثم اتمم ﴾ مع التزام الإخلاص فى وقت الكرب و مع التزام الشكر ﴿ تشركون ٥ ﴾ مشيرا إلى استبعاد قرضهم بأداة التراخي مع ما فيه من الجناس لما كان ينبغي لهم من أنهم يشكرون ٢ .

و لما كانوا باشراكهم ٣ كأنهم ٤ يظنون أن الشدة زالت عنهم زوالا ٥ لا يعود ، وكان اللاحق بهم دوام التذلل إما وفاء وإما خوفا ، أخبرهم ترهيبا لهم من سطوته وتحذيرا من بالغ قدرته أن ٦ شدتهم تلك التى ٧ أذلهم لم تزل فى الحقيقة ، فان قدرة الملك عليها حالة ٨ الرخاء كقدرته عليها فى وقتها سواء ، فانه ٩ عالق الحالتين وأسبابهما وما فيها ، ولكنهم

عمى الأنصار ١٠ أجلاف الطباع فقال : ﴿ قل هو ﴾ أى وحده ﴿ القادر ﴾ ١٠ . [ولم يصغه صيغة مبالغة لأنهم لم يكونوا ينكرون قدرته إنما كانوا يدعون المشاركة ١١ التى نقاها ١٢ بالتخصيص ، على أن التعريف يفيد به المبالغة - ١٣] ﴿ على أن يبعث ﴾ أى فى أى ١٤ وقت يريد ١٥ ﴿ عليكم ﴾ أى فى كل حالة ﴿ عذابا من فوقكم ﴾ بإسقاط السماء قطعا أو شىء منها كالحجارة التى حسب ١٦ بها قوم لوط وأصحاب الفيل أو ١٧ بتسليط أكلهم ١٨

(١) من ظ و القرآن الكريم ، وفى الأصل : تشكرون (٢) فى ظ : يشركون .

(٣) فى ظ : باشرانهم (٤) من ظ ، وفى الأصل : كانوا (٥) فى ظ : الى .

(٦) فى ظ الذى (٧) فى ظ : حال (٨) من ظ ، وفى الأصل : فان (٩) فى الأصل :

الإبصار ، وفى ظ : البصائر (١٠ - ١٠) فى ظ : الذى نقاه (١١) زيد ما بين

الماجزين من ظ (١٢) فى ظ : كل (١٣) من ظ ، وفى الأصل : يريد (١٤) فى ظ :

خصت (١٥) من ظ ، وفى الأصل « و » .

(أو من تحت أرجلكم) أى بالخسف أو إثارة الحيات أو غيرها^٢ من الأرض كما وقع لبعض من سلف، أو بتسليط سفلكم وعيدكم [عليكم-^٣]
 (أو يلبسكم) أى يخطط بينكم حال كونكم (شيما) أى متفرقين، كل شية على هوى، فيكون ذلك سببا للسيف (ويذيق بعضكم) أى بعض تلك الشيع (باس بعض^٤) فيسارى في ذلك بين الحرم وغيره،
 ويصير التخطف بالنهب والغارات عاما، وسوق هذا الكلام هكذا يفهم إيقاعه في وقت ما للناس ما، لأن كلام الملوك يصان عن أن لا يكون له صورة توجد وإن كان على سبيل الشرط ونحوه، فكيف بملك الملوك علام الغيوب! وللتدريب على مثل هذا الفهم في كلام الله تعالى
 ١٠ قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى في التفسير عن سعد بن أى وقاص رضى الله عنه: أما إنها كائنة. ولم يأت تأويلها بعد. وقال: حسن غريب، / وسيأتى لهذا مزيد بسط وتحقيق في قوله تعالى في الفرقان
 ٢١٠ / "تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك"^٥ - الآية.

ولما كان هذا بيانا عظيما، أشار إلى عظمه بقوله: (انظر)
 ١٥ وعظمه تعظيما آخر بالاستمهام فقال (كيف نصرف^٦ الأيت^٧) أى أى نكرها^٨ موجهة في جميع [الوجوه-^٩] البديعة الناعمة البليغة (لعلهم يفقهون.) أى ليكون حالهم حال من يرجى فهمه وارتفاعه به، كان هذا (و) الحال أنه (كذب به) أى هذا العذاب
 (١) فظ: إشارة (٢) من ظ، وفي الأصل: غيرهما (٣) زيد من ظ (٤) آية ١٠.
 (٥) في ظ: يصرف (٦) في ظ: يكررها.

أرى القرآن المشتغل على الوعد والوعيد والأسباب المينة للخلق جميع ما ينفعهم ليلزمه^١ وما يضرهم ليحذروه^٢ (قومك) أى الذين من حقهم أن يقوموا بجميع أمرك ويسروا ببيادتك ، فإن القليلة إذا ساد أحدها عزت به ، فإن عزه عزها وشره شرفها ، ولا سيما إذا كان^٣ من بيت الشرف ومعدن السيادة ، وإذا سفل أحدها اهتمت به غاية الاهتمام وسرت ه عيوبه مهما أمكنها^٤ فإن عاره لاحق بها ، فهو من عظيم التوبيخ لهم^٥ ودقيق التعرّيج ، وزاد ذلك بقوله : (وهو) أى والحال أنه (الحق^٦) أى الثالث الذى لا يضره التكذيب به ولا يمكن زواله . ولما كان الإنسان ربما حصل له اللوم بسبب قومه ، كان صلى الله عليه وسلم فى هذا المقام بمعرض أر يخاف عاقبة ذلك ويقول : فإذا^٧ ١٠ أصنع بهم ؟ فقال تعالى معلما أنه ليس عليه بأس من تكذيبهم : (قل لست) وقدم الجار والمجرور للاهتمام به مبرا بالأداة الدالة على القهر والعلبة فقال^٨ : (عليكم بوكيل^٩) أى حفيظ وراقب لأقهركم على الرد عما أدتم فيه .

ولما كانوا يصدد أن يقولوا تهكما : كن كذلك . فلا علينا^{١٠} منك ! ١٥ قال مهددا : (لكل) وأشار إلى جلالة خبره بقوله : (نبا) [أى خبر أخبرتكم به من هذه الأخبار العظيمة -]^{١١} ، ومعنى (مستقر^{١٢}) (١) فى ظ : فيلزمه (٢) من ظ ، وفى الأصل : ليحذرون (٣) فى ظ : كاتب - كذا (٤) فى ظ : امهلا (٥) فى ظ : بهم (٦) فى ظ : فا (٧) سقط من ظ . (٨) فى ظ : عليك (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

موضع^١ أو وقت^٢ قرار من صدق أو كذب، أى لا بد أن [يحط -^٣] الخبر على واحد منهما^٤، لا يفتك خبر من الأخبار عن ذلك (وسوف تلبون*) (أى يحط خبره العظيم بوعده صادق^٥ لا خلف فيه وإن تأخر وقوعه .

٥ ولما أمره بما يقول جوابا لتكذيبهم، تقدم إليه فيما يفعل وقت خوضهم فى التكذيب فقال: (وإذا رايت) خاطب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ليكون أردع (الذين يخوضون) أى يتكلمون (فى البتة) أى بغير تأمل ولا صيرة بل طوع الهوى، كما يفعل عائض الماء فى وضعه لرجله على غير بصيرة لستر* مواضع الخطأ ١٠ . بغير* تمام الاختيار الغلبة^٦ الماء (فاعرض عنهم) ترك المجالسة أو ما يقوم مقامها؛ ولما كان الخوض فى الآيات دالا على قلة العقل قال: (حتى يخوضوا فى حديث غيره^٧) (فحكم على حديثهم فيما سوى ذلك أيضا بالخوض، لأن فيه الغث والسمين . لأنه غير مقيد بنظام الشرع .

١٥ ولما كان الله تعالى - له الحمد - قد رفع حكم الإنسان عن هذه الأمة، قال مؤكدا: (و اما بنسبك الشيطان) أى إنساء عظيما إشارة إلى أن مثل هذا الأمر جدير بأن لا ينسب (فلا تقعد بعد الذكرى) أى

(١-١) -قط ما بين الرقعين من ظ (٢) ريد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: منها (٤) -قط من ظ (٥) من ظ، وفى الأصل: لسند . (٦) فى ظ: تغير (٧) من ظ، وفى الأصل: انفسه - كذا .

التذكر. لهذا انتهى ﴿ مع القوم الظالمين ﴾ أظهر موضع الإختصار تسميها
و دلالة على الوصف الذى هو سبب الخوض ، وهو الكون فى الظلام .
ولما كانت هذه الآية ^١ مكية ، وكانوا إذ ذاك عاجزين عن ^٢ الإنكار
بنير القلب ، قال : ﴿ وما على الذين يتقون ﴾ أى يخافون الله فلا يكذبون
بآياته [فى مجالة الكفرة - ^٣] ﴿ من حسابهم ﴾ أى الخاضعين إذا كانوا ه
أقرب منهم ﴿ من شيء ﴾ وما نهينا عن المجالسة لأن عليهم فيها - والحالة
هذه - إنما ﴿ ولكن ﴾ نهينا لتكون المقارعة إظهارا للكراهة ﴿ ذكرى ﴾
للخاضعين لاستحيائهم من أذى المجلس * ﴿ لهم يتقون ﴾ أى ليكون
حالمهم بذلك حال من يرجى منه التقوى ، فيجتنب الخوض فى الآيات
/ إكراما للمجلس .

١٠ / ٢١١

ولما أبرز هذا الأمر فى صيغة النهى ، أعاده بصيغة الأمر
اهتماما به ^١ و تأكيداً له ، وأظهر لهم وصفا آخر هو غاية الوصف الأول
مع ما ضم إليه من الإرشاد إلى الإنقاد من المعاطب ^٢ فقال : ﴿ وذر ﴾
أى اترك ^٣ أى ترك كان ^٤ ولو كان على أدنى الوجوه ﴿ الذين اتخذوا ﴾
أى كفوا أنفسهم فى اتباع الهوى بمخالفة العقل المستقيم والطبع العطرى ^٥
السليم بأن أخذوا ﴿ دينهم ﴾ على غلط لا يصح من دينهم ؛ [ولما كان

(١) سقط من ظ (٢) من ط ، وفى الأصل : من (٣) زيد من ظ (٤) من
ظ ، وفى الأصل : لكراهة (٥) من ظ ، وفى الأصل : الحبس (٦) فى ظ :
المعاطب (٧-٧) موضعه فى ظ : وما يتبعه من البحار والسوايب ونحو ذلك
فلا نبال بهم ولا يشغل قلب أسرهم - كذا ، وهذه العبارة ستأتى بفرق يسير .

الذين ملكوا راحة في النفس ، ^١ ولا شيء ^٢ من كيفيات النفس أوسع منها
ولا أثبت ، وهو أشرف ما عند الإنسان ، وكان اللعب عنده لا شيء
أسرع من انقضائه ولا أوهى من بئانه ، قال دائماً ^٣ لهم بأنهم بدلوا مقصود
هذه السورة - الذي هو من الاستدلال على التوحيد الذي لا أشرف منه
مطلقاً ولا أعلى ولا أنفس بوجه ولا أحلى - بما لا أدنى منه ولا أوهى
ولا أحق للرودة ولا أدهى ^٤ : (لعباً) [ولما كان ربما قيل :
إنهم إذا انقضى اللعب عادوا إلى الاشتغال بالدين ، أتبعه الباعث عليه
إشارة إلى أنه كلما ملوا اللعب بعثوا النفوس إليه باللهو كما ترى الرافض
كلما فتر في رقصه بعثوه عليه بتقوية اللهو أو الانتقال من ف إلى آخر
١٠ من فئونه وشأن بديع من شئونه ^٥ قال ^٦ : (ولما) [أى ^٧ -
في الاستهزاء بالدين الحق * ملكاء والتصدية وبالبحار والسواحب وغير
ذلك ، فلا تبال بهم ولا يشعل قلبك بهم * (وغرتهم) أى خدعتهم
(الحياة الدنيا) التي هم من أعرف الناس بزوالها ، وأن كل من بها
هالك ، ففنتهم النعم التي منّ عليهم سبحانه بها فيما لا يتألوه من السعادة
١٥ إلا باتباع أوامره واجتنب نواهيه .

ولما كان ربما أفهم ذلك تركهم في كل حالة ، فناه بقوله :
(وذكر به) أى تحديث الآيات ، وهي القرآن المتجدد لإزاله ،

- (١ - ١) في ظ : الاسبى - كذا (٢) في ظ : اذا ما - كذا (٣) زيد ما بين
الحاجزين من ظ (٤) في ظ : شاه (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ -
(٦) من ظ ، وفي الأصل : تحذير .

والعصير في الحقيقة للآيات ، أى دعمهم^١ يفعلوا ما أرادوا ، لا تبال بشيء^٢ من ذلك ، ولا تترك^٣ وعظلم بهذا القرآن ، أى ما عليك إلا البلاغ ، لم تكلفك^٤ في هذه الحالة أكثر^٥ منه (ان تبصّل) قال في المجلد : البصّل : التخلّص^٦ ، وأبسلته : أسلته للملكة^٧ . فالمعنى : كراهة أن تخلّ وتسلم (نفس بما) أى بسبب ما (كسبت^٨) في دنياها كانت (ليس لها من ه دون الله) أى المنفرد بالعظمة (ولى) أى يتولى نصرها (ولا شفيع) ينقذها بشفاعته .

ولما كان الفداء من أسباب الخلاص قال : (وان تعدل) أى تلك النفس لأجل التوصل إلى المكافئ (كل عدل) أى كل شيء يظن أنه يندلج ولو^٩ كان أنفس^{١٠} شيء^{١١} ، ولما^{١٢} كان الضار عدم الأخذ ، لا كونه من معين . بى للقول قوله : (لا يؤخذ منها^{١٣}) ولما أتج^{١٤} ذلك قطعا أن من هذا حاله هالك ، قال : (أولئك) أى الذين عملوا^{١٥} هذه الأعمال البعيدة عن الخير (الذين اسبلوا) أى أسبلوا (بـ كسبوا^{١٦}) ثم استأنف قوله^{١٧} : (لهم شراب من حميم) أى هو في غاية الحر يصهر به

(١) من ظ ، وفي الأصل : دعاهم (٢) من ظ ، وفي الأصل : شيء (٣) في الأصل و ظ : لا يترك (٤) في ظ : لم تكلف (٥) من ظ ، وفي الأصل : لاكثر (٦) في ظ : المحل (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، وفي الأصل : متول (٩) في ظ : لما (١٠) في ظ : الشيء (١١-١٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٣) زيد بعده في ظ : من (١٤) من ظ ، وفي الأصل : عهدوا (١٥) من ظ ، وفي الأصل : بقوله .

ما في بطونهم ، بما اعتقدوا في الآيات ما ظهر على ألسنتهم (وعذاب اليم)
 أى يسم دائما ظواهرهم وبواطنهم بما ظهر عليهم من ذلك بعد ما بطن
 (بما) أى بسبب ما (كانوا يكفرون ؛) أى يحدون من تغطية الآيات .

ولما تقرر أن خير الله لا يمنع من الله بنوع^١ ، لا آلتهم التي زعموا أنها^٢
 شفعاؤهم ولا غيرها ، ثبت أنهم على غاية اليقظة من أن كل ما سواه لا ينفع
 شيئا ولا يضر ، فكان في غاية التبكيت لهم قوله : (قل) أى بعد
 ما أقت من الأدلة على أنه ليس لاحد مع الله أمر ، منكرا عليهم
 موجبا لهم (ادعوا) أى دعاء عبادة ، وبين حقارة معبوداتهم فقال :
 (من دون الله) أى المنعرد بجميع الأمر .

١٠ ولما كان السياق لعدد النعم ” الذى خلق السموات والارض ”
 ” خلقكم من طين “ ، ” يطعم ولا يطعم “ ، ” ويرسل عليكم حفظة “ ،
 ” من ينجيكم من ظلمات البر والبحر “ ، ” الله ينجيكم منها ومن كل
 كرب “ قدم النفع في قوله : (ما لا ينفعنا ولا يضرنا) أى لا يقدر
 على شيء من ذلك ، ليكونوا على غاية اليأس من^٣ اتباع حزب^٤ الله
 ١٥ لهم ، وهذا كالتلليل لقوله ” انى نهيت ان اعد الذين تدعون من
 دون الله “ .

ولما ذكر عدم المنفعة في دعائهم ، أشار إلى وجود الخسارة في

(١) من ظ ، وفي الأصل : يحدون (٢) زيد بعده في ظ : منهم (٣) زيد بعده
 في ظ : زعموا (٤) سقط من ظ (٥) في ظ : اهتمت (٦) من ظ ، وفي الأصل :
 عن (٧ - ٧) في ظ : إيقاع الحرب .

- رجائهم فقال: ﴿ وزد ﴾ أى يرجوعنا إلى الشرك، [وبناء للفعول لأن المنكر الرد نفسه من أى راد كان - ٢] ﴿ على اعتابنا ﴾ أى فأنخذ في الوجه المخالف لقصدنا قصير كل وقت في خسارة بالبعد عن المقصود ﴿ بعد اذ هدّنا الله ﴾ أى الذى لا خير إلا وهو عنده ولا ضرر إلا وهو قادر عليه، إلى التوجه نحو المقصد، ووقتنا له وأقننا من الشرك . ٥
- ولما صور حالهم، مثله فقال: ﴿ كالذى ﴾ أى زد من علو القرب إلى المقصود إلى سفول البعد / عنه ردا كرد الذى ﴿ استهوت ﴾ أى طلبت نزوله [عن درجته - ٤] ﴿ الشيطان ﴾ فأنزله عن أفق مقصده إلى حضيض معطبه، شبه حاله بحال من سقط من عال في مهواة مظلمة فهو في حال هويته ١ في غابة الاضطراب وتحقق التلف والعمى عن ١٠ الخلاص ﴿ في الارض ﴾ حال ١١ كونه ﴿ حيران ﴾ تائها ضالا، لا يهتدى لوجهه ولا يدرى كيف يسلك، ثم استأنف قوله: ﴿ له ﴾ أى هذا الذى هوى ١٢ ﴿ اصحب ﴾ أى عدة، ولكنه تمكن الحيرة منه لا يقبل ﴿ بدعونه الى الهدى ﴾ وبين دعاهم قوله: ﴿ اتقنا ﴾ وهو قد اعتسف المهمة تابعا للشياطين، لا ينجيهم ولا يأتهم لأنه قد غلب على نفسه، ١٥ وحيل ١٣ بينه و ١٤ بين العزم والزوا .

- (١) من ظ ، وفي الأصل : رجوعنا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : فأنخذ (٤) من ظ ، وفي الأصل : امر (٥) من ظ ، وفي الأصل : التوجيه . (٦) في ظ : القرآن (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفي الأصل : مهول مظلمه (٩) في ظ : مهوية - كذا (١٠) في ظ : حالة (١١) في ظ : هو . (١٢-١٣) سقط ما بين الرقيين من ظ .

ولما كان هذا مما يعرفونه و شاهدوه مرارا ، و كانوا عالمين بأن
دعاء أصحابه له ^١ في غاية النصيحة و الخير ، وأنه إن تبعهم نجاة ، و إلا هلك
هلاكا لا تدارك له ، فكان جواهم : إن دعاء أصحابه له ^١ الهدى ، بين أنه
مضمحل تافه جدا بحيث ^٢ أنه يجوز أن يقال : ليس هدى بالنسبة إلى
هـ هذا الذى يدعونه إليه ، بقوله : ﴿ قل ان هدى الله ﴾ أى المستجمع
لصفات الكمال ﴿ هو ﴾ أى خاصة ﴿ الهدى ^٣ ﴾ أى لا غيره كدعاء
أصحاب المستهوى ، بل ذاك الهدى مع إنقاذه من الهلاك [إلى - ^٢]
جنب هذا الهدى كلا شيء ، لأن الشيء هو الموصل إلى سعادة الأبد .

ولما كان التقدير : فقد أمرنا أن نلزمه و نترك كل ما عداه ،
١٠ عطف عليه أمرا عاما فقال : ﴿ و امرنا لنسلم ﴾ أى ورد علينا الأمر
من لا أمر لغيره بكل ما يرضيه لأن نسلم بأن وقع الإسلام و هو الانقياد
التام فتخلى عن كل هوى ، و أن نقيم الصلاة بأن نوقمها بجميع حدودها
الظاهرة و الباطنة فتتحلى ^٤ بفعلها أشرف حلى ﴿ لرب العالمين ^٥ ﴾ أى
لإحسانه إلى كل أحد بكل شيء خلقه ، ثم فسر المأمور به ، فكأنه
١٥ قال : أن أسلموا ﴿ و ان اقبوا الصلوة ﴾ لوجهه ﴿ و اتقوه ^٦ ﴾ مع
ذلك ، أى افعلوها لا على وجه الهزء و اللعب ، بل على وجه التقوى
و المراقبة ليدل ^٦ ما ظهر منها على ما بطن من الإسلام للحسن .

ولما كان التقدير : فهو الذى ابتداء خلقكم من طين فاذا أتم بشر
مصورون ^٧ ، و جعلكم أحياء فبقدرته على مدى الأيام تنثرون ^٨ ، عطف

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ط (٢) من ط ، وفى الأصل : تحسب - كذا .

(٣) زيد من ط (٤) سقط من ط (٥) فى الأصل : فيحلى ، وفى ط : فيتحل .

(٦) زيد بعده فى ط : على (٧) فى ط : تنثرون (٨) من ط ، وفى الأصل : تنثرون .

عليه قوله: ﴿ و هو الذى إليه ﴾ أى لا إلى غيره بعد بئسكم من الموت
 ﴿ تحشرون ﴾ فأتى بالبعث الذى هم له منكرون لكثرة ما أقام من
 الأدلة على تمام القدرة فى سباق دال على أنه مما لا مجال للخلاف
 [فيه -^١] ، و أن النظر إنما هو فيها وراء ذلك ، و هو أن عملهم للباطل
 سوغ تزييلهم منزلة من ^٢ يعتقد أنه يحشر إلى غيره سبحانه عن لا قدرة
 له على حزائهم ، فأخبرهم أن الحشر إليه لا إلى غيره ، لأنه ^٣ لا كلام
 هناك لسواه ، فلا علق بين المحشورين ولا تناصر كما فى الدنيا ، والجملة
 مع ذلك كالتعليل للأسر بالتقوى ، و قد بان أن الآية من الاحتباك ، فانه
 حذف الصلاة أولا لدلالة ذكرها ثانيا ، والإسلام ثانيا لدلالة ذكره أولا .

ولما كانوا بعبادة غيره تعالى - مع إقرارهم بأنه [هو -^١] خالق
 السموات و الأرض - فى حال من يعتقد أن ذلك الذى يعبدونه من
 دونه هو الذى خلقهما ، أو شاركا فيها . فلا قدرة لغيره على حشر من
 فى مملكته . قال تعالى منها لهم من غفلتهم و موقظا من رقدتهم معيدا
 الدليل الذى ذكره^٢ أول السورة على وجه آخر: ﴿ و هو ﴾ أى وحده
 ﴿ الذى خلق ﴾ أى أوجد ، اخترع و قدر ﴿ السموات و الأرض ﴾^٣
 [أى -^١] على عظمها و ديت ما فيها من الحكم و المنافع المحصر
 ﴿ بالحق ﴾ أى بسبب إقامة الحق ، و أتم ترون أنه غير قائم فى هذه
 الدار و لا هو قريب من القيام ، فوجب على كل من يعلم أن الله حكيم

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل:
 ذكر (٤) سقط من ظ .

خير أن يعتقد أنه لا بد من بعث العباد [بعد -^١] موتهم - كما وعد بذلك -
ليظهر العدل بينهم، فيطل كل باطل^٢ ويحق كل حق، ويظهر الحكم^٣
لجميع الخلق.

/ ٢١٣

ولما قرر أن إقامة الحق هي المراد، قرر قدرته عليها بقوله :
• (ويوم يقول) أي للخلق^٤ ولكل^٥ شيء يريد في هذه الدار وتلك
الدار (كن فيكون^٦) أي فهو^٧ يكون لا يتخلف^٨ أصلاً.

ولما قرر أنه لا يتخلف شيء عن أمره، علقه فقال: (قوله الحق^٩)
أي لا قول غيره^{١٠}، لأن أكثر قول غيره باطل، لأنه يقول شيئاً
فلا يكون ما أراد؛ ولما كان في مقام الترهيب من سطوته، قال مكرراً
١٠ لقوله "وهو الذي إليه تحشرون": (وله^{١١}) أي وحده بحسب الظاهر
والباطن (الملك يوم^{١٢}) ولما كان المقصود تعظيم النفخة، بنى للفعول
قوله: (ينفخ في الصور^{١٣}) لا تقطاع العلاقات بين الخلائق، لا كما
تزون في هذه الدار من توأصل الأسباب، وقوله -: (علم الغيب^{١٤}) وهو
ما غاب عن كل ما سواه سبحانه (والشهادة^{١٥}) وهو ما^{١٦} صار بحيث
١٥ يطلع عليه الخلق - مع كونه علة لما قبله من تمام القدرة كما سيأتي
إن شاء الله تعالى [في طه -^{١٧}] من تمام الترهيب، أي أنه لا يخفى عليه شيء.

(١) زيد من ظ (٢) فظ: بما بطل (٣) فظ: الحكمة (٤) من ظ، وفي الأصل:
الجميع (٥) من ظ، وفي الأصل: للحق (٦) في ظ: كل (٧) سقط من ظ.
(٨) في ظ: فلا يتخلف (٩-١٠) من ظ، وفي الأصل: غير قوله (١٠) في ظ:
العلاقات (١١) من ظ، وفي الأصل: على.

من أحوالكم، فاحذروا جزاءه يوم تنقطع^١ الأسباب، ويفهب التعاقد والتعاون، وهو على عادة سبحانه في أنه [ما - ٢] ذكر أحوال البعث إلا قرر فيه أصليين: القدرة على جميع الممكنات، والعلم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات، لأنه لا يقدر على البعث إلا من جمع الوصفين (وهو) أى وحده (الحكيم) أى التام الحكمة، فلا ينع شئاً في غير محله ولا على غير إحكام، فلا معقب لأمره، فلا بد من البعث (الخيرة) بجميع الموارد والمصادر، فلا خفاء لشيء^٢ من أفعال أحد من الخلق عليه في ظاهره ولا باطن ليهمهم عن الحساب.

ولما كان مضمون هذه الآيات [مضمون الآيات - ٢] الثلاث

المفتتح بها السورة الهادمة^٣ لمذهب الثنوية، وهم أهل فارس قوم إبراهيم عليه السلام، وكان إبراهيم عليه السلام يعرف بفضل جميع الطوائف، لأن أكثرهم من نسله كاليهود والنصارى والمشركون من العرب، والمسلمون لما يعلون من إخلاصه لله تعالى واتصافه بالحاجة من أشرك به واحتمال الأذى فيه سبحانه، تلاها بمحاجته^٤ لهم بما^٥ أطل مذهبهم

وأدحض حججهم^٦ فقال: (واذا) أى اذكر ذلك المتقدم كله لهم^٧ في الدلائل على اختصاصنا بالخلق وتام القدرة، ما أعظمه وما أجله وأضخمه! وتفكر في عجائبه وتدبر في دقائقه^٨ وغرائب^٩ تجد ما لا يقدر على مثله إلا الله، واذكر إذ (قال إبراهيم) أى اذكر قوله، وحكمة

(١) من ظ، وفي الأصل: ينقطع (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: شيء (٤) من ظ، وفي الأصل: الهادية - كذا (٥-٥) في ظ: بما (٦) في ظ: حجته (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ.

التذكير بوقته التنبية على أن هذا لم يزل ثابتا مقررا على ألسنة جميع
الانبياء في جميع الدهور، وكان في هذه الحاجة التصريح بما لوح إليه
[أول - ٢] هذه السورة من إيصال هذا المذهب، و انطفئ هذا على
ذلك أي انطفافا و صار كأنه قيل: ثم الذين كفروا ربهم يعدلون
ه الاصنام: النجوم و النور و الظلة، فنبههم يا رسول الله على ذلك بأنه
لا متصرف غيرنا، اذكر لهم أني أنا الذي خلقتهم^١ و خلقت جميع
ما يشاهدون من الجواهر و الأعراض، فان تنبهوا فهو حظهم
و إلا فاذكروا لهم عجاجة خليلنا إبراهيم عليه السلام [إذ قال - ٢]
﴿لانه﴾ ثم بينه في قراءة الجبر بقوله: ﴿أزر﴾ و ناداه في قراءة
١٠ يعقوب بالضم: قال البخاري في تاريخه الكبير: إبراهيم [ن - ٢]
أزر، و هو في التوراة: تارح^٤ - انتهى. و قد مضى ذلك عن التوراة
في البقرة، فقل أحدهما لقب، و كان أهل تلك البلاد و هم الكلدانيون،
و يقال لهم أيضا الكسديانيون - بالمهملة موضع اللام - يعتقدون إلهية
النجوم في السماء و الاصنام في الأرض و يحملون لكل نجم صنما،
١٥ إذا أرادوا التقرب إلى ذلك التجسم عبدوا ذلك الصنم ليشفع لهم -
[كا - ٢] زعوا - إلى النجم، فقال عليه السلام لأبيه منكرا عليه
منبها له على ظهور فساد ما هو مرتكبه: / ﴿اتخذ﴾ أي أتكلف نفسك
/ ٢١٤

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفي
الأصل: خلقهم (٥) من ظ، وفي الأصل: قادر (٦) من ظ، وفي الأصل:
الخبز (٧) زيد من ظ و التاريخ الكبير ١/١/٥ (٨) وفي تاريخ يعقوب ١/٢٣:
تارخ.

إلى خلاف ما تدعو إليه الفطرة الأولى بأن تجعل (أصناما الهة ج)
 أى تمجدها وتضع لها ولا تقع فيها ولا ضرر، فبعبه^٢ هذا الإنكار
 على أن معرفة بطلان ما هو متدين به لا يحتاج إلى كثير^٣ تأمل، بل هو
 أمر بديهي^٤ أو قريب منه، فاتهم يمشرون أمرها بجميع جوانبهم^٥ ويطلون
 أنها مصنوعة وليست بسانة، وكثرتها تدل على بطلان إلهيتها بما أشار^٥
 إليه قوله تعالى " لو كان فيها الهة إلا الله لفسدنا " .

ولما خص بالنصيحة أقرب الخلق إليه، عم بقية أقاربه فقال :
 (أتى آرنك وقومك) أى فى اتفاقكم على هذا (فى ضلل) أى بعد
 عن الطريق^٦ المستقيم (مبين) أى ظاهر جدا يديه العقل مع مخالفته
 لكل نبى نبأه الله تعالى من آدم عليه السلام فن بعده، فهو مع ظهوره^{١٠}
 فى نفسه مظهر للحق من أن الإله لا يكون إلا كافيا لمن يعبد، وإلا
 كان فقيرا إلى تأله من يكفيه .

ولما كان كأنه قيل : بصرنا إبراهيم عليه السلام هذا التبصير^٧ فى
 هذا الأمر الجرىء من بطلان الأصنام، قال عاطفا عليه : (وكذلك)
 أى ومثل هذا التبصير^٨ العظيم الشأن، وحكى الحال الماضية بقوله : (زى)^{١٥}
 أى بالبصر والبصيرة على مر الزمان وكر الشهور والأعوام إلى ما لا
 (١) من ظ ، وفى الأصل : يجعل (٢) من ظ ، وفى الأصل : تدل (٣) فى ظ :
 كبير (٤) فى ظ : يديه (٥) من ظ ، وفى الأصل : حواسهم - كذا (٦) سورة ٢١
 آية ٢٢ (٧) فى ظ : الصراط (٨) فى ظ : نصرنا (٩) فى ظ : التنصير (١٠) فى
 ظ : التنصير - كذا .

آخره [نفسه و الصلوة من أولاده - ١] ﴿ ابراهيم ملكوت ﴾ أى
 باطن ملك ﴿ لفظونه^٢ و الارض ﴾ أى ملكها العظيم أجمع و ما فيه
 من الحكم، ليسخ في أمر التوحيد فبطل^٣ أن كل من جدد غير الله من
 صنم و غيره من قومه و غيرهم في ضلال، كما علم ذلك في قومه في
 ٥ الانعام ﴿ و ليكون من الموقنين ٥ ﴾ أى الراصين في وصف الإيقان
 في أمر التوحيد كله بالنسبة إلى جميع الجزئيات لما أورناه يصبره و بصيرته؛
 فأمل فيه حتى وقع [فيه - ١] مد علم اليقين على عين اليقين بل
 حتى اليقين .

ولما كانت الأمور السابغة مشاهدة لجميع الخلق : دانيهم و قاصيهم ،
 ١٠ و هى أشرف من الأرضية ، فإذا بطلت صلاحيتها الإلهية طلت الأرضية
 من باب الأولى ؛ نصب لهم الحجاج في أمرها ، فقال مسيبا عن الإراءة
 المذكورة : ﴿ فلما جن ﴾ [أى - ١] ستر و أظلم . وقصره^٤ - وإن كان
 متعديا - دلالة على شدة ظلام تلك الليلة ، و لذلك عداه أداة الاستعلاء
 فقال : ﴿ عليه^٥ آيل ﴾ أى وقع^٦ الستر عليه ، فحجب ملكوت الأرض فشرع
 ١٥ ينظر في ملكوت السماء ﴿ را كونا ﴾ أى^٧ قد برزغ ، فكأنه قبل : فاذا^٨

- (١) ريد من ظ (٢) تقدم في الأصل على ه أى باطن ه و الترتيب من ظ .
 (٣) من ظ ، و في الأصل : فبطل (٤) في ظ : او (٥) في الأصل و ظ : غير -
 كذا (٦) من ظ ، و في الأصل . قصر (٧) سقط من ظ (٨) في ظ : اوقع .
 (٩) من ظ ، و في الأصل : بماذا .

- فصل ٤ قيل : (قال هذا ربي ٤) فكانه ١ من بصره ٢ أن أتى بهذا الكلام الصالح لأن يكون خيرا واستفهاما ، ليومهم ٣ أنه غير ، فيكون ذلك أنى ٤ للفرض وأنهى من الشعب ، فيكون أشد استجلابا لهم إلى إتمام النظر وتنبهها على موضع الغلط وقبول الحجة ، ومثل ذلك ختم الآية بقوله : (فلأافل ٥) أى غاب بعد ذلك الظهور الذى كان آية ٥ سلطان (قال لا أحب الأفلين ٥) [لأن - ٦] الأفل حركة ، والحركة تدل على حدوث المتحرك وإمكانه ، [ولا تظن أن يظن به أنه قال ما قاله أولا عن اعتقاد روية الكواكب ، لأن الله تعالى قد دل على بطلان هذا التوهم بالإخبار بأنه أراه ملكوت الحافقين وجعله موقنا - ٦] ، فأسند الأمر إلى نفسه تنبيها لهم ١ واستدل بالأفول ٢ لأن دلالاته لزوال ١٠ سلطانه وحقارة ٢ شأنه أتم ، ولم يستدل بالطلوع لأنه - وإن كان حركة دالة على الحدوث ١٠ والنقصان - شرف في الجملة وسلطان ، فالخواص يفهمون من الأفول الإمكان ، والممكن لا بد له من موحد واجب الوجود ، يكون مكتهى الآمال ومحط الرجال ١١ " وإن إلى ربك المنتهى " والأوساط يفهمون منه الحدوث للحركة ، فلا بد من الاستناد إلى قديم ، ١٥
- (١) فى ظ : وكان (٢) من ظ ، وفى الأصل : نصره (٣) فى ظ : ليفهم (٤) من ظ ، وفى الأصل : الذى (٥) فى ظ : له - كذا (٦) زيد ما بين الحازنين من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : بإلا قوال (٨) من ظ ، وفى الأصل : حفا - كذا (٩) فى ظ : لما استدل (١٠) من ظ ، وفى الأصل : الحدث (١١) من ظ ، وفى الأصل : الرجال .

و العوام يفهمون ان الغارب كالمزول لزال نوره و سلطانه ، و ان ما كان كذلك لا يصلح للالهية ، و خص الآفول أيضا لان قومه الفرس كانوا منجمين ، و مذمبهم أن الكوكب إذا كان صاعدا من المشرق^١ إلى وسط السماء كان قويا عظيم التأثير ، فإذا كان نازلا إلى المغرب^٢ كان ضعيف الأثر ، و الإله / هو من لا يتغير ، و هذا الاستدلال ٢١٥ /
برهان في [أن -^٣] أصل الدين مبني على الحجة دون التقليد^٤ .

ولما جهرم قصور صخير الكواكب ، رقى النظر إلى أكبر منه .
فسيب عن الإعراض عن الكواكب لقصوره قوله : ﴿ ظنارا القمر بازغا ﴾
أي طالما أول طلوعه ؛ قال الأزهرى : كأنه مأخوذ من البوغ الذي ١٠ هو الشق ، كأنه بنوره يشق الظلمة شقا ﴿ قال هذا ربى^٥ ﴾ دأبته في الأولى .

ولما كان تأمل أن الكوكب محل الحوادث^٦ بالآفول قد طرق أسماعهم فخالج صدرهم ، قال : ﴿ فلما اقل قال ﴾ مؤكدا غاية التأكيد ﴿ لن لم يهدي ربى^٧ ﴾ أي الذي قدر على الإحسان إلى الإيجاد و التربية ١٥ لكونه لا يتغير ولا شريك له مخلق الهداية في قلبه ، فدل ذلك على أن الهداية ليست إلى غيره ، ولا تحمل^٨ على نصب الأدلة ، لأنها منصوبة قبل ذلك . ولا على معرفة^٩ الاستدلال فانه عارف [به -^{١٠}]

(١) في ظ ، (٢) الشرق (٣) في ظ : المغرب (٤) زيد ما بين المحارين من ظ .
(٥) زيد بعده في الأصل : فاستند الأمر ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (٦) في ظ :
للمصادف (٧) في ظ : قال (٨) من ظ ، وفي الأصل : لا يحمل (٩) سقط من ظ .

- (لا كون) أى بعبادة غيره : (من القوم الضالين) فكانت هذه أشد من الأولى وأقرب إلى التصريح بنفى الربوبية عن الكواكب وإثبات أن الرب غيرها ، مع الملاحظة وإبعاد الخصم عما يوجب عناده . ولما كان قد نفى عن الأجرام السماوية ما ربما يضل به الخصم قال :
- (علما را) أى عينه (الشمس بازغة) أى عند طلوع النهار وإشراق النور الذى ادعوا فيه ما ادعوا (قال) مينا لقصور ما هو أكبر من النور وهو ما عنه النور (هذا) مذكرا لإشارته لوجود المسوخ ، وهو تذكير الحذر لإظهارا لتعظيمها^٢ إبعادا عن التهمة ، وتنبها من أول الأمر على أن المؤنث لا يصلح للربوبية (ربى) - °] كما قال فيما مضى : ثم علل ذلك بيانا للوجه الذى فارق فيه ما مضى فأورث شبهة ، فقال : ١٠
- (هدا أكبر) أى بما^٣ تقدم (فلما اقلت) أى عريت غنى ظهورها و غلب نورها وهزمه جيش الظلام بقدرة الملك العلام (قال يقوم) فصرح بأن الكلام لهم أجمعين ، ونادى على رؤس الأشهاد . ولما كانت القلوب قد فرغت بما ألقى من هذا الكلام المعجب للحجة ، و تهيأت لقبول الحق ، ختم الآية بقوله : (انى رىء مما تشركون) ١٥
- أى من هذا وغيره من باب الأولى ، فصرح بالمقصود لأنه لم يبق فى المحسوس من العالم العلوى كوكب أكبر من الشمس ولا أنور ، فلما أبطل
- (١) فى ظ : قتل - كذا (٢) زيد بعده فى ظ : قال (٣) من ظ ، وفى الأصل : تعظيم بها (٤) من ظ ، وفى الأصل : المرتب (٥) زيد من ظ ، وفى القرآن الكريم . (٦) من ظ ، وفى الأصل : بما .

بذلك جميع مذهبه أظهر التوجه^١ إلى الإله الحق ، وأنه قد انكشف
له الصواب بهذا النظر ، والمراد^٢ ، ولكن^٣ سوجه على هذا الوجه أدعى
لقبولهم إياه ، قال مستنجا عما دل عليه الدليل العقلي في الملكوت^٤ :
(أنى وجهت وجهى) أى أخلصت قصدى غير مرجع على شيء
٥ أصلا ، فبر بذلك [عن - ٤] الانقياد التام ، لأن من انقاد لشيء
أقبل عليه^٥ بوجهه ، ودل على كماله وقرده بالكمال مبدعائه^٦ ، وعبر
باللام دون ' إلى ' ثلا يوم الحيز ، قال : (الذى فطر) أى لآل
عبودية [من - ٤] شق وأخرج (السموت والارض) عظم الدليل
بما افتتحت به السورة من قوله " الذى خلق السموت والارض " وأدل
١٠ دليل على ما تقدم - أنى فرت الحنف به من أنه الميل مع الدليل
سهولة ولطافة^٧ على ما هو دأب الفطرة الأولى التى فطرقه الناس عليها -
قوله بعد نصب هذا الدليل : (حيفا) أى سهلا هينا لبنا لطيفا ميالا^٨
مع الدليل غير كز جاف جامد على التقليد دأب الغليظ^٩ البليد ، وأكد
البراهة منهم بقوله ١٠ (وما آتانا من المشركين^{١٠}) أى منكم ، ولكنه
١٥ أظهر الوصف المقتضى للبراهة والتعظيم ، أى لا أعد فى عدادكم شيء
أقاربكم به^{١١} .

(١) من ظ ، وفى الأصل : التوحيد (٢) فى ظ : لاف (٣) من ظ ، وفى
الأصل : المكتوب (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : على (٦) فى
ظ : بمبدعائه (٧) من ظ ، وفى الأصل : اطافة (٨) من ظ ، وفى الأصل :
مثلا (٩) من ظ ، وفى الأصل : الغليظ (١٠) سقط من ظ .

ولما أبدى هذه الأدلة في إبطال الضلال بالكواكب^١ و الشمس^٢
 التي هي^٣ أوضح من الشمس، عطف عليها الإخبار بأنهم لم يرجعوا
 إليه^٤ بل ساجدوا، فقال: (و حاجه قومه^٥) بأنهم لا يشكون عن
 عبادتها لأنهم^٦ وجدوا آباءهم كذلك، و أنه [إن -^٧] لم يرجع عن
 الكلام فيها أصابه يحض النوازل، و ذلك من أعظم التسلية لهذا النبي
 العربي الكريم عليه أفضل الصلاة و التسليم .

ولما كان من المعلوم أن محاجتهم - بعد هذه الأدلة الواضحة في غاية
 من السقوط - سفلت عن الحضيض، نزه المقام عن ذكرها، إشارة إلى
 أنها بحيث لا يستحق الذكر، و بين جوابه لما فيه من الفوائد الجملة^٨ بقوله:
 (قال) أي بقول^٩ منكرها عليهم موعظا لهم: (اتحاجوني) و صرح^{١٠}
 باسم الرب العلم الأعظم في قوله: (في الله) أي شيء^{١١} مما يختص
 به المستجمع لصفات الكمال لا سيما التوحيد (و قد) أي و الحال
 أنه قد (هدن^{١٢}) [أي -^{١٣}] أرشدني بالدليل القطعي إلى معرفة كل
 ما ثبت^{١٤} له و بنى عنه، أي لأنه قادر، فبين أنه تعالى قد أحسن إليه،
 فهو يرجوه لمثل ذلك الإحسان، و يخافه من^{١٥} عواقب العصيان، لأن
 من رُجي خيره خيف ضيره، و من كان يده^{١٦} النفع و الضر^{١٧} و الهداية
 و الإضلال فهو من وضوح الأمر و ظهور الشأن بحيث لا توجه نحوه

(١) في ظ: الكواكب (٢-٣) في ظ: الذي هو (٣) سقط من ظ (٤) من ظ،
 و في الأصل: لا (٥) زيد من ظ (٦) من ظ، و في الأصل: الجملة (٧) في ظ:
 ينسب (٨) من ظ، و في الأصل: عن (٩-١٠) في ظ: الضر و النفع .

الحاجة ، و أتبعه بيان أن مبادياتهم مسلوب عنها . ما يوجه إليه المزمع ، فقال عاطفاً على ما تقدمه : فأننا أرجوه و أعاناه لأنه قادر : ﴿ و لا أخاف ما تشركون به ﴾ و لا أرجوه لهداية و لا إضلال . و لا غيرهما لأنه عاجز ، فأثبت لله القدرة بالهداية لأنها أشرف ، و طوى الإضلال - [١]
 ٥ لدلائلها و دلالة ما نفي في جانب الشركاء عليه ، و أثبت لأهلهم الجزى بنى الخوف المستلزم لنفى القدرة على الضر . و ذلك دال على أن الله تعالى أهل لأن يخاف منه . كل ذلك تلويحاً لهم بأن العاقل لا ينبغي له أن يخالف إلا من [يأمن - ١] ضره ، فهم في مخالفتهم لله في غاية من الخطر ، لا يرتكبها عاقل ، و الآية من الاحتباك .

١٠ و لما نفي عن نفسه خوف آلهتهم أبداً في الحال و الاستقبال ، و كان من الأمر البين في الدين الحق أنه لا يصح الإيمان إلا مع الإقرار بخفاء العواقب^١ على العباد و إثبات العلم بها لله^٢ تسليماً لمفاتيح الغيب إليه ، و قصرها عليه ؛ قال مستثنياً من سبب^٣ النفي ، و هو أنها لا تقدر^٤ على شيء : ﴿ إلا ان يشاء ربى ﴾ المحسن إلى في حال الضر كما هو محسوس
 ١٥ في حال النفع ﴿ شيئاً^٥ ﴾ أى من تسليطها بأنفسها أو متابعتها ، لأنه قادر على ما يريد ، فثبت أراد أنطلق^٦ الجداد و أقدره ، و أخرس الناطق المصيح و أعجزه ، فأننا لا أخاف في الحقيقة غيره .

(١) زيد ما بين الحازين من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : العرابي ، و زيد بعده في ظ : على العواقب - كذا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : مسبب (٥) من ظ ، و في الأصل : لا يقدر (٦) في ظ : نطق .

ولما كان هذا في صورة التطبيق ، [وكان التعليق - ١] وما شابهه
 من شأنه أن لا يصدر إلا من متردد^٢ ، فيكون موضع إبطاع الخصم فيه ،
 علله بما أزال هذا الخيال فقال : (وسع ربى كل شيء علما^٣) أى
 فأحاط بكل شيء قدرة ، فهو إذا أراد إقدار العاجز أزال عنه كل مانع
 من القدرة ، و^٢ أثبت^٤ له كل مقتضى لها ، وذلك ثمرة شمول العلم - كما
 سيأتى برهانه إن شاء الله تعالى في سورة طه^٥ ، فالمراد أنى ما تركت الجزم
 لشك عندى ، وإنما تركته لعدم على بالعواقب إعلاما بأن تلك رتبة
 لا تصلح إلا لله الذى وسع عليه كل شيء ، وأدل دليل على هذا اتباعه له
 بـإنكاره عليهم عدم^٦ [الإبلاغ فى - ٢] التذكر^٧ بقوله مظهرا تاء التفضل إشارة
 إلى أن فى جبلاتهم أصل التذكر^٨ الصاد^٩ عن الشرك : (أفلا تتذكرون^{١٠})
 أى يقع منكم تذكر ، فتميزوا بين الحق والباطل بأن تذكروا ما لكم
 من أنفسكم^{١١} بأن من^{١٢} غاب عن مربوبه فسد أو كاد ، وأنت هذه^{١٣}
 الجمادات لا تنفع ولا تضر ، وأنها مصنوعكم ، وتعجب^{١٤} منهم فى ظنهم
 حوفا^{١٥} من / معبوداتهم بقوله^{١٦} منكرا : (وكيف اعافى ما أشركتم)
 أى من دون الله من الأصنام وغيرها مع أنها لا تقدر^{١٧} على شيء ١٥

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : مررد (٣-٢) فى ظ : فأنبت .
 (٤) من ظ ، وفى الأصل : التذكير (٥) فى ظ : الذكر (٦) فى ظ : الصاد (٧) من
 القرآن الكريم ، وفى الأصل و ظ : أفلا تتذكرون ، والآية باظهار التامين
 بلا خلاف (٨-٨) من ظ ، وفى الأصل : من ان (٩-٩) من ظ ، وفى الأصل :
 اوهدها - كذا (١٠) من ظ ، وفى الأصل : تعجيبه (١١) فى ظ : عرفه (١٢) فى
 ظ : فقال (١٣) من ظ ، وفى الأصل : لا يقدر .

(ولا) أى والحال أنكم أنتم لا (تخافون انكم اضرركم باقه)
 أى [المستجمع - ^١] لصفات العظمة والقدرة على العذاب والنعمة .
 ولما كان له سبحانه أن يفعل ما يشاء قال : (ما لم ينزل به) أى
 بإشراكه ؛ ولما كان المقام صعباً لأنه أصل الدين ، أثبت الجار والمجرور
 هـ وقدمه فقال : (عليكم سلطنا ^٢) أى حجة تكون مائة من إزاله
 الغضب بكم ^٣ ، والحاصل أنه عليه السلام أوقع الأمن فى موضعه وم
 أوقموه فى موضع الخوف ، فجب منهم لذلك ^٤ فإن أن هذا وقول
 شعيب عليه السلام فى الاعراف " وما يكون لنا أن نعود فيها الا ان
 يشاء الله ربنا " - الآية ، وقوله تعالى فى الكهف " ولا تقولن لشيء إني
 فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله " من مشكاة واحدة ؛ ولما كان المخذور
 المنفى هنا إنما هو خوف الضرر من آلهتهم ، وكان حصول الضرر لمخالفها
 بواسطة اتباعها أو غيرهم من سنن الله الجارية فى عباده ، اقتصر التحليل
 عليه السلام على صفة الربوبية المقتضية للرأفة والرحمة والكفاية والحماية ،
 وقد وقع فى قصته الأمران : إمكانهم من أسباب ^٥ ضرره بإيقاد النار ^٦
 ١٥ وإلحاقهم له فيها ، ورحمته بجعلها عليه برداً وسلاماً ؛ ولما كان المخذور
 فى قصة شعيب عليه السلام العود فى ملتهم ، زاد الإتيان بالاسم الأعظم
 الجامع لجميع الكمالات المنزه عن جميع النقائص المقتضى لاستحضار
 الجلال والعظمة والتفرد والكبر المانع من ^٧ دنوسات الكفر ^٨

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : النعمة (٣) فى ظ : عليكم (٤) العبارة من هنا إلى « فى
 الكهف » سقطت من ظ (٥) آية ٨٩ (٦) آية ٢٤ (٧) فى ظ : ضررهم بإيقاد -
 كذا (٨-٨) فى ظ : دنوسات الله - كذا .

- والله الموفق .

ولما بان كالشمس بما أقام من الدليل أنه أحق بالآمن منهم ، قال مسيا عما مضى تقريراً لهم : (فإى الفريقين) أى حزب الله وحزب ما أشركتم به ، ولم يقل : فإيتا ، تعميماً للمعنى (أحق بالآمن) والزمهم بالجواب حتماً بقوله : (ان كنتم تعلمون) أى إن كان لكم علم ، فأخبروني عما سألتم عنه ؛ ثم وصل بذلك دلالة على أنه لا علم لهم أصلاً ليخبروا عما سئلوا عنه [قوله - ٤] مستأقفاً : (الذين آمنوا) أى أوجدوا هذا الفعل (ولم) أى وصدقوا دعواهم بأنهم لم (يلبسوا إيمانهم) أى يخالطوه ويشوبوه (يظلم) .

ولما كان المعنى : أحق بالآمن ، عدل عنه إلى قوله مشيراً إليهم ١٠ بأداة البعد تنبيهاً على [علو - ٤] رتبته : (أولئك لهم) أى خاصة (الآمن) أى لما تقدم من وصفهم (وهم مهتدون) أى وأتم حلالون ، فأنتم هالكون لإشراككم على الممالك ، وتفسيرُ النبی صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان* والترمذى والنسائى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لهذا الظلم المطلق فى قوله تعالى " بظلم " بالشرك ١٥ الذى هو ظلم موصوف بالمعظم فى قوله تعالى " ان الشرك لظلم عظيم " تنبيه للصحابه رضوان الله عليهم على أن هذا التنوين للتعظيم ، ولأنهم أهل اللسان المطبوعون فيه صفوا بذلك واطمأنوا إليه ، ولا شك أن السياق كله فى التنفير عن الشرك ، وأنه دال على " الحث على التبرئ "

(١) فى ظ : فإيتا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : سألتم (٤) زيد من ظ (هـ) فى ظ : البخارى (٦) سورة ٣١ آية ١٣ (٧-٧) من ظ ، وفى الأصل : انتهى عن التنزه - كذا .

عن قليل انشرك و كثيره ، قال الامر إلى أن المراد : و لم يلبسوا
إيمانهم بشيء من الشرك ، فالتون حينئذ للتحقير كما هو للتعظيم ، فهو من
استعمال الشيء في حقيقته و مجازه أو في معني المتراكب فيهما لفظه معا -
والله أعلم .

٥ ولما كان إبراهيم عليه السلام قد اتصب لإظهار حجة الله في
التوحيد و الذب عنها ، و كان التقدير تنديها للسامع على حسن ما معنى
ندبا لندره : هذه مقالة^٢ إبراهيم عليه السلام لآيه و قومه ، عطف عليه
قوله معددا ووجه نعمه عليه و إحسانه^٣ إليه ، دالا على إثبات النبوة
بعد إثبات الوحداية : ﴿ و تلك ﴾ أى و هذه الحجة العظيمة / الشأن

/ ٢١٨

١٠ التى تلوناها عليكم ، و هى ما حاج إبراهيم عليه السلام^٤ به قومه ،
[و - °] عظمه بتعظيمها فقال : ﴿ حجتنا ﴾ أى التى يحق لها بما فيها
من الجلالة أن تضاف إلينا ، لأنها من أشرف النعم و أجل العطايا
﴿ أتيتها ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ إبراهيم ﴾ و أوقفناه على حقيقتها
و صرنا بها ، و به على ارتفاع شأنها بأداة الاستعلاء مضننا لها تينا
٥ أقتنا ، فقال : ﴿ على قومه ﴾ أى مستغلبا^٥ عليهم غالبا^٦ لهم قائمة عليهم
الحجة التى نصبها ، ثم زاد فى الإعلام بفضله بقوله مستأفا : ﴿ نرفع ﴾
أى ب عظمتنا ﴿ درجت من نشأ ﴾ بما لنا من القدرة على ذلك كما رفعنا
(١) من ض ، و فى لأصل : صحة (٢) فى ظ : مقالة (٣) فى ظ : إحسان .
(٤) سقط من ظ (٥) ريد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : يحقها (٧) من
ظ ، و فى الأصل : مستغلبا (٨) فى ظ عاليا .

درجة لإبراهيم عليه السلام على جميع أهل ذلك العصر .
ولما كانت حاجته لهم على قانون الحكمة بالعالم العلوى الذى نسبوا
الخلق والتدبير بالنور والظلمة إليه ، وكان فى ختام^١ حاجته لهم أن الجارى
على قانون الحكمة أن الملك الحق لا يهين جنده^٢ فلا خوف عليهم ، وكان
قبل ذلك فى الاستدلال على البحث الذى هو محط الحكمة ؛ كان الأنسب ه
أن يقدم^٣ فى ختم الآية وصف الحكمة فقال : (ان ربك)
[أى - ٤] خاصا لئيه صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة باسم الإحسان تنيها
على أن حَجَبَه^٥ الدليل عن إ شاء لِحِكْمِهِ أرادها سبحانه ، فيه تسلية له
صلى الله عليه وسلم (حكيم) أى فلا يفعل^٦ بحزبه إلا ما ظنه به خيله
صلى الله عليه وسلم عما يقر أعينهم^٧ ، إما فى الدنيا وإما فى الآخرة وإما ١٠
فيهما (عليهم ه) فلا يلتبس عليه أحد من غيرهم ، فيفعل به ما يحل
بالحكمة .

ولما أشار إلى رفته بأنه بقصره بالحجة^٨ حتى كان على بصيرة من
أمره ، وأنه علا^٩ على المخالفين برفع الدرجات ، أتبع ذلك ما دل عليها
وعلى حكمته بعلبه بالعواقب ، فقال معلما بأنه جعله عزيزا فى الدنيا لأن^{١٠}

(١) من ظ ، وفى الأصل : ختامه (٢) فى ظ : عبده (٣) من ظ ، وفى الأصل :
تقدم (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : حجته (٦) زيد بعده فى ظ : به (٧) فى ظ :
عبيهم (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : علاه (١٠) من ظ ، وفى الأصل :
لأنه .

أشرف الناس الأنبياء والرسل ، وهم من نسله وذريته ، ورفع ذكره
 أبداً لأجل قيامه بالادب عن توحيد : ﴿ ووجبت له ﴾ أى الخليلنا^٢
 عليه السلام بما لنا من العظمة ﴿ اصق ﴾ ولداً^٣ له على الكبر حيث لا يولده
 مثله ولا مثل زوجته ﴿ ويعقوب^٤ ﴾ أى ولد ولد ، وابتدأ سبحانه بهما
 ٥ لأن السياق للامتنان على الخليل عليه السلام ، وهو أشد سرورا بابنه^٥
 الذى متع^٦ به ولم يؤمر^٦ بفراقه وإن ابنه^٧ الذى أكثر^٨ الأنبياء
 الداعين إلى الله من نسله ومن خواصه ، وهو الموجب الأعظم
 للبداءة أن أبناءه طهروا الأرض المقدسة التى هى مهاجر إبراهيم
 عليه السلام وعثارة للسكنى بنفسه ونسله ، بل مختار الله له ولهم بعده
 ١٠ بمدد طهورها^٩ من الشرك وعبادة الأوثان ، ودعوا إلى الله ونوروا
 الأرض بعبادته^٩ .

ولما كانت النعمة لا تتم إلا بالهداية ، قال مستأقفا مقدما للفعل ليشمل
 الكلام إياهما^{١١} : ﴿ كلا ﴾ أى منهما ومن أيهما^{١٢} ﴿ هدينا ﴾ ثم أتبع
 ذلك المهتين قديما وحديثا تأكيدا لأن هذا المذهب لم يزل^{١٣} "خلص العباد"
 ١٥ دعاة إليه فى قديم الزمان وجديده ، فكأنه يقول : إن كنتم تلزمون دينكم لأنه
 (١) من ظ ، وفى الأصل : لاحه (٢) فى ظ : حليتنا (٣) من ظ ، وفى الأصل :
 اولدا (٤) فى ظ : ياتيه (٥) فى ظ : يقع (٦) فى ظ : لم يامر (٧) فى ظ : ابيه .
 (٨) من ظ . وفى الأصل : الاكثر (٩-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٠) فى
 ظ : باهما (١١) من ظ وفى الأصل : انها (١٢) فى ظ . لم تزل (١٣) فى
 ظ : العبادة .

عندكم حق ، فقد تبين [لكم - ^١] بطلانه ، وأن الحق إنما هو التوحيد ،
وإن كنتم تلومونه ليقدمه فهذا الدين - [الذى - ^١] دعاكم إليه رسولى
مع وضوح الدلالة على حقيقته - هو القديم الذى دعاكم إليه نوح و من
تلاه من خلص ذريته إلى إبراهيم ^٢ أيكم الأعظم [و - ^١] من بعده من
خلص ذريته إلى عيسى ، ثم إلى هذا الرسول الذى هو دعوة إبراهيم ^٥
و بشارة عيسى - على الكل أبلغ الصلاة و آم التسلیم ، فهو أحق بالاتباع
من جهة الحقبة ^٢ و الأقدمية ، وإن كنتم تلومونه لمجرد اتباع الآباء فليس
في آباءكم / مثل إبراهيم عليه السلام ، وقد تلوت عليكم في كلامى الذى
٢١٩ / أقت الدليل القطعى بسجركم عنه على حصة نسبته إلى ما حاج به أباه و قومه
في إبطال الآوثان التى أضلتكم ، فهو أولى آباءكم أن تمتدوا به - ١٠
واقه الموفق .

ولما كان ربما وقع في وهم أن هداية كل من إسحاق وابنه بترية
[أيه - ^١] ، ذكر العاشر من آباء الخليل و هو نوح عليهما السلام لدفع
ذلك ، ولأن السياق لإنكار الآوثان ، و هو أول من نهى عن عبادتها ،
و هو أجل آباء الخليل عليه السلام فقال : (و نوحا هدينا) أى بما لنا ١٥
من العظمة من بين ذلك الجيل الأعوج .

ولما كانت لم تتجاوز منه ، و كان زمنه بعض الزمن المتقدم ، أثبت
الحار و قطعه عن الإضاقة لتراخى زمانهم كثيرا عن زمانه فقال :
(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده في ظ : هو (٣) في ظ : الحقيقة (٤) من ظ ،
وفي الأصل : يمتدوا .

(من قبل) أى ولم تكن هدايته إلا بنا فى زمان كان أهله من شدة الضلال و لزوم الظلم فى مثل استقبال الليل ، كلما امتد احولك ظلامه واشتد ، وطالما دعاهم إلى الله و ربّاهم فلم يرجع منهم كثيرا ^١ [أحد - ^٢] حتى لقد خالفه زوجه و بعض ولده ، و ^٣ لمثل ذلك ^٤ فصل بين إسماعيل و آية و يوسف و آية عليهم السلام إشارة إلى فراق كل منهما لآية فى الحياة ، و أنه ما ^٥ حفظ كلا منهما على سفن الهدى طول المدى إلا الله ^٦ ثم ابتدأ المذكورين ^٧ بعد بمنى على يده و يد ابنه مسجدا هو بعد المسجد الذى بابه إبراهيم و ولده إسماعيل عليهما السلام فقال : (و من ذريته) .

١٠ ولما كان السياق كله لمدح الخليل ، و كان المذكورون - إلا لوطا - من نسله ، و كان التعليب مستعملا ^١ شائعا فى لسان العرب ، لا سيما و لوط ابن أخيه و مثل ولده ^٢ حكم بأن الضمير لإبراهيم عليه السلام ، و قول من قال : إن يونس عليه السلام ليس من نسله ، غير صحيح . بل هو من بنى إسرائيل ، و هو أحد من ذكر فى سفر الأنبياء ، و سيأتى ١٥ خبره من ^٣ الشعر المذكور فى سورة " و الصّفت " إن شاء الله تعالى ، و قد صرح أبو الحسن محمد بن عبد الله الكشاف فى قصص الأنبياء أنه من ذرية إبراهيم ، و اقتضى ^٤ كلامه أنه من بنى إسرائيل ، كما اقتضى ذلك

(١) فى ظ : كثير (٢) زيد من ظ (٣ - ٤) فى ظ : لذلك (٥) من ظ ، وفى الأصل : لا (٦) من ظ ، وفى الأصل : آية - كذا (٧) من ظ ، وفى الأصل : المذكورون (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، وفى الأصل : اقتضى .

كلام البغوى فى سورة الانبياء عليهم السلام ، واما أيوب فرى :
من نسل [عيص بن - ٢] إسحاق عليهم السلام (داود) أى هديناه
(وسليمن) أى اللذين بنيا بيت المقدس بأمر الله : داود بخطه
و تأسيسه ، وسليمان ما كاله وتشيدده .

- ولما كانا مع ذلك ملكين ، تلاهما بن شابهما فى الملك أو الحكم
على الملوك فقال : (واوب) وقدمه لماسبة ما بينه وبين سليمان فى أن
كلا منهما ابتلى بأخذ كل ما فى يده ثم ردّ الله إليه (ويوسف) و كل
من هؤلاء الأربعة ابتلى فصر ، واغنى فشكر ، و أيوب إن لم يكن ملكا
فقد كانت ثروته غير مقصره [عن - ٢] ثروة الملوك ، على أن بعض
بعض الطلبة أخبرنى عن تفسير المكارى - فيما أظن - أنه صرح بأنه ملك ،
" وأيضاً " فالاثنان " الأولان كانا سبب إصلاح بن إسرائيل بعد الفساد
واستنقاذهم من ذل " الفلسطينيين ، والاثنان " الباقيان كل منهما " ابتلى
بفراق أهله ثم ردوا عليه : أيوب بعد أن ماتوا ، ويوسف قبل الموت ،
(١) من ظ ، وفى الأصل : مرد (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : اله .
(٤) فى ظ : كان (هـ - هـ) من ظ ، وفى الأصل : مان (٦) كذا فى الأصل ، وفى ظ :
رده (٧) من ظ ، وفى الأصل : اعسى - كذا (٨) من ظ وفى الأصل : مقصورة .
(٩) من ظ ، وفى الأصل : المكارى ، وللنسوب إلى هذه النسبة ثلاثة - راجع
معجم المؤلفين (١٠ - ١٠) - سقط ما بين الرقنين من ظ (١١) من ظ ، وفى الأصل :
الاننان (١٢) من ظ ، وفى الأصل : ذى - كذا (١٣) من ظ ، وفى الأصل : الامان .
(١٤) فى ظ : منهم .

وأيضا داود عليه السلام شارك إبراهيم عليه السلام في أنه كان سبب
سلامته من ملك زمانه الاختفاء في غار، وذلك أن نمرود بن الكنعان
كان ادعى الإلهية وأطمع فيها، وقال له منجموه: يولد في بلدك هذا
العام غلام يغير دين أهل الأرض، ويكون هلاكك على يده، فأمر
ه يذبح كل غلام في^١ ناحيته في تلك السنة، وأمر بيزل الرجال عن
النساء، وحملت أم إبراهيم عليه السلام^٢ في تلك السنة، فلما وجدت
الطلق خرجت ليلا إلى غار قريب منها فولدت فيه إبراهيم / وأصلحت / ٢٢٠
من شأنه^٣، ثم سدت فم الغار ورجعت، ثم كانت تطالعه فتجده يمتص^٤
إمهامه، وكان يشب في اليوم كالشهر وفي^٥ الشهر كالسنة؛ وأما داود
١٠ عليه السلام فانه لما قتل جالوت^٦ وزوجه طالوت^٧ ابنته، وناصفه ملكه -
على ما كان شرط لمن قتل جالوت^٨ - مال إليه الناس وأحبوه، فغسده
فأراد قتله، فطلبه فهرب منه، فدخل غارا ففسجت^٩ عليه المنكبوت،
فقال طالوت: لو دخل هنا لحرق بناه المنكبوت، فأتجاه الله منه^{١٠}، وتلاه
بسليان^{١١} لأنه مع كونه من أهل الملك والبلاء شارك إبراهيم عليهما السلام
١٥ في إبطال عادة الشمس في قصة بلقيس رضى الله عنها؛ وقصة يوسف
عليه السلام في إبطال عبادة الأوثان شهيرة في قوله تعالى "بصاحبي
السجناء أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار"^{١٢}.

(١) في ظ: من (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: شأنها (٤) في ظ:
يمص (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) في ظ: نسجت (٧) من ظ، وفي
الأصل: سليان (٨) سورة ١٢ آية ٣٩.

ولما كان يوسف عليه السلام من أعلى الله كلمته [على كلمة -^١] ملك مصر وأعز [ملكها و -^٢] أهلها^٣ وأحيام به، أتبعه من أعلى الله كلمتهما على كلمة ملك مصر وأهلها وأهلكهم^٤ بها، فكان^٥ بعض قصصهم^٦ وفاق، وبعضها تقابل وطباق، فقال: (وهمسى وهرون^٧) ولما كان التقدير: هديناهم جزاء لإحسانهم باهتدائهم في أنفسهم و دعائهم لغيرهم إلى الهدى، لم يشغل^٨ أحدا منهم منحة السراء ولا محنة الضراء، عطف عليه قوله: (وكذلك) أى ومثل ما جزيناكم (نجزى المحسنين^٩) أى كلهم، ففي ذلك إشارة إلى علو مقامهم من هذه الجهة، وهى أنهم من أهل السراء^{١٠} المطفئة^{١١} والضراء المسنية^{١٢}، ومع ذلك فقد أحسنوا ولم يفتروا^{١٣} ولم ينوا.

ولما كان المذكوران قبله من سلطهما على الملوك، أتبعهما من سلط الملوك عليهما بالقتل فقال: (وزكريا ويحيى) ثم أتبعهما من عاندتهما الملوك ولم يسلطوا عليهما، وأدام الله سبحانه حياتهما إلى أن يريد سبحانه فقال: (وعيسى والياس^{١٤}) ولما كان هؤلاء الأربعة من الصابرين، قال مادحا لهم على وجه يعم من قبلهم: (كل) أى من ١٥ المذكورين (من الصالحين^{١٥}) ثم أتبعهم^{١٦} من لم يكن بينها وبين الملوك

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده في الأصل: أهلكهم، ولم تكن الزيادة في ظ لغذفتها، والعبارة من هنا إلى «أهلكهم بها» ساقطة منه (٣-٢) من ظ، وفي الأصل: بين قصتهم (٤) في ظ: لم يشغل (٥) في ظ: منحة (٦) من ظ، وفي الأصل: السراء (٧) في ظ: المطيعة (٨) في ظ: الهمة - كذا (٩) من ظ، وفي الأصل: لم يفتروا (١٠) في ظ: أتبعهما.

أمر، وهدى بهما من كان بين ظهرائيه فقال: (واسمعيلى واليسع)
 هذا إن كان اليسع هو ابن أخطوب^١ بن العجوز خليفة إلیاس، كما ذكر
 البغوى^٢ فى سورة الصافات^٣ أن الله تعالى أرسل إلى إلیاس - وهو من
 سبط لاوى من نسل هارون علیه السلام - فرسا من نار فركبه فرفعه الله^٤
 ٥ و قطع عنه^٥ لذة المقطم والمشرى، وكساه الریش . فكان إنسيا ملكيا
 أرضيا سماويا^٦، و سبط الله^٦ على آجب^٦ - يعنى الملك الذى سبط على إلیاس -
 عدوا قتله و نبأ^٧ الله الیسع وبثه رسولا إلى بنى إسرائيل، وأيده فأمنت
 به بنو إسرائيل و كانوا يعظمونه وإن كان الیسع هو يوشع بن نون -
 كما قال زید بن أسلم - فالمناسبة بينه وبين إسماعیل علیهما السلام أن
 ١٠ كلا منهما كان صادق الوعد، لأن يوشع أحد النقيین اللذين وفيا لموسى
 علیه السلام حين ستمهم يحسون بلاد بیت المقدس [كما أشیر إليه فى قوله
 تعالى ” ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل -^٨] و بعثنا منهم اثني عشر نقيبا^٩،
^٩ وقوله^٩ ” وقال رجلن من الذين يضافون انعم الله عليهما “ - الآية ،
 وأیضا فكل منهما كان سبب عمارة بلد الله الاعظم بالتوحيد ، فاسماعيل
 ١٥ سبب عمارة مكة المشرفة ، و يوشع سبب عمارة البلدة المقدسة - كما سیأتى^{١٠}

(١) من معالم التنزيل للبغوى ٦/٢٩، وفى الأصل: اخطوب، وفى ظ: حطوب.

(٢-٣) سقط ما بين الرقین من ظ (٣) من ظ والعالم، وفى الأصل: ابنه .

(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: صحايا - كذا (٦) من العالم، وفى الأصل و ظ:

احب (٧) فى ظ: نبه (٨) يزيد ما بين الحاجزين من ظ (٩) سورة ه آية ١٢ .

(١١) سورة ه آية ٢٣ (١٢) من ظ ، وفى الأصل: ياتى .

في سورة يونس إن شاء الله تعالى .

ولما كان إسماعيل و اليسع من هدى الله بهما قومهما من غير عذاب ،
اتبهما من هدى الله قومه بالعذاب و أنجىهم بعد 'إتيان عايله' فقال :

(يونس) أى هديناه ، ولما انقضت / ذرية إبراهيم عليه السلام ، ختم / ٢٢١

بإبن أخيه الذى ضل قومه فهلكوا بقتة ، فبين قصتي هذين الآخرين طباق ٥

من جهة الهلاك و النجاة ، و وفاق من حيث أن كلا منهما أرسل إلى غير

قومه فقال : (ولوطا) ثم وصفهم بما بهم من قبلهم فقال : (وكلا)

أى عن ذكرنا (فضلنا) أى بما لنا من العظمة بتيام العلم^٢ و شمول القدرة

(على الغلبن^٣) فكل هؤلاء الاتيياء عن هداه الله يهداه و جاهد في الله

حق جهاده ، و بدأهم تعالى بإبراهيم عليه السلام و ختمهم بإبن أخيه لوط ١٠

عليه السلام على هذه المناسبة الحسنة ؛ و قيل : إن الله تعالى أطلك قوم

إبراهيم - مرود و جنوده - بعد هجرته ، فان صح ذلك تمت المناسبة في

هلاك كل من قومه و قوم [ابن أخيه -^٢] لوط بعد خروج نبيهم عنهم ،

فيكون بينهما وفاق كما^٤ كان بين قصته و قصته يونس عليه السلام

طباق . ١٠ من^٥ لطائف ترتيبهم هكذا أيضا أن إسماعيل عليه السلام يوازي ١٥

نوحا عليه السلام ، فإنه رابع في العدد لهذا العقد إذا عدته من آخره ،

كما أن نوحا عليه السلام^٥ رابعه إذا عدته من أوله ، و المناسبة بينهما أن

(١-١) في ظ : بيان عايله - كذا (٢) زيد بعده في الأصل : من قبلهم ، ولم تكن

الزيادة في ظ لخلفاها (٣) زيد من ظ (٤) في ظ : ثم (٥-٥) سقط ما بين الرقين

من ظ (٦-٦) في ظ : سر - كذا .

نوحا عليه السلام نشر^١ الله منه الأدميين حتى كان منهم إبراهيم عليه السلام
 'الذي جعله الله أباً للأنبياء والمرسلين، وإسماعيل عليه السلام' نشر^٢ الله
 منه العرب الذين هم خلاصة الخلق^٣ حتى كان منهم محمد^٤ صلى الله عليه وسلم
 الذي جعله الله خاتم الأنبياء والمرسلين، فهذا^٥ كان بداية وهذا^٦ كان نهاية ،
 • وأن المذكورين قل ذرية إبراهيم عليه السلام وبعدها - وهما نوح ولوط عليهما
 السلام - أهلك الله قوم كل منهما عامة ، وغيب هؤلاء في جامد الأرض
 كما أغرق أولئك في مائع الماء ، وأشق^٧ بكل منهما زوجته ، يانا لأن الرسل
 كما يكونون لناس رحمة يكونون على قوم نقمة ، وأنه لا نجاة بهم ولا انتفاع
 إلا بحس الاتباع ، وأ ابن عمران اشترك^٨ مع إبراهيم عليهم السلام في
 ١٠ أن كلا من ملكي زمانهم أمر بقتل الثلثاء خوفاً من يغير دينه ويسلبه
 ملكه^٩ ، وكما أن الله تعالى أنجى إبراهيم عليه السلام وابن أخيه لوطاً^{١٠}
 عليه السلام من ملك زمانهما المدعى للالهية^{١١} وكذلك أنجى موسى وأخاه
 هارون عليهما السلام من ملك زمانهما المدعى للالهية^{١٢} ، وأنجى ذرية إبراهيم
 بهما ، فإذا جعلت إبراهيم وابن أخيه لوطاً - لكونه تاماً [له - ١٢] - واحداً ،
 ١٥ وموسى وأخاه هارون واحداً مثل ذلك ، ونظمت أسماء جميع هذه

(١) من ظ ، وفي الأصل : بشر (٢-٢) تكرر ما بين الرقيين في ظ (٣) في ظ :
 الحق (٤) في ظ : جدا (٥) في ظ : هذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : لهذا (٧) في
 ظ : انتهى (٨) في الأصل و ظ : اشتركا (٩) من ظ ، وفي الأصل : ملك (١٠) في
 الأصل و ظ : لوط (١١-١١) سقط ما بين الرقيين من ظ (١٢) زيد من ظ .

الانبياء في سلك النقي^١: لوط مع إبراهيم كوسى مع هارون، و كانت
 الأرمية واسطة عقدة^٢، فين إبراهيم و موسى حيثئذ سبعة كما أن بين هارون
 و لوط سعة ، وإذا ضمنت إليهم المقصود بالذات المخاطب بهذه الآيات
 المأمور بقوله "فبهذههم اقتده" كان منزله في السلك بين ابن عمه لوط
 و أبيه إبراهيم . و^٣ يكون من بين يديه تسعة ، و من خلفه تسعة ، فن^٤ ٥
 إبراهيم إلى موسى تسعة ، و من لوط إلى هارون كذلك ، فكان
 [رسول الله -] صلى الله عليه وسلم واسط العقد و مكل العقد ، فاته
 العاشر من كل جانب ، فيه تكل الهدى و إيجاب^٥ الردى . و ذلك طلق
 قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة
 رضي الله عنه: مثلى و مثل الانبياء من قبلى كمثل رجل نى بيتا فأحسنه ١٠
 و أجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به
 و يعجبون له و يقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأما اللبنة^٦ و أنا خاتم
 النبيين . و البخارى نحوه عن جابر ، هذا مع اقترانه بأقرب أولى العزم
 رتبة و نسبا صاحب القصة إبراهيم عليه السلام ، و إن / جعلت^٧ موسى / ٢٢٢
 و هارون عليهما السلام كشيء واحد كانا واسطة من الجانب الآخر ، فإن ١٥
 عددت من جهة إبراهيم عليه السلام كان بينه و بينها ثمانية ، و إن عددت
 (١) في الأصل و ظ : النفى - كذا بالهاء (٢) من ظ ، و في الأصل : عقده (٣) في
 ظ : فن (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و في الأصل : إيجاب .
 (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) من ظ ، و في الأصل . حمل .

من جهة لوط عليه السلام كان كذلك .

ولما نص سبحانه على هؤلاء ، وختم بتفضيل كل على العالمين ، أتبعه على سبيل الإجمال أن غيرهم كان مهديا ، وأن فضل هؤلاء علة^١ النص لهم^٢ على أسمائهم ، فقال ترغيبا في سلوك هذا السبيل بكثرة سالكيه وحثا على منافستهم في حسن الاستقامة عليه والسلوك فيه :

(ومن) أي وهدينا أو فضلنا من (أبائهم) أي أصولهم (وذرئهم) أي من فروعهم^٣ [من -^٤] الرجال^٥ والنساء^٦ (واخوانهم) أي فروع أصولهم^٧ ، وعطف على العامل المقدر قوله^٨ : (واجتنبهم) أي واخترناهم^٩ ، ثم عطف عليه يان^{١٠} ما هدوا إليه حثا^{١١} على شكره على ما زادنا من فضله فقال : (وهدئهم) أي

بما تقدم من الهداية (إلى صراط مستقيم) . وأما الصراط المستقيم فخصصناكم به وأقناكم عليه ، فاعرفوا نعمنا عليكم واذكروا^{١٢} تفضيلنا لكم .

ولما كان ربما أوجم تنكيره قصا فيه ، قال مستأنفا يانا لكمالهِ وتعظيما لفضله وفضاله : (ذلك) أي الهدى العظيم الرتبة (هدى الله)

١٥ أي^{١٣} المستجمع لصفات الكمال (يهدى) أي يخلق الهداية (به) أي بواسطة الإقامة عليه (من يشاء من عباده^{١٤}) أي سواء كان له أب

(١) من ظ ، وفي الأصل : عليه (٢) سقط من ظ (٣) في الأصل : فرعهم ، وفي

ظ : فروع أصولهم (٤) زيده من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ .

(٦) من ظ ، وفي الأصل : اخبراهم (٧ - ٧) في ظ : عقبه ببيان (٨) من ظ ،

وفي الأصل : اذكر (٩) من ظ ، وفي الأصل : انما .

يعلمه أو كان له من يحمله على الضلال أو لا ؟ [ولما - ١] بين فضل الهدى
و نص على رؤس أهله ، تهدد من تركه كائنا من كان ، فقال مظهرًا لمرء
الإلهية بالتقى المطلق ميزها نفسه عما لوحظ فيه غيره ولو بأدنى لحظ :
﴿ ولو اشركوا ﴾ - أى هؤلاء الذين ذكرنا من مدحهم ما سمعت و [بينا - ١]
من اختصاصنا لهم ما علت - شيئًا من شرك وقد أعادهم الله من ذلك ،
وأقام بهم معوج المسالك ، وأمار بهم ظلام الأرض بطولها والعرض
﴿ لحبط عنهم ﴾ أى فسد وسقط ﴿ ما كانوا يعملون ٥ ﴾ أى وإن كان
فى غاية الإتقان^١ بقوانين العلم ، وزاد فى الترهيب من التواى فى السير
والزيغ عن سوء القصد بقوله : ﴿ أولئك ﴾ أى العالو الرتبة الذين
قدما ذكرهم وأجبرنا أنهم لو أشركوا سقطت أعمالهم ﴿ الدين اتينهم ﴾ ١٠
أى بعظمتنا ﴿ الكشب ﴾ أى الجامع لكل خير ، فمن ملك ما فيه من
العلوم والمعارف حكم على البواطن ، وذلك لأن^٢ الناس يحونه فينقادون
له^٣ يواطنهم ﴿ والحكم ﴾ أى العمل المتقن بالعلم ، ومنه نفوذ الكلمة
على الظواهر بالسلطة وإن كرهت الواطن ﴿ والنوطة ٤ ﴾ أى العلم
المزين بالحكم^٤ وهى^٥ وضع^٦ كل شئ^٧ فى أحق مواضعه ، فهى جامعة ١٥
للرئتين الماصيتين ، فلذلك كان الأبياء يحكون على الواطن بما عندهم
(زيد من ظ (٢) فى ظ : لغير (٣) فى ظ : كاة (٤) من ظ ، وفى الأصل :
الاتفاق (٥) من ظ ، وفى الأصل : الذى (٦) فى ظ : انب (٧) فى ظ : اليه .
(٨) فى ظ : الحكمة (٩) زيد منه فى الأصل : كل ، ولم تكن الريادة فى ظ
لخذنها (١٠ - ١) فى ظ : الشئ .

من العلم ، وعلى الظواهر بما يظهر^١ من المعجزات ، ثم سبب عن تعظيمها
 [بذلك تعظيمها - ٢] بأنها لا تبور ، فقال تسلياً عن المحصية بطعن^٣
 الطاعنين فيها وإعراض الجاهلين عنها وترجئة عند ما يوجب اليأس من
 نفرة أكثر المدحورين : (فان يكفر بها) أى هذه الأشياء العظيمة
 هـ (مؤلا) أى أهل مكة الذين أنت بين أظهرهم ، وقد جوتهم بها على
 أتم وجه وأكمله وأعلاه وأجله ، وأنت تدعوم إلى أن يكونوا
 سعداء بما اشتملت عليه من الهدى وهم عنه معرضون ، ولعل الإشارة^٤
 على هذا الوجه لتحقيرهم (قد وكلنا)^٥ أى لما لنا من العظمة في الماضي
 والحال والاستقبال (بها قوماً)^٦ أى ذوى قوة على القيام بالأمور
 ١٠ [بالإيمان بها والحفظ لحقوقها - ٢] (ليسوا)^٧ وقدم الجار اهتماماً
 فقال : (بها بكافرين هـ) أى بساترين النوء بما ظهر من شمس أدلتها ،
 وهم الأنبياء / [ومن - ٢] تبعهم ، وقد صدق الله - ومن أصدق من
 الله حديثاً ! قد جاء في هذه الآية من العلماء الأخيار والراعيين
 الأحبار من^٨ لا يحصيهم إلا الله .

/ ٢٢٣

١٥ ولما كان المراد بسوقهم هكذا - والله أعلم - أن كلامهم بادر بعد
 الهداية إلى الدعاء إلى الله والغيرة على جلاله من الإشراك ، لم يُشْفِل
 (١) في ظ : يظهرون (٢) زيد من ظ (م) في ظ : بمطعن (٤) في ظ : ان .
 (هـ) زيد بعده في الأصل : وقدم الجار اهتماماً فقال ، ولم تكن الزيادة في ظ لغولتها
 إلى موضعها اللائق بها (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) زيد من ظ . والقرآن
 الكريم (٨) في ظ : عن .

أحدا منهم عن ذلك سراه ولا ضراء بمثلك ولا غيره من ملك أو غيره بل
لازموا الهدى^١ والدعاء إليه على كل حال ؛ قال مستأنفا لتكرار^٢ أمداهم
بما يحمل على التحلى بأوصافهم ، مؤكدا لإثبات^٣ الرسالة : (أو لك) أى
العالو المراتب (الذين هدى الله) أى الملك الحائز لرتب الكمال ، الهدى
الكامل ، ولذلك سبب عن مدحهم قوله : (فبهذههم) أى خاصة فى ٥
واجبات الإرسال وغيرها (اقتده^٤) وأشار بهاء السكت التى هى أمانة
الوقوف - وهى ثابتة فى جميع المصاحف - إلى أن الاقتداء بهم كان
غير محتاج إلى شيء ؛ ثم فسر الهدى بمعظم أسبابه فقال : (قل) أى
لمن تدعوم كما كانوا يقولون بما ينبنى التهمة ويمحص النصيحة فيوجب
الاتباع إلا من شق (لا استلکم) أى أيها المدعون (عليه) أى على ١٠
الدعاء (اجرا^٥) فان الدواعى تنور بسبب ذلك على الإقبال إلى
الداعى ؛ والاستجابة للرشد ؛ ثم استأنف قوله : (ان) أى ما (هو)
أى هذا الدعاء الذى أدعوكم به (الا ذكرى) أى تذكير بليغ من كل
ما يحتاج إليه فى المعاش والمعاد (للعلين^٦) أى الجن والإنس والملائكة
دائما ، [لا - ٦] ينقضى دعاؤه ولا ينقطع نداؤه ، وفى التعبير بالاقتداء ١٥
إيماء إلى تبكيت كفار العرب حيث اقتدوا بمن لا يصلح للقدرة من آبائهم ،
وتركوا من يجب الاقتداء به . ولما حصر^٧ الدعاء فى الذكرى ، و كان
ذلك نفعه^٨ لهم ورفقا بهم ، لا تزيد^٩ طاعتهم فى ملك الله شيئا ولا ينقص
(١) من ظ ، و فى الأصل : الهداية (٢) فى ظ : لتكرير (٣) فى ظ : بإثبات .
(٤) فى ظ : الداعين (٥) فى ظ : قل - كذا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : خص .
(٨) فى ظ : تما (٩) من ظ ، و فى الأصل : لا يزيد .

إعراضهم من عظمت شيئا، لأن كل ذلك بإرادته؛ بنى حالا منهم، فقال
تأكيدا لأمر الرسالة بالإنكار على من جحدوها وإزاما لهم^١ بما هم معترفون
به، أما أهل الكتاب فعلمنا قطعا، وأما العرب فتقليدا لهم ولأنهم سلبوا لهم
العلم وجعلهم محط سؤالهم عن محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وما﴾ أى
٥ ﴿فقلنا ذلك لهم خاصة والحال أنهم ما﴾ ﴿قدروا﴾ أى عظموا ﴿الله﴾
أى المستجمع لصفات الكمال ﴿حق قدرة﴾ أى تعظيمه فى جحدهم
لذكراهم وصدم عن بشرام ومقابلتهم للشكر عليه بالكفر له؛ قال
الواحدى: يقال قدر^٢ الشيء - إذا سره وحزره وأراد أن يعلم مقداره -
يقدره - بالضم - قدرا، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: فان غم عليكم فاقدروا
١٠ [له^٣]، أى فاطلبوا^٤ أن تعرفوه - هذا أصله فى اللغة، ثم قيل لمن
عرف شيئا: هو يقدر قدره، وإذا لم يعرفه صفاته^٥: إنه [لا^٦] يقدر
قدره ﴿اذ﴾ أى حين ﴿قالوا﴾ أى اليهود، والآية مدنية وقريش^٦
فى قبولهم لقولهم، ويمكن أن تكون مكة، ويكون قولهم هذا حين أرسلت
إليهم قريش تسألهم عنه صلى الله عليه وسلم فى أمر رسالته واحتجاجه
١٥ عليهم نارسل موسى عليه السلام وإنزال التوراة عليه ﴿ما أنزل الله﴾
أى^٧ فاسين ما^٨ له من صفات الكمال^٩ ﴿على بشر من شيء^{١٠}﴾ لأن^{١١}

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل: على، ولم تكن الزيادة فى ظ
وروح لعانى ٢/٥٢٠ حيث نقل قول الواحدى، فحذفناها (٣) زيد من ظ
والروح (٤) من الروح، وفى الأصل وظ: فاطلبوه (٥) من ظ والروح،
وفى الأصل: صفاته (٦) من ظ، وفى الأصل: قدس - كذا (٧-٧) من ظ،
وفى الأصل: فاسين ما (٨) زيد بعده فى الأصل: الدين هم، ولم تكن الزيادة
فى ظ فحذفناها (٩) فى ظ: لا - كذا.

من نسب ميكا تام الملك إلى أنه لم يُثبت أوامره في رعيته بما يرضيه
 ليفعلوه وما يستطه ليجنوه، قد نسب إلى قصص عظيم، فكيف إذا كانت
 تلك النسبة كذبا وهذا وإن كان ما قاله إلا بعض العالمين بل بعض
 أهل الكتاب الذين هم بعض العالمين، أسند إلى الكل، لأنهم لم يردوا
 على قائله ولم يعاجلوه بالأخذ تقظيما^١ للشأن و تهويلا للامر، و بياناه
 لأنه يجب على كل من سمع بآية من آيات الله أن يسمى إليها ويتعرف
 أمرها، فإذا تحققه فمن طعن فيها أخذ على يده بما يصل إليه قدرته،

- / كما أنه كذلك كان يفعل لو كان ذلك ناشئا عن آية أو أحد من يكون
 غره^٢ به من أبناء الدنيا، وفي ذلك آثم إشارة إلى أن الامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر عماد الأمور كلها، من قرط فيه ملك وأهلك ١٠
 روى الواحدى في أسباب النزول بغير سند عن ابن عباس رضى الله عنها
 ومحمد بن كعب القرظى أن اليهود قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء،
 فأنزل الله تعالى - بنى هذه الآية - فقال مشيرا إلى أن اليهود قاتلو ذلك،
 وملزما بالاعتراف بالكذب أو المساواة للاميين في التمسك بالهوى
 دون كتاب، موبخا لهم ناعيا عليهم سوء جهلهم^٣ وعظيم بهتهم وشدة ١٥
 وقاحتهم وعدم حياتهم: (قل) أى لهؤلاء السمهاء الذين تجرؤوا على
 هذه المقالة غير فاضلين في عاقبتها وما يلزم منها توبيخا لهم وتوقيفا على
-
- (١) من ظ، وفي الأصل: تسبب (٢) من ظ، وفي الأصل: من (٣) في ظ:
 في ظ: تعطيل (٤) وإذا (٥) في ظ: تصل (٦) في ظ: نحوه (٧) من ظ،
 وفي الأصل: جهتهم.

موضع جهلهم (من أنزل الكتب) أى الجامع للأحكام والمواظع
 وخيرى الدنيا والآخرة (الذى جاء به موسى) أى الذى أتمّ زعمون
 التمسك شرعه ، حال كون ذلك الكتاب (نورا) أى ذا نور يمكن
 الأخذ به من وضع الشيء^١ فى حاقّ موضعه (وهدى للناس) أى
 ٥ ذا هدى لهم كلهم ، أما فى [ذلك -^٢] الزمان فالتقيد به ، وأما عند إزال
 الإنجيل فبالأخذ بما أرشد إليه من اتباعه ، وكذا عند إزال القرآن ،
 فقد بان أنه هدى فى كل زمان تارة بالدعاء إلى ما فيه وتارة بالدعاء إلى
 غيره ؛ ثم بين أنهم أخفوا منه ما هو نص وصريح فى الدعاء إلى غيره^٣
 اتباعا منهم للهدى ولزوما للعلمى فقال : (تعملونه) أى أيها اليهود
 ١٠ (قراطيس) أى أوراقا مفرقة لتتمكنوا^٤ بها من إخفاء ما أردتم
 (تبدونها) أى تظهرونها للناس (وتخفون كثيرا) أى منها ما تريدون
 به تبديل الدين - هذا على قراءة الجماعة بالفوقاية ، وعلى قراءة ابن كثير
 وأبى عمرو بالنية هو التفات مؤذن بشدة الغضب مشيرة إلى أن ما قالوه
 حقيق بأن يستحي من ذكره فكيف بفعله^٥ ثم التفت إليهم للزيادة
 ١٥ فى تبكيتهم لإعلاما بأنهم متساوون لبقية الإنسان فى أصل الفطرة ، بل
 العرب أذكى منهم وأصح أهما ، فلولا ما أتاها به موسى عليه السلام
 ما فاقوم فهم ، ولا زادر عليهم فى علم ، فقال : (وعلىتم) أى أيها
 اليهود بالكتاب الذى أنزل على موسى (ما لم تعلموا أتم) [أى -^٦]

(١) فى ظ : كل شيء (٢) زيد من ظ (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن
 فى ظ لحذفها (٤) فى ظ : معرفة (٥) فى الأصل و ظ : ليمكنوا (٦) فى ظ :
 مشيرا .

أيها اليهود من أهل هذا الزمان ﴿و [١-٢] أَبَاؤُكُمْ ﴾ أى الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم .

ولما كانوا قد وصلوا فى هذه المقالة إلى حد من الجهل عظيم ، قال مشيراً إلى عنادهم : ﴿ قل ﴾ أى أنت فى الجواب عن هذا السؤال ^٢ غير متظر^٢ لجوابهم فانهم أجلف الناس وأعتامهم ﴿ الله ^٣ ﴾ أى الذى أنزل ذلك الكتاب ﴿ ثم ﴾ بعد ^٣ أن تقول^٣ ذلك لا تسمع لهم شيئاً بل ﴿ ذرهم فى خوضهم ﴾ أى قولهم و ضلهم المثبتين^٤ على الجهل المبينين على أنهم^٥ فى ظلام الضلال كالحائض فى الماء يعملون ما لا يعلمون ﴿ يلبون . ﴾ أى يعملون [فعل - ^٦] اللاعب ، وهو ما لا يحرمهم نقماً ولا يدفع عنهم ضراً مع تضيق الزمان .

ولما أثبت سبحانه أنه الذى أنزل التوراة [والإنجيل - ^٦] تكميلاً لإثبات الرسالة بدليل علم اليهود دون من لا كتاب لهم ، عطف على ذلك قوله تأكيداً لإثباتها وتقريراً : ﴿ وهذا ﴾ أى القرآن الذى هو حاضراً الآن فى جميع الأذهان ﴿ كُتِب ﴾ أى جامع لخبري^٧ الدارين ، وكان السياق لأن يقال : أنزل الله ، ولكنه أتى بنون العظمة ، لأنها ^{١٥} أدل على تعظيمه فقال : ﴿ أنزلته ﴾ أى ^٨ ليس من عند محمد صلى الله

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم (٢-٣) فى ظ : متظراً (٣-٣) من ظ ، وفى الأصل : انه يقول (٤) من ظ ، وفى الأصل : المتبين (٥) من ظ ، وفى الأصل : انتم (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : لخبر (٨) سقطت الواو من ظ .

عليه وسلم من قسه، وإنما هو بانزالنا إياه إليه وإرسالنا [له - ١].
 به (مُبْرَك) أى كثير الخير ثابت الأمر. لا يقدر أحد من الخلق
 على إنكاره لإعجازه، لتعلم أهل الكتاب خصوصا حقيقته بتصديقه
 لكتابتهم لأنه (مصدق الذى بين يديه) أى كله من كتبهم وغيرها،
 ٢٢٥ / ٥ فيكون أجدر لإيمانهم به، / وتعلم جميع أهل الأرض عموما ذلك بذلك
 وباعجازه (ولتسدر) أى به (أم القرى) أى مكة لأنها أعظم
 المدن بما لها من الفضائل (ومن حولها) من "لا يؤمن" بالآخرة فهو
 لا يؤمن به من أهل الأرض كلها من جميع البلدان والقرى، لأنها
 أم الكل، وهم فى ضلالتهم^٢ مفرطون (والذين يؤمنون بالآخرة)
 ١٠ أى فيهم قابلية الإيمان بها على ما هى عليه، من أهل أم القرى ومن
 حولها "بكل خير ينشرون" (يؤمنون به) أى بالكتاب بالفعل
 لأن الإيمان بها داع إلى كل خير بالخوف والرجاء، والكفر بها
 حامل على كل بشر.

ولما تكرر وصف المناقين بالتكاسل عن الصلاة جعل المحافظة

١٥ عليها علما على الإيمان فقال: (وهم على صلاتهم يحافظون) أى
 يحفظونها غاية الحفظ، فالآية من عجيب فن الاحتباك: ذكر الإنذار
 والام أولا دالا^٣ على حذفها ثانيا^٤، وإثبات الإيمان والصلاة ثانيا دليل
 على نفيها^٥ أولا.

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ: يؤمن (٣) فى ظ: حيث (٤) فى ظ: ضلالتهم -
 (٥-٥) فى ظ: مبشرون (٦) من ظ، وفى الأصل: داله (٧) فى الأصل: باقيا،
 وفى ظ: ثابتا - كذا (٨) من ظ، وفى الأصل: نعمها.

ولما كان في قولهم " ما أنزل الله على بشر من شيء " صريح^١
 الكذب و تضمن^٢ تكذيبه - وحاشاه صلى الله عليه وسلم ! أما من اليهود
 فبالفعل ، و أما من قرش فبالرضى ، و كان بعض الكفرة قد ادعى الإيحاء
 إلى نفسه إرادة للطنن في القرآن ؛ قال تعالى مهولاً لأمر^٣ الكذب لا سيما
 عليه لا سيما في أمر الوحي ، عاطفاً على مقول " قل " من أنزل " ، مبطلاً ه
 للتنبؤ بعد تصحيح أمر الرسالة و إثباتها لإثبات لا مصرية فيه ، فكانت براهين
 لإثباتها أدلة على إبطال التنبؤ و كذب مدعيه : (و من اعظم بمن أقرى)
 أى بالفعل كاليهود و الرضى كقرش^٤ (على الله كذباً) أى أى كذب
 كان ، فضلاً عن إنكار الإنزال على البشر^٥ (أو قال أوحى إلى و لم) أى
 و الحال أنه لم (يوح إليه شيء) فهذا^٦ تهديد على سبيل الإجمال كمادة^٧ ١٠
 القرآن المجيد^٨ ، يدخل فيه كل من اتصف بشيء من ذلك كسيلة
 و الأسود^٩ العنسى و غيرها ، ثم رأيت في كتاب ' غاية المقصود في
 الرد على النصارى و اليهود ' للسمول^{١٠} بن يحيى المغربي الذي كان من أجل
 علمائهم في حدود سنة ستين و خمسمائة ، ثم هداه الله للإسلام ، و كانت
 له بد طول في الحساب^{١١} و الهندسة^{١٢} و الطب و غير ذلك من العلوم ، فأظهر ١٥
 (١) في ظ : صرح (٢) من ظ ، و في الأصل : يضمن (٣) من ظ ، و في الأصل :
 لا - كذا (٤) زيد بعده في الأصل : في ، و لم تكن الزيادة في ظ لحذفها .
 (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) من ظ ، و في الأصل : بهذا - كذا .
 (٧) في ظ : الجليل (٨) زيدت الواو بعده في ظ (٩) من طبقات الأطباء ٢/٣٠ ،
 و في الأصل : السول ، و في ظ : للسمول - كذا .

بعد إسلامه فضائعهم أن الربانيين منهم زعموا أن الله كان يوحى إلى جميعهم في كل يوم مرات، ثم قال [بعد - ١] أن قسمهم إلى قرأتين وربانيين^٢ : إن الربانيين أكثرهم عدوا، وقال : وهم الذين يزعمون أن الله كان يخاطبهم في كل مسألة بالصواب، قال : وهذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم (ومن قال سائر) أى بوعده^٣ لا خلف فيه^٤ (مثل ما أنزل الله^٥) كالنصر بن الحارث ونحوه .

ولما كان الجواب قطعاً من كل منصف : لا أحد^٦ أظلم منه ، بل هم أظلم الظالمين ، كان كأنه قيل : فلو رأيتهم وقد حاق بهم جزاء هذا الظلم كرد^٧ وجوههم مسودة وهم يسحبون في السلاسل على وجوههم ، ١٠ [و جهنم - ١] تكاد تميز عليهم غيظاً ، وهم قد هدم^٨ الدم والحسرة ، وقطع بهم الأسف والحيرة لرأيت أمراً يهول منظره^٩ ، فكيف يكون مذاقه [و - ١] عذبه^{١٠} فطفت عليه ما هو أقرب منه ، فقال كالمفصل لإجمال ذلك التهديد مبرزاً بدل ضمير الوصف الذى أدام إلى ذلك : (ولو ترى) أى يكون منك رؤية فيما هو دون ذلك (اذ الظالمون) أى لأجل ١٥ مطلق الظلم فكيف بما ذكر منه ١ واللام للجنس الداخلة فيه هؤلاء دخولا أولياً (فى غمرات الموت) أى شدائده التى قد غمرتهم كما يغمر البحر الخضم^{١١} من يفرق^{١٢} فيه ، فهو يرفضه وينفضه^{١٣} و يبتلمه و يلفظه ، لا بد له (١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل : ثم قال ، ولم تكن الزيادة فى ظ لغزفتها . (٣) من ظ ، وفى الأصل : لا بد منه (٤) من ظ ، وفى الأصل : حد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : هدهم (٧) من ظ ، وفى الأصل : ينظره (٨) زيد بعده فى ظ : فكيف (٩) أى العظيم ، وفى ظ : الخضر (١٠) فى ظ : يعرف (١١) من ظ ، وفى الأصل : يحفظه - كذا .

منه ﴿ والمشتك ﴾ أى الذين طلبوا جهلا منهم لإنزال بعضهم على وجه
الظهور لهم ، وأخبرناهم [أنهم - ١] لا ينزلون إلا لفصل الأمور وإنجاز
المقدور^١ / ﴿ باسطوا أيديهم ٤ ﴾ أى إليهم بالمكروه لنزع أرواحهم وسلها
وافية من أشباحهم كما يسئل السفود^٢ المشتب^٣ من الحديد من الصوف
"المشتبك المبلول" ، لا يسر عليهم تمييزها من الجسد ، ولا يخفى عليهم شيء ٥
منها فى شيء منه ، قائلين^٤ ترويعا لهم و تصورا للعنف والشدّة فى السياق
والإلحاح والتضديد فى الإزهاق من غير تنفيس وإمهال ، وأنهم يفعلون
بهم فعل الغريم المسلط الملازم ﴿ اخرجوا أنفسكم^٥ ﴾ فكأنهم قالوا: لما ذا
يأرسل ربنا؟ فقالوا: ﴿ اليوم ﴾ أى هذه الساعة ، وكأنهم عبروا به لتصوير
طول العذاب ﴿ تجزون عذاب الهون ﴾ أى العذاب الجامع بين الإيلام ١٠
العظيم والهوان الشديد والحزى المديد بالنزع وسكرات الموت وما بعده
فى البرزخ - إلى ما لا نهاية له ﴿ بما كنتم تقولون ﴾ أى تجددون^٦ القول
دائما ﴿ على الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ غير الحق ﴾ أى غير
القول المتمكن غاية التمكّن فى درجات الثبات ، ولو قال بدله : باطلا ،
لم يؤد هذا المعنى ، ولو قال : الباطل . لقصر عن المعنى أكثر ، وقد مضى ١٥
فى المائدة ما ينفع هنا ، وإذا نظرت إلى أن^٧ السياق لأصول الدين ازداد
المراد وضوحا ﴿ وكنتم ﴾ أى وبما كنتم ﴿ عن أيته تستكبرون ٨ ﴾
(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : القدور (٣) من ظ ، وفى الأصل : النفود - كذا .
(٤) فى ظ : التشعب (٥-٥) فى ظ : التشبك العلول (٦) زيدت الواو بعده فى
ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : تجدون (٨) سقط من ظ .

أى تطلبون الكبر للجائزة عنها، ومن استكبر عن آية واحدة كان مستكبرا عن الكل، أى لو رأيت ذلك لرأيت أمرا عظيما^١ وحالا هائلا شديدا، وعبر بالمضارع تصويرا لحالهم .

- ولما كانوا ينكرون أن يحس الميت شيئا بعد [الموت - ٢] أو يفهم كلاما ، وكان التقدير كما دل عليه السياق : فتوفاهم الملائكة ، لا يقدر أحد على منهم ، فيقول لهم : قد رأيتم ملائكتنا الذين أخبرناكم أول السورة أنهم إذا أبصروا كان القضاء الفصل والأمر البت الحتم الذى ليس^٢ فيه مهل ، عطف عليه قوله مشيرا إلى ما كان سبب استكبارهم من الاجتماع على الضلال والتقوى بالأموال : (ولقد جتمعونا)
١٠. أى لما لنا من العظمة بالموت الذى هو دال على شمول علنا وتمام قدرتنا قطعا ، ودل على تمام العظمة وأن المراد بجيئهم بالموت^٣ قوله : (مرادى) أى متفرقين ، [ليس - ٢] أحد منكم مع أحد ، ومنفردين^٤ على كل شئ صدكم عن اتباع رسلنا (كما خلقكم) أى بتلك العظمة التى^٥ أمتاكم بها بينها (أول مرة) فى الاقتراد والضعف
١٥. والعقر ، فأين جمعكم الذى كنتم تستكبرون^٦ (وتركتم ما خولكم) أى ملكاتكم^٧ من المال ومكناتكم^٨ من إصلاحه نعمة عليكم لتوصلوا^٩ به إلى رضانا ، فظنتم أنه لكم بالأصالة ، وأعرضتم عنا [و - ٢] بدلتهم ما دل
- (١) فى ظ : قطعيا (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : الموت (٥) فى ظ : بقوله (٦) فى ظ : متفرقين (٧) فى ظ : الذى (٨) من ظ ، وفى الأصل : مكناتكم (٩) فى ظ : ملكاتكم (١٠) من ظ ، وفى الأصل : ليتوصلوا .

عليه من عظمتا بحد ذلك من الاستهانة بأوامرنا ﴿ ورآه ظهوركم ﴾
فما ألقى عنكم ما كنتم منه تستكبرون .

ولما كانوا يعدون الاصنام آلهة ، ويرجون شفاعتها ، إما استهزاء ،
و إما في الدنيا ، و إما في الآخرة - على تقدير التسليم لصحة البحث ،
قال تهكمًا بهم و استهزاء بشأنهم^٢ : ﴿ ما يرى معكم شفعاكم ﴾ أى ٥
التي كنتم تقولون فيها ما تقولون ﴿ الذين زعمتم ﴾ أى كذبا و جراءة^٣
و لجورا ﴿ انهم فيكم شركوا^٤ ﴾ أى أن لهم فيكم نصيبا مع الله حتى
كنتم تعبدونهم في وقت الرخاء و تدعونه في وقت الشدة ، أروناهم لعلمهم
ستروهم عنا سائر أو حجبنا عنهم حاجب ، ثم دل على بطلانهم في جواب هذا
الكلام المائل المرعب^٥ حيرة و عجزا و دهشا و ذلا بقوله : ﴿ لقد قطع^٦ ﴾ ١٠
أى تقطعا كثيرا .

ولما كان ذكر البين في شيء يدل على قرب^٧ في الجملة و حضوره
ولو في الدهن ، لأنه يقال : بينى و بين كذا كذا ، و كان فلا بيننا ،
و نحو ذلك مما يدل على الحضور ؛ قال منها على زوال ذلك حتى بالمرور
بالبال و المحطور^٨ في الدهن^٩ لشدة الاشتغال ﴿ بينكم ﴾ فأسند ١٥
القطع المبالغ فيه^{١٠} إلى البين ، و إذا / انقطع البين تقطع ما كان فيه
من الأسباب لئى كانت تسبب^{١١} الاتصال . فلم يبق لأحد منهم اتصال

(١) فى ظ : ما فيه امرها - كذا (٢) فى ظ : لسانكم (٣) من ظ ، وفى الأصل :
حراء (٤) فى ظ : الموعب (٥) من ظ ، وفى الأصل : قوته (٦) فى ظ : الحضور .
(٧) من ظ ، وفى لأصل : النصر (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : سبب .

بالآخر^١، لان ما بينهما صار كالتندق باقطع نفس الين ، فلا يتأتى
 منه الوصول ، هذا على قراءة الجماعة بالرفع ، وهذا المثال^٢ معنى قراءة
 نافع والكسائي وخص عن ناصم بالنصب على الظرفية ؛ ولما رجع
 المعنى إلى^٣ قطع الوصل ، بين سبب ذلك ، وهو زوال المستند الذى
 ه كانوا يستندون إليه فقال . ﴿ وحمل سنكم ﴾ أى ذهب و بطل
 ﴿ ما كنتم ترعومون ﴾ أى من تلك الابطال كلها .

ولما ثبت^٤ الوجدانية : النبوة و الرسالة و تقاريع من تقاريعها ،
 و انتهى الكلام هنا إلى ما تجلى^٥ به مقام العظمة ، وانكشف له قناع
 الحكمة [و -^٦] تمثل نفوذ الكلمة ، فهياً السامع لتأمله ، و تفرغ فهمه
 ١ لتدبره ؛ قال دالا عليه مشيراً إليه ، معلماً أن ما مضى أتجه و أظهره
 لا بد و أرزه ، مذكراً بآياته^٧ " و الذين يؤمنون بالآخرة " و بمحاجة
 إبراهيم عليه السلام ، مصرفاً ما مضى أول السورة من دلائل الوجدانية
 على أوجه^٨ أخرى ، إعلاماً بأن دلائل الجلال تفوق عدد الرمال ،
 و تنبها على أن القصد بالذات معرفة الله تعالى بذاته و صفاته : ﴿ ان الله ﴾ أى
 ١٥ الذى له جميع صفات الكمال ، هو^٩ قادر على كل ما يريد ﴿ فائق الحب ﴾ أى
 فاطره و شاقه عن الزرع^{١٠} و النبات ، و عبر بذلك لأن الشئ قبل
 وجوده كان معدوماً ، العقل يتوهم و بتخيل من العدم ظلمة متصلة ،
 (١) من ظ ، و فى الأصل : بالآخرى (٢) من ظ ، و فى الأصل : الساك - كذا .
 (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : تمت (٥) من ظ ، و فى الأصل : بجلى - كذا .
 (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : ياته (٨) فى ظ : وجه (٩) فى ظ : وهو (١٠) فى
 ظ : الزرع .

فاذا خرج من العدم المحض والغناء الصرف فكأنه بحسب التخيل والتوهم شق^١
 ذلك العدم (والنوى^٢) أى وهو ما يكون داخل الثمار المأكولة كالتمر،
 ولا يكون مقصودا لذاته بخلقتها عن الاشجار ، وفى ذلك حكم وأسرار
 تدق عن^٣ الأفكار ، وتدل على كمال الواحد المختار^٤ ، قال الإمام الرازى
 ما حاصله : إن النواة والحبة تكون فى الأرض الرطبة مدة ، فيظهر الله فيها
 شفا فى أعلاها وآخر فى أسفلها ، وتخرج الشجرة من الأعلى فتعلو وتهبط
 من الأسفل شجرة أخرى فى أحماق الأرض ، هى العروق ، وتلك الحبة أو
 النواة سبب [و - ١] أصل بين الشجرتين : الصاعدة والهابطة ، فيشهد^٥ الحس
 والعقل بأن طبع الصاعدة والهابطة متعاكس ، وليس ذلك قطعا بمقتضى
 الطبع والخاصية ، بل بالإيجاد والاختراع والتكوين^٦ والإبداع ، ولا شك
 أن العروق الهابطة فى غاية اللطافة والرقّة^٧ بحيث لو دلت باليد لأذى قوة
 صارت كاللحاء . وهى مع ذلك تقوى على النفوذ فى الأرض الصلبة التى لا يتنقذ
 فيها المسئلة والسكين الحادة إلا باكره عظيم ، لحصول هذا النفوذ لهذه^٨
 الأجرام اللطيفة لا يكون قطعا إلا لقوة^٩ الماعل المختار ، لا سيما إذا تأملت
 ظهور^{١٠} شجرة من نواة صغيرة ، [ثم - ٢] تجمع الشجرة طبائع مختلفة فى
 قشرها ثم فيما تحته من جرم الخشبة ، وفى وسط تدوير الخشبة جرم ضعيف
 كالهمس المنفوش ، ثم يتولد من ساقها أغصانها ، ومن الأغصان أوراقها
 (١) فى ظ : الشق (٢) فى ظ : على (٣) فى ظ : انقهار (٤) فى ظ : وه (٥) زيد
 ما بين الحاجزين من ظ (٦) فى ظ : يشهد (٧) من ظ ، وفى الأصل : السكون .
 (٨) فى ظ : الدقة (٩) من ظ ، وفى الأصل : لهذا (١٠) فى ظ : بقوة (١١) من
 ظ ، وفى الأصل : ظهوره .

أولاً ثم أنوارها وأزهارها ثانياً، ثم [الفاكهة ثالثاً، ثم قد يحصل - ١]
 للفاكهة أربعة أنواع من القشور، مثل الجوز واللوز قشره الأعلى ذلك
 الجرم الأخضر، وتحت القشر الذي كالخشب، وتحت القشر الذي كالنطاء
 الرقيق المحيط باللب، وتحت اللب المشتمل على جرم^٢ كثيف هو أيضاً
 كالفسرة، وعلى جرم^٣ لطيف هو الزهر^٤، وهو المقصود بالذات، فتولد هذه
 الأجسام المختلفة طبعاً وصفة ولونا وشكلاً وطعماً مع تساوى تأثيرات
 الطبايع والنجوم والعناصر والفصول الأربعة دالاً على القادر المختار بتلوه
 في الفرحة، وقد تجتمع [١ - الطبايع الأربعة في الفاكهة الواحدة كالأترج
 قشره حار يابس ونوره حار يابس، وكذلك الغلب قشره وعجمه يابس
 ١٠ حار رطب مع أنك تجد أحوالها مختلفة، بعضها له في داخله وقشره في
 خارجه كالجوز واللوز، وبعضها يكون المطلوب منه في الخارج وخشبه
 في الداخل كالخوخ والشمش. وبعضه لال لب لنواه كالتمر، وبعضه
 يكون كله مطلوباً كالتين، واختلاف هذه الطبايع والأحوال المتضادة
 والخواص المتنافرة حتى في الحبة الواحدة لا يكون عن طبيعة، بل عن
 ٥ الواحد المختار، والحبوب مختلفة الألوان والأشكال والصور، فشكل
 الحنطة كأنه نصف مخروط، وشكل الشعير كأنه مخروطان اتصالاً بقاعدتيهما
 وشكل الحنظل على وجه آخر، وأودع سبحانه في كل نوع منها
 خاصية ومنفعة غير ما في الآخر، وقد تكون الثمرة غذاءً للحيوان

(١) يريد ما بين الحازنين من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: حزم (٣) في
 ظ: تبرم - كذا (٤) من ظ، وفي الأصل: الدهى (٥) في ظ: طمعا (٦) في
 ظ: بعضه (٧) في ظ: فاته (٨) في ظ: عد - كذا.

وسمّا الحيوان آخر، فهذا الاختلاف مع اتحاد الطباع وتأثيرات الكواكب
 دالّ على أنها إنما حصلت بالفاعل المختار، ثم إنك تجد في ورقة الشجرة
 خطاً في وسطها مستقيماً نسبته لتلك الورقة نسبة الخاع إلى بدن الإنسان،
 يفصل عنه خيوط مختلفة . . عن كل واحد منها خيوط أخرى أدق
 من الأولى، ولا يزال على هذا النهج حتى تخرج الخيوط عن الحس ٥
 والبصر، كما أن نخاع يفصل منه أعصاب كثيرة يمتد ويسر في البدن،
 ثم لا يزال يفصل عن كل شعبة شعب أخرى، ولا يزال يستدق حتى
 تلتطف عن الحس، فكل سبحانه ذلك في الورقة لتقوى التقوى المذكورة
 في جرم تلك الورقة على جذب الأجزاء اللطيفة الأرضية في تلك المجارى
 الضيقة، هذا يعلّمك أن عنايته سبحانه في اتخاذ جملة تلك الشجرة أكمل، ١٠
 فعنايته في تكوين جملة البات أكمل، وهو إنما خلق جملة البات لمصلحة
 الحيوان فعنايته في تخليق الحيوان أكمل، والمقصود من تخليق جملة
 الحيوان هو الإنسان فعنايته في تخليقه أكمل، وهو سبحانه إنما خلق الحيوان
 والنبات في هذا العالم ليكون غذاء ودواء للإنسان بحسب جسده،
 والمقصود من جسده حفظ تركيبه لأجل المعرفة والمحبة والعبودية، ١٥
 فسيلك أن تنظر في ورقة الشجرة وتأمل في تلك الأوتار ثم ترقى
 منها إلى أوج تخليق الشجرة ثم إلى ما فوقها رتبة رتبة لتعلم أن المقصود
 الأخير منها حصول المعرفة والمحبة في الأرواح البترية، وحينئذ يفتح^٢
 لك باب من المكاشفات لا آخر له، ويظهر لك أن نعم الله في خلقك
 غير متناهية "وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها"^٣ - والله الهادي . ٢٠

(١) في ظ: اتحاد (٢) في ظ: ينفع (٣) سورة ١٤ آية ٣٤ . -

ولما كان فلقهما^١ عن النبات من جنس الإحياء لما فيه من
النمو [فسر معنى الفلق و بينه إشارة إلى الاعتناء به وقتا بعد وقت
بقوله: (يخرج) أى على سبيل التجدد والاستمرار / تثبتا لأمر البعث
(الحى) أى كالنجم و الشجر و الطير و الدواب (من الميت)
٥ من الحب و النوى و البيض^٢ و النطف^٣ فكيف تنكرون^٤ قدرته على
البعث؛ ولما انكشف معناه و بان مغزاه باخراج الأشياء من أصدادها
لتلا يوم - لو كان [لا -^٥] يخرج عن شيء إلا مثله - أن الفاعل
الطبيعة و الحاصية ، عطف على "فالق" زيادة في البيان قوله معبرا
باسم الفاعل الدال على الثبات لأنه لا تنازعة لهم فيه ، فلم تدع حاجة
١٠ إلى التعبير بالفعل الدال على التجدد: (و يخرج الميت) أى من الحب
و ما معه (من الحى^٦) أى من النجم و ما معه .

ولما تقرررت له سبحانه هذه الأوصاف التى لا قدرة أصلا لأحد
غيره على شيء منها ، قال منبها لهم على غلطهم فى إشراكهم ، إعلاما
بأن كل شريك يفتنى أن يساوى شريكه فى شيء ما من الأمر المشترك^٧
١٥ فيه ، و لا مكافئ له سبحانه [و تعالى -^٨] فى شيء من الأشياء فلا شريك له
بوجه: (ذلكم) أى العالى المراتب المنيع المراقى هو^٩ (الله) أى
المستجمع لصفات الكمال وحده فلا يحق الإلهية إلا له ، و لما كان هذا^{١٠}

(١) فى ظ: قلمها (٢-٣) من ظ ، وفى الأصل: من الفطرة - كذا (٣) فى
ظ: ينكر (٤) زيد من ظ (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى
ظ لحذفها (٦) فى ظ: المشترك (٧) سقط من ظ (٨-٩) من ظ ، وفى
الأصل: هذا كان .

معنى الكلام، سبب عنه قوله: ﴿فَأَنَّى﴾ أى فكيف ومن أى وجه
 ﴿توفكونه﴾ أى تصرفون وتقلبون عما ينبغي اعتقاده .
 ولما وصف سبحانه [و تعالى - ١] نفسه المقدسة من فلق الجواهر
 بما اقتضى حتما اتصافه بصفات الكمال، وقدمه لكونه من أظهر أدلة
 القدرة على البعث الذى هذا أسلوبه ، مع الإلف له بقربه ومعالجته، أتبعه
 ما هو مثله فى الدلالة على الإحياء لسكنه فى المعانى وهو سملوى ، شارحا^١
 لما أشار إليه الخليل عليه السلام فى حاجة قومه من إبطال إلهية كل من
 النور والظلمة والكواكب التى هى منشأ^٢ ذلك، فقال ترقية من العالم
 السفلى إلى [العالم - ١] العلوى: ﴿فائق الإصباح﴾ أى موجد ، وحقيقته :
 فائق ظلمة الليل عن الصباح، لكنه لما كثرت أسماؤه وأمن اللبس فيه أسند^٣
 الفعل إلى الصبح، كما يقال: اقتصر الصبح ، واقتصر عنه الليل ، ويمكن
 أن يراد بالفلق الكشف، لأنه يكشف من المفلوق^٤ ما كان خفيا ،
 فبهر عن المسبب الذى هو الإظهار بالسبب الذى هو الفلق ، وعبر عن
 الصباح بهذه الصيغة التى يقال للدخول فى الصبح لتصلح لإرادة فلق
 السكون بالنور^٥ أو غيره عن التصرف بالحركة المترتبة على الدخول^٦
 فى الصبح ، فدلنا ذلك على وجاعل الإصباح حركة و سادل الليل
 ﴿وجاعل^٧ الليل﴾ بما يكون من إظلامه ﴿سكنا﴾ يسكن الناس فيه وإليه
 ويستريحون فيه ، فالآية من الاحتباك: حذف من الأول الحركة ودل
 (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل: شارح (٣) من ظ ، وفى الأصل :
 منشأة (٤) من ظ ، وفى الأصل: المفلوق (٥) فى ظ : بالندم (٦) وقراءة حفص :
 جعل - كما فى مصاحنا .

عليها بالسكن ، ٥ حذف من الثاني السدل ودل عليه بالعلق ، وهذا العلق من أعظم الدلائل على قدرته سبحانه ٥ وفيه دلائلان لآل^١ الإصباح يشمل^٢ الفجر الكاذب والصادق ، والآل أقوى دلالة لأن مركز الشمس إذا وصل إلى دائرة نصف الليل فالموضع - الذى تكون^٣ تلك الدائرة أقفا ٥ له - تطلع الشمس من مشرقه ، فيضئ في ذلك الموضع نصف كرة الأرض ، فيحصل الضوء في الربع الشرق من بلدتك ، ويكون ذلك الضوء منتشرا مستطيرا في جميع الجو ، ويجب أن يحوى^٤ لحظة فليحظة^٥ ، ولو كان الأول من قرص الشمس لا تمتنع أن يكون خطا مستطيلا ، بل كان يجب أن يكون مستطيرا في الأفق منتشرا متزايدا لحظة فليحظة ، لكن ليس ١٠ هو كذلك ، فانه يبدو كالحيط الأبيض الصاعد حتى شبهته العرب بذب السرحان ثم يحصل عنه ظلة خالصة - ثم يكون الثاني الصادق المستطير فكان^٦ الأول أدل على القدرة ، لأنه تخلق الله ابتداء تنبها على أن الأنوار ليس لها وجود إلا بأبداعه ، والظلمات ليس لها ثبات^٧ إلا بتقديره . ولما ذكر الضياء والظلمة ، ذكر منشأهما وضم إليه قرينه فقال

٢٢٩ / ١٥ عاصما على محل "اليل" / لأن "جاعلا" ليس بمعنى المضى فقط لتكون^٨

الإضافة حقيقية . بل المراد استمراره في الأرمته كلها : (والشمس)

أى اق ينشأ عنها كل منها ، هذا عن غروبها وهذا عن شروقها

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : لشمس (٣) من ظ ، وفي الأصل : يكون .

(٤-٤) من ظ ، وفي الأصل : محط ملحط - كذا (٥) في ظ : لكان (٦) في

ظ : اثبات (٧) من ظ ، وفي الأصل : ليكون (٨) من ظ ، وفي الأصل : نشأ .

(و القمر) أى الذى هو آية الليل (حساباً) أى قوى حسابان
وَعَلَمَيْنِ^١ عليه ، لأن^٢ الحساب يعلم دورهما وسيرهما^٣ ، وبسبب ذلك
نظم سبحانه مصالح العالم فى الفصول الأربعة ، فيكون عن ذلك ما يحتاج
إليه من نضج الثمار وحصول الغلات ، وصر عنها بالمصدر المبني على هذه
الصيغة البليغة إشارة إلى أن الحساب بهما أمر عظيم كبير^٤ النفع كثير^٥
الدخول ، مع ماله من^٦ الدنيا فى أبواب الدين^٧ فهو جل نعمهما الذى وقع
التكليف به ، فكأنه لما كان الأمر كذلك ، كان حقيقتها التى يبر
عنها بهما^٨ ، وأما غير ذلك من منافعتها فلا مدخل للعباد فيه .

ولما كان هذا أمراً باهراً و^٩ وصفا قاهراً ، أشار إليه بأداة العد

قال : (ذلك) أى التقدير العظيم الذى تقدم من التلق وما بعده ١٠
(تقدير العزيز) أى الذى لا يغالب فهو الذى قهرهما^{١١} على ما سيرهما^{١٢}
فيه ، و غلب العباد على ما در من أمرهم بهما ، فلو أراد أحد أن يحمل ما جعله
من النوم يقظة و^{١٣} يقظه نوما ، أو يحمل محل السكن للحركة أو بالعكس
أو غير ذلك مما أشارت إليه الآية لأعياء ذلك (العليم) أى الذى
جعل ذلك سله على منهاج لا يتغير وميزان قويم^{١٤} لا يزيغ . ١٥

ولما ذكر ذلك ، أتبعه منعمة أخرى تمنعها مع غيرها مبيتا ما أذن

(١) فى ظ : علما (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : على ان (٣-٣) سقط ما بين
الرقين من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : كثير (٥) فى ظ : فى (٦) من ظ ،
وفى الأصل : الدنيا (٧) فى ظ : بهما (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، وفى الأصل :
قهره (١٠) من ظ ، وفى الأصل : يشيرهما - كذا (١١) من ظ ، وفى الأصل : او .
(١٢) فى ظ : لقريم - كذا .

فيه من علم النجوم و منافها فقال : (وهو) أى لا غيره (الذى جعل)
ولما كانت العناية [بنا - ١] أعظم ، قدم قوله : (لكم النجوم) أى
كلها سائرهما وثابتها وإن كان عليكم يقصر عنها كلها كما يقصر عن
الروسخ والبلوغ فى علم السير^١ للسيارة منها (لتتهدوا) أى لتكفروا
• أنفسكم علم الهداية (بها) لتعلموا القبلة وأوقات الصلوات^٢ والصيام
وغير ذلك من منافكم دنيا ودينا .

ولما كانت الأرض والماء ليس لهما من نفسها إلا الظلة ، وانضمت
إلى ذلك ظلة الليل ، قال : (فى ظلمت البر) أى الذى لا عظم فيه ، وإن
كانت له أعلام فانها قد تخفى (والبحر^٣) فانه لا عظم به ، والإضافة
١٠ إليهما للابسة أو تشبيه الملابس من الطرق وغيرها بالظلة ، روى الحافظ
أبو بكر الخطيب البغدادى فى جزء جمعه فى النجوم من طريق أحمد بن
سهل الأشنانى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : تعلموا من النجوم
ما تهتدون^٤ فى البر والبحر ثم اتوها ، وتعلموا من الأنساب^٥ ما تصلون
به^٦ أرحامكم وتعرفون ما يحل لكم^٧ ويحرم عليكم من الفساء ثم اتوها .
١٥ وفى من طريق عبادة بن الإمام أحمد فى زياداته على المسند عن على
رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا على ! أسبغ
الوضوء وإن شق عليك ، ولا تأكل الصدقة ولا تز^٨ المحير على

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : السير (٣) من ظ ، وفى الأصل : الصلاة (٤) من
ظ وروح المعانى ٢ / ٣٧ ، وفى الأصل : يهتدون (٥) فى ظ : الأسباب .
(٦) فى ظ : اليه (٧) سقط من ظ (٨) من مسند الإمام أحمد ١ / ٧٨ ، وفى
الأصل : لا تز ، وفى ظ : لا سر - كذا .

الجيل^١، ولا تجالس أصحاب النجوم . وفيه عن أبي ذر رضى الله عنه عن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تسألوا عن النجوم ، ولا تفسروا القرآن برأيكم ، ولا تسبوا أصحابي ، فان ذلك الإيمان المحض . وعن أنس مريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النظر فى النجوم - رواه من طرق كثيرة ؛^٢ وعن عائشة ه رضى الله تعالى عنها مثله سواء ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا - رواه من طرق وأسند عن قتادة قوله تعالى " وانتهرا وسبلا " قال : طرقا " وعلمت " قال :

هى النجوم ، قال : ان الله عز وجل إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال : ١٠

جعلها زينة للساء ، و جعلها يهتدى بها ، و جعلها / رجوما للشياطين ،
فمن تعاطى فيها [شيئا - *] غير ذلك فقد أخطأ حظه وقال رأيه
وأضاع نصيبه و تكلف ما لا علم له^٣ به - فى كلام طويل حسن ، [وهذا
الأثر الذى عن قتادة أخرجه عنه البخارى^٤ فى صحيحه - *] ، وقال^٥

صاحب كنز اليواقيت فى استيعاب^٦ المواقيت فى مقدمة الكتاب : ١٥
واعلم أن العلم منه محمود ، ومنه مذموم لا يذم ليعنه ، إنما يذم فى
حق العباد لاسباب ثلاثة : أولها أن يكون مؤديا إلى ضرر كعلم السحر

(١) من ظ و المسند ، وفى الأصل : الخليل (٢) سقط من ظ (٣) سورة ١٦ آية ١ .

(٤) سورة ١٦ آية ١٦ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) من ظ وصحيح البخارى -

بدء الخلق ، وفى الأصل : لنا (٧) زيد بعده فى ظ : عنه ، ولا يناسب السياق لهذا .

(٨-٨) من ظ ، وفى الأصل : فقال (٩) من ظ ، وفى الأصل : التبعات - كذا .

والطلسمات وهو حق^١ إذ شهد القرآن به وأنه سبب للفرقة بين
الزوجين، وسهر النبي صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه، حتى أخبره^٢
جبرئيل عليه السلام وأخرج السحر من تحت حجر في قمر يثر - كما ورد
في الحديث الصحيح؛ ومعرفة ذلك من حيث أنه معرفة ليس مذموما،
٥ أو من حيث أنه لا يصلح إلا لإضرار بالخلق يكون مذموما^٣. والوسيلة
إلى الشر شر؛ الثاني أن يكون مضرًا بصاحبه في غالب الأمر كالقسم
الثاني من علم النجوم الاحكامي المستدل [به-^٤] على الحوادث بالاسباب
كاستدلال الطبيب بالنقص على ما يحدث من المرض، وهو معرفة
جاري سنة الله وعادته في خلقه، ولكنه ذمه الشرع وزجر عنه ثلاثة
١٠ أوجه: أحدها أنه^٥ يضر بأكثر الناس فانه إذا قيل: هذا الأمر لسبب
سير الكواكب،^٦ وقر في نفس الضعيف^٧ العقل أنه مؤثر، فينحى
ذكر الله عن قلبه، فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط بخلاف العالم
الراسخ، فانه يطلع على [أن-^٨] الشمس والقمر والنجوم مسخرات،
و فرق كبير بين من يقف مع الاسباب وبين من يترقى إلى مسبب
١٥ الاسباب، ثم ذكر ما^٩ حاصله أن السبب الثاني في النهي عنه أنه
تخمين^{١٠} لا يصل إلى القطع؛ والثالث أنه لا فائدة فيه. فهو خوض في

(١) في ظ: احق (٢) زیدت الواو بعده فی الأصل، ولم تكن فی ظ لخذفها.

(٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجرین من ظ (٥) من

ظ، وفي الأصل: ان (٦-٦) في ظ: وقع الضعف - كذا (٧-٧) من

ظ، وفي الأصل: ذكره (٨) من ظ، وفي الأصل: تخمين - كذا.

فضول، و أن السبب الثالث مما يذم 'به ما يذم' من العلوم أنه مما لا تبلغه^٢ عقول أكثر الناس ولا يستقل به، ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الأشخاص كما يضر لحم الطير بالرضيخ - انتهى - و روى أبو داود و ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر^٥ زاد ما زاد. [٢-] وقال صاحب كتاب الزينة في آخر كتابه بعد أن ذكر العياقة و الزجر و محوهما، و يأتي أكثره عنه في سورة الصُّفَّت: و روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: إياكم و النجوم! فإنه تدعو إلى الكهانة، قال: هذه الأشياء كلها لها أصل صحيح، فمنها ما كانت من علوم الأنبياء مثل النجوم و الخط و غير ذلك، و لو لا الأنبياء الذين أدركوا علم النجوم و عرفوا مجارى الكواكب في البروج، و ما لها من السير في استقامتها و رجوعها، و ما قد ثبت و صح من الحساب في ذلك بما لا ارتياب فيه، لما قدر الناس على إدراكه، و ذلك كله يوحى من الله عز و جل إلى أنبيائهم عليهم السلام، و قد روى أن إدريس عليه السلام أول من علم النجوم، و روى في الخط أنه كان علم نبي من الأنبياء،^{١٥} و لو لا ذلك لما أدرك الناس هذه اللطائف و لا عرفوها [١٠-] و لما كانت هذه الآيات قد بلغت في البيان حدا^{١٠} علا عن

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ، و في الأصل: لا يتلفه - كذا.

(٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) في ظ: البرزخ - كذا (٥) زيدت الواو بعده في الأصل، و لم تكن في ظ لحذفها.

طوق الإنسان والملائكة والجان لكونها صفة الرحمن ، فكانت نغرا يتوقع فيه التنبيه عليه [قال - ١]: ﴿ قد فصلنا ﴾ أى بينا يانا شافيا على ما لنا من العظمة ﴿ الأيت ﴾ واحدة فى إثر واحدة على هذا الأسلوب المنيح والمثال الرفيع ، ولما كانت من الوضوح فى حد لا يحتاج إلى كثير ٢ تأمل قال : ﴿ لقوم يملون ﴾ أى لهم قيام فيما إليهم ، ولهم قابلية العلم ليستدلوا بها بالشاهد على الغائب .

ولما ذكر سبحانه بعض هذا الملكوت الأرضى والسماوى ، أتبعه - كما مضى فى أول السورة - الخلق المفرد الجامع لجميع الملكوت ، وهو الإنسان ، دالا على كمال القدرة على كل ما يريد ، مبطلا بمفاوتة ١٠ أول الإبداع وآخر الأجل ما اعتقدوا فى النور والظلمة والشمس والقمر وغيرهما ، لأن واحدا ٢ منها لا اختيار له فى شيء يصدر ٣ عنه ، بل هو مسخر ومقهور كما هو محسوس ومشهور ، فقال : ﴿ وهو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذى انشاكم ﴾ أى وأتم فى غاية التفاوت فى الطول والقدر واللون والشكل وغير ذلك من الأعراض التى دبرها سبحانه ١٥ على ما اقتضته حكمته ﴿ من نفس واحدة ﴾ ثم اقتطع منها زوجها ثم فرّعكم منها .

ولما كان أغلب الناس فى الحياة [الدنيا - ١] يعمل عمل من لا يحول ولا يزول ، لا يكون على شرف الزوال ما دامت ٢ فيه بقية

(١) زيد ما بين الجزير من ظ (٢) فى ظ : كبير (٣) من ظ ، وفى الأصل : احد (٤) فى ظ : يصد (هـ) فى ظ : ما دام .

[من - '] حياة ، [قال - '] : (فستقر) أى فسيب عن ذلك أنه
منكم / مستقر على الأرض - هذا على قراءة ابن كثير وابن عمرو بكسر
القاف اسم فاعل ، والمعنى فى قراءة 'الباقين' بفتح اسم مكان "و لكم
فى الأرض مستقر ومتاع الى حين" ٢ .

ولما كان من فى البرزخ قد كشف [عنهم - '] الغطاء فهم
موقوفون بالساعة غير عاملين على ضد ذلك ، وكذا من فى الصلب والرحم ،
عبر بما * يدل على عدم الاستقرار فقال : (ومستودع *) أى فى
الأصلا ب أو الأرحام أو فى بطن الأرض ، [فذلك المفاوئة من كل
منها - مع أن الكل من نفس واحدة - على القادر المختار - ١] ، لا يقدر
غيره أن * يمسك شيئاً من ذلك . وكل ذلك مضمون الآيتين فى أول
السورة ؛ وقدم الإصباح والليل ومتعلقهما لتقدمهما فى الخلق ، ثم تلاه بخلق
الإنسان على حسب ما مرّ أول السورة ، وذكر [هنا أنه جعل ذلك
لطين نفساً واحدة فزعم الإنسان كلهم منها مع تفاوتهم فيما - '] هناك
وفى غيره .

ولما ذكر هذا المفرد الجامع ، وفصله على هذه الوجوه المعجبة ، ١٥
كان محلاً لتوقع التنبيه عليه فقال : (قد فصلنا) أى بظلمتنا (الايت)
أى أكثرنا بيانها فى هذا المفرد الجامع فى أطوار الخلقة وأدوار الصنعة ،
تارة بأن يكون من التراب بشر ، وأخرى بأن يخرج الايتى من الذكر ،

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : الباقى (٣) سورة ٢ آية ٢٦ (٤) من
ظ ، وفى الأصل : ثم (٥) من ظ . وفى الأصل : لا (٦) فى ظ : لان (٧) فى
ظ : الفرد (٨) فى ظ : الصيغة .

و تارة بأن يفرّج من الذكر والآث ما لا يحيط به العدد^١ ولا يجمعه الخبر من العظمة إلى الولادة إلى المبكر .

و لما كان إنشاء الناس من نفس واحدة و تصرفهم على تلك الوجوه المختلفة جدا ألطف و أدق صنعة^٢، فكان ذلك محتاجا^٣ إلى تدبير و استعمال فطنة و تدقيق نظر، قال: ﴿لقوم يفقهون﴾ أي لهم أهلية الفقه و الفطنة .

و لما ذكر وجوه الإبداع التفرعي^٤ من هذين الكونين و أسباب البقاء له بما ينشأ [عنه - ٦] الفصول^٥ و غيرها ، أجمعه سببه القريب ، و هو الماء الذي جعل منه كل شيء حتى ، فقال مفصلا ما أجمله في الحب ١٠ و النوى ، سابقا له مساق الإحسان لما^٦ قبله من الدلائل ، فان الدليل إذا كان على وجه الإحسان و مذكرا بالإنعام كان تأثيره في القلب عظيما ، فينبغي للشغل بدعوة الخلق أن يسلك هذا المسلك [ليكون للقلوب أملك - ٦] : ﴿ و هو ﴾ أي لا غيره ﴿ النى - انزل ﴾ أي قدرته و عله و حكته ﴿ من السماء ﴾ أي الحقيقية التي تعرفونها كما دل عليه ١٥ صريح^٧ العبارة و ما أشبهها من ذكور الحيوان المنبه عليه بطريق الإشارة ﴿ ماء ج - أي منهما و دافعا .

و لما كان توزيع الخلق من الماء بمكان من العظمه لا يوصل إليه . نه عليه بالانتقال إلى التكلم في^٨ مظهر العظمة فقال: ﴿ فاخرجنا ﴾ أي على

(١) في ظ : العدد (٢) في ظ : صنعة (٣) من ظ ، وفي الأصل : محتاج (٤) في ظ : خبر (٥) في ظ : التفرعي (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : كما . (٨) من ظ ، وفي الأصل : صرح (٩) في ظ : و .

ما لنا من العظمة التي لا يدانيها أحد (به) أى الماء (نبات كل شيء)
 مختلفة طعومه وألوانه وروائح وطبائمه و منافعه وهو بماء واحد ، فالسبب
 واحد والمسيبات كثيرة منفعة^٢ ، سواء كان ذلك النبات حقيقيا من النجم
 والشجر ، أو مجازيا من الآتى والذكر ؛ ثم سبب عن الحقيقى
 لظهوره قوله دالا على العظمة : (فاخرجنا منه) أى النبات (خضرا) أى ٥
 شيئا أخضر غضا طريا ، وهو ما تصب من أصل النبات الخارج من
 الحبة ؛ ثم زاد فى بيان عظمته بقوله : (نخرج) أى حال كوننا مقدرين
 أن نخرج (منه) أى من ذلك الخضر (حيا متراكبا) أى فى السبيل
 يركب بعضه بعضا [ويحرسه من أن يلتقطه الطير بعد ستره بالقشر بحسك
 طويل لطيف جدا كالإبر خشن - ٣] ، بعد أن كان أصله حبة واحدة ١٠
 على صورتها ، أو منفعة فى التراب بعد أن طوره سبحانه فى عدة أطوار ،
 إن فاعل ذلك لقادر مختار .

ولما كان نسبة الإخراج والإبداع إليه سبحانه وحده فى مظهر
 العظمة خصوصا وعموما ، فلم أن الكل منه ، وصار الحال فى حد من
 الوضوح جدير بأن يؤمن من نسبة شيء إلى غيره لا سيما الذى هم ١٥
 له معالجون ، والمعجز عن إبداعه عالمون ، وبدأ بما بدأ به أولا فى آية
 الفلق من الحب ؛ تى بما من النوى ، فقال معبرا لذلك الأسلوب :
 (ومن النخل) وتقديم الحب عليه هنا فيما قل يدل على أن الزرع
 أفضل منه ، فإنه قوت فى أكثر البلاد ولأغلب الحيوانات [والغداة
 (١) من ظ ، وفى الأصل : مختلفا (٢) فى ظ : منفعة (٣) زيد ما بين الحاجزين
 من ظ .

مقدم على الفاكهة - [١] ^٢ فانها خلقت من طينة آدم^٣؛ ثم أبدل بما أجمل
من ذلك / قوله ميتا: (من طلمها) أى النخل، وهو أول ما يخرج منها
[فى - ١] أكامه (قوان) جمع قن، وهو العذوق بالكسر للشمراخ وهو
الكباسة، والمرجون عوده الذى يكون فيه البسر (دانية) أى قريبة
٥. القنول وإن طال أصلها بما عليكم ر سهل لكم من صنعة^٤ الوصول إليها .
ولما لم يكن لهم من معالجة الاعناب وغيرها ما لهم من معالجة النخيل،
عطف على "نات" منها لهم على أنها - كالنخيل - هو سبحانه المتفرد
بإبداعها [كما تقدم - فقال: (وجئت) أى بساتين (من اعناب)]
وجمعها لكثرة أنواعها - [١]، وبدأ بهاتين الشجرتين لفصلهما^٥ كما تقدم
١٠. على غيرهما، لأن ممرهما فاكهة وقوت، وقدم الأول لأنهم له أكثر
ملاسة^٦،^٣ وإن كان العنب أشرف أنواع الفواكه، فانه يتنفع به
من أول ظهوره لأنه [أولا - ١] يكون له خيوط [خضر - ٢]
دقيقة حامضة لذينة، ثم تكون الحصرم، وهو طعام شريف للأصحاء
والمرضى، وقد يتخذ^٧ منه رُب الحصرم وأشربة لطيفة المذاق نافعة
١٥. لأصحاب الصفراء، ويطبخ منه ألد الأطعمة الحامضة، وهو عنب ألد
الفواكه وأشهاها، ويدخر عنباً قريباً من ستة، ويكون زيبه غذاء،
ويكون منه الدبس والحل وغير ذلك، وأحسن ما فيه عجمه،
وهو يتخذ منه جوارشات عظيمة النفع للعدة^٨ الضعيفة الرطبة
(١) ريد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) فى ظ: صنعة .
(٤) العبارة من هنا « الضعيفة الرطبة » تأخرت فى ظ عن « والرمال » .
(٥) فى ظ: يحذر (٦) من ظ ، وفى الأصل : لمة .

[و قدم التخليل لأنها قوت للعرب ، وبينها وبين الإنسان مشابة في خواص كثيرة لا توجد في النبات ، ولذا جاء في الحديث « أكرموا عتكم النخلة ، فإنها خلقت من طينة آدم عليه السلام ، وليس من الشجر يلقح غيرها » - رواه أبو يعلى و أبو نعيم في الحلية و أبو الشيخ عن علي رضي الله عنه - ١] ؛ و أتبعهما ما يليهما في الفضيلة فقال : (و الزيتون) [و - ١] ٥
 قدمه لكثرة قمه ، و ينفصل منه دهن عظيم النفع في الأكل و الضياء و سائر وجوه الاستعمال (و الرمان) ختم به لحسنه و عظيم قمه ، و هو مركب من أربعة أشياء : قشره و لحمه و عجمه و ماءه ، فالثلاثة الأول باردة ياسة أرضية كثيفة عفسية فائضة جدا ، و الماء بضدها و هو ألد الأشربة و ألطفها و أقربها إلى الاعتدال و أشدها مناسبة للطبع ١٠
 المعتدل ، و في ذلك تقوية للزواج الضعيف ، و هو غذاء من وجه و دواء من وجه .

ولما ذكر الأقوات من الثمار و الحبوب و الأدهان و أشرف الفواكه و أعماها ، و كانت أشبه شيء بالآدمي في نشته و معه و اتقاه و اختلافه ، و كان اشتباه بعضها و اختلاف بعضها - مع كونها تسقى بماء ١٥
 واحد و في أرض واحدة - دالا على القدرة و الاختيار ، و كان السياق لإثبات الوحدة و نفى الشريك بآيات كمال القدرة التي هي منفية عن غيره ، فلا يصح أن يكون له شريك ، لأنه لا يكون إلا مشايها

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « من وجه » ساقطة من ظ (٣) في الأصل و ظ : داء - كذا (٤) من ظ ، و في الأصل : يسقى .

لشريكه كمال المشاهدة فيما وقعت الشركة فيه، وللبعث فكان المراد التفكير في ظواهرها وتقلباتها من عدم إلى الوجود وبعد الوجود، ولحاجة أهل الكتاب^١ الموسمين بالعلم^٢ المنسوين إلى حدة الأذهان وغيرهم من الفرق، وكان اقتل يأتي للتعريف^٣، وهو المبالغة في إثبات أصل العمل والاجتهاد في تحصيله والاعتمال، فكان^٤ حصوله إذا حصل أكمل^٥، قال^٦ بانيا حالا^٧ من كل ما تقدم: (مشتبها) أى فى غاية الشبه بعضه لبعض حتى لا يكاد يتميز، فلو قطع ثمرتا شجرتين منه لم يتميز ثمرة هذه^٨ من ثمرة هذه^٩، فلا يقابله حيث نفي التفاعل، فانه لمجرد مشاركة أمرين أو أكثر فى أصل الفعل، فلم أن التقدير: وغير مشتب^{١٠} ومتشابهها، ثم لما كان ربما تمسك القائل بالطباع بهذه العبارة، نفي ما ربما ظن من أن لهذه الأشياء عملا فى اشتباه بعضها ببعض فقال: (وغير متشابه^{١١}) أى غير طالب للاشتباه مع أنه لا بد من شبه [ما -^{١٢}]، فالآية من الاحتباك: أثبت الاشتباه دلالة على نفي ضده، و[هو -^{١٣}] عدم التشابه^{١٤}، ولأن لاجل أن الاشتباه أبلغ من التشابه، علق الأمر بالنظر الذى هو أثبت الحواس، ودلالة على أن

- (١) فى ظ: بمحاجة (٢-٢) فى ظ: الومتين (٣) فى ظ: للتعرف (٤) من ظ، وفى الأصل: فيه كان (٥) من ظ، وفى الأصل: المكر - كذا (٦) فى ظ: حال (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) زيد من ظ . (١٠) زدناه لاستقامة العبارة (١١) والعبارة من « فالآية » إلى هنا ساقطة من ظ (١٢) فى ظ: او .

المراد إما هو ظاهر ذلك ، لأنه كان في الدلالة على البعث والتوحيد الذي هذا سياقه فقال : (انظروا الى ثمرة) وهذا بخلاف الحرف الثاني ، فإنه في سياق الرد على العرب فيما يحصلون من خلقه لاصنامهم التي لا قدرة لها على شيء أصلا ، ولذلك ختم الآية^١ بالإذن لهم في الأكل منه لانتهاه عما كانوا يحرّمونه^٢ منه على أنفسهم ، وبالأمر بالتصدق على من أمر بالصدقة عليه ، هـ

و أما الباطن الذي هو الأكل فسيأتى ثم نبه على تعميم النظر / في جميع حالاته بقوله : (اذا أثمر) أى حين يبدو من كماله ضعيفا قليل النفع أو عديمه (وينه^٣) أى وانظروا إلى إدراكه إذ أدرك وحان قطافه ، ويعلم من ذلك النظر فيما بين ذلك ، لأنه يلزم من مراقبة الأول والآخر ، فيعلم استحالة ألوانه ومقاديره وطموحه وأشكاله وغير ذلك من شؤنه وأحواله ، ويلزم من ذلك أيضا [النظر - °] إلى أشجاره ليعلم تفاوت بعضها واشتباه البعض الآخر في الطول والعصر والصغر والكبر وغير ذلك من سائر الأحوال ، كما أن ذلك موجود في النمر . فاستناد هذه التبدلات والتغيرات ليس إلا إلى الفاعل المختار ، لأن نسبه إلى الطبايع والفصول على حد سواء ، فلو استندت إليها لم تتغير . ١٥

ولما كان اتخاذ هذه المذكورات أولا والمخالفة بين أشكالها ومقاديرها وألوانها ثانيا دالا على كمال القدرة المستلزم للوحدانية ، دل على عظمته بقوله^٤ مستأنفا مشيرا^٥ بأداة البدو وميم الجمع : (ان في ذلكم)

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده في ظ : بقوله (م) من ظ ، وفي الأصل : يحرّمون .
(٤) زيد بعده في الأصل : من ذلك النظر فيما بين ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها .
(٥) زيد من ظ (٦) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ لحذفها (٧ - ٧) من ظ ، وفي الأصل : مشيرا مستأنفا .

أى الأمر العظيم الشأن العالى الرتبة (لأبنت) أى علامات على قدرة الصانع واختياره .

ولما كانت الآيات لا تنفى^١ عما أريدت شقاوته قال: (لقوم يؤمنونه) .
أى حكم بأنهم - محذوهم ونشاطهم وقوتهم^٢ على ما يحاولونه - يحددون الإيمان كلما تأملوا فى مصنوعات الله [سبحانه وتعالى -^٣] الدالة عليه المشيرة بكل لسان إليه .

ولما كان المشركون على أصناف: منهم عدة أصنام، شركوا فى^٤ العبودية لا فى الخلق، ومنهم آزر [الذى حابه إبراهيم عليه السلام -^٥] ومنهم عبدة الكواكب وهم فريقان: منهم من قال: هى^٦ واجهة الوجود، ومنهم من قال: بمكة، خلقها الله ومرض إليها تدير هذا العالم الأسفل، وهم الذين حاجهم الخليل عليه السلام بالآفول، ومنهم من قال لهذا العالم كله إلهان: فاعل خير، وفاعل شر، وقالوا: إن الله وإبليس أحوان، فأنه خالق الناس^٧ والدواب والآنعام^٨، وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب والشرور، وبلقوى الزنادقة وهم المجوس، لأن الكتاب الذى زعم زردشت^٩ أنه نزل من عند الله سمي بالزند^{١٠}، فالنسب إليه زندي^{١١}، ثم عذب فقيل^{١٢}: زنديق، وكان هذا كله فى قوله

(١) من ظ، و فى الأصل: لا ينفى (٢) من ظ، وفى الأصل: قولهم (٣) ريد من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: من (٥) سقط من ظ (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من ظ والبدء والتاريخ ٧/٣، وفى الأصل: رادشت - كذا (٨) فى ظ: بالزيد (٩) فى ظ: ريدى (١٠) فى ظ: فالنسب إليه - كذا. (١١) من ظ، وفى الأصل: من .

”فائق الاصباح“ شرحاً لآية ”ان الله فائق الحب [والنوى - ']“
 دلالة على تمام القدرة الدالة^٢ على الوجدانية للدلالة على البعد؛ حسن
 كل الحسن^٣ العود إلى تقييح حال المتركين^٤ بالتعجيب منهم في جملة.
 حالة من لضمير في ”فائق“ أو^٥ غيره مما تقدم، فقال تعالى شا، حا
 أمر هذا الصف، لأن أمر غيرهم تقدم؛ وقال ابن عباس رضى الله
 عنها: إن هذه الآية [رلت - °] في الزادقة: ﴿ و جعلوا ﴾ أى
 هو سبحانه صل هذا الذى لا يدع ابسا في تمام علمه و قدرته و كمال حكمته
 و وحدانيته و الحال أن الذى فعل ذلك لأحلمهم قد جعلوا، و عبر بالاسم
 الاعظم و قدمه استعظاما لأن يعدل به شيئا ﴿ الله ﴾ أى الذى له
 جميع الأمر .

١٠

ولما كان الشرك في غاية العظاظة و الشناعة . قدمه فقال: ﴿ شركاء ﴾
 [يعنى و ما كان ينبغي أن يكون له شريك مطلقا ، لأن الصفة إذا ذكرت
 مجردة غير مجرأة على شيء كان ما يتعلق بها من النفي عاما في كل ما يجوز
 أن يكون له الصفة ، و حكم الإنكار حكم النفي . ولما اهتز السامع من
 هذا التقديم لزيادة المعنى من غير زيادة اللفظ ، تشوف إلى معرفة النوع
 الذى كان منه الشركاء - °] فينهم^٦ بقوله: ﴿ الجن ﴾ أى الذين هم [أجراً - ']
 (١) زيد ما بين المحاذرين من ظ (٢) من ظ . وفى الأصل: الدال (٣-٣) تكرر
 ما بين الرقيين فى الأصل (٤) فى ظ ° و ° (٥) زيد من روح المعاني ٥٤١/٢ .
 (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل: ثم بينهم .

الموجودات عليهم و أعدام^١ لهم ، فأطاعوهم كما^٢ يطاع الإله فكانت
عبادة لهم و تشريكا ، [وقد رأيت ما للبيان بعد الانتهاء بما يحسن
للمناظرين - ٢] (و خلقهم)^٣ أى و الحال أنهم قد علموا أن الله خلقهم^٤
[أى قدرهم بعلم و تدبير ، فلذلك كان خلقه لهم محكما - ٢] (و خرقوا)
هـ أى العاصيون (له بنين) أى كعزير و المسيح (و بنت) أى من
الملائكة ، فجمعوا لذلك جهالات هى غاية فى الضلالات : وصف
الملائكة بالآنوة و الاجترأ^٥ على مقام الربوبية بالحاجة ، و تخصيصه بعد
ذلك بما لا يرضونه لأنفسهم بوجه^٦ ، و مادة ' خرق ' تدور على النفوذ
و الاتساع و الإطلاق [و التقدير بغير علم و لا معرفة ليحدث عنه
١٠ الصاد ، و لذلك قيل لمن لا يحسن العمل : خرق ، و المرأة : خرقاء - ٢] ،
يعنى أنهم كذبوا و اختلفوا و اتسعوا فى هذا / القول الكذب ، و أبعدوا^٧ / ٢٣٤
به فى هذه^٨ المجاوزة عن حقيقته ، اتساع من سار فى خرق أى ربة
واسعة هباء و سوة جوفاء^٩ متباعدة الأرجاء إلى حيث لم يسبقه إليه
بشر ، فضل عن الجادة ضلالا لا ترجى منه هدايته إلا على بعد شديد ،
١٥ فصار جديرا بالهلاك . و إلى ذلك يرجع معنى ما قرئ فى الشاذ :
و حرقوا - بالمهمله و القاء .

و لما لم يكن لقولهم أصلا حقيقة و لا شبهة^{١٠} ، [و كان الخرق التقدير

(١) فى ظ : أعدهم (٢ - ٢) فى ظ : يطيعوا الإله (٣) ريسد ما بين الحازرين
من ظ (٤ - ٤) تكرر ما بين الرهين فى ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : الاختيارات .
(٦ - ٦) فى ظ : فابعدوا (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : شهد - كدام

بغير علم -^١]، دل على ذلك [مصرحاً بما أفهمه محققاه -^٢] تنبيهاً على الدليل القطعي في اجتياح^٣ قولهم من أصله^٤، وذلك أنه قول لا حجة له، و مسائل أصول الدين لا يصار إلى شيء منها إلا بقاطع^٥، وذلك بنكرة في سياق النفي فقال: (بغير علم^٦) ثم زعم نفسه المقدسة تنبيهاً على ما يجب قوله على كل من سمع ذلك، فقال: (سبحنه) أى أسبغه سبحانه^٧ يليق بجلاله^٨ أن يضاف إليه^٩، ولما كان معنى التسييح الإبعاد عن النقص، وكان المقام يقتضى كونه في العلو^{١٠}، صرح به فقال: (وتعالى) أى تباعد أمر علوه إلى حد لا حد له ولا انتهاء (عما يصفون^{١١}) .

ولما ختم بالتنزيه عما قالوا من الشريك والولد، استدل على ذلك التنزيه بأن الكل خلقه، يحيط بهم علمه، ولن يكون المصنوع كالصانع، ١٠ فقال: (بديع السموات والارض^{١٢}) أى مبدعها، وله صفة الإبداع، أى القدرة على الاختراع ثابتة، ومن كان كذلك فهو غنى عن التوليد، فلذا حسن التعجب في قوله: (أئني^{١٣}) أى كيف ومن أى وجه (يكون له ولد) وزاد في التعجب بقوله: (ولم^{١٤}) أى والحال أنه لم (يكن^{١٥} له صاحبة^{١٦} و) الحال أنه (خلق كل شيء ج) أى مقدور ١٥ يمكن من كل صاحبة تفرض^{١٧}، وكل ولد يتوهم، وكل شريك يدعى فكيف يكون المبدع محتاجاً إلى شيء من ذلك على وجه التوليد^{١٨} أو غيره .

(١) زيد من ظ (٢) في الأصل وظ : احتياج (٣) في ظ : أضفه (٤) من ظ ، وفي الأصل : بقطع (٥) في ظ : بحاله (٦) في ظ : العلوم (٧) هذه قراءة إبراهيم النخعي، وقرأ الباقر بالتأنيث، وفي ظ : لم يكن - كذا (٨) في الأصل : تعريض، وفي ظ : يفرض (٩) في ظ : التولد .

ولما كانت القدرة لا تتم إلا بشمول العلم قال: ﴿وهو﴾ ولم يضم
 تنبيها على أن عموم العلم لا تخصيص فيه كالخلق فقال: ﴿بكل شيء عليم﴾
 أى فهو على كل شيء قدير، لأن شمول العلم يلزمه تمام القدرة - كما
 يأتي برهانه إن شاء الله في طه، ومن كان له ولد لم يكن محيط العلم
 • ولا القدرة، بل يكون محتاجا إلى التوليد.

ولما ثبت أنه لا كفو له بما ذكر من صفاته وأفعاله، وبين فساد
 أقوال المشركين، وفصل مذاهبهم على أحسن الوجوه، وبين فساد كل
 واحد منها بأمتن الحجج، ثبت بذلك ما افترق السورة به من إحاطته
 بصفات الكمال، قال مشيرا إلى ذلك كله بمبتدأ خبر^٢ بعده^٣ أخبار:
 ١٠ ﴿ذلكم﴾ أى العالى الأوصاف جدا الذى لا حاجة له إلى شيء، وكل
 شيء محتاج إليه ﴿الله﴾ أى الذى له كل كمال ﴿ربكم﴾ أى الموجد لكم
 والمحسن بجميع أنواع الإحسان، فهو فذلك ما قبلها وممرته، لأن من اتصف
 بذلك كان هو رب الكل وحده [والخالق للجميع واستحق العبادة وحده -^٤]
 فلذا أتبع ذلك قوله: ﴿لا إله الا هو﴾ لأن المقام للتوحيد اللازم
 ١٥ للاحاطة بأوصاف الكمال التى هى معنى الحمد المفتوح به السورة، وساق قوله:
 ﴿خالق كل شيء﴾ الذى هو مطلع ما بعده مساق التعليل دليلا على ذلك،
 (١-١) من ظ، وإق الأصل: العموم (٢) من ظ، وفى الأصل: أخبر، وزيد
 فيه بعده: عنه، ولم تكن الزيادة فى ظ فخذها (٣) من ظ، وفى الأصل: بعد.
 (٤) زيد من ظ.

فلما أقام الدليل سبب عنه الأمر بالعبادة^١ قال: (فاعبده ج) أى وحده ،
لأن من أشرك به لم يعبده ، لأنه التقى المطلق ، ومن كان له التقى
المطلق^٢ لا يحسن أن يقبل شركاً^٣ ، وختم الآية بقوله : (وهو) ولما
كان المقام لثقى احتياجه إلى شيء ، قدم قوله : (على كل شيء وكيله)
إشارة إلى أن الولد أو الشريك إنما يحتاجه العاجز المقتصر ، وأما هو فهو
القادر ، ومن سواء عاجز ، وهو التقى ومن سواء فقير ، فكيف يحتاج^٤
القدير [التقى - ٧] إلى العاجز الفقير ، هذا ما لا يكون ، ولا ينبغي أن
يتخيله الظنون ، وفيه إشارة إلى أن^٥ العابد ينبغي أن يتفرغ / لعبادة
ويقطع أموره عن غير^٦ ، وكالته ، فانه يكفيه بفضلته عن سواء .

٢٢٥ /

ولما كان كل والد وكل شريك لا بد أن يكون مجانسا لولده ١٠
وشريكه بوجه ، وصل بذلك من وصفه ما اقتضاه المقام من تنزيهه^١ ،
قال : (لا تدركه) أى حق الإدراك بالإحاطة (الابصار) أى
أن^٢ من جعلتموه ولده أو شريكه هو مدرك بأبصاركم كعمى وعزير
عليها السلام والأوثان والنجوم والظلة والنور ، وأما الملائكة والجن
فإن كان حكمكم عليهم بذلك عن مشاهدة فهم كمن تقدمهم^٣ ، وإن كان ١٥

- (١) في ظ : لعبادة (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) في ظ : مشركاً .
(٤) تقدم في الأصل على « ولا كان » والترتيب من ظ (٥) زيد بعده في الأصل :
الذى هو مطلع ما بعده مساق التعليل دليلاً ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها .
(٦) زيد بعده في الأصل : الفقراء ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (٧) زيد من —
ظ (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، وفي الأصل : غيره (١٠) في ظ : سرنبيه -
كدا (١١) من ظ ، وفي الأصل : تفرضهم .

عن إخبار فهو عن الانبياء ليس غير ، و كل منهم مخبر بأنهم عباد الله
كغيرهم ، وأنه منزه عن شريك و ولد ، وهذه كتبهم و صحاح أخبارهم
شاهدة بذلك ، [و - '] وراه ذلك كله أنهم بحيث يدركون بالابصار
في الجملة ، ليس إدراكهم مستحيلا ، و أما هذا الإله العزيز فهو غير
مدرك لكم بالبصر كما يدرك غيره إدراكا تاما ، فيتأمله ناظره فيزنه ^٥
و ينقده بالخبرة بما فيه من رضى و غضب و غيرهما ، بما أبدته الفراسة
و أوضحه التوسم ، لانه سبحانه متعال عن أن يحاط به ، هذا على أنه
من عموم السلب ، و إن كان من سلب العموم فالعنى أنه عزيز لا يراه
كل أحد ، بل يراه الخواص إذا أراد فكشف لهم الحجاب و أوجد لهم
١٠ الأسباب (و هو) مع ذلك يدرككم ، بل و (يدرك) ما لا تدركونه
من أنفسكم (الاصارع) و هى القوى المودعة فى عصبه العين لتدرك بها
المبصرات (و هو اللطيف) عن أن يحيط ^٢ به الابصار ، لانه يمنع
الاسباب عن أن ينشأ عنها مسياتها ، و يوجد أدق الاسباب و أغربها ،
فلا يستغرب عليه إدراك المعاني لانه الذى أوجدها " الا يعلم من
١٥ خلق " ، و أصل اللطف دقة النظر فى الأشياء (الخيرة) أى المحيط
بالابصار ، فاحاطته بأصحابها أجدر ، و يتحقق ^٣ معنى الاسمين لتحقيق
المعنى ، قال الحرالى فى شرح الاسماء : اللطف إخفاء التوصل إلى الشيء
بإظهار ما يضاده ، و لا يتم إلا بخبرة ، و لذلك نظم باسمه " الخير "

(١) زيد من ظ: (٢) فى ظ : يرمه (٣) فى ظ : تحيط (٤) فى ظ : تنشأ .

(٥) سورة ٦٧ آية ١٤ (٦) من ظ ، و فى الأصل : بتحقيقه (٧) فى ظ : بتحقيق .

لأنه أخفى حكمته^١ في ظاهريضاها، فاللطف مخبر^٢ في حكمة^٣،
 وباسمه تعالى اللطيف أقام^٤ أمر حكمته^٥ ما بين الدنيا والآخرة، وبذلك^٦
 أقام أمر أهل ولايته في الدنيا لما جمع لهم من أمره فيها، فيبدو عزم
 من وراء ذلك، ويترأى ذلهم ومن دونه [عز - °]، فيسبق عزم إلى
 انقلب مع تدللهم في الحواس، ويؤل محسوسهم إلى عز في عفى الدنيا،
 ومبادرة الآخرة مع تأنس القلوب بهم، "ان ربي لطيف لما يشاء"^٧
 لما أراد أن يملكه مصر [و - °] جل وسيلة ذلك استبعاده بها، وبحصول
 معناه بتأمل الخبرة والحكمة - وتلك إبداء الشيء في ضده - يتضح
 اختصاصه بالحق، فهو الذي أطعم من جوع وآمن من خوف، الذي جعل
 لكم من الشجر الأخضر نارا، فهو تعالى اللطيف الذي لا لطيف إلا هو،^٨
 ثم قال: الخبرة إدراك خبايا الأشياء وحفاياها بحيث لا يبدو منه
 خيفة أمر^٩، إلا كانت إدراك الخير سابقا^{١٠} لدوها، وذلك لا يتم
 إلا لمبديها^{١١} الذي هو يخرج خاها^{١٢}، وهو الذي يخرج الخبء في السموات
 والأرض، وخبرة الخلق لا بد فيها^{١٣} من إظهار باد ينبي^{١٤} عن الخبء
 بمقتضى التجربة^{١٥}، وإلا لم يصح لهم الخبرة، كما قيل: خبرة المرء فيما يبدو^{١٦}
 (١) في ظ: حكمه (٢) في ظ: بحر (٣) في الأصل وظ: العام - كذا (٤) في
 ظ: كذلك (٥) زيد من ظ (٦) سورة ١٢ آية ١٠٠ (٧) سقط من ظ .
 (٨) في ظ: سائما (٩) من ظ، وفي الأصل: بمبديها (١٠) في ظ: حيثما (١١) في
 ظ: تنبي (١٢) من ظ، وفي الأصل: التجريد .

من خلقه وما يظهره اليوم واليلة من عمله ، و الخير الحق خير بالشيء
دون باد^١ يرى الظاهر خيعة أمره ، [فهو - ٢] بالحقيقة الذي لا خير
إلا هو - [انتهى - ٣] .

ولما أكثر لهم^٢ من إقامة لأدلة على وحدانيته ، وختمها بهذا الدليل
ه المحسوس الذي معناه أن [كل شريك : كل ان يدرك شريكه وأباه ، وهو
متاه فن أن يدركه ، أى يحيط به - ٢] أحد ، فاسب أن يظلمهم ويمدح
الأدلة حث^٣ على تدبرها^٤ ، وجعل ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
إشارة إلى أنه - نور قلبه و كمال عقله وصفاء لبه و غرارة قلبه و شريف
أخلاقه و استقامة غرائزه و سد مدى همته عن أن ينسب إلى جور أو
١٠ / ٢٣٦ يرى^٥ بناد - حقيق بأن يقول بعد إقامتها من غير تلثم^٦ تقريراً لأمس
دعوته بعد تقرير المطالب العالية الإلهية : (قد جاءكم) .

ولما كانت الآيات - لقوتها^٧ و جلالها التي أشار إليها تذكير الفعل -
توجب المعرفة فتكون سبباً لانكشاف الحقائق الذي هو كالنور في
جلاء المحسوسات ، قال : (بصائر) أى أنوار هي لقلوبكم بمنزلة الضياء
١٥ المحسوس لميونكم (من ريبكم ج) أى المحسن إليكم بكل إحسان ، فلا
إحسان أصلاً لغيره عندكم ، فاصعدوا عن النظر بالأبصار إلى الاعتبار

(١) في ظ : حاد (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل :
حقا (٥) من ظ ، وفي الأصل : تدبرها (٦) من ظ ، وفي الأصل : جوار و -
كذا (٧) في ظ : يرضى (٨) من ظ ، وفي الأصل : ملتم - كذا (٩) من ظ ،
وفي الأصل : لقدرتها .

بالبصائر ، و لا تبهطوا في حضيض التقليد إلى أن تصلوا إلى نجد لا تفهمون^١
 منه إلا ما يحس بالأبصار بل ترقوا في أوج المعرفة إلى سماوات الاجتهاد
 و جردوا لقطاع لطريق صوارم البصائر ، فانكم إن رضيتم بالدون^٢ لم تضروا
 إلا أنفسكم ، و إن نافستم في المعالي فأيامها تقتم . و لذلك سبب عن هذا
 النور الباهر و السر الظاهر قوله : (فمن ابصر) أى عمل بالأدلة^٣
 (فلنفسه ج) أى خاصة بإصاره لآله خلصها من الضلال المودى إلى
 الهلاك (و من عمى) أى لم يهتد بالأدلة (فليها هـ) أى خاصة عماء
 لأنه يضل فيعطب .

و لما كان المعنى أنه ليس لى و لا لتبرى من إصاره شيء ينقصه
 شيئا ، و لا على و لا غيرى شيء من عماء ، كان التقدير : فانما أنا بشير^{١٠}
 و دبر ، عطف عليه قوله (و ما أنا) و أشار إلى أن حق الأدعى التواضع
 و إسلام الجبروت ، و القهر لله بأداة الاستعلاء فقال : (عليكم) و أغرق
 في التنى بقوله : (بحفيظ هـ) أى أقودكم قسرا إلى ما ينجيكم ، و أمنعكم
 قهرا مما يردبكم .

و لما كان التقدير التامنا إلى مقام العظمة إعلاما بأن القضاء كله^{١٥}
 بيده لئلا يظن نقص في نفوذ الكلمة : فانظروا ما صرفنا لكم في هذه
 السورة من الآيات و أوضحنا بها من شريف الدلالات ، لقد أتينا فيها
 بسجائب التصاريح و كشفنا عن غرائب التعاريف ، عطف عليه قوله :
 (١) في الأصل : لا يفهمون ، و في ظ : لا تقومون (٢) سقط من ظ (٣) من
 ظ ، و في الأصل : افردكم .

(وكذلك) أى ومثل هذا التصريح العظيم (نصرف) أى نقل جميع (الايت) من حال إلى حال فى الملقى المتنوعة سالكين من وجوه الراهين ما يفتت القوى ويسجز القدر لتجرب ألباب المارقين و تطلس^١ أفكار المانين ، علما منهم بأنهم عجرة عن الإتيان بما يدانيها

٥ [فلزمهم الحجة^٢] (وليقولوا) اعتداء لاع ظهور عجزهم (دارست^٣) أى غيرك من أهل الكتاب أو غيرهم فى هذا حتى انتظم لك هذا الانتظام وتم لك هذا التمام ، فيأتوا يهتان بين عواره ظاهرة أسرارها ، مهتوكه أستاره ، فيكونوا كأنهم قالوا : إنك أتيت^٤ عن علم ونحر جاهلون لانظم شيئا ، فيعلم كل موقف أنهم مارضوه لانفسهم مع ادعاء الصدق

١٠ والمناصحة فى الحد عن أوصاف الكذب إلا لفرط الحيرة وتناهى الدهشة وإعواز القادح^٥ ، [و -^٦] الحاصل أنه أتى^٧ على هذا المنهاج الغريب والاسلوب المجيب ليمى^٨ ناس^٩ عن بيته^{١٠} ويصر آخرون ، هم المرادون بقوله : (ولنبيه) أى القرآن لأنه المراد بالآيات المسموعة (لقوم يعلمون) أى أن المراد من^{١١} الإيلاغ فى البيان أن يزداد الجهلة به جهلا ، ويهتدى

١٥ من كان للعلم أهلا ، فلا يقولون : " دارست " بل يقولون : إنه من عدا الله ، فالآية من الاحتباك : إثبات ادعاء المدرسة لولا يدل على نفيها

(١ - ١) من ظ ، وفى الأصل : المارين و تطلس (٢) زيد من ظ (٣) هذا على قراءة بن كثير وأبى عمرو ، وأما فى مصاحف بلادنا فثبت « درست » (٤) فى ظ : القادح (٥) من ظ ، وفى الأصل : الناس (٦) فى ظ : يبعه - كذا (٧) فى ظ : فى .

ثانياً ، وإثبات العلم ثانياً يدل على عدمه أولاً ، وهى من معنى "يفضل به كثيراً ويهدى به كثيراً" .

ولما انكشف بهذا في أثناء الأدلة وتضاعيف البراهين أن القرآن كنز لا يلقى مثله كنز ، عز لا يدانيه عز ، وأنه في الذروة التى تضاملت دونها سواجج الأفكار ، وكلت عن التماها نوافذ الأبصار ، وختم بأن المراد بالبيان العلماء ، ناسب [له - ٢] أن ينفه على ذلك لئلا يفتر عنه

علمهم / بقولهم " دارست " ومحوه ، فقال خصصا له صلى الله عليه وسلم ٢٣٧ / بالخطاب إعلاماً بأنه العالم على الحقيقة : (اتبع) أى أنت ومن تبعك (ما أوحى إليك) أى ٢ فالزم العمل به ، ثم أكد مدحه بقوله : (من ركب) أى المحسن إليك بهذا البيان ؛ ثم ٢ ظل ذلك ١٠ بقوله : (لا اله الا هو) أى فلا يستحق غيره أن ينسب له أمر ، ولا يلتفت إليه فى نفع ولا ضرر (واعرض عن المشركين) أى غير التبليغ ، فانه ما عليك غيره ، ومزيد حرصك على إيمانهم لا يزيد من أريد ، شقوته إلا تماديا فى إشراكه وارتكابه فى قيود أشراكه .

ولما كان الحبيب أسر شئ بما يزيد حبه ، قال مسلياً له ١٥ صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به وردهم لقوله ، عاطفاً على
 (١) سورة ٢ آية ٢٦ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : ارتدت (٥) من ظ ، وفى الأصل : اماك - كذا (٦) فى ظ - ساليا .
 (٧) يزد جمده فى ظ : رسول الله (٨) فى ظ : علفا .

ما تقديره : فلو شاء الله ما غافرك ولا [تكلموا فيك - ١] ينت شعة^٢ : (ولو شاء الله ما أشركوا) أى ما وقع منهم إشراك أصلا ، فقد أراد لك من الوقوع فيك ما أرادته لنفسه ، فليكن لك في ذلك مسلاة .

٥ ولما كان التقدير : فاه سبحانه خفيظ عليهم ، عطف عليه قوله : (وما جعلك) أى عظمتنا ، وأشار إلى أن 'العلو ليس بغير الله سبحانه فقال : (عليهم خفيظا ج) أى تحفظ^٣ أعمالهم لئلا يكون منها ما لا يرضينا فتردهم ، عنه قرأ (وما أنت) ' و قدم ' ما هو أعم من بنى التحقق^٤ بالعلو المحيط القاهر الذى هو خاص بالإله^٥ فقال : ١٠ (عليهم بوكيل ه) أى^٦ فأحد^٧ الحق منهم قهرا ، و تعاملهم بما يستحقوه حيرا أو شرا . إماما أنت مبلغ عنا ، ثم الامر في هدايتهم وإصلاحهم إلينا .

ولما طال التنفير عما اتخذ من دونه من الانداد والبنات^٨ ، لأنها أقل من ذلك وأحقر ، كان ذلك ربما كانت داعية إلى سها ، فهي عه لمفسدة يجرها السب كبيرة جدا ، فقال عاطفا على قوله " و اعرض ١٥ عن المشركين " غير مواجه له وحده صلى الله عليه وسلم لإكرامه له : (ولا تسوا) ولما كانت الأصنام لا تعقل ، و^٩ كان^{١٠} المشركون

(١) ريد من ظ (٢) يقال : ما كلمته ببت شعة . أى بكلمة ، والعارة من هنا إلى ' أرادته نعمة ، سقطت من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : يحفظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : يرددهم (٥) - ١٥ - سقط ما بين الرهين من ظ (٦) في ظ : التحقيق (٧) من ظ ، وفي الأصل : بالا - كذا (٨) سقط من ظ (٩) في الأصل : فياحد ، وفي ظ : لياحد (١٠) في ظ . البيان (١١) من ظ ، وفي الأصل : من .

يزعمون بها العقل و العلم ، و يسندون إليها الأفعال ' ، أجرى الكلام على
 زعمهم لأنه في الكف عنها قال : (الذين يدعون) أى دعاء عبادة من
 الأصنام أو غيرهم بذكر ما فيهم من النقص ، ثم بين دما لتوهم لإكرامهم أنهم في
 سفول بقوله : (من دون الله) أى الملك الأعلى الذى لا كموء له عدلا ، يعلم
 منكم بما لهم من المعاييب ، بل أعرصوا عن غير دعائهم إلى الله حتى [عن - ٥]
 سبب آلمتهم بما تستحقه ، فانا رينا لهم أعمالهم ففرقوا مع غزارة عقولهم
 فيما لا يرتضيه عاقل ، وكذبوا بجميع الآيات الموجبة للإيمان ، فربما
 جرم سببهم لها - لما عندهم من حية الحاملية - إلى ما لا يليق (فيسبوا)
 أى فيسبب عن ذلك أن يسبوا (الله) أى الذى تدعونه . له الإحاطة
 بصمات الكمال ، وأظهر تصريحاً بالمقصود وإعظاماً لهذا الأمر و تهويلا ١٠
 له و تعيرا منه .

ولما كان الختو يوجب الإسراع ، أشار إليه سبحانه بقوله :
 (عدوا) أى جريا إلى السب ، ولما كان العدو قد يكون مع علم ،
 قال مبينا لأنه يراد به مع الإسراع أنه مجاز للحد : (تغير علم)
 لأنما زينا لهم عملهم ، فالطاعة إذا استلزمت وجود منكر عظيم احترز منه ١٥
 ولو أدى الحال إلى تركها وقتما ، لتحصل اقواه على دفع ذلك المنكر ،
 لحكم الآية ناق و ليس بمسوخ .

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) فى ظ : النقص (٣) فى ظ : يعد (٤ - ٥) فى
 ظ : 'ه من الغاييب (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : سبب (٧) فى ظ : يستحقه (٨) فى
 الأصل : مرقوا ، وفى ظ : مرقوا (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : تغير .

ولما كان ذلك شديدا على النفس ضاقا به^١ الصدر ، اقتضى الحال أن يقال : هل هذا التزین^٢ محض هؤلاء^٣ المجرمين أم كان لغیرهم من الأمم مثله ؟ قيل : (كذلك) أى بل^٤ كان لغیرهم ، فاما مثل ذلك التزین الذى زینا هؤلاء (زینا لكل امة) أى طائفة عظيمة مقصودة (عملهم من) أى التبیح الذى أقدموا علیه بغیر علم بما خلقه^٥ فى قلوبهم من المحبة^٦ له ، ردا منا لهم بعد العقل الرصین أسفل صافین ، حتى رأوا حسنا ما ليس بالحسن لتبين قدرتنا ، فكان فى ذلك أعظم تسلية و تأسية و تعزية ، والآية من الاحتباك : إثبات " بغیر علم " / أولا دال على حذف ثانيا ، وإثبات التزین ثانيا دليل على حذف أولا .

/ ٢٢٨

١٠ ولما كان سبحانه طويل الأناة عظیم الحلم ، وكان الإمهال ربما كان من^٧ جهل عمل العاصی ، نفى ذلك بقوله : (ثم) أى بعد طول الإمهال (الى ربهم) أى المحسن إليهم بالحلم عنهم و هم يشقون بنعمه على معاصيه ، لا إلى غیره (مرجعهم) أى بالحشر الأعظم (فينبئهم) أى يخبرهم إخبارا عظيما بليغا (بما) أى بجميع [ما -^٨] (كانوا يعملون)^٩ أى على سبيل^{١٠} التجدد والاستمرار بما فى جبلاتهم من الداعية إليه [وإن ادعوا أنهم عاملون على مقتضى العلم -^{١١}] .

(١) من ظ ، وفى الأصل : بداه (٢-٣) فى ظ : الذى زینا هؤلاء - كذا (٣) زيد بعده فى الأصل : للتبیح ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٤) فى ظ : يخلق .
(٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : عن (٧) زيد لاستقامة العبارة (٨-٩) سقط ما بين الرقین من ظ (٩) زيد من ظ .

ولما نصب سبحانه هذه الدلالات في هذه الآيات البينات حتى
ختمها بما علم منهم من الإسراع إلى سب من أحسن إليهم بأن أوجد
وأوجد لهم كل ما في الكون، وما من^١ نعمة عليهم إلا وهي منه،
عجب منهم في الوعد بالإيمان على وجه التأكيد بما يأتيهم من مقرحاتهم
إعلاماً بأن ذلك مما زين لهم من عملهم، وهي أمنية^٢ كاذبة ويمن حاتته^٣
فقال عاطفاً على "وجعلوا لله شركاء الجن" : (واقسوا) أي
المشركون (بأنه) أي الذي لا أعظم منه (جهد إيمانهم) أي باذلين فيها
جهدهم حتى كأنها هي جامدة، ووطأ للقسم فقال : (لئن جاءتهم آية)
أي من مقرحاتهم، وتلقى القسم بقوله : (ليؤمنن بها)^٤ .

ولما كانوا بهذا الظلمين من^٥ أجل أنهم طلبوا من الرسول ما ليس
إليه بعد إتيانه من المعجزات بما أزال معاذيرهم، وأوجب^٦ عليهم الاتباع،
نه عن ذلك بقوله مستأففاً : (قل) [أي رداً لتعتهم -^٧] (أما الأيت)
أي هذا الجنس (عند الله) أي الحائز لجميع صفات الكمال، وليس
إلى ولا إلى غيرى شيء من هذا الجنس ليفيد الاقتراح^٨ شيئاً غير إغضابه^٩ .

ولما كان العبد لعجزه لا قدرة له على شيء أصلاً، فلا يصح له^{١٠}
أن يحكم [على -^{١١}] أت أصلاً لا من^{١٢} أضالته ولا من^{١٣} أضال غيره،
قال منكراً عليهم ملتفتاً إلى خطاهم إشارة إلى أنهم حقيقون بالمواجهة
بالتبكي : (وما) أي وأي شيء (يشعركم^{١٤}) أي أدنى شعور بما

(١) سقط من ظ (٢) في الأصل : اسمه، وفي ظ : امنة (٣) من ظ، وفي
الأصل : منه (٤) من ظ، وفي الأصل : واجب (٥) زيد من ظ (٦ - ٧) من
ظ، وفي الأصل : سباً عن إعاقه - كما (٧ - ٧) سقط ما بين الرقین من ظ .

أقسم عليه من الإيمان عند مجيئها حتى يتوهموه أدنى توم فضلا عن
الظن فكيف بالجزم ولا سيما على هذا الوجه ثم علل الاستفهام بقوله
ميتا أنه لا فائدة في الإتيان بالآية المقترحة : ﴿ انها ﴾ بالفتح في قراءة
نافع وابن عامر وشعبة في رواية عنه وخص وحمزة والكسائي ، فكان
٥ كأنه قيل : أنكرت عليكم^١ لانها ﴿ اذا جاءت لا تؤمنون^٢ ٥ ﴾ بالخطاب
في قراءة ابن عامر وحمزة ، والاتفات إلى الغيبة في قراءة غيرهم للاعلام
بأنهم بعيدون من الإيمان فهم أهل للاعراض عنهم لما استحقوا من
الغضب ، والتعليل عند من كسر " انها " واضح .

ولما كان التقدير : فانا تطبع على قلوبهم ، وزين لهم سوء أعمالهم ،
١٠ عطف عليه^٣ قوله : ﴿ وقلوب ﴾ [أى بما لاس العظمة -^٤] ﴿ اقتدتهم ﴾
أى قلوبهم حتى لا يهتدوا بها ﴿ و اجارهم ﴾ حتى لا يفهمهم " الإصار بها " ،
فلا يعتبرون فلا يؤمنون ﴿ كالم يؤمنوا به ﴾ أى بمثل ذلك ﴿ اول مرة ﴾
أى عند إتيان الآيات التى قل تلك [﴿ ونذرهم ﴾ أى تركهم -^٥]
﴿ فى طغيانهم ﴾ أى تجاوزهم للحدود ﴿ يعمهون^٦ ﴾ أى يديمون التحير
١٥ على أن الحال لما فيه من الدلالة لا يقتضى حيرة بوحه . ولما أخطر
أنهم لا يؤمنون عند آية مقترحة عمم^٧ على وجه معصّل لإجمال ما قبله فقال :

(١) من ظ ، وفى الأصل : عليهم (٢) فى الأصل وظ : لا يؤمنون ، وما أئبتاه
أولى (٣) من ظ ، وفى الأصل : عليهم (٤) زيد من ظ (٥) سقط ما بين
الرقين من ظ (٦-٧) تأخر ما بين الرقين فى الأصل عن " ما قبله " والترتيب
من ظ .

(ولو اتنا) أى على عظمتا البانسة بما أشار إليه جمع التونات
 (زلنا^١) أى على وجه يليق بظلمتها (اليهم^٢ المآكة) أى كلمهم
 فراؤهم عيانا (وكلهم الموت^٣) أى كذلك (وحشرنا عليهم) أى
 [بما -^٤] لنا من العظمة (كل شيء قبالا) جمع قبيل جمع قبيلة [فى
 قراءة من طم القاف والباء كزخيف ورتف -^٥] ، أى جاءهم ذلك
 المحشور كله قبيلة [قبيلة -^٦] ترى ومواجهة (ما كانوا يؤمنوا) أى
 على حال من الأحوال (إلا ان يشاء الله) أى إلا حال مشيئة لإيمانهم
 لأنه الملك الأعلى الذى لا أمر لاحد معه ، فاذن لآخرة إلا بمشيئته ،
 قالآية دامغة لأهل^٧ / القدرة ، ولا مدخل لآية ولا غيرها فى ذلك ،
 فلا يطمع أحد فى إيمانهم بنير ذلك ، ويقرب عنسدى وإن بعد^٨
 المدى . أن يكون " واقسموا " معطوفا على قوله تعالى " وقالوا لو لا
 أنزل عليه آية من ربه " وهذا من المتعارف فى كلام البلغاء أن يحكى
 الإنسان جملة من كلام خصمه ، ثم يشرح فى توهينها ، ويخرج إلى أمور -
 يجرها المقام - كثيرة الأنواع طويلة الذبول جدا ، ثم يحكى جملة أخرى
 يقول معجبا منه : وقال كذا وكذا ، ثم يشرح فيما يتعلق بذلك من النقد^٩
 والرد ، وما يؤيد ذلك توحيد ختمها ، نغم الأولى " ولكن أكثرهم
 لا يعلمون^{١٠} " وختم هذه (ولكن أكثرهم يجهلون^{١١}) أى أهل جهل

(١) فى ظ : اليهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و القرآن الكريم ، وموضعه فى
 الأصل بياض (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : يلجى (٦) من ظ ، وفى الأصل : القدرة .
 (٧) من ظ ، وفى الأصل : البعد (٨) راح آية ٣٧ .

مطربعون فيه ، يسمون على الإيمان عند مجيء آية مقترحة ولا يشعرون
أن المانع لهم من الإيمان إنما هو المشقة وإلا لآمنا بما جاءهم من الآيات ،
فانه كفاية في المبادأة إلى الإيمان . والآيات كلها متسوية الأقدام في الدلالة
على صدق الداعي بخرق العادة^١ والعجز عن الإتيان بمثلها .

٥ ولما كان مضمون ما تقدم إثبات عداوة الكفار للذي صلى الله
عليه وسلم ، كان كأنه قيل تسلية له وتثبيتا لنفوسه : فقد جعلناهم^٢ أعداء لك
لأنك عالم ، والجاهلون لأهل العلم أعداء (وكذلك) أى ومثل ما جعلنا
لك أعداء من كفار الإنس والجن (جعلنا لكل نبي) أى من كان قبلك ،
وعبر عن الجمع بالمفرد - ^٣ والمراد به الجنس - إشارة إلى أنهم يد واحدة
١٠ في العداوة فقال : (عدوا) وبين أن المراد به الجنس ، وأنهم أهل الشر
فقال مبدلا : (شيطين) أى أشرار^٤ (الإنس والجن) المتمردين
منهم ، وربما استعان شيطان الجن شيطان الإنس لقرب قلبه منه ، أم^٥
يكون نوعه إليه أميل ، وأشار إلى هوان أمرهم وسوء عاقبتهم بقوله :
(يوحى بعضهم) أى الشياطين من النوعين (إلى بعض) أى يكلمه
١٥ في خفاء (زخرف القول) أى مزينه ومنمقه .

ولما كان هذا يدل على أنه - لكونه لا حقيقة له - لو لا الزخرفة
ما قيل ، زاده يانا بقوله : (غرورا^٦) أى لأجل أن يغروهم بذلك ،
أى يخدعهم فيصيروا لقبولهم كلامهم كالأغايلين الذين شأنتهم عدم التحفظ ،
(١) في ظ : الآية (٢) في ظ : جعلنا (٣) سقطت الواو من ظ (٤) من ظ ،
وفي الأصل : شرار (٥) في ظ : ثم .

و الغرور هو الذى يحتقد^١ فيه النفع و ليس بنافع .

و لما كان أول الآية معلما أن هذا كان^٢ بمشيئة الله و جعله ، أيد

ذلك و مكته فى آخرها بأنه لو شاء ما كان ، و كل ذلك غيرة^٣ على

مقام الإلهية و تنزيها لصفة الربوبية أن يخرج شئ عنها فيدل على الوهن ،

و يجر قطعا إلى اعتقاد العجز ، فقال : ﴿ ولو شاء ﴾ و لما كان فى بيان هـ

أعدائه صلى الله عليه و سلم و المسلطين عليه ، أشار^٤ إلى أن ذلك لإكرامه

و اعزازه ، لا لهوانه ، فقال : ﴿ ربك ﴾ أى بما له إليك من حسن الثرية

و غزير الإحسان مع ما له من تمام العلم و شمول القدرة ، أن لا يفعلوه

﴿ ما فعلوه ﴾ أى هذا الذى أنبأتك به من عداوتهم و ما تفرع عليها^٥ .

و لما قرر أن هذا من باب الثرية فعاقبته إلى خير ، سبب^٦ عنه ١٠

قطعا قوله : ﴿ قدرهم ﴾ أى اتركهم على أى حالة اتفقت ﴿ و ما يفترون هـ ﴾

أى يتعمدون^٧ كذبه و اختلاقه ، و اذكر ما لربك عليك من العاطفة لتعلم

أن الذى سلطهم على هذا فى غاية الرأفة بك و الرحمة لك و حسن

الثرية كما [لا - هـ] يخفى عليك ، فتق به و اعلم أن له فى هذا لطيف

سريرة تدق عن الأفكار ، بخلاف الآيات الآتية التى عبر فيها باسم الجلالة ، ١٥

فانها^٨ فى عظيم تجرؤهم على مقام الإلهية .

و لما كان التقدير : ذرهم لتعرض عنهم قلوب الذين يؤمنون بالآخرة

(١) فى ظ : يفتند (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : عبرة (٤) من ظ ، وفى الأصل :

إشارة (هـ) فى ظ : عليهم (٦) فى ظ : تسبب (٧) فى ظ : يعتمد (٨) زيد من ظ .

(٩) فى ظ : فاته .

وليسخطوه ، وليطوا مام له مبصرون [و - ١] به عارفون ، قرفع
 بذلك درجاتهم ، عطف عليه قوله : (ولتصفي) أى تميل ميلا قويا
 تعرض^٢ به (إليه) أى كذبهم وما فى حيزه (اقتدة) أى قلوب
 (الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى ليس فى طبعم الإيمان بها لأنها غيب ،
 ٢٤٠ / هـ وهم بلادتهم واقفون مع الوهم ، ولذلك استولت عليهم الدنيا التى هى
 أصل الغرر (وليرضوه) أى بما تمكن من ميلهم إليه (وليقتروا)
 أى يفعلوا بجهدم (مام مقترون هـ) وهذه الجمل^٣ - كما به عليه أوحيان -
 على غاية الفصاحة ، لأنه أولا يكون الخداع ، فيكون الميل فيكون
 الرضى فيكون فعل الاقتراف^٤ ، مكان كل واحد مسبب عما قبله .

١٠ ولما كان فيما تقدم الإخبار عن مغيب ، وهو أنهم لا يؤمنون
 عند مجيء الآيات المقترحة ، وكانت عادة العرب دعاء الأعداء والمخالين
 إلى حاكم يفصل بينهم ، وكانوا إما يفزعون فى الأمور المغيبة إلى الكهان
 لما كانوا يكشفون لهم بما يقذف اليهم إخوانهم من الجان عما يسترقونه
 من السمع ، فيزيدونه كدما كثيرا ، ثم لا يضرهم ذلك عندم لذلك القليل
 ١٥ الذى يصدقون فيه - كما ابتليأ به فى هذا الزمان من الاقتان بمن يعمل
 مثل ذلك من المجنين والمتشبهين^٥ بهم ، وكانت الآيات التى ورغ منها

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : تعوس (٣) من ظ ، وفى الأصل
 الجملة (٤) من البحر المحيط ٢.٨.١٤ ، وفى الأصل و ظ : اتلده (٥) فى ظ :
 الاقتراف (٦) من البحر ، وفى الأصل : مسبا ، وفى ظ : سبا - كذا (٧) من
 ظ ، وفى الأصل : المشبهين .

قد أثبت أنب اتخاذهم غرور، سبب^٢ عن ذلك وجوب نفي اتخاذهم^٣
غير الله لما اتصف به من إحصاء ما خالف إحصاءهم، فقات القوى^٤ في إخباره^٥
عن حقائق الأمور مفصلة أحسن تفصيل في أساليب قصرت دونها سوابق
الافكار، وكتبت عنها نوافذ الانعام، قُتبت به^٦ نبوته ووضعت رسالته،
فكان اقتراحهم ظاهرا في كونه متعللا لانهم كذبوا بأعظم الآيات: القرآن، ه
ولم يؤمنوا به، وطمعوا فيه بما^٧ زادهم فضائح، ثبت أنه لا فائدة في
إجابتهم^٨ إلى مقترحاتهم^٩، فكان الجواب - عما اقتضاه لسان حالهم من
طلب التحاكم إلى أولياتهم يبلغ^{١٠} الإنكار عليهم [بقوله -^{١١}]: ﴿أفغير الله﴾
أي الملك الأعظم - على غاية من البلاغة لا تدرك، و«الفاء فيه»^{١٢}
للسبب، وإما تقدمت عليها همزة الإنكار لاقتضاها الصدر ﴿ابتغى﴾ ١٠
أي أطلب حال كون ذلك الغير ﴿حكما﴾ أي يحكم بيني وبينكم ويفصل
نزاعنا، ثم استدل على هذا الإنكار بتفصيل الكتاب هذا التفصيل المعجز
فقال: ﴿وهو﴾^{١٣} أي والحال أنه لا غيره ﴿الذي أنزل اليكم﴾^{١٤} أي
خاصة نعمة على^{١٥} بالقصد الأول [وعليكم بالقصد الثاني -^{١٦}]: ﴿الكتب﴾
أي الاكمل المعجز^{١٧}، وهو هذا القرآن الذي هو^{١٨} تبيان لكل شيء ١٥

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : تسبب (٣) في ظ : اتخاذ (٤) من ظ ، وفي
الأصل : العرى (٥) في ظ : احقاؤه - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : لما .
(٧ - ٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) في ظ : بتبليغ (٩) زيد من ظ .
(١٠ - ١١) في ظ : والعاقبة (١١) من ظ ، وفي الأصل : إلى (١٢) في ظ :
العجب .

(مفصلاً) أى يميز فيه الحلال والحرام ، وغير ذلك من جميع الأحكام ، مع ما تفيده فواصل الآيات من اللطائف والمعارف الكاشفة لحقائق البدايات والنهايات ، ولقد اشدت^١ الاعتناء في هذه السورة بالنتية^٢ على التفصيل لوقوع العلم من أرباب البصائر في الصنائع بأن من لا يحسن التفصيل لا يتقن التركيب .

ولما كان التقدير : فأتم وجميع أرباب البلاغة تملون^٣ حقيقته بتفصيله والمجزع عن مثله^٤ ، عطف عليه قوله : (والذين) ويجوز أن يكون جملة حالية (اتينهم) أى بعظمتنا التي يعرفونها ويعرفون بها الحق من الباطل (الكتب) أى المصنوع (إزاله [من - °] التوراة والإنجيل ١٠. والزبور) (يملون) أى لما لهم من سوابق الانس بالكتب الإلهية (انه منزل) .

ولما تقدم ذكر الجلالة الشريفة في حاق موضعه في سياق الحكم الذى لا يكون الا مع التفرد بالكمال ، وكان هذا المقام بسياق الإنزال^٥ يقتضى الإحسان ، لم يضر بل قال : (من ربك) أى المحسن إليك ١٥ بما خصك به في هذا الكتاب من أنواع الفضائل (بالحق) أى الاكمل لما عندهم به من البشائر في كتبهم ولما له^٦ من مواقيتها في ذكر الأحكام المحكمة والمواظط الحسنة وكثرة ذكر الله على وجوه ترقق القلوب

(١) من ظ ، وفي الأصل : استدل (٢) من ظ ، وفي الأصل : بالينة (٣) في ظ يملون (٤) من ظ ، وفي الأصل : مثله (٥) زيد من ظ (٦) في ظ : الارل (٧) في ظ : لهم (٨) في ظ : مواقيها .

و تفيض الدموع و تصدع الصدور ، مع ما يزيد به على كتبهم من التفصيل بما يفهم معارف الإلهية و المقامات الصوفية في ضمن الأحكام السياسية و الإعجاز بكل آية .

ولما كان أهل الكتاب يخفون ما عندهم من العلم ، و يقولون

للسركين : إنهم أهدى سبيلا ، مما قد يوم أنهم / يستقدون بطلانه ، أو أن ه ٢٤١ /

الامر ملبس^١ عليهم ، سبب عن^٢ إخباره سبحانه قوله على طريق التهيج و الإلهاب : (فلا تكون) [أى اتق قويا مؤكدا جدا أن تكون في

وقت ما - ٣] (من الممتربين) أى العاملين عمل الشاك فيما أخبرناك به

و ان زاد إختلاؤهم له و إظهارهم لما يوم خلافه ، و إذا حاربتهم في ذلك

- و أنت أفضل الناس و أعرفهم بما يظهره المجاوزات من خفايا الأسرار - ١٠

تحققت ما قلناه و إن اجتهدوا في لكتان ، كما كشفت عنه قصة المناشدة

في أمر الزائنين و غيرها ، و قال أبو حيان : قال مشركو قريش لرسول الله

صلى الله عليه و سلم : اجعل بيننا و بينك حكما من أحبار اليهود ، و إن

شئت من أساقفة النصارى ، ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك فزلت .

و لما دل على كونه حقا من عند الله علم أهل الكتاب صريحا ١٥

و أهل اللسار^٤ تلويحا ، دل عليه بوجه آخر شهدي ، و هو^٥ أنه ما قال

شيئا إلا كان على وفق ما قال ، و أنه لم يستطع - ولا يستطيع أحد -

منع شيء مما أحبر به و لا تعويقه ساعة من نهار و لا أقل و لا أكثر

(١) في ظ . ملبس (٢) من ظ . وفي الأصل : على (٣) زيد من ظ (٤) من

ظ ، وفي الأصل : الكسان - كذا (٥) سقط من ظ .

بقوله تعالى مظهرًا في موضع الإضمار ، لتذكيره صلى الله عليه وسلم بما له سبحانه من الإحسان ، والتنبيه على ما يريد به من التشريف والإكرام :
 ﴿ وتمت ﴾ أى فقدت وتحقق ﴿ كلنمت ١ ربك ﴾ أى المحسن إليك
 المدبر لأمرك حال كونها ﴿ صدقا ﴾ أى لا ٢ يقدر أحد أن يبدى فى شيء
 ٥ منها حديثا ٣ بتخلف ما عن مطابقة لواقع .

ولما كان الصدق غير مناف للجور . قال : ﴿ وعدلا ٤ ﴾ ولما
 كان الصدق العدل قد لا يتم معه مراد القاتل ، ولا ينفذ فيه كلام الأمر
 لمنع من هو أقوى منه ، أخبر أنه لا راد لأمره ولا معقب لحكمه ،
 تصريحًا بما أفهم مطلع الآية من تمام ، وأظهر موضع الإضمار تعميما
 ١٠ ، تركا . تلذذا فقال : ﴿ لا مبدل لكلمته ٥ ﴾ أى من حيث أنها كلماته
 مطلقا من غير تخصيص بنوع ما ، بل كل ما أخبرت به فهو كأن لا محالة ،
 رضى من رضى وسخط من سخط .

ولما كان المغير لشيء إنما يتم له ما يريد من التغير يكون المغير عليه
 لا يعلم الأسباب المنجحة لما أراد ليحكمها ٥ ، والموانع العائقة ليطلها ، قال
 ١٥ عاطفا على ما تقدريه : فهو العزيز الحكيم : ﴿ وهو ﴾ أى لا غيره
 ﴿ السميع ﴾ أى البالغ السمع بجميع ما يمكن سماعه من الأقوال والأفعال
 ﴿ العليم ٥ ﴾ أى البالغ العلم بجميع ذلك . فهو إذن الكامل القدرة النافذ
 الأمر فى جميع الأسباب والموانع ، فلا يدع أحدا يغير شيئا منها وإن
 (١) وفى مصاحفتنا : كلمة (٢) من ظ ، وفى الأصل : الا (٣) فى ظ : خدشا .
 (٤) من ظ ، وفى الأصل : هوى (٥) من ظ ، وفى الأصل : ليحكمها - كذا .

دلس أو شبه .

ولما أجاب عن شبهات الكفار ، وبين صحة نوته^٢ عليه السلام ،
 شرع في الحث على الإعراض عن جهل الجاهل ، والإقبال على ذى^٣
 الجلال ، فكان التقدير : فان أطعته فيما أمرك به اهتديت إلى صراط
 الله الذى يتم لك سلوكه^٤ جميع ما وعدك به ، عطف عليه قوله : =
 (وان تطع) ولما كانت " أكثر الانفس " متعبدة^٥ بالأكثر ، أشار إلى
 أن ذلك لا يفعله إلا جاهل غلذ إلى تقليد فقال : (أكثر من فى الارض)
 أى توجد طاعتك لهم فى شيء من الأوقات بعد أن علمت أن أكثرهم
 إنما يتبع الهوى ، وأن أكثرهم فاسقون لا يعلمون لا يشكرون (يضلوك
 عن سبيل الله^٦) أى المستجمع لصفات الكمال ؛ ثم علل ذلك بقوله : ١٠
 (ان) أى لأنهم ما (يتبعون) فى أمورهم (الا الظل) [أى -^٧
 كما يظن هؤلاء جهلا أن آراءهم كانوا على الحق .

ولما كان أكثر كلام من يحزم بالأمور بما دعاه إليه ظنه كذبا ،
 وكان الخارص يقال على الكاذب والمخمن الحازر ، قال : (وان هم)
 أى بصميم ضمائرهم (الا يغرصون^٨) أى يحزمون بالأمور بحسب ١٥
 ما بقدرهم ، فيكشف الأمر عن أنها كذب^٩ ، فيعرف الفرق بينك وبينهم
 فى تمام [الكلام -^{١٠}] وقوده نفوذ السهام ، أو تخلفه عن التمام ونكوصه

(١) مس ظ ، وفى الأصل « و » (٢) مس ظ ، وفى الأصل : نبوة (٣) فى ظ :
 دين (٤ - ٥) فى ظ : سلوكه (٥ - ٥) من ظ . وفى الأصل : انفس الاكثر .
 (٦) فى ظ : مقيدة (٧) زيد مس ظ (٨) فى ظ : اكذب .

كاسيف الكهام، فلا يبق شبهة في أمر الحق والمبطل .

ولما كان المقام للعلم الكاشف للحقائق المين لما يقبع وما / يحتجب،
قال معللا لهذا الإخبار: ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بانزال هذا
الكتاب الكاشف للارتباب الهادى إلى الصواب ﴿ هو ﴾ أى وحده
هـ ﴿ اعلم ﴾ و لكون^٢ الحال^٣ شديد الاقتضاء^٤ للعلم، قطعه عما بعده
ليسبق إلى الفهم أنه أعلم من كل من يتوهم فيه العلم مطلقاً ثم قال:
﴿ من ﴾ أى يعلم من ﴿ بضل ﴾ أى يقع منه ضلال يوماً ما
﴿ عن سبيله ﴾ أى الذى بينه ببله ﴿ وهو ﴾ أى وحده
﴿ أعلم^١ بالمهتدين هـ ﴾ كما أنه أعلم بالضالين، فمن أمركم باتباعه فاتبعوه، ومن
١٠ نهاكم عنه فاجتنبوه، فمن صل أراداه^٥، ومن اهتدى أنجاه، فاستمسكوا
بأسبابه حذراً [من °] ويل عقابه يوم حسابه .

ولما قدم سبحانه ما مضى من السوائب وما معها في المائة
عما يدير به أهل الجاهلية في أكل الحيوان الذى جرى إليه الشرك،
و أتبعه بيان أنه لا ضرر على أهل الإيمان من دين أهل الضلال إذا
١٥ اعتدوا، و أتبع ذلك ما لأمه، و انتظم في سلكه و لآحه، حتى ظهر
أى ظهور أن الكل^١ ملئكه و ملئكه، و أنه لا شريك له، فوجب شكره
وحده، و كانوا مع ذلك قد كفروا بعمه تعالى فاتخذوا معه شركاء،
ولم يكفهم ذلك حتى جعلوا لها مما ذرأ من الحرث و الأنعام نصيباً .

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : يكون (٣-٤) تكرر ما بين الرقین في ظ .
(٤) في ظ : اراده (٥) زيد من ظ (٦) في ظ : جرى (٧) في ظ : لكل .

فكانوا 'بذلك الممانين' الحق عن أهله، ومانحين ما خولهم فيه من له الملك لما لا يملك ضرا ولا قعما، وتاركين بعض ما أنعم عليهم به صاحب الحق رعاية لمن لا حق له ولا حرمة، وكانت سنة الله تعالى قد جرت بأنه يذكر نفسه الشريعة بالوحدانية، ويستدل على ذلك بخلق السموات والأرض وما أودع فيها لنا من المنافع وما أبدع من المرافق والمصانع، ثم يحجب عن أشرك به، ثم يأمر^٢ بالآكل بما خلق تذكيرا بالنعمة، ليكون ذلك داعية لكل ذى لب إلى شكره، كما قال^٣ تعالى في القرة عقب "و الحكم الله واحد" : "ان في خلق السموات والأرض" ثم قال "ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا" ثم قال^٤ "يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا" ، أجري هذه السنة الجليلة في هذه السورة ١٠ أيضا ، قال : "ان الله فائق الحب والنوى" بعد "انى وجهت وجهى [للذى فطر-^٥]" ثم^٦ "وجعلوا لله شركاء الجن" ودل على أنه لا شريك له فى ملكه ولا ملئكه ، وختم بأنه لا حكم^٧ سواه ينازعه فى حكمه أو^٨ يباريه فى شئ من أمره ، وبين^٩ أن من [آيها -^{١٠}] الهداية التى جعلها شرطا لعدم ضرر بلحق من دين أهل الشرك ، سبب عن جميع ما ذكرت ١٥ قوله : (فكلوا مما ذكر) أى وقت الذبح (اسم الله) أى الملك الذى له (١-١) فى ظ : لذلك الممانين (٢) فى ظ : باهم - كذا (٣) سقط من ظ . (٤) آية ١٦٤ (٥) آية ١٦٥ (٦) آية ١٦٨ (٧) ريد من ظ و القرآن الكريم (٨) زيد فى ظ بعده : بعد (٩) من ظ ، وفى الأصل : حكيم (١٠) فى ظ : و . (١١) من ظ ، وفى الأصل : يبين (١٢) زيد من ظ .

الإحاطة الكاملة فله كل شيء (عليه) أى ' كأن قائلا لذلك سواء ذكر بالفعل أولا، و عدل عن التعبير بما جعلته المراد ليفهم أن الذكر بالفعل مندوب إليه، و لا يكونوا بمن بنى دينه على اتعاع الأهوية و الظنون الكاذبة، فكأنه قيل: اتبعوا من يعرف الحق لاهله فانه مهتد غير مرجح على غيره فانه ه صال، و الله أعلم بالتريقين، فكفوا من المهتدين، فكفوا عما خلق الله لكم حلالا شاكرين لنعمة، و إنما أطال هنا دون البقرة ما بين الجمل الكلام قد يرا لخصايتها و ما يستتبعه و احتجاها على جميع ذلك لأنها سورة التفصيل، و "أنى بالذكر" والمراد قول المأكل له، أى كلوا عما يقبل أن يسمى عليه على مقتضى ما شرعه. و ذلك هو الذى أحله من الحيوان وغيره سواء ١٠ كان مما حملوه لأوثانهم أولا، دون ما مات من الحيوان حتف أمه، أو ذكر عليه اسم غير الله أو كان مما حرم أكله وإن ذبح و ذكر عليه اسم الله، فانه لا يقبل التحليل بالتسمية، فالتسمية فى غير موضعها، لورود النصوص بالتحريم. و لا تتبعوا المشركين فى منعهم أنفسهم من خير مما خلق الله لهم من لحث و الأضام بتسميتهم، إياه لألهمم اتى لا غاء ١٢٤٣ / عدها، و يكبر. [ذلك - ٤] حثا على التسمية على جميع المأكول الحلال، فتكون الآية كآية البقرة [زيادة - ٤].

و لما كان هذا الأمر لا يقبله الا من زال دين الشرك و جميع توائمه من قلبه، قال: (ي) ان كنتم أى بما لكم من الجبل الصالحة (بنايته) (١) فى ظ : ن (٢) فى ظ : يعرف - كذا (٣ - ٢) من ظ، و فى الأصل : انها يذكر (٤) زيد من ظ (ه) من ظ، و فى الأصل : امر.

- أى عامة التى منها آيات التحليل و التحريم (مؤمنين) أى عريقين
 فى وصف الإيمان، وقد لاح بذلك حسن انتظام قوله: (وما لكم)
 أى أى شئ يكون لكم فى (الا تاكلوا مما ذكر) أى يقبل أن يذكر
 (اسم الله) أى الذى له كل شئ (عليه) فان التسمية قائمة مقام
 إذنه (وقد) أى و الحال أنه قد (حصل لكم) أى من قبل ذلك ه
 و الخلق خلقه و الامر أمره (ما حرم عليكم) أى عالم يحرم تفصيلا
 واضح البيان ظاهر الدرهان (الا ما اضطررتم اليه) أى فان الضرورة
 تزيل التفصيل عنه برده إلى ما كان عليه قبل التفصيل، فيصير الكل حلالا
 [لا - ٢] تفصيل فيه . و المراد فى هذه الآية مختلف باختلاف المخاطبين ،
 فأما من خوطب بها وقت الإنزال فالمراد بالتفصيل الذى آتاه الآية الآتية ١٠
 أخير هذه فانها نزلت جملة ، وكذا كل ما شاكلها مما أزل ممكنا قبل هذه
 السورة، وكذا ما أخبر به صلى الله عليه وسلم فى وحى متلو^١ إذ ذاك ، ولعله
 نسخت تلاوته وبقى حكمه . أو وحى غير متلو من جميع الأحاديث التى
 تقدمت على هذه السورة ، وأما من خوطب بها بعد ترتيبه على هذا الوجه
 فالمراد فى حقه - [كما - ٢] فى القرة و المائدة وغيرهما من 'سور الماضية - ١٠
 من الحلال و المحرام .

ولما كان التقدير : من عمل بهذه الأوامر اهتدى عما نال^٢ من نعلم
 و هو قليل ، عطف عليه قوله : (و كثير) أى من الناس (ليضلوا)
 (١) فى ظ . التفصيل (٢) ريد - ب - ظ (٣) فى ط : نزلوا ١٤ فى ظ : انال .
 (ه) سقط من ظ .

أى يقع منهم الضلال فيوقعون^١ غيرم فيه بنكوبهم^٢ عما دعت إليه أوامر الله
 وهدى إليه يانه ، فيكونون بمرض العطب (باهوآتهم) أى بسبب
 اتباعهم للهوى ؟ ولما كان الهوى - وهو ميل النفس - ربما كان موافقا
 لما أدى إليه العلم بصحيح الفكر وصرح العقل قال^٣ : (بغير علم^٤)
 ٥ أى دعا^٥ إلى ذلك [بمن له العلم - °] من شريعة ماضية بمن^٦
 له الأمر .

ولما كانوا ينكرون هذا ، أثبت لنفسه الشريعة ما هو مسلم عند كل
 أحد وقال دليلا على صحة ما أخبر به : (ان ربك) أى المحسن إليك
 بانزال هذا الكتاب شاهدا لك بأعجازه بالتصديق (هو) أى وحده
 ١٠ (اعلم) وكان الموضع للاضمار فأظهر للتعميم والتنبية على الوصف الذى
 أوجب لهم ذلك فقال : (بالمعتدين °) أى الذين يتجاوزون الحدود
 مجتهدين فى ذلك .

ولما كان مما يقل فى نفسه فى الجملة أن يذكر اسم الله عليه ما يحرم^٧
 لكونه ملكا للغير أو فيه شبهة ، نهى عنه على وجه يعم غيره ، فقال
 ١٥ عطفا على " فكلوا^٨ " . (وذروا^٩) أى اتركوا على أى حالة اتفقت
 وإن كنتم تظنونها غير سالحة (ظاهر الاثم) أى المعلوم الحرمة من
 هذا وغيره (وباطنه^{١٠}) من كل ما فيه شبهة من الأقوال والأفعال
 والعقائد ، فإن^{١١} الله جعل له فى القلب علامة ، وهو أن يضطرب عنده
 (١) فى ظ : يقيمون (٢) فى ظ : ينكوبهم (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : ادعاء .
 (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : بمن (٧) من ظ ، وفى الأصل : حرم .
 (٨) فى ظ : عملوا - كذا (٩) فى ظ : وان .

ولا يسكن كما قال صلى الله عليه وسلم : و الإيمان ما حاك في القلب وتردد في الصدر - أخرجه مسلم عن النوراس بن سميان رضى الله عنه ، ثم علل ذلك بقوله : (ان الذين يكسبون الاثم) أى ولو بأخفى أنواع الكسب ، بما دل عليه تجميد الفعل ، وهو الاعتماد ^٢ للاسم الشريف ^٣ .

[ولما كان العاقل من غاف من مطلق الجزاء بنى للفعول قوله - ^٢] : هـ

(سيجزون) أى بوعد لا خلف فيه (بما) أى بسبب ما ^٢ (كانوا) بفاسد جبلاتهم (يفترون هـ) أى يكتسبون اكتسابا يوجب الفرق وهو أشد الخوف وبزيل الرفق ، وصيغة الاقتمال للدلالة على أن أفعال الشر إنما تكون بمعالجة من النفس للفترة الأولى السليمة .

[ولما - ^٢] أمرهم بالأكل بما ينفعهم ويعينهم على شكره محذرا ١٠

من أكل ما يعيش^١ مرأى بصائرهم ، أتبعه نهيم نهيا / جازما خاصا عن ٢٤٤ / الأكل بما يضرم في أبدانهم وأخلاقهم ، وهو ما ضاد الأول في خلوه [عن الاسم الشريف - ٣] فقال : (ولا تاكلوا مما لم يذكر) أى مما لا يقبل أن يذكر (اسم الله) أى الذى لا يؤخذ شيء^٢ إلا منه ، لأن له الكمال كله الإحاطة الكاملة ، وأشار بأداة الاستعلاء إلى الإخلاص ١٥ ونفى الإشراك فقال : (عليه) أى لكون الله قد حرمه فصار نجس العين أو المعنى ، فصار محبثا^٣ للبدن والنفس عما ذكر عليه غير اسمه سبحانه

(١) في ظ : اخفى (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) زيد ما بين الحالزين من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : يكون (هـ) من ظ ، وفي الأصل : كل . (٦) من ظ ، وفي الأصل : يقبس (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، وفي الأصل : محما .

بما دل عليه [من - ١] تسميته فسقا ، وتفسير الفسق في آية أخرى بما
أهل به لغير الله و^١ كذا ما كان في معناه مما مات أو كان حراما بغير ذلك ،
واسمه تعالى مزه عن أن يذكر على غير الحلال ، فإن ذكر عليه كان
ملاعبا فلم يظهره^٢ ، وأما ما كانت حلالا ولم يذكر عليه [اسم الله
٥ و^٣ لا غيره - ١] فهو حلال - كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها
قالت : قالوا : يا رسول الله ! إن هنا أقواما حديث عهد بشرك يأتونا
بلمحان لاندري يذكرن اسم الله عليها أم لا ! قال : اذكروا أنتم
اسم الله وكلوا . قال البغوي : ولو كانت التسمية شرطا للإباحة لكان^٤
الشك في وجودها مانعا من أكلها كالشك في أصل الذبح - انتهى .

١٠ ولما كان التقدير : فانه خبيث في نفسه مخث ، عطف عليه قوله :
(وانه) أي الأكل منه أو هو نفسه لكونه السبب (لفسق^٥) فجعله
نفس الفسق - وهو الخروج عما ينبغي إلى ما لا ينبغي - لأنه عريق جدا
في كونه سيئه لما تأصل عندهم من أمره^٦ وانتشر من شره ، وهذا دليل
على ما أولت^٧ به لأن النسيان [ليس - ١] بسبب الفسق ، والذي تركت
١٥ التسمية عليه نسيانا ليس بعسق ، والناسي ليس بهاسق - كما قاله البخاري ،
وإلى ذلك الإشارة مما رواه عن^٨ عائشة رضي الله عنها^٩ أن قوما قالوا

(١) ريد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في الأصل : لم يظهر ، وفي ظ :
فلم يظهره (٤) في ظ : او (٥) من معالم التنزيل - راجع هامش الخازن ١٤٧/٢ ،
وفي الأصل و ظ : كان - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : امرهم (٧) في ظ :
اوصلت (٨-٨) في ظ : بجديث (٩) ريد بعده في ظ : الماضي ، والعبارة من
بعده إلى « انتهى » ساقطة منه .

لنبي صلى الله عليه وسلم : إن قوماً يأتوننا باللحم ، لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا ! فقال : سموا عليه أتم و كلوه ، قالت : و كانوا حديث عهد بالكفر^١ - انتهى . فهذا كله يدل على أن المراد إما هو كونه مما يحل ذبحته ، وليس المراد اشتراط التسمية بالفعل .

ولما كانت الشبهة ربما زلزلت ثابت العقائد ، قال محضرا منها : هـ
(وان الشيطان^٢) أى أعاب^٣ المردة من الجن و الإنس البعيدين من الخير المهينين^٤ للشر المحترقين باللعنة^٥ من مردة^٦ الجن و الإنس^٧ (ليوحون) أى يوسوسون وسوسة بالغة سريعة (إلى أوليئهم) أى المقاربيين لهم في الطباع المهين لقبول كلامهم (ليجادلوكم^٨) أى ليقتلوكم عما أمركم^٩ به بأن يقولوا لكم : ما قتله^{١٠} الله أحق بالأكل [عا - ٩] قتلتموه أتم^{١١} وجوارحكم - ونحو ذلك ، و أهل الحرم لا ينبغي أن يتفوا في غيره ، و الغريب لا ينبغي أن يساويهم في الطواف في ثيابه ، و الذر للأصنام كالذر للكمة ، و نحو هذا من خرافاتهم التي بنوا أمرهم فيها على الهوى الذي هم معترفون بأنه مضل مضر . و مبالغون في الذم باتساعه و الميل إليه ، و يكفى في مدم جميع شبههم إجمالاً أن صاحب الدين و مالك^{١٢} الملك منع منها .

(١) من صحيح البخارى - الذبائح ، و في الأصل و ظ : بكسر (٢) من ظ و القرآن الكريم . و في الأصل : الشيطان (٣) في الأصل : احاب ، و في ظ : اجابث - كذا (٤) في ظ : المعلن - كذا (٥) في ظ : من اللعنة . (٦ - ٧) في ظ : الانس و الجن (٧) في ظ : امر الله (٨) في الأصل و ظ : قبله . (٩) زيد من ظ .

ولما كانت التقدير: فان أظعنوم تركم الهدى و تبعم الهوى ،
 و كان من المعلوم أن الهوى يعود إلى الشرك ، عطف على هذا قوله :
 ﴿ و ان اظعنوم ﴾ أى المشركين تدبنا بما يقولونه فى ترك الاكل
 بما ذكر اسم الله عليه و الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه ، أو فى شيء
 ٥ مما جادلوكم فيه ﴿ انكم لمشركون ٤ ﴾ نى فأتهم و هم فى الإشراك سواء
 كما إذا سميت غير الله [على - ١] ذالحكم على وجه العبادة ، لأن من اتبع
 أمر غير الله فقد أشركه ٢ بالله كما قال صلى الله عليه وسلم فى حديث عدى
 ابن حاتم رضى الله عنه فى قوله تعالى ” اتخذوا ايجابهم و رهبانهم اربابا
 من دون الله “ ٣ من أن عاداتهم لهم ، تحليلهم ٤ ما أحلوا و تحريمهم ما حرموا ،
 ١٠ / ٢٤٥ ١٠ قبه صلى الله عليه وسلم / بذلك على أن الاسماء تتبع المعاني ، قال شيخ
 الإسلام محيى الدين النووى الشافعى فى باب الضحايا من كتاب الروضة :
 حكى فى الشامل ٦ و غيره عن من الشامى أنه لو كان لأهل الكتاب
 ذبيحة يدعونها باسم غير الله كالمسيح لم نحل ، و فى كتاب القاضى
 ابن كعب ٧ أن اليهودى لو ذبح لموسى و الصرافى لميسى عليهما السلام
 ١٥ أو ٨ للصليب حرمت ذبيحته ، و أن المسلم لو ذبح للكعبة أو لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم فينبى أن يقال : تحرم ، لأنه ذبح لغير الله تعالى ، قال :

(١) ريد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : اشرك (٣) سورة ٩ آية ٣١ .
 (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : تحليلهم (٦) من ظ ، و هو الشامل
 فى فروع الشامية لابن الصاغ ، و فى الأصل : التامل (٧) هو يوسف بن أحمد
 ابن يوسف بن كعب الديورى الشامى فقيه من القضاة - راجع معجم
 المؤلفين ٢٧٣/١٣ (٨) فى ظ ” و “ .

وخرج أبو الحسن وجها آخر [أنها - ١] تحل لأن المسلم بدع الله ولا يعتقد في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعتقد النصراني في عيسى عليه السلام . قال : وإذا ذبح للصنم لم تؤكل ذبيحته سواء كان الذابح مسلما أو نصرانيا ، وفي تعليقه الشيخ إراهيم المروزي أن ما يذبح عند استقبال السلطان تقربا إليه ألقى أهل بخارى بتحريمه لأنه مما أهل به ٥ لغير الله ، واعلم أن لدبح للعود^١ باسمه نازل منزلة السجود له . وكل واحد منهما نوع من أنواع التعظيم . العادة المخصوصة بالله تعالى الذي هو المستحق للعادة ، فمن دبح لغيره من حيوان أو جماد كالصنم على وجه التعظيم والعبادة لم تحل^٢ ذبيحته ، وكان عمله كفرا كن محمد لغيره بحجة عبادة ، وكذا لو ذبح له ولغيره على هذا الوجه ، فأما إذا ذبح لغيره ١٥ لا على هذا الوجه - بأن ضحى أ. ذبح للكعبة تعظيما لها لأنها بيت الله تعالى أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم - هذا لا يجوز أن يمنع حل الذبيحة ، وإلى هذا المعنى يرجع قول 'القاتل' : أهديت للحرم أو للكعبة ، ومن هذا القبيل الذبح عند استقبال السلطان ، فإنه استبشار مقدومه نازل منزلة ذبح العقيدة لولادة المولود ، ومثل هذا لا يوجب الكفر ، وكذا السجود لغير الله ١٥ تدللا وخضوعا . فعلى هذا إذا قال الذابح : بسم الله واسم محمد ، وأراد : أذبح باسم الله وأترك باسم محمد . فينبغي أن لا يحرم ، وقول من قال : لا يجوز ذلك ، يمكن أن يحمل على أن اللفظ مكروه . لأن المكروه يصح نفي الجواز والإباحة المطلقة عنه . وحكى الرامزي أنه وقعت في هذا منازعة بين أهل قزوین أفضت إلى قتلة في أه تحل ذبيحته وهل يكفر

(١) زيد من ظ (٢) زيدت أو أوبده في الأصل ، ولم تكن في ظ فخذناها .
(٣) في ظ : لا تحل (٤) من ظ ، وفي الأصل : الدبح .

بذلك قال : و الصواب ما بينا ، قال الشيخ محي الدين : و عما يؤيد ما قاله -
 أى الراعى - ما ذكره الشيخ إبراهيم المروذى فى تعليقه : قال : حكى
 صاحب التقريب عن الشافعى رحمه الله أن النصرانى إذا سعى غير الله كالمنحرف
 لم تحل ذبيحته . قال صاحب التقريب : معناه أن يذبحها له . فأما إن ذكر
 ٥ المسيح على معنى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لجائز ، قال :
 و^١ قال الحلبي : تحل مطلقا وإن سعى المسيح - والله أعلم . ثم قال فى
 المسائل المشورة^٢ : الثالثة : قال ابن كعب . من ذبح شاة و قال : أذبح لرضى
 فلان ، حلت الذبيحة ، لأنه لا ينصرف إليه بخلاف من تقرب^٣ بالذبح إلى الصنم ؛
 و قال الروبانى : إن من ذبح للجن و قصد به التقرب إلى الله تعالى ليصرف
 ١٠ شره عنه فهو حلال ، وإن قصد الذبح لهم لحرام ؛ و عما يوضح لك سر هذا
 الانتظام و يزيد حسنا أن هذه الآيات كلها من قوله تعالى " أن الله فائق
 الحب و النوى " - إلى آخر السورة تفصيل لقوله تعالى فى أول السورة
 " قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات و الأرض " - الآية ، فلما ذكر إيداعه
 السموات و الأرض بقوله " أن الله فائق الحب و النوى " ونحوه . و أنكر
 ١٥ اتخاذ من دونه بقوله " و جعلوا لله شركاء الجن " و ما يحا نحوه ، قال
 " فكلوا " إشارة إلى " و هو يعلم و لا يعلم " و قوله " أو من كان
 ميتا فاحيئه " و قوله " فمن يرد الله أن يهديه " ونحوهما إشارة إلى قوله
 " قل انى امرت أن اكون اهل من اسلم " ؛ و قوله " و يوم نخشركم جميعا "
 و نحوه مشير^٤ إلى " انى اخاف أن عصيت ربى عذاب يوم عظيم " .

/ ٢٤٦

(١) سقط مرتب ظ (٢) فى ظ : المشورة (٣) فى ظ : يتقرب (٤) فى ظ : فى
 قوله (٥) فى الأصل و ظ : مشيرا .

ولما انقضى^١ التفصيل عند قوله "فسوف يعلنون" - الآية، شرع في تفصيلها ثانيا بقوله "وحملوا قه عاذرا من الحرث والانعام نصيبا" - إلى آخرها، والسر في الإعادة أن الشيء إذا أثبت أو نفي، وأقيمت الدلائل على إثبات ما ثبت [منه - ٢] ونفي ما نفي، ثم أعيد ذلك في أسلوب آخر، كان أثبت في النفس والصق^٣ بالقلب، لاسيما إن كان ه في الأسلوب الثاني - كما هي عادة القرآن - زيادة في البيان وتبيينه على ما لم يتقدم أولا، ولا سيما إن كانت العبارة فائقة والالفاظ عذبة رائقة وأنت خير بان هذا كله دأب القرآن في أساليب الاقنسان، قال الغزالي في أوائل كتاب الجواهر في الفصل الذي فيه اشتمال العائقة على ثمانية أقسام: وقوله ثانيا "الرحمن الرحيم" إشارة إلى الصفة مرة ١٠ أخرى، ولا تظن^٤ أنه مكرر، فلا مكرر في القرآن، إذ حد المكرر ما لا ينطوي على مزيد فائدة، وذكر الرحمة بعد ذكر "العلين"^٥، وقبل ذكر "العلين"^٦، وقبل ذكر "ملك يوم الدين" ينطوي على فائدتين عظيمتين في تفصيل مجاري الرحمة ثم ذكر^٧ ما حاصله أن إحداهما ملئت إلى خلق^٨ كل [عالم - ٢] من العالمين على أكل أنواعه وأفضلها وإتيائه كل ١٥ ما احتاج إليه، والثانية ملئت إلى ما بعده بالإشارة إلى الرحمة في^٩ المعاد يوم الجزاء عند الإمام بالملك المؤبد، قال: وشرح ذلك بطول والمقصود

(١) من ظ، وفي الأصل: اجبض - كذا (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: اعلق .
 (٤) في ظ: لا يظن (٥) في ظ: تكرر (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) من ظ، وفي الأصل: ذكرنا (٨) في ظ: ان (٩) من ظ، وفي الأصل: و .

أنه [لا - ١] مكرر في القرآن . وإن رأيت شيئاً^١ مكرراً من حيث الظاهر فانظر إلى سوابقه ولواحقه لينكشف لك مزيد الفائدة^٢ في إعادته - انتهى . وفي ذلك نكتة أخرى، وهي أن الرحمن مشير^٣ إلى ما قال من جهة^٤ الربوبية في الإيجادين : الأول والثاني، والرحيم مشير^٥ بخصوصه بما ترصاه الإلهية إلى الإيجاد الثاني والإبقاء الثاني بالرحمة الجرائية^٦ وإلى ما يفهمه الخصوص من^٧ انعمه بمن لم ينصه الرحمة - كما مضت الإشارة إليه في الفاتحة .

ولما كان معنى التحذير من ضاعة المشركين أنكم إن فعلتم كنتم قد رددتم أنفسكم إلى ظلام الضلال بعد أن منحتم نور الهداية، فكان ١٠ التقدير : أ^١ فر كان هكذا^٢ [كار - ١] كن نصح لنفسه باتباع الأدلة وتوقئ الشبه، عطف عليه قوله : ﴿ أو من كان ميتاً ﴾ أي بالفرق في أمواج ظلام الكفر، ليس لهم من ذواتهم إلا الجهادية بل العدمية ﴿ فاحيئنه ﴾ أي بما لنا من العظمة ما شراق أنوار الإيمان على قلبه الذي إن صلح صلح الجسد كله، وإن فسد فسد الجسد كله ﴿ وجعلنا ﴾ أي بعظمتنا على وجه ١٥ الخصوص ﴿ له نورا ﴾ أي بالهداية إلى كل خير ﴿ يمشى ﴾ مستضيئاً ﴿ به في الناس ﴾ فيعرفون أفعاله وأخلاقه وأقواله ﴿ كمن مثله ﴾ أي الذي يمتثل به، وهو ما ينكشف^٣ بوجه^٤ شبه روح له و^٥ خلاصة حال قلبه،

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : الفاتحة - كذا (٤) في الأصل و ظ : مشيراً - كذا (٥) في ظ : جهة (٦) من ظ ، وفي الأصل : الخبرانية - (٧) في ظ : هذا (٨) في ظ : يكشف (٩) في ظ : أو .

حال قلبه ، أو يكون المعنى : صفته أنه ﴿ في الظلمت ﴾ أى ما له من نفسه من ظلمة الجهل وظلمة ما ينشأ عنه من الهوى وظلمة ما تنشأ عن الهوى من الكفر ، وإذا كان المثل الذى هو الأعلى من المثلوث فى شيء كان المثلوث عريقا فيه بطريق الأولى ، فلذلك قال : ﴿ ليس بخارج ﴾ أى ذلك المثل ﴿ منها ﴾ أى الظلمات بما زين له من سوء أعماله حتى هـ صارت^١ أحب إليه من نفسه وماله ، وإذا لم يخرج المثل من شيء لم يخرج المثلوث منه وإلا لم تكن بينهما عاقلة ، وذلك لانه^٢ زين له عمله ، وهى ناظرة إلى قوله أول السورة " إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يسئلهم الله " وقوله " والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمت " .

ولما كان إحصاء الشياطين إلى أولياتهم بما يوجب لزوم المعنى ليس ١٠
إلا تزيينا للقبائح^٣ . فكان حالهم بما يشتد العجب منه ، كان كأنه قيل :
لولا رؤيتنا لحالهم ما صدقنا^٤ أن عاقلا / يرضى ما فعلوه^٥ بأنفسهم ،
فهل وقع^٦ لاحد قط^٧ مثل حالهم ؟ فقيل : نعم ، ﴿ كذلك ﴾ أى
[مثل -^٨] ما زين لهم سوء أعمالهم ﴿ زين للكافرين ﴾ أى كلهم
﴿ ما كانوا ﴾ بما جعلناهم^٩ عليه ﴿ يعملون هـ ﴾ فهم أبدا فى الظلمات ، ١٥
فالآية من الاحتباك : أثبت^{١٠} أولا كونه فى الظلمات دليلا على تقديره

(١) فى ظ : صار (٢-٣) من ظ ، وفى الأصل : لذلك انه (٣) سقط من ظ .

(٤) من ظ ، وفى الأصل : ما صدقناهم (٥) فى ظ : صله (٦-٧) من ظ ،

وفى الأصل : لا حظ قد - كذا (٧) زيد من ظ (٨) فى الأصل وظ :

جعلناهم (٩) فى ظ : ثبت .

ثانياً ، وثانياً التزيين دليلاً على تقديره أولاً .

ولما كان معلوماً أن عداوتهم له صلى الله عليه وسلم المشار إليها بقوله "وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً" - الآية ، لا يقوم بها إلا أكابر الناس ، لما كان عليه صلى الله عليه وسلم من جلالة المنصب وشرف العشيرة وكثرة الأتارب وأنه لا يتأذى عليها^٢ إلا جاهل مطموس البصيرة مزين له قبيح أعماله ، عطف تعالى على التزيين للكافرين قوله : ﴿وكذلك﴾ أى مثل [ما-^٣] ذبنا للكافرين سوء أعمالهم ، فكان أكابر أهل مكة يكرهون فتبع غيرهم مكرهم ﴿جعلنا﴾ أى بما لنا من العظمة في إقامة الأسباب لما يعلى كلمة الإنسان أو يحمله حقير الشأن ١٠ ﴿في كل قرية﴾ أى بلد جامع ، [ولما كان الكبر مختلف الأنواع باختلاف أشخاص المجرمين ، طابق بأفضل التفضيل المقصودين لها في الجمع على إحدى اللغتين ، وعبر بصيغة منتهى الجمع دلالة على تناهيهم في الكثرة فقال-^٤] : ﴿أكبر مجرميها﴾ أى القاطنين لما ينبغي أن يوصل .

ولما كان من شأن الإنسان استجلاب أسباب الرفعة لنفسه ، وكان ١٥ لا يصل إلى ذلك في دار ربط المسببات بحكمة الأسباب إلا بالمكر ، وكان الأكابر أقدر على إقناذ المكر وترويج الأباطيل بما لاغلب الناس من السعي في رضام طمها فيما عندهم ، وكان الإنسان كلما تمكّر من ذلك أmeen فيه ، وكان الكبير إما يصل إلى ما قدر له من ذلك بتقدير الله

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : كثيرة (٣) في ظ : عليهما .

(٤) زيد من ظ (٥) زيد ولا بد منه (٦) من ظ ، وفي الأصل : يمكن .

له ، كان بما قدر له من ذلك كأنه خلقه له ، فقال معبرا بالجميل لما فيه من التصيير^١ والتسيب^٢ : ﴿ ليذكروا فيها ﴾ أى يخدعوا أصاغرم ويغروم بما يلبسون عليهم من الأمور حتى يقوم فيعادوا^٣ لهم حزب الله .

ولما كان ذلك موجعا و غائظا محزنا ، قال تصغيرا لشأنهم وتحقيرا

لأمرهم : ﴿ وما ﴾ أى والحال أنهم [ما - ^٤] ﴿ يذكرون الا بافسهم ﴾ ٥

لأن عملهم بالمكر وبال عليهم موبق لهم ، ولأن مكرم بأولياء الله إنما

هو مكر^٥ بالله ، وذلك غير متأث ولا^٦ كان بوجه من الوجوه ، وكيف يتأتى

مكر من لا يعلم شيئا من الغيب بمن يعلم جميع الغيب ا ﴿ وما يشعرون ﴾

أى [و - ^٧] ما لهم نوع شعور بأن مكرم عائد على نفوسهم ، لأن الله

تعالى الذى يعلم سرهم وجهرهم يجعل بما يزين لهم تدميرهم فى تدميرهم ، وإنما ١٠

أجرى^٨ سته^٩ الإلهية بذلك لما يشتمل عليه من أعلام النبوة ، فان غلبة

شخص واحد - بمفرده أو باتباع كثير منهم عن لا يوبه لهم مع قلة العدد

وضعف المدد لرؤساء الناس وأقويائهم مع طول مكثه بينهم منازلا لهم

مناديا عليهم بأن دينكم يمحق ودينى يظهر وإن كرهتم^{١٠} - من خوارق

العادات وبواهر الآيات تصديقا لقوله تعالى " كتب الله لاغلن انا ورسلى^{١١} " ١٥

» وان جندنا لهم الغلبون^{١٢} " - فى أمثال ذلك .

(١) فى ظ : اتقصير (٢) من ظ ، وفى الأصل : التسبب (٣) فى ظ : فيعادوا .

(٤) زيد ولا بد منه (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : الا - كذا .

(٧) زيد من ظ (٨) زيد فى ظ : تعالى (٩) فى ظ : سة (١٠) من ظ ، وفى

الأصل : كرهتم (١١) سورة ٨ آية ٢١ (١٢) - سورة ٣٧ آية ١٧٣ .

ولما قرر هذا، أتبعه بمقالة لهم على تنظيمهم وتكبرهم^١ فقال عاطفا على "واقسموا بالله جهد ايمانهم" تعجيبا^٢ من ظلم فيا زين لهم^٣ من ضلالهم^٤، و تصديقا لما تقدم من الإخبار بأنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية إلا أن يشاء الله، وتحقيقا لما في الآية السالفة من مكرهم لغيرهم وعوده على أنفسهم: (واذا جاءهم) أي الكافرين من أكابر المجرمين وأتباعهم (آية قالوا) حسدا لمن خصه الله بالنبوة لكونهم أكابر مؤكدين للثبوت^٥ [لما لمجزات الانبياء عليهم السلام من العبر الموجب لظن الإذعان لأعلى أهل الكفران - ٦] (لن تؤمن) أي أبدا (حتى توتى) لما لنا من العلو^٦ والمظلة المقتضية لأن لا يختص أحد عنا ١٠ بشئ. (مثل ما) .

ولما كان ظلمهم مقصورا على عالم الحس من غير نظر إلى جانب الله لكونه غيا بنوا للقول قولهم: (أوتى رسل الله^٧) يجوز أن يكون المراد: حتى يوحى إلينا لئلا يكونوا أعظم منا كما قال تعالى "بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى حصفا مفسرة^٨" و كما تقدم في أول ٢٤٨ / ١٥ / السورة عن أبي جهل أنه قال: تنازعنا نحن^٩ و بنو عبد مناف الشرف حتى إذا كنا كفرى رهان^{١٠} قالوا: من أنبي^{١١} يأتيه الوحي من السماء،

(١) في ظ: تكبرهم (٢) في ظ: تعجبا (٣-٤) سقط ما بين الرقين من ظ. (٥) من ظ، وفي الأصل: لا (٦) في ظ: السابقة (٧) من ظ: وفي الأصل: بالثبوت (٨) من ظ (٩) وفي الأصل: العلوم (١٠) سورة ٧٤ آية ٥٢ . (١١) سقط من ظ (١٢) في ظ: رحيان (١٣) من ظ والبحر ٢١٦/٤، وفي الأصل: شئ - كذا .

ويحك ! متى ندرك هذا^١ والله لا قوم به أبدا . وأن يكون المراد إتيانه صلى الله عليه وسلم بمثل^٢ آيات الأولين من شق البحر واليد والعصا وإحياء الموتى ومحوها ، [وسموم تنزلا واستهزاء . وعروا بالجلالة إشارة إلى القدرة "تامة فلا عذر - ٣"] .

ولما ذكر اسم الحلالة إيدانا عظيم ما اجتروا^٤ عليه لعلمهم . بما طمس^٥ على أوار قلوبهم من ظلمات لهى - عما للرسول من الجلال الذى يخضع له شوامخ^٦ الأنوف . أعادها أيضا تهويلا للأمر و تنديها على ما هناك من عظيم القدر^٧ ، فقال ردا عليهم فيما تضمن قولهم [من - ٢] دعوى العلم بالحكمة والاعتراض على الله عز وجل : { الله } أى بماله من صفات الكمال { اعلم } أى من كل من يمكن منه علم { حيث يحمل } ١٠ أى يصير بما يسبب من الأمور { رسالته^٨ } أى كلها بالنسبة إلى كل فرد من أفراد الخلق هو لا يجمع^٩ شيئا منها بالتشهى .

ولما كشف هذا النظم عن أنهم اجتروا^٤ عليه ، وأنهم أصروا على أقبح المعاصى الكفر . لا لطلب الدليل بل لداء الحسد : تافت^{١٠} النفس إلى معرفة ما يحل بهم فقال جواما : { سيصيب } أى بوعده لا خلف فيه ، ١٥

- (١ - ١) فى الأصل : شئ يدرك هذه ، وفى ظ : متى ندرك هذه (٢) من ظ ، وفى الأصل : مثل (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى الأصل وظ : أخبروا . (٥) زيد بعده فى ظ : النفوس (٦) من ظ ، وفى الأصل : القدرة (٧) كذا قرأ أكثر السعة بالجمع ، وأما مصاحفنا فبالإفراد (٨) من ظ ، وفى الأصل : لا يضيع . (٩) من ظ ، وفى الأصل : أخبروا (١٠) من ظ ، وفى الأصل : تاقب - كذا .

وأظهر موضع الإضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف فقال: ﴿الذين أجمعوا﴾
 أى قطعوا ما ينبغي أن يوصل ﴿صغار﴾ [أى رضى بالذل لعدم
 الناصر - ١٢١] ولما كان الشيء تعظما بظلمة محله ومن كان منه ذلك
 الشيء قال: ﴿عند الله﴾ أى الجامع، لصفات العظمة ﴿وعذاب﴾
 ٥ أى مع الصغار ﴿شديد﴾ أى في الدنيا بالقتل والحزى وفي الآخرة
 بالنار ﴿بما﴾ أى بسبب ما ﴿كأوا يمكنون﴾

ولما تقدم أنه تعالى أعلم بمن طبع على قلبه فلا ينمك عن
 الضلال، ومن يقبل الهداية في الحال أو المآل، وأن مكر المجرمين
 إنما هو بإرادته ونافذ قدرته، علم أن الأمر أمره، و القلوب بيده،
 ١٠ فتسبب عن ذلك قوله: ﴿فمن يرد الله﴾ أى الذى له جميع الجلال
 والإكرام ﴿إن يهدي﴾ أى يخلق الهداية في قلبه من أكابر المجرمين
 أو غيرهم ﴿يشرح صدره﴾ أى يوسع ما أن يجعله مهيبا قابلا بالنور
 ﴿للاسلام﴾ قال الإمام أبو جعفر النحاس: روى أن عبد الله بن مسعود
 رضى الله عنه قال: يا رسول الله! وهل ينشرح الصدر؟ فقال: نعم،
 ١٥ يدخل القلب نور، فقال: وهل لذلك من علامة؟ فقال صلى الله عليه
 وسلم: التجافى عن دار القرور^٢ والإمانة إلى دار الخلود والاستعداد

(١) ريد ما بين الحاحزين من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: تعظيم (٣) من
 ظ، وفي الأصل: قال (٤) من ظ، وفي الأصل: جامع (٥) في ظ: المثال
 - كذا (٦) في ظ: خلق (٧) ريد يعمه في الأصل: فمن وهل ذلك من
 علامة، ولم تكن الريادة في ظ ولا في تسمير الطبرى حيث - بقيت حسده
 الرواية لعدمها.

للوت قبل^١ الموت، وفي رواية: النفوت (ومن يرد) أى الله، ولم يظهر هنا إشارة إلى أن الضلال على مقتضى الطبع (ان بضله) أى يخلق الضلال و يديمه فى قلبه (يحمل صدره) أى الذى هو مسكن^٢ قلبه الذى هو معدن الأنوار (ضيقا حرجا) أى شديد الضيق فيكون^٣ مرتجسا أى مضطربا، روى أن عمر رضى الله عنه أحضر^٤ أعرايا من كنانة من بى مدج فقال له: ما الحرجة؟ فقال: شجرة لا تصل إليها، وحشية ولا راعية، وساق البغوى القصة^٥ و لفظه: وقال: الحرجة فينا الشجرة تكون^٦ بين الأشجار [التى -^٧] لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء - ثم اتفقا - فقال عمر رضى الله عنه: كذلك قلب^٨ الكافر^٩ لا يصل إليه شيء من الإيمان والخير، زاد النغوى: قال سيويه: ١٠. الحرج - بالفتح المصدر^{١٠}. ومعناه: "ذا حرج"، وبالكسر الاسم وهو أشد الضيق، وقال المهدوى: هنا الحرج الشديد الضيق وقد تقدم القول فيه، وقال فى النساء فى قوله تعالى "ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت"^{١١} أى ضيقا، وإلى هذا المعنى يرجع قول مجاهد: إنه الشك، و قول الضحاك: إنه الإثم، كأنه ضيق شك^{١٢} أو ضيق إثم، وقال ١٥

(١) زيد فى الطبرى: ان يزل (٢) فى ظ: سكن (٣) فى ظ: فيصير، والعبارة من هنا إلى « مضطربا » تقدمت فيه على « وفى رواية » (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مع لم انزل - رجح الخارن ١٥٠/٢، وفى الأصل: يكون (٦) ريد من المعالم (٧) من ظ والمعالم، وفى الأصل: قليل - كسا (٨) فى المعالم: المائق. (٩) زيد فى المعالم: كاطلب (١٠ - ١١) من المعالم، وفى الأصل: اخرج. (١١) أداة ٢٥ (٢) فى ظ: يشك.

النحاس^١: " حرجا بما قضيت " أى شكا وضيقا ، وأصل الحرج الضيق - انتهى . وتحقيق ذلك أن الآية هنا فيها - بعد التأكيد بالإتيان بصيغة فيل^٢ دون فاعل - تأكيد آخر إما / بالمصدر أو باسم الفاعل ، فأفاد زيادة على أصل الفعل وهى الشدة فيه . فعنى الفتح : ضيقا - بكسر الصاد وإسكان [الياء - ٣] ، ومعناه - إن كسرت حرجا - ضيقا^٣ باعادة اسم الفاعل ، ومادة 'حرج' بخصوص^٤ هذا الترتيب تدور على المكان الضيق الكثير^٥ الشجر ، ويلزمه الشخص^٦ على وجه الأرض والارتفاع و الجمع والمنع و الشدة و الحيرة و الحر و البرد ، وهى - بأى ترتيب كان وهى نعمة : حرج حجر^٧ رجح حجر^٨ جرح - تدور على الحجر الذى هو الجسم المعروف ، ويلزمه الثقل^٩ و المنع و الحدة و الشخص و الصلابة التى هى القسوة و يلزمها الضيق ، فيرجع إلى الصلاة الحرج^{١٠} بمعنى الضيق ، والحرجة للقيضة ، والحرج للقلادة من الودع^{١١} ، والحرجوج للريح الشديدة الباردة ، والناقع الحرجوج للوقادة القلب . ويجوز رجوعها إلى الحدة ، والجرح لسرير الموتى لضيق الصدر من ذكره ، و لضيقه

(١) من ظ . وفى الأصل : النحاس (٢) فى ظ : فيل (٣) زيد من ظ (٤) تكرر فى الأصل (٥) من ظ . وفى الأصل : بخصوص من (٦) من ظ ، وفى الأصل : الكبير (٧) فى ظ : الخصوص (٨) فى ظ : حجر (٩) فى ظ : حجر - كذا (١٠) من ظ ، وفى الأصل : النقل (١١) من ظ و تاج العروس ، وهو خرز يعلق فى العنق . وفى الأصل : الودع - كذا .

عن أسرة الأحياء ، ومنه أيضا جمر الضب ونحوه للثقب المختفر في الأرض ، ويرجع إلى الثقل^١ المخرج بمعنى الإثيم ، وينشأ^٢ عن ذلك البحث^٣ المنقضى إلى الحيرة ، ومنه خرجت عينه ، أى حارت فلا تطرف^٤ ، ويلزم الثقل^٥ أيضا المخرج بمعنى الطعن الناقد في البدن ، ومن ذلك اجترح - إذا اكتسب مالا ، لأنه من آثاره ، ومنه الرجحان بمعنى الثقل ، ٥ والحكم^٦ الراجح الذى يوجب رزاة صاحبه ، ومنه الأرجوحة لأن كلا من طرفيها يرجع بالآخر ، ويرجع إلى المنع^٧ المحجور بمعنى العقل وبمعنى الحصن^٨ والحرام والفرس^٩ الأثني لأنها قد تمتنع من الركوب للحمل أو الولد ، والمحجر في المال ، والحجرة للناحية القريبة لأن الشيء إذا بد عنك - ولو قدر باع - امتنع منك ، وكان التأنيث فيه لقربه^{١٠} ، ويرجع ١٠ إلى الشخص^{١١} المخرج لثاقة الطويلة ؛ وقال الإمام أبو الفتح ابن جني " رحمه الله في كتابه " المحقق في توجيه القراءات الشواذ " عند قوله تعالى في هذه السورة " وحرث حرج " " فيمن قرأ بتقديم الراء : إن جميع تراكيب هذه المادة الخمسة تلتقي معانيها في الضيق والشدة والاجتماع ، وإذا أنعمت النظر و تركت^{١٢} الملل والصجر وجدت الأمر^{١٣} كما قال ١٥

- (١) من ظ ، وفي الأصل : النقل (٢) من ظ ، وفي الأصل : نشأ (٣) في ظ :
الضب (٤) من ظ والقاموس ، وفي الأصل : فلا يطوف (٥) من ظ ، وفي
الأصل : الحلة (٦) في ظ : المنعم (٧) من ظ والقاموس ، وفي الأصل :
الحصين (٨) زيدت الواو بعده في ظ (٩) في ظ : لقرية (١٠) من ظ ، وفي
الأصل : النحوص (١١) هو عثمان بن جني النحوى (١٢) راجع آية ١٣٨ .
(١٣) من ظ ، وفي الأصل : تركب (١٤) من ظ ، وفي الأصل : الامام - كذا .

واقه أعلم - نحو الحجر واستحضر الطين والحجرة ' وبقية ، وكله ' إلى التماسك
والضيق ، ومنه الجرح للضيق^٢ والجرح مثله ، والحرجة ما التف من الشجر
فلم يمكن دخوله ، ومنه الحجر وبابه لضيقه ، ومنه الجرح لمخالطة^٣ الحديد
للحم وتلاحمه عليه ، ومنه رجح الميزان - لأنه مال أحد شقيه نحو
الارض تقرب منها وضاق ما كان واسعا بينه وبينها ، فان قلت : فانه
إذا مال أحدهما إلى الارض^٤ فقد بعد الآخر؟ قيل : كلامنا على الراجح
والراجح هو الذى إلى الارض ، فأما الآخر فلا يقال له : راجح ، وإذا
ثبت ذلك - وقد ثبت - فكذلك قوله تعالى " وحرث حرج^٥ " فى
معنى حبر ، معناه عندهم أنها ممنوعة محجورة لن يطعمها إلا من يسألون
١٠ أن يطعموه إياها برعهم - انتهى .

ولما كان صاحب هذا الصدر لا يكاد^٦ الهداية تصل إليه ، وإن
وصل اليه شيء منها على لسان واعظ ومن طريق مرشد ناصح لم تجد مسلكا
شككت ، وهكذا لا تزال فى اضطراب وتردد أبدا ؛ كانت ترجمته
قوله : (كأنما يصعد) أى يتكلف هذا الشخص فى قبول الهداية الصعود
٥٥ (فى السماء) فى خفاء حياه من مزاوله ما لا يمكن ، بما أشار^٧ إليه
قراءة من أدغم التاء فى الصاد ، فكلما أصدته حركته الاختيارية أهبطته

(١ - ١) من ظ ، وفى الأصل . نفسه وكل - كذا (٤) سقط من ظ (٥) من
ظ ، وفى الأصل : لمخالطة - كذا (٦) من ظ ، وفى الأصل : يلاحمه (٧) فى ظ :
الآخر وضى - كذا (٨) من ظ ، وفى الأصل : حرج (٩) من ظ ، وفى
الأصل : لا يزال (١٠) فى ظ : اشارت .

حركته الطيعة^١ القسرية ، كما نرى بعض الحشرات يحمل شيئا ثقيلًا
ويصعد به في جدار أملس ، فيصير يتكاف ذلك فيقع ، ثم يتكلف
الصعود أيضا فرمما وصل إلى مكانه الأول وسقط ، وربما سقط دونه ،
فهو عما^٢ يمتنع عادة ، فلا يزال مرتجسا أى مضطربا ومجامع الاضطراب
عقبه بما / سده كما يأتي .

٢٥٠ / ٥

ولما كان ما وصف به صدر الضال عما ينفر منه ، وكان^٣ الرجس
في الأصل^٤ لا يستقدر ، والمستقدر ينفر منه ، وكان هذا الكلام ربما آثار
سؤالا^٥ ، وهو أن يقال^٥ : هل هذا - وهو جعل الضال على هذه الصفة
خاص بأهل هذا الزمان ، أوجب بما حاصله : لا ، (كذلك) أى مثل
ما جعل الله الرجس على [من - ^٦] أراد ضلاله من أهل هذا الزمان ١٠
(يجعل الله) أى بما له من القدرة التامة والعظمة الباهرة (الرجس)
أى الاضطراب والقدر (على الذين لا يؤمنون) من أهل كل زمان
لإرادته سبحانه دوام ضلالهم ، فالآية من الاحتباك : ذكر أولا الضلال
دليلا على حذفه ثانيا ، وذكر الرجس ثانيا دليلا على حذفه أولا ، والآية
نص في^٧ أن الله يريد هدى المؤمنين وضلال الكافر .

١٥

ولما ذكر ما ألزمه لأهل الضلال بلفظ ما يستقدر ، كان في غاية
الحسن تعقيه بالصراط ، فانه بما يشق لاستقامته وإضافته إلى الرب الذى
(١) من ظ ، وفي الأصل : الطبة (٢) في ظ : فيا (هم) سقط ما بين الرقين
من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : سولا (٥) من ظ ، وفي الأصل : تعالى .
(٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ .

له - مع استجماع الكمالات كلها - صفة العطف والإحسان واللفظ ، وإضافة الرب إلى هذا الرسول الذى ' يعشق خلقه و خلقه كل من يراه أو يسمع به ، وأحسن من ذلك وأتمن أن مادة 'رجس' تدور على الاضطراب المألوم للموج المألوم للضلال المانع من الإيمان ، لما مثل سبحانه حال الضال بحال المضطرب ، و^١ أخبر أنه ألزم هذا الاضطراب كل من لا يؤمن ، أتبعه وصف سبيله بالاستقامة التى هى أبعد شيء عن الاضطراب المألوم للموج ، وكان التقدير : فهذه حال أهل الضلال ، فعطف عليه قوله : (وهذا) أى ' الذى ذكرناه من الشرائع الهادية فى هذا القرآن التى ختمناها بأن الهادى المضل هو الله وحده ، لا الإتيان ١٠ بالمقترحات ولوجاهت كل آية (صراط) أى طريق (ربك) أى المحسن إليك حال كون هذا الصراط (مستقيماً) أى ' لا عوج فيه أصلاً ، بل هو على منهاج الفطرة الأولى التى هى فى أحسن تقويم بالعقل^٢ السليم الذى لم يشبه^٣ هوى ولم يشبه^٤ خلل فى أن الأمر كله 'يد الله' لكيلا يزال الإنسان عاتقاً من الله و راجياً له لأنه القادر على ١٥ كل شيء ، وأما غيره فلا قدرة له إلا بتقديره لأنه خلق^٥ القوى والقدر عندنا وعند المعتزلة ، فلنكن الجزئيات كذلك لأن الخلق لا يتصور غير علم ، وليس غير الله محيط العلم ؛ قال الإمام : فالآية التى قبلها من المحكمات ، فيجب إجراؤها على ظاهرها ، ويحرم التصرف فيها بالتأويل .

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : بالفصل (٣) من ظ ، وفى الأصل : لم يشبهه .
(٤-٤) فى ظ : لله (٥) فى ظ : الخالق .

ولما كان جميع ما في هذا الصراط على متناه العقل ليس في
 [منه -^١] خارجا عنه^٢ وإن كان فيه ما لا يستقل بأدراك العقل ،
 بل لا بد له فيه من إرشاد الهداة^٣ من الرسل الأخذين عن الله ، قال مينا
 لمدحه مرشدا إلى انتظامه مع العقل : (قد فصلنا) أي غاية التفصيل
 بما لنا من العظمة (الأيت) أي كلها فضلا فضلا بحيث تميزت تميزا^٤ .
 لا يخلط واحد منها بالآخر (لقوم يذكرون) أي يجهدون أنفسهم
 في التخلص من شوائب^٥ العوائق للعقل من الهوى وغيره - ولو على
 أدنى وجوه الاجتهاد بما يشير إليه الإدغام - لذكروا [أنه قال : ما من
 شيء ذكرناه إلا وقد أودعنا في عقولهم شاهدا عليه .

ولما كان التذكر -^١] عند الآيات لا يكون إلا من أهل العناية ١٠
 في طرق الهدايات ، قال مرضا في التذكر فانه سبب الفيض الإلهي على
 القلوب المهيأة له : (لهم) أي المتدكرين (دار السلم) أي الجنة ، أضافها
 سبحانه إليه زيادة في الترغيب فيها ، وخص هذا الاسم الشريف لأنه
 لا يلزمها شيء من عطب ولا خوف ولا نصب ، ثم زاد الترغيب فيها
 بقوله : (عند ربهم) أي [في -^١] ضمان المحسن إليهم و حضرة ١٥
 بما هيأهم له وبسره^٢ لهم (وهو) أي وحده (وليهم) أي المتكفل^٣
 بتولى أمورهم ، لا يكلهم إلى أحد سواه ، وهذا يدل على قربهم منهم ،
 (١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : منه (٣) في ظ : الهداية (٤) سقط
 من ظ (٥) من ظ ، وفي الأصل : تميزا (٦) في ظ : شوائب - كذا (٧) من ظ ،
 وفي الأصل : سيره (٨) في ظ : المتكفل .

وإلندية: تدل على قوتهم منه لما^١. شرح / من صدورهم بالتوحيد؛
ولما كان ذلك ربما قصر^٢ على التذكر. بين أن المراد منه التأدية إلى
الاعمال فاتها معيار الصدق^٣ وميزانه فقال: ﴿بما﴾ أى بسبب ما
﴿كأوا﴾ أى كما جبلهم عليه، فما كان ذلك إلا بفضل^٤ ﴿يعملون﴾
و لما فصل سبحانه أحوال^٥ الفريقين، وحض على التذكر^٦ تنبيها على
أن كل ما فى القرآن مما يهدى إليه العقل، وذكر مآل^٧ المتذكرين فأفهم
أن غيرهم إلى عطب، لأنهم تولوا ما يضرهم لأنهم تبعوا شهواتهم، وكان
من المعلوم أنهم يعبدون^٨ غير مالكمهم، وأنه ما من عبد يتخدم غير سيده
بغير أمر سيده إلا عاتبه أو^٩ عاقبه، هذا مركز فى كل عقل؛ ذكر سبحانه
١٠ ما يتقدم ذلك المآل^{١٠} من الأحوال فى^{١١} الأجل المسمى الذى أخفاه
عنده وجعله من أعظم مبادئ هذه السورة، وأهمه [فى - ١٢] أولها،
و بين فى^{١٣} اثباتها بعض^{١٤} أحواله مرارا فى وجوه من أفانين البيان،
و هو يوم الحشر، فذكر هنا سبحانه بعض^{١٥} أحوال العاقلين [و بعض - ١٦]
ما يقول لهم فيه وما يفعله معهم من عتاب وعقاب، «لعلهم بهم»
١٥ واستعطافا إلى التائب، فقال جامعا الفريقين: ﴿و يوم﴾ أى اذكر فى
(١) فى ظ: بما (٢) فى ظ: تعبر (٣) فى ظ: الصدر (٤-٤) سقط ما بين
الرقيين من ظ (٥) من ظ، وفى الأصل: التذكير (٦) فى ظ: حال (٧) فى
ظ: يتبدون (٨) فى ظ: و (٩) فى ظ: المثال (١٠) فى ظ: من (١١) فى
ظ: معاني (١٢) زيد من ظ (١٣) سقط من ظ (١٤-١٤) فى ظ:
لطايقهم - كذا.

- تذكرك يوم ﴿نحشرم﴾ أى أهل ولايتنا وأهل عداوتنا ﴿جميعا﴾ لا نذر منهم أحدا ﴿يا﴾ أى نقول على لسان من نشاء من جنودنا لأهل عداوتنا تبكيئا وتويننا حين لا يكون^٢ لهم مدافعة أصلا : ﴿معشر الجن﴾ أى [المستترين الموحشين من - ^٤] مردة الشياطين المسلطين على الإنس ، وهم يرونهم من حيث لا ترونهم^٥ ﴿قد استكثرتم﴾ أى [طلبتم - ^٤] ٥ و أوجدتم^٦ الكثرة ﴿من الانس﴾ أى من إخوان^٧ [المؤمنين الظاهرين - ^٤] حتى صار أكثرهم أتباعكم ، [فالآية من الاحتاك : عمر مما يدل على السر أولا دلالة على ضده - وهو الظهور - ثانيا ، وما معناه الاستئناس والسكون ثانيا دلالة على ضده - وهو الإيجاش والنفرة - أولا - ^٤] ١٠ ﴿وقال﴾ هو عطف على جواب الجن المستتر^٨ [عر - ^٤] العامل فى ١٠ "نعشر" الذى تقديره كما يهدى إليه الآيات [التى - ^٤] تأتى^٩ فى السورة الآتية فى تفصيل هذه المحاوره : فقالوا : ربنا هم ضلوا ، لأنهم^{١١} كانوا يستمتعون بنا فى قفوذهم و سماعهم الأخبار الغريبة منا ، فاستوجبوا العذاب بمفردهم ، و متر جواب الجن لأنه - مع كونه لا يتحقق لدلالة المعطوف عليه - مناسب لحالهم فى الاستئثار مع شهرتهم ، [وذكره - ^٤] بلفظ الماضى ١٥ إشارة الى تحقق وقوعه ، لأنه خبر من لا يخلط الميعاد ، والمراد بهذه المحاوره ضرب مما يأتى تفصيله بقوله^{١٢} "قالت اخرنهم لاولهم ربنا هؤلاء اضلونا" -

- (١) وقراءة حفص بالتبعية (٢) تقدم فى الأصل على معشر الجن ، والترتيب من ظ (٣) فى ظ : لا تكون (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : لا يرونهم . (٦) من ظ ، وفى الأصل : حدثم (٧) من ظ ، وفى الأصل : اعوانهم (٨) فى ظ : المسهب (٩) من ظ ، وفى الأصل : يأتى (١٠) سقط من ظ (١١) سورة ٧ آية ٣٨ .

الآية، وقوله " فقال الضعفاء للذين استكبروا^١ انا كنا [لكم]^٢ تباً "-

الآية ﴿ اوتوهم ﴾ أى الجن ﴿ من الانس ﴾ [أى - ^٢] الذين تولوهم بالاتباع والطاعة فيما دعوم إليه من الضلال ، متفرقين مستطفين ﴿ ربنا ﴾ [أيها الربى لنا المحسن إلينا - ^٣] ﴿ استمتع ﴾ أى طلب المتاع ٥ و اوجده ﴿ بعضنا ببعض ﴾ نحر بهم فيما قالوا ، وهم بنا فى طاعتنا لهم و عيادنا بهم ﴿ وبلغنا ﴾ أى نحن وهم ﴿ اجننا ﴾ وأحالوا الأمر على القدر فقالوا : ﴿ الذى اجلت لنا^٤ ﴾ وهو الموت الذى كتبته علينا و^٥ سويت بيننا فى سوط قهره و تخرج كؤوس حره و قره ، ثم هذا اليوم الذى كنا مشتركين فى التكذيب به ، فاستوجبنا العذاب كلنا .

١٠ ولما تم ذلك كان كأنه [قيل : فإ - ^٢] قال الله لهم ببد هذه المحاورة الغريبة التى^١ هى ضرب من كلام أهل الباطن فى الديا للجلج مضطرب لا حاصل له ؟ قليل : ﴿ قال ﴾ أى المخاطب لهم عن^٢ الله ﴿ النار مثونكم ﴾ أى منزلكم جميعاً من غير أن تنفعكم^٣ الإحالة على القدر ﴿ تخلصين فيها ﴾ أى إلى ما لا آخر له ، لأن الاعمال بالنية وقد كنتم ١٥ على عزم ثابت أنكم على هذا الكفر ما بقيتم ولو [إلى - ^٢] ما لا آخر له ، فالجزاء من جنس العمل .

(١-١) - سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ والقرآن الكريم - سورة ١٠ آية ٢١ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : احالة (٥) فى ظ : او (٦) من ظ ، وفى الأصل : من - كذا (٧) من ظ ، وفى الأصل : لكن (٨) من ظ ، وفى الأصل : غير (٩) من ظ ، وفى الأصل : ينفعكم .

ولما كان [من -] المقرر أنه لا تمام لملك من يجب عليه شيء ولو لم
يجب لا يقدر على^٢ الانتفاك عنه ، بين سبحانه أن ملكه ليس كذلك ،
بل هو^٣ على غاية الكمال ، لا يجب عليه شيء بل كل فعله جميل ، وجميع
ما يبدو منه حسن ، فلق دوام عذابهم على^٤ المشقة قال : (إلا ما شاء)

ولما كان القصد في هذه المورة إلى إظهار العظمة للنيرة على / مقام ٥ / ٢٥٢
الإلهية ، عبر بالاسم الأعظم فقال : (الله^٥) أى الذى له رداء الكبير
فلا يستطيع أحد أن يعترض عليه ولا أن يهزم بذلك ، هيأت هيأت
انقطعت دون ذلك الآمال ، فظلت^٦ ناكسة أعناق الرجال ، و يده إزار
العز ، فمن اختلج في سره أن يرفع ياكس عنقه ضربه بمقامع الذل ،
و أنزله في مهاوى الخزي ، وقد تقرر أنه سبحانه لا يشاء انقطاع شيء ١٠
من ذلك عنهم في حال من الأحوال ، ونطق الكتاب بذلك في صرائح
الأقوال ، وفي سوره معلقا هكذا مع ما تقدم زيادة في عذابهم بتلحق
رجائهم من انقطاع بلائهم بما لا مطمع فيه .

ولما كانت في إظهار الجلال في هذا الحال من عظيم الأحوال
ما لا يسهه المقال ، أتبعه اللطف بالمخاطب^٧ به صلى الله عليه وسلم فقال : ١٥
(ان ربك) أى المحسن إليك برفع أوليائك و خفض أعدائك .

ولما كان السياق - في مثل هذه المقابلة في مجمع الحكم - للحكمة
و العلم ، و كان النظر إلى الحكمة في تنزيل كل شيء منزله أعظم ، قدم

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : عن (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : في (٥) في ظ :
وظلت (٦) من ظ ، وفي الأصل : بالمخاطف - كذا .

وصفها فقال: ﴿حَكِيمٌ﴾ أى فلا يذهب الخلق ويترك المشرك ولا يذهب بعض من أشرك ويترك بعضا ﴿عَلِيمٌ﴾ أى بدقائق الأمور وجلالها من الفرقين ، فلا يفتنى عليه عمل أحد فيهمله لذلك .

ولما استبان بهذا أنه ولّى الكفرة من ظالمى الجن ظالمى الإنس و سلطهم عليهم ، أخبر تعالى أن هذا عمله مع كل ظالم من أىّ قبيل كان سواء كان كافرا أو لا فقال: ﴿و كَذَلِكَ﴾ أى ومثل تلك التولية التى سلطنا بها الجن على الإنس بما زاد عذاب الفرقين ﴿نُولَى﴾ أى تتبع فى جميع الأزمان من جميع الخلق ﴿بعض الظالمين﴾ أى الفرقين فى الظلم ﴿سُئِلَ﴾ أى بأن نجتمع بين الأشكال ، فى الأوصاف الباطنة ١٠. والحاصل ، ونسلط بعضهم على بعض فى الضلال والإضلال ، والأوجاع والآنكال ﴿بما كانوا﴾ بجلاتهم ﴿يَكْسِبُونَ﴾ أى بسبب اجتماعهم فى الطباع التى طبعناهم عليها فيجتمعون وينقاد بعضهم لبعض ، بحسب ما سببنا من الأسباب الملائمة لذلك الظلم الذى يسرناه لهم ، حتى صارت أعمالهم كلها فى غير مواضعها ، فيظلم بعضهم بعضا ويهلك بعضهم بعضا ، ١٥. وهم لا يزدادون إلا الالتئام حتى يستحق الكل ما كتبنا لهم من

عذاب ، روى الطبرانى فى الأوسط عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل يقول : أتقم من

- (١) من ظ ، وفى الأصل : ذلك (٢) تأخر فى الأصل عن « فى الظلم » والترتيب من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : يجمع (٤) من ظ ، وفى الأصل : الذى . (٥) من ظ ، وفى الأصل : التيام (٦) فى ظ : بمن .

أبيض بمن أبيض ثم^١ أصير كلا إلى النار . وعن مالك بن دينار^٢ قال :
 رأيت^٣ في بعض كتب الله المثلة أن الله تعالى يقول : ألقى أعدائي بأعدائي
 ثم أقتيهم^٤ بأوليائي . أو^٥ يقال : قد أخبرنا أن الله عز وجل^٦ ولى المؤمنين
 بسبب عاصي أعمالهم ، ومثل ما ولاهم ليعزم يولى بعض الطلبة بعضا
 ليهينهم سبب ما كانوا يتعاطونه [من مساوى الأعمال وردىء الخلال]^٧
 وغث الخصال فيؤديهم إلى مهلك الأوجاع والأرجال ، أو يقال : قد
 بان أن كلا -^٨ [من ظالمى الإنس والجن كان وليا لكل ، وكما
 جعلنا بعضهم أولياء بعض في الدنيا تفعل إذا حشرناهم في النار فنجعل
 بعضهم أولياء - أى أتباع - بعض^٩ ، ليستمتع بعضهم ببعض وينصر^{١٠}
 بعضهم بعضا إن قدروا ، وهيئات منهم ذلك هيئات شغلهم البكاء والويل
 والندم والتحيب .

ولما اقتضت هذه المحاورة وما أتتجه من بغيض الموالاته والمجاورة
 وكان حاصلها أنها موالاته من ضرت موالاته ، أتبعها سبحانه بمجاورة
 أخرى حاصلها معاداة من ضرت معاداته ، فقال مبدلا من الأولى^{١١} إتماما
 للتفريع والتويسخ والتشنيع : (ينمشر الجن) قدمهم لأن السياق لبيان^{١٢}
 غلبتهم (والانس) وبكتهم بقوله عذرا للسامعين الآن ومستطفا لهم

(١) من ظ ، وفي الأصل : من (٢ - ٣) من ظ ، وفي الأصل : قرأت (٤) في
 ظ : اقتنهم (٥) من ظ ، وفي الأصل « و » (٥) زيد بعده في الأصل : يقول ،
 ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها (٦) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٧) سقط
 من ظ (٨) من ظ ، وفي الأصل : يبصر (٩) من ظ ، وفي الأصل : الاول .

إلى التوبة: ﴿الم ياتكم رسل﴾ ولما صار القيلان بتوجيه الخطاف
نحوم دفعة كالنوء الواحد قال: / ﴿منكم﴾ وإن كان الرسل من
الإنس خاصة .

[ولما كان النظر في هذه السورة إلى العلم غالبا لإثبات تمام القدرة
الذى هو من لوازمه بدليل "يعلم سركم و جهركم"، "أليس الله باطم
بالتشكرين"، "وعنده معارج الغيب" وغيرها، ولذلك أكثر فيها من
ذكر التفصيل الذى لا يكون إلا للعالم، كان القص - الذى هو تتبع الآثار -
أنسب لذلك فقال -^١]: ﴿يقصون﴾ بالتلاوة والبيان لمواضع الدلائل
﴿عليكم أيتى﴾ أى يتقون بالعلامات التى يحق لها بما لها من الجلال
١٠ والعظمة أن تنسب^٢ إلى مواضع شهكم، فيحلونها [حلا -^٣] مقطوعا به
﴿و يندرونكم﴾ أى يخوهمكم ﴿لقاء يومكم هذا^٤﴾ أى بما قالوا لكم
أنه يطلبكم طلبا حثيثا وأنتم صائرون^٥ إليه فى سفن الأيام ومراكب الآثام^٦
- وأنتم لاتشعرون - سيرا سريعا ﴿قالوا﴾ محذرين من أنفسهم بالذل
والخضوع ﴿شهدنا﴾ بما فعلت لنا أنت سبحانه من المحاسن وما فعلنا
١٥ نحن من القبائح ﴿على أنفسنا﴾ أى باتيان الرسل إلينا ونصيحتهم لنا
بدليل الآية الأخرى "قالوا لى ولكن حقك كلمة العذاب على الكافرين"^٧
و بين أن ضلالهم كان بأردأ الوجوه وأسخطها الدنيا، بحيث أنهم اغتروا
بها مع دناءتها^٨ لمصورها عن الآخرة مع شرفها لغياها فقال^٩: ﴿وغرتهم﴾
(١) فى ظ: بتوجه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل:
ينسب (٤) من ظ، وفى الأصل: سائرون (٥) فى ظ: الآثام (٦) سورة ٣٩
آية ٧١ (٧) فى ظ: ردائها (٨) سقط من ظ .

أى شهدوا هذه الشهادة والحال أنهم قد غرقهم (الحيوۃ الدنيا) أى
الحاضرة عندهم إذ ذاك الدنية^١ فى قصها لقناتها، عن اتباع الرسل دأب
الجاهل فى الرضى بالدون^٢ والدابة فى القناعة بالحاضر، فشهادتهم ضارة
بهم، ولكن لم يستطيعوا^٣ كتمانها، بل (وشهدوا) أى فى هذا الموطن
من مواطن القيامة الطوال (على أنفسهم) أيضا بما هو أصرح^٤ فى ٥
الضرر عليهم من هذا، وهو (أنهم كانوا) 'جيلة وطبعا' (كُفِرَينَ)^٥
أى غريقين فى الكفر، ويجوز أن يكون الفرور بأنهم ظنوا^٦ أحوال
الآخرة تمشى على ما كانوا يألفونه فى الدنيا من أن الاعتراف^٧ بالذنب
والتكلم بالصدق قد ينفع المذنب ويكف من سورة الغضب^٨ حتى يترك
العقاب ويصفح عن الجريمة، فذلك شهدوا باتيان الرسل إليهم وإقامة ١٠
الحجة عليهم، وشهدوا على أنفسهم بالكفر، فما زادم ذلك إلا وبالاً
وحزناً ونكالا .

ولما ذكر سبحانه إقامة الحجة^٩ على الكافر فى المعاد بالرسل عليهم
السلام، علل إرسالهم ترغيباً وحثاً فى اتباعهم فى أيام المهلة بعد ترهيب،
وتنبيه وإرشاداً فى صاعد تخويف وتأديب فقال: (ذلك) أى الأمر ١٥
العظيم الجدوى هو أن أرسلنا الرسل (أن) أى لأجل أنه (لم يكن ربك)
أى المحسن إليك تشريف قومك (مهلك) أى ثابتاً إهلاكه (القرى بظلم)

(١) فى ظ : الدنيا (٢) من ظ ، وفى الأصل : بالدور (٣) من ظ ، وفى الأصل :
لم يستطيعوا (٤) من ظ ، وفى الأصل : اصح (٥) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٦) فى ظ : طلبوا (٧) من ظ ، وفى الأصل : الاغوار - كذا (٨) فى ظ : الغضب .
(٩) زيد بعده فى ظ : عليهم (١٠) سقط من ظ .

أى بسبب ظلم ارتكبه (واهلها تفلون) أى خريقون في الغفلة عما
يجب عليهم بما لا تستقل به عقولهم ، أى بما ركب فيهم من الشهوات
وغلب عليهم من اللذات ، فأوقف عقولهم عن نافذ المعرفة بما يراد بهم ،
فأرسلنا إليهم الرسل حتى "أيقظوهم" رقدتهم وأنبهوهم من غفلتهم ،
فصار تعذيبهم بعد تكذيبهم هو الحق الواجب والعدل الصائب ،
ويموز أن يكون المعنى : مهلكهم ظلما ، فيكون المنى من الظلم كالمنى في
قوله تعالى "وما ربك بظلام للعبيد" وعلى الأول المنى ظلمهم .

ولما بين سبحانه أن لأحد الفريقين دار السلام ، والآخرة دار الملام ،
قال جامعا للفريقين عاطفا على قوله : لهم دار السلم عند ربهم :
١٠ (ولكل) أى (عامل من - ٧) الفريقين صالح أو طالح [في قبلى
الجن والإنس - ٧] فى الدارين (درجت) أى يعليهم الله بها (بما)
أى من أجل ما (عملوا) ودركات يهويهم فيها كذلك .

ولما تقدم أنه تعالى لا يهلك المجرمين إلا بعد الإعذار إليهم ،
و تضمن ذلك إمهالهم ، وختم أحوالهم بأنهم موضع ثبوت الغفلة ودوامها ،
١٥ بنى أن يسلم شيء من ذلك بمجناب عظمتهم على وجه أثبت له [ذلك - ٧]
إسحاطة العلم بجميع أعمالهم فقال : (وما ربك) أى المحسن إليك بأعلاء
أوليائك وإسفال أعدائك ، وأغرق فى التثنية لإثبات مزيد العلم فقال :

- (١) زيد بعده فى ظ : اهلها (٢) سقط من ظ (٣-٢) فى ظ : ايقظوا (٤) فى ظ :
اطلم (٥) سورة ٤١ آية ٤٦ (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) زيد من ظ .
(٨) فى ظ « و » (٩) زيد بعده فى ظ : انه (١٠) من ظ ، وفى الأصل : يصمن .
(١١) فى ظ : ثبت (١٢) فى ظ : بإسحاطة .

(بخافل عما تعملون ^١) أى عن شيء يعمله أحد من الثريين ، بل هو ^٢

حالم بكل شيء / من ذلك وبما يستحقه العامل قادر على جزائه ، فلا يقع ٢٥٤ /
فى وهم أن الإهمال لختفاء الاستحقاق بخفاء الموجب له ، [فالآية من
التصوص فى كتابة الصالحين من الجن - ٣] .

١ . ولما كان طلب العبادة للاتجار والانتهاز ربما أوجم الحاجة إليهما
لنفع فى الطاعة أو ضرر يلحقه سبحانه من المصيبة ، و ^٣ كان الإهمال مع
المبارزة ربما ظن أنه عن هجو ، قال مرغبا مرها : (وربك) أى المحسن
إليك وإليهم بارسالك ، وحصر الخبر فى المبتدأ بقوله : (الفنى) أى
وحده الفنى المطلق عن كل عابد وعبادة ^٤ ، طيعمل العامل لنفع نفسه
أو ضررها (ذو الرحمة ^٥) أى وحده بالإهمال والإرسال للثنية ^٦ على ١٠
ما يستحقه من الأعمال ، ولما ^٧ كان اختصاصه بالفنى والرحمة فلا رحمة
إلا منه ولا غنى إلا عنه ، وأنه ما رتب الثواب والمقارب إلا رحمة منه
وجودا ، استأنف بيان ذلك ^٨ . [و - ١٠] أخبر عن هذا المبتدأ بوصفيه عند
من جملها وصفين بقوله مصرحا بما أفاده ^٩ : (ان يشا يدهبكم) أى جميعا
بالإهلاك ^{١٠} ، فلا يقع فى ظر أحد منكم أن الإهلاك متوقف ^{١١} على شيء ١٥

(١) هذا على قراءة ابن عاصم ، وقرأ الباقون بالنفية (٢) سقط من ظ (٣) زيد
من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : أنما (٥) فى ظ « و » (٦) زيد بعده فى الأصل :
أوهم الحاجة إليها والامهال إنما ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخدماها (٧) فى ظ : عبادة .
(٨) من ظ ، وفى الأصل : ليتنبه (٩) سقط ما بين الرقنين من ظ (١٠) زيدت
إلا ولاستقامة العبارة (١٠) من ظ ، وفى الأصل : أفاده (١١) من ظ ، وفى
الأصل : بأهلك .

غير مشيئة ، ولكنه قضى بامهالك إلى آجالكم رحمة لكم وإكراما لتوبكم
صل الله عليه وسلم ؛ ثم قال تحقيقا لغناه أيضا : (ويستخلف) .
ولما كان لم يحصل لأحد الخلد ، أدخل الجار فقال : (من بعدكم)
أى بعد هلاككم (ما يشاء) أى يدع غيركم من الخلق من جنسكم
هـ [أو غير جنسكم - ٢] كما أبدع أباكم آدم من التراب والتراب من العدم
وفرعكم منه (كما أنشاكم من ذرية) أى نسل (قوم آخرين هـ) أى
بعد أن أهلكهم أجمعين ، وهم أهل السفينة وقد كنتم نطفاً في أصلابهم ،
لم يكن ٢ في واحدة ٣ منها [حياة - ٢] .

ولما تقرر أن له الوصفين الملزومين للقدرة ٤ ، أنتج ذلك قوله
١٠ جواباً لاستعجالهم بالعذاب استهزاء : (ان ما توعدون ٥) أى من
البعث وغيره (لآت ٦) أى لا بد من وقوعه لأن التوعد لا يدل
القول لديه ولا كفوؤه يمارضه فيه (وما آتكم بمعجزين ٧) أى ثابت
لكم الإتيان بشئ يعجز ٧ عنه الخصم ، فتمهد الأمر من جهته ومن جهتكم
لوجود المقتضى وانتفاء المانع ، وفي ذلك تقرير لأمر رحمة لأن القادر
١٥ إذا أراد النقمسة أخذ على غرة ولم يهدد ، وإذا أراد الرحمة تقدم
بالوعيد ليحذر الفائزون ويسلم الخاسرون .

ولما تقرر ذلك من التهديد على إنكار البعث ونحرر ، فأنتج

(١) سقط من ظ (٢) إزيد من ظ (٣-٤) في ظ : لواحدة (٥) في ظ : بالقدرة .
(٥) من ظ و القرآن الكريم ، وفي الأصل : يعمون - كذا (٦) في ظ :
يعجزكم .

الاجتهاد للمائل - ولا بد - ^١ في العمل ، و كان ^٢ أكثر الخلق أحق ^٣ ، أمره سبحانه بالنصيحة بقوله : (قل يقوم) أى يا أقرب الخلق إلى وأعزهم على ^٤ ، ومن لم قيام في الأمور وكفاية عند المهيات (اعملوا) وأشار إلى مزيد القوة بعد التمييز بالقوم بحرف الاستعلاء فقال : (على مكاتكم) أى على ما لكم من القدرة على العمل والمكنة قبل أن تأتى الدواهي و تسبقكم القواصم بخفوق الاجل ، وفيه مع النصيحة تضويف أشد بما قبله ، لأن تهديد الحاضر على لسان الغير مع الإعراض أشد من مواجهته بالتهديد ، أى أنكم إن لم تقبلوا بذلك التهديد الأول كنتم أهلا للإعراض والبعاد .

ولما كان أدل شيء على النصيحة مبادرة الناصح إلى مباشرة ^{١٠} ما نصح به ودعا إليه ، قال مستأثما أو معللا : (انى عامل ج) أى على مكاتى و بقدر استطاعى قبل الفوت بمحادث الموت ، ويمكن أن يكون متمحضا للتهديد ، فيكور المعنى : اعملوا بما أنتم تعملونه الآن من مخالفتى بفاية ما لكم من القوة ، إلى كذلك أعمل فيما جئت به .

ولما كان وقوع المتوعد به سببا للعلم بالعاقبة ، [و كان السياق ^{١٥} لعدم تذكرهم وغرورهم و قلة فطنهم -] ، حسن إثبات الفاء في قوله : [دون إسقاطها لأن الاستثناف يتعطف للسؤال فقال -] : (فسوف تلبون) أى يقع لكم بوعد لا خلف فيه العلم ، فكأنه قيل : أى علم ؟ قيل : (١-١) في ظ : للعمل (٢) زيد بعده في ظ : في (٣) في ظ : احمى (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ

(من تكون له) كونا كأنه جبل عليه (عاقبة الدار^١) أى يبنى
 وينكم، وهذا فى إثبات الفاء بخلاف ما فى قصة شعيب عليه السلام
 من سورة هود عليه السلام^٢ / [فى حذفها -^٣] ؛ ولما كان التقدير جوابا
 لما تقرر^٤ من سؤا لهم : عاقبة الدار للعامل العدل ، استأنف قوله :
 (انه لا يفلح الظالمون^٥) أى الفريقون فى الظلم كائنين من كانوا ،
 فلا يكون لهم عاقبة الدار ، فالآية من الاحتباك : ذكر^٦ العاقبة أولا دليل
 على حذفها ثانيا ، وذكر الظلم ثانيا [دليل -^٣] على حذف العدل أولا .
 ولما تمت هذه الآيات من قبح طريقته^٧ فى إنكار البعث وحسن
 طريقة الإسلام على هذا الأسلوب البديع والمثال البعيد المثال^٨ الريع
 ١٠. وختمت^٩ بحال الظالم ، شرع فى تفصيل قوله " أفغير الله اتخذ وليا فاطر
 السموات والارض " على أسلوب آخر ابتداء ببيان ظلهم وجهالاتهم^{١٠}
 وأباطيلهم تنبيهها على صفاة عقولهم^{١١} تنفيرا عنهم بوضعهم الاشياء فى
 غير مواضعها وإخراجها عن حقها له ونسبتها إلى من لا يملك شيئا
 وقتل الأولاد ونسيب^{١٢} الأنعام وغير ذلك ، فقال عاطفا على
 ١٥ " وحملوا الله شركاء الجن " : (وجعلوا) أى المشركون العادلون ربهم
 (١) سقط من ظ (٢) راح آية ١٣ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل :
 يقرر (٥) فى ظ : فى (٦) من ظ ، وفى الأصل : « و » (٧) من ظ ، وفى
 الأصل : للنارل - كذا (٨) فى ظ : ختم (٩) من ظ ، وفى الأصل : جهالتهم .
 (١٠) من ظ ، وفى الأصل : عقوله (١١) فى ظ : لم يملك (١٢) من ظ ، وفى
 الأصل : سبب - كذا .

الأوثان ﴿ لله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له ﴿ عما ذرأ ﴾ أى خلق وأنشأ . بث^١ ولم يشركه فى خلقه أحد ﴿ من الحرث و الانعام نصيبا ﴾ أى و جعلوا لشركائهم نصيبا ؛ ولما [كانت - ٢] الجعل لا يعرف إلا بالقول ، سبب عنه قوله : ﴿ فقالوا ﴾ أى^٣ بالسنتهم بعد أن قالوا بأقديتهم ﴿ هذا لله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ بزعمهم ﴾ أى ادعائهم الباطل ٥ و تصرفهم ككذب ادعائهم التخصيص بالله ، ولذا أسقط الزعم من قوله : ﴿ وهذا لشركائنا ﴾ أى و ليس لهم سند فى هذه القسمة إلا أهواؤهم . ولما كان هذا سفها بتسويتهم من لا يملك شيئا بمن يملك كل شيء ، بين من فعلهم ما هو أشد سفها منه بشرح ما لوح إليه التعبير بالزعم فقال مسيبا عن ذلك و مفرعا : ﴿ فما كان لشركائهم ﴾ أى بزعمهم ١٠ أنهم شركاء ﴿ فلا يصل الى الله ﴾ أى الذى هو المالك مع اتصافه بصفات الجلال و الجلال ﴿ وما كان لله ﴾ أى على ما له من الكبر و العظمة و الجلال و العزة ﴿ فهو يصل الى شركائهم^٤ ﴾ فاذا هلك ما سبوا لشركائهم أو أجذب و كثر ما لله قالوا : ليس لآلهتنا بد من نفقة^٥ ، فأخذوا ما لله فأففقوه^٦ على آلهتهم ، و إذا أجذب الذى لله و كثر ما لآلهتهم قالوا : ١٥ لو شاء الله لأزكى الذى له ، فلا يردون عليه شيئا بما للآلهة .

و لما بلغ هذا غاية السفه قال : ﴿ ساء ما يحكمون^٧ ﴾ أى حكمهم هذا أسوأ حكم ذكر الإمام أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعى فى سيرته^٨ فى (١) من ظ ، و فى الأصل : ثبت (٢) ريد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : نفقة (٥) فى ظ : فافقوا (٦) و اسمها 'لاكتفاء فى 'غازى المصطفى والخلفاء الثلاثة - راجع كشف الظنون .

وقد خولان أنه كان لهم صنم يسمى عم أنس ، وأنهم لما وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم ذكروا له أنهم كانوا يجعلون من أصنامهم وحروثهم جزءا له وجزءا لله بزعمهم ، قالوا : كنا نزرع الزرع فتجعل له وسطه^١ فنسميه له ونسعى زرعاً آخر حجرة^٢ لله عز وجل ، فإذا مالت الريح بالذى سميناه لله جعلناه لعم أنس . وإذا مالت الريح بالذى جعلناه لعم أنس لم نجعله لله ، فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل أنزل عليه في ذلك "وجعلوا لله" - الآية ، قالوا : وكنا نحكم إليه فيتكلم^٣ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك الشياطين تكلمكم ، قالوا : فاصبنا برسول الله وقلوبنا تعرف أنه كان لا يضر ولا ينفع ولا يدري ١٠ من عبده عم لم يعده . وقال ابن هشام في مقدمة السيرة أنهم كانوا يقسمون له ، فما دخل في حق عم أنس من حق الله الذى سموه له تركوه [له - *] ، وما دخل في حق الله من حق عم أنس رددوه عليه ، قال : وهم بطن من خولان يقال لهم الأديم ، وقال عبد الرزاق في تفسيره : أخبرنا معمر^٤ عن قتادة قال : كانوا يعزلون من أموالهم شيئا ١٥ فيقولون : هذا لله وهذا لأصنامهم ، فان ذهب شيء مما جعلوا لشركائهم

(١) في ظ : واسطة (٢) من السيرة الحلبية ٣/ ٣٢٨ ، أى ناحية ، وفي الأصل و ظ : حجرة (٣) من السيرة الحلبية ، وفي الأصل و ظ : فتكلم (٤) في ظ : حصل (٥) زيد من سيرة ابن هشام ١/ ٢٨ (٦-٧) سقط ما بين الرقين من ظ . (٧) وقع في ظ : عهد - خطأ (٨) في ظ : كان .

يُطَالِبُ شَيْئًا بِمَا جَعَلُوهُ رَدِيهً ، وَإِنْ ذَهَبَ شَيْءٌ بِمَا [جَعَلُوهُ اللَّهُ يَخَالِفُ
شَيْئًا بِمَا جَعَلُوهُ لَشُرَكَائِهِمْ تَرْكُوهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُمْ مَنَّةٌ أَكَلُوا بِمَا جَعَلُوهُ
وَتَرَكُوا مَا - ٢] جَعَلُوا لَشُرَكَائِهِمْ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ " مَا يَمْحُكُونَ " وَقَالَ

/ الْبَغْيُ : كَانُوا يَجْعَلُونَ اللَّهُ مِنْ حُرُومِهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ وَتَعْلَمُ وَسَائِرُ أُمُورِهِمْ ٢٥٦ /
نَصِيًّا [وَلِلْأَوْتَانِ نَصِيًّا - ٢] ، فَمَا جَعَلُوهُ قَدِّ صَرْفِهِ لِلضَّعِيفَانِ وَالْمَسَاكِينِ ،
وَمَا جَعَلُوهُ لِلْأَنْعَامِ أَتَقَوُّهُ عَلَى الْإِنْسَانِ وَخِدْمَتِهَا ، قَدْ سَقَطَ شَيْءٌ
بِمَا جَعَلُوهُ قَدِّ فِي نَصِيبِ الْأَوْتَانِ تَرْكُوهُ وَقَالُوا : إِنَّ اللَّهَ غَفَى عَنْ هَذَا ،
وَإِنْ سَقَطَ شَيْءٌ مِنْ نَصِيبِ الْأَوْتَانِ فِيمَا جَعَلُوهُ قَدِّ رَدِيهً إِلَى الْأَوْتَانِ
وَقَالُوا : إِنَّهَا مَحْتَاجَةٌ ، وَكَانَ إِذَا هَلَكَ أَوْ اتَّقَصَّ شَيْءٌ بِمَا جَعَلُوهُ قَدِّ
لَمْ يَبَالُوا بِهِ ، وَإِذَا هَلَكَ أَوْ اتَّقَصَّ شَيْءٌ بِمَا جَعَلُوهُ لِلْأَنْعَامِ جَبْرِيهً بِمَا
جَعَلُوهُ [قَدِّ - ٤] .

وَلَمَّا كَانَ هَذَا مُتَضَمِّنًا لِأَنَّهُمْ قَصَّوْا أُمُورَهُمْ بِأَفْسَاسِهِمْ فِي غَيْرِ طَائِلٍ
لِجَعْلِهِمَا لِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا ، نَبَّهَ تَعَالَى عَلَى أَنَّ ذَلِكَ تَزْيِينٌ ٩ مِنْ أَضْلَاهُمْ مِنْ
الشَّيَاطِينِ مِنْ سِدَّةِ الْأَنْعَامِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ وَمِنْ الْجِنِّ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ
أَجَوَافِ الْأَنْعَامِ وَغَيْرِهِمْ ، فَقَالَ مِنْهَا عَلَى أَنَّهُمْ زَيَّنُوا لَهُمْ مَا هُوَ أَيْنُ مِنْهُ :
(وَكَذَلِكَ) أَيْ وَمِثْلَ مَا زَيَّنَ لِلْمُشْرِكِينَ تَضْيِيعُ أُمُورِهِمْ وَالْكَفَرِ
بِهِمْ شُرَكَائِهِمْ (زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) .

(١) مِنْ ظ ، وَفِي الْأَصْلِ : جَعَلُوا (٢) زَيْدٌ مَا يَنْبَغِي لِلْحَاجِزِينَ مِنْ ظ (٣) زَيْدٌ
مِنْ مَعْلَمٍ لِتَزْيِيلٍ - رَاجِعُ الْخَازِنِ ٢ / ١٥٤ (٤) فِي ظ : حُدُودُهَا (٥) مِنْ ظ وَالْعَالَمِ ،
وَفِي الْأَصْلِ : جَعَلُوا (٦) فِي ظ : وَ (٧) مِنْ ظ وَالْعَالَمِ ، وَفِي الْأَصْلِ : لَمْ يَبَالُوا .
(٨) زَيْدٌ مِنْ ظ وَالْعَالَمِ (٩) فِي ظ : بِتَزْيِينٍ .

ولما كان المزين لحسنه أمل لأن لا يقبل تزيينه ولا يلتفت إليه ، فكان امتثال قوله غريبا ، وكان الإقدام على فعل الأمر المزين أشد غرابة ، قدمه تنبيها على ذلك فقال : (قتل أولادهم) أى بالوادر خشية الإملاق والتحرر لأهلهم ، وشتان بين من يوجد لهم الولد وريزقه والرزق ويخلقهم وبين من لا يكون إلا سببا في إعدامه ، ولما كان في هذا غاية الغرابة تشوفت النفس إلى فاعل التزيين فقال : (شركاؤهم) أى وهم أقل منهم بما يطالبون به من أحواف الاصنام وما يحسن لهم السدنة والاهوية بسبب الأصنام .

ولما كان هذا أمرا مجبيا ، كان الأمر في قراءة ابن عامر المولود^١ ١٠ في زمان النبي صلى الله عليه وسلم المشمول^٢ ببركة^٣ ذلك العصر الآخذ عن حلة من الصحابة الموصوف^٤ بفزارة العلم ومثاق الدين وقوة الحفظ والضبط وحجة النقل [في - °] إسناد الفعل إلى الشركاء ماضية المصدر إلى فاعله أعجب ، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول - وهو الأولاد - لأن وقوع القتل فيهم كما تقدم أعجب .

١٥ ولما كان ذلك ربما كان لفائدة استهين لها هذا الفعل العظيم . ذكر أنه ليس له فائدة إلا الهلاك في الدنيا والدين الذي هو هلاك في الآخرة ليكون ذلك أعجب فقال : (ليردوم) أى ليهلكهم هلاك لا فائدة فيه^٥ بوجه (ولبسوا) أى يخططوا ويشهوا (عليهم^٦ دينهم^٧) (١) من ظ ، وفي الأصل : المولد (٢) من ظ ، وفي الأصل : المشمولة (٣) في ظ : ينظر - كذا (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفي الأصل : تحته (٧) من ظ والقرآن الكريم ، وسقط من الأصل .

أى وهو دين لإبراهيم الذى أمره الله بذبح ولده إسماعيل عليهما السلام
 فما أقدم عليه إلا بأمر الله ثم إنه فداه ولم يعض ذبحه، يخالف هؤلاء
 عن أمر الشركاء الأمرين معا لجمعوا لهم بذلك بين إهلاكين: فى النفس
 والدين، فإن القتل فى نفسه عظيم جدا، ووقوعه تدبيرا بغير أصل
 ولا شبهة أعظم، فلا أضل من تبع من كان سببا لإهلاك نفسه ودينه .
 ولما كان العرب يدعون الأذهان الثاقبة و الأفكار الصافية والآراء
 الصائبة والعقول الوافرة النافذة^١، ذكر لهم ذلك على سبيل التعليل
 استهزاء بهم، يعنى أنهم فعلوا ذلك لهذه العلة فلم يظنوا بهم ولم يدركوا
 ما أرادوا بكم مع أنهم حجارة، فأنهم أسفل منهم، ولما أثبت للشركاء
 فضلا هو التزيين، وكان قد نفى سابقا عنهم وعن سائر أعداء الأنبياء^{١٠}
 الاستقلال به، وأناط^٢ الأمر هناك - لأن السياق للأعداء - بصفة
 الربوبية المقتضية للحياة والعناية، وكان الكلام هنا فى خصوص الشركاء،
 علق الأمر باسم الذات الدال على الكمال المقتضى للعظمة والجبروت
 والكبر وسائر الأسماء الحسنى على وجه الإحاطة والجلال فقال:
 / (ولو شاء الله) أى بما له من العظمة والإحاطة بجميع أوصاف الكمال ١٥ / ٢٥٧
 المقتضية للعلو عن الأنداد^٣ والتزه^٤ عن الشركاء والأولاد: أن لا يعمله
 المشركون (ما فعلوه) أى ذلك الذى زين^٥ لهم، بل ذلك إنما هو بإرادته
 ومشيئته احتراسا من ظن أنهم يقدرُونَ على شيء استقلالاً، وتسليّة
 (١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) من - ظ، وفى الأصل: فاط (٣-٣) من
 ظ، وفى الأصل: التيرة - كذا (٤) فى ظ: زيته .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وتغفيرا ، وأكّد التسلية بقوله :
(فذرهم وما يفترون هـ) أى يقولون ' من الكذب ويعتمدونه .

ولما ذكر إقدامهم على ما قبحه الشرع^٢ ، ولأمله على تقييده العقل
من قتل الأولاد ، أتبعه إيجابهم عما حسنه الشرع من ذبح بعض الأنعام
لنفسهم ، وضم إليه جملة مما منوا^٣ أنفسهم منه ودانوا به لمجرد أهوائهم
فقال : (وقالوا) أى المشركون سفها و جهلا (هذه) إشارة إلى قطعة
من أموالهم عينوها لأهنتهم (أنعام و حرث حجر) أى حرام بحجور
عليه فلا يصل أحد إليه ، وهو وصف يستوى فيه الواحد والجمع* والمدكر
والمؤنث ، لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات (لا يعلمها) أى يأكل
١٠ منها (إلا من نشأ) أى من السدة ومحوم (بزعمهم) أى يقولهم بمجرد
الهمى من غير سند عن الله الذى له ملكوت السماوات والأرض ، وهم
كاذبون فى هذا الزعم فى أصل التحريم^٤ فى نفوذ المنع ، فلو أراد الله
أن تؤكل لأكلت ولم يقدرُوا على منع (وأنعام) .

ولما كان ذمهم على مجرد التجريم لا على كونه من معين ، بنى للجهول
١٥ قوله : (حرمت ظهورها) يعنى البحائر وما معها فلا تركب^٥ (وأنعام
لا يذكرون) أى هؤلاء المتقولون على الله (اسم الله) الذى حاز جميع العظمة
(عليها) أى فى الذبح أو غيره (افتراء) أى تمعدا للكذب (عليه) .

(١) فى ظ : يقولون (٢) فى ظ : الشر (٣) فى ظ : تقوا (٤) من ظ ، وفى
الأصل : بمجرد (٥) من ظ ، وفى الأصل : الجميع (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ،
وفى الأصل : لا يركب .

ولما كان هذا لظلمه من^١ جهة أنه تعدد للكذب على ملك الملوك
[موضع-^٢] تشوف السامع إلى ما يكون^٣ عنه، استأنف^٤ قوله: (سيجزهم)
أي بوجد صادق لا خلف فيه (بما) أي بسبب ما (كانوا) أي جملة وطبعا
(يفترونها) أي يتعمدون من الكذب، أما بعد إظهار الحق فواضح، وأما
قبله فلكونه في غاية ما يكون من ظهور^٥ الفساد. ولما ذكر من سفهم^٥
ما فيه إقدام محض و ما فيه إحجام خالص محت، أتبعه ما [هو-^٦] غلط^٥
منها فقال: (وقالوا) أي المشركون أو بعضهم وأقره الباقون (ما في بطون
هذه) [إشارة إلى ما اقتطعوه لأنهم، وبينوه بقولهم-^٦]: (الانعام) أي
من الاجنة (خالصة) أي خلوصا لا شوب فيه، أنت للحمل على معنى
الاجنة، أو تكون التاء للبالغة^٦ أو تكون^٦ مصدرا كالعاقبة^٧، أي ذو خالصة^{١٠}
(لذكورنا)، ولما^٨ كان المراد العراقة في كل صفة، أتى بالواو فقال: (ومحرم)
وحذف الهاء إما حملا على اللفظ أو تحقيقا لأن المراد بـ "خالصة"
المبالغة (على أزواجنا) أي إنائنا، وكأنه عبر بالأزواج بيانا لموضع السفه
بكونهن شقائق الرجال، هذا إن ولد حيا (وإن يكن) أي ما في بطونها
(ميتة) وكأنه أثبت هاء التأنيث مبالغة، وأنت القمل أبو جعفر^{١٥}
و ابن عامر وأبو بكر عن عاصم حملا على معنى "ما"، ورفع^٩ الاسم
على التمام ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر، وذكر ابن كثير لأن

(١) من ظ، وفي الأصل: في (٢) زيد من ظ (٣-٤) من ظ، وفي الأصل:
عن فاستأنف - كذا (٤) في ظ: ظهر (٥) من ظ، وفي الأصل: غلط - كذا.
(٦-٧) من ظ، وفي الأصل: وإن يكون (٧) في ظ: مصدر كالعاقبة (٨) سقط
من ظ (٩-١٠) من ظ، وفي الأصل: وقع.

التأنيث غير حقيقى ، ونصب الباقون على جعلها ناقصة مع التذكير حملا
على لفظ " ما " (فهم) أى ذكورهم وإناثهم^٢ (فيه) أى ذلك الكائن
الذى فى البطون^٣ (شركاء^٤) أى على حد سواء .

ولما كان ذلك كله وصفا منهم للأشياء فى غير مواضعها التى
• يجبها الله قال : (سيجزهم وصفهم^٥) أى بأن يضع العذاب الآليم

فى كل موضع يكرهون وصفه فيه ، حتى يكون مثل وصفهم الذى
لم يزالوا يتابعون^٦ الهوى فيه حتى صار خلقا لهم ثابثا فهو يرهيم^٧ وخيم^٨ أثره ،
ثم طل ذلك بقوله : (انه حكيم) أى لا يجازى على الشيء إلا بمثله
ويضعه فى أحق مواضعه وأعدلها (عليم) أى بالمائلة ومن

١٠ / ٢٥٨ يستحقها وعلى أى وجه / يفعل ، وعلى أى كيفية يكون آثم وأكل ،
وفى ذلك آثم إشارة إلى أن هذه الأشياء فى غاية البعد عن الحكمة ،
فهو متعال عن أن يكون شرعا وهى سفه^٩ محض لا يفعلها إلا ظالم جاهل .

ولما ذكر تعالى تفاصيل سفهم^{١٠} ، وأشار إلى معانيها ، جمعها^{١١} - وصرح
بما أمثرت من الحية - فى سبع خلال كل واحدة منها سبب تام فى حصول
١٥ الندم^{١٢} فقال^{١٣} : (قد خسر) وأظهر فى موضع الإضمار تعميما وتعليقا
للحكم بالوصف فقال : (الذين قتلوا) قرأها ابن عامر وابن كثير بالتشديد
لإرادة^{١٤} التكثير والباقون بالتخفيف (اولادهم سفها) أى خفة إلى

(١) من ظ ، وفى الأصل : معنى (٢) فى ظ : انوتهم (هم) سقط ما بين الرقين
من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : يتاجوا (٥) فى ظ : صفة (٦) سقط من ظ .
(٧) من ظ ، وفى الأصل : جميعها (٨) فى ظ : الدم (٩) من ظ ، وفى الأصل : لان .

الفعل المذموم وطيشاً^١، قوِّم الشياطين الذين يتكلمون على ألسنة
الاصنام أو سدنتها إلى ذلك أذا .

ولما كان السفه منافياً لرزاق^٢ العلم الذى لا يكون الفعل الناشئ عنه
إلا عن تأن و تدبر وتفكر و تبصر، قال مصرحاً بما أفهمه : (بغير علم)
أى و أما من قتل^٣ ولده بيلم - كما إذا كان كافراً أو قاتلاً أو محصناً
زانياً - فليس حكمه كذلك ، و لما ذكر عظيم ما أقدموا عليه ، ذكر جليل
ما أحجموا عنه فقال : (و حرموا ما رزقهم الله) أى الذى لا ملك
سواه رحمة لهم ، من تلك الانعام و الفلات ، بغير شرع و لا تقع بوجه
(اضرآه) أى تعدداً للكذب^٤ (على الله^٥) أى الذى له جميع العظمة .

ولما كانوا قد خسروا ثلاث خسرات مع ادعائهم غاية البصر ١٠
بالتجارات : النفس بقتل الأولاد ، و المال بتحريم ما رزقهم الله ، فأفادهم
ذلك خسارة الدين ، كانت نتيجة قوله : (قد ضلوا) أى جاوزوا^٦ و حادوا
عن الحق و جاروا^٧ ، و لما كان الضال^٨ قد تكون ضلالتة^٩ فلتة عارضة
[له -^{١٠}] ، و تكون الهداية وصفاً أصيلاً فيه ، نبه على أن الضلال
وصفهم الثابت بقوله : (و ما كانوا) أى فى شيء من هذا من^{١١} خلق ١٥
من الاخلاق (مهتدين^{١٢}) أى لم يكن فى كونهم وصف الهداية ،
بل زادوا بذلك ضلالاً ، قال البخارى فى المناقب من صحيحه : حدثنا

(١) فى ظ : طلبا (٢) من ظ ، وفى الأصل : لرواية (٣) من ظ ، وفى الأصل :
قبل (٤) من ظ ، وفى الأصل : لكذب (٥) من ظ ، وفى الأصل : حاروا .
(٦) من ظ ، وفى الأصل : الضلال (٧-٧) فى الأصل : يكون اضلاله ، وفى
ظ : يكون ضلاله - كذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ : فى .

أبو النعمان حدثنا^١ أبو حوارة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا سرك أن تعلم جهل^٢ العرب فاقراً ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام "قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً - إلى قوله : وما كانوا مهتدين". وله في وفد بني حنيفة من المغازي عن مهدي بن ميمون قال : سمعت أبا رجاء الطاردي يقول : كنا نبذ الحجر فإذا^٣ وجدنا حجراً^٤ أحسن منه ألقيناه فأخذنا الآخر ، وإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة^٥ من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طلقنا به ، فإذا دخل شهر رجب قلنا : منصل الأسته ، فلا ندع رعاً فيه حديدة ولا سهماً فيه حديدة إلا نزعناه فألقيناه [شهر رجب - ٦] .

١٠ ولما كان مدار القرآن على تقرير التوحيد والنبوة وتوابعها والمعاد والقضاء والقدر والفعل بالاختيار^٦ ، وأتقن تقرير هذه الأصول لاسيما في هذه السورة ، وأنهى إلى شرح أحوال السعداء^٧ والأشقياء ، وعجب سبحانه عن أشرك وأنكر الميث وفعل أفعال المشركين تعجيباً بعد تعجيب ، ومجن^٨ طريقتهم ووجنهم تويخاً في إثر تويخ بتكذيبهم للداعي من ١٥ غير حجة ، وحكى أقوالهم^٩ الباطلة ودعائهم الفاسدة مع ادعائهم أنهم

(١) من ظ و صحيح البخارى - الماثب ، وفي الأصل : يا - كذا (٢) في ظ : امر (٣) من ظ و صحيح البخارى - المغازي ، وفي الأصل : قا - كذا (٤) زيد بعده في ظ : جمعنا جثوة (٥) من ظ والصحيح ، وفي الأصل : جنوده . (٦) زيد من ظ والصحيح (٧) من ظ ، وفي الأصل : لاختيار (٨) سقط من ظ (٩) في ظ : السعيد (١٠) من ظ ، وفي الأصل : يجر (١١) من ظ ، وفي الأصل : قولهم .

أنصف الناس ، وعظمتهم للهادى بغير ثبت ولا بينة مع ادعائهم أنهم
أبصر الناس ، وطلبهم للآيات تستأ^١ مع ادعائهم أنهم^٢ أعقل الناس ،
وإخلاصهم فى الشدة وإشراكهم فى الرعاء مع ادعائهم أنهم^٣ أشكر
الناس ، وعبادتهم للجن و تعوذهم بهم مع ادعائهم أنهم أشجع الناس -
إلى أن عجب منهم فيما شرعوه لأنفسهم فيما رزقهموه سبحانه من حيوان
وجماد ومضوا عليه خلفا عن سلف ، تنبها على ضعف عقولهم وقلة
علومهم تنفيرا للناس عن الالتفات إليهم والاعتراض بأقوالهم^٤ ، قال فى
موضع الحال من " وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث [والانعام] - " ^٥ الآية ،
ميتا عظيم ملكه وشمول قدرته / و باهر اختياره وعظمته ، زيادة فى التعجب

٢٥٩ /

منهم فى تصرفهم فى ملكه بغير إذنه [سبحانه - ^٦] و شرعهم مالم يأذن
فيه فى سياق كافل باقامة الحجة على تقرير التوحيد عودا على بدء وعللا
بعد نهل ، لانه المدار الأعظم والأصل الأقوم : (وهو) أى لا غيره
(الذى انشأ) أى من العدم (جنّت) أى^٧ من الغيب وغيره
(معروثت) [أى مرفوعات عن الأرض على الخشب ونحوه - ^٨] ،
أى لا تصلح إلا معروثة ، ومتى لم ترفع^٩ عن الأرض تلف ثمراها ^{١٠}
(وغير معروثت) أى غير مرفوعات على الخشب ، أى لا تصلح
إلا مطروحة على الأرض مثقلة بما يحكم وصولها إليها ، ومتى ارتفعت

(١) فى الأصل : نصسا ، وفى ظ : تعينا - كذا (٢-٣) سقط ما بين الرقبن من ظ .

(٣) فى ظ : بأحواله (٤) ريد من ظ والقرآن الكريم (٥) زيد من ظ (٦) سقط

من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : لم يرفع (٨) فى الأصل « ا » وسقط من ظ .

عن الأرض تلفت ، فما ذلك لطيفة^١ ولا غيرها وإلا لاستوت الجنات كلها لأن نسبها إلى السماء والأرض واحدة ، فما اختلف إلا بجعل مختار واحد لا شريك له ، لا يكون إلا ما يريد .

ولما ذكر الجنات الجامعة ، خص^٢ أضلها [وأدناها على الفعل] بالاختيار ، وبدأ بأشهرها عند المخاطبين هذه الآيات -^٣ [فقال : ﴿ والنخل ﴾ أى وأنشأ النخل ﴿ والزرع ﴾ حال كونه ﴿ مختلفا اكله ﴾ أى أكل أحد النوعين ، وهو ثمره الذى يؤكل ، بالنسبة إلى الآخر ، وأكل كل نوع بالنسبة إلى الأشجار وغيرها فى الحمل والطعم وغيره ، بل و يوجد فى المذيق الواحد الاختلاف ، وأما اختلاف مقداره يكون هذا فى غاية الطول وهذا فى غاية القصر فأمر واضح جدا ﴿ والزيتون والرمان ﴾ .

[ولما كان معظم القصد فى هذا السياق نفي التريك وإثبات العمل بالاختيار ، لم يدع الحال إلى ذكر كمال الشبه فاكتفى بأصل العمل فقيل -^٤ : ﴿ متشابه ﴾ أى كذلك ﴿ وغير متشابه ﴾ أى فى اللون والطعم والفساد وعدمه والتعكك والاختلاف والدهن والماء - إلى غير ذلك من أحوال ١٥ وكيفيات لا يحيط بها حق الإحاطة إلا بارتها سبحانه وعز شأنه ، ولله جمع الأولين لأن كلا منهما يدخر للاقتيات ولا يسرع فساده مع المارقة^٥ فى الشكل ، والاختلاف فى النوع بالشجر والنجم ، والتفاوت العظيم فى المقدار ، والآخرين^٦ لأن الأول لا يعدد بوجهه ، والثانى يسرع

(١) من ظ ، وفى الأصل : الطبيعة (٢) فى ظ : حصل (٣) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٤) فى ظ : توكل (٥) فى ظ : المقاربة (٦) زيد بعده فى ظ : ملك .

فساده ، و يدخر كل منهما^١ على غير الهيئة التي يدخر عليها^٢ الآخر مع كونها من الأشجار و تقاربهما في المقدار و تفاوت ثمرتهما في الشكل و القدر و غير ذلك .

و لما كان قوله ”و هو الذي أنزل من السماء ماء“ في سياق الاستدلال على أنه لا فاعل إلا الله ، أمر فيه بالنظر إلى الثمر و الينع ليعتبر بحالهما ، و كانت هذه الآية في سياق التعنيف لمن حرم ما رزقه الله و الأمر بالأكمل من حلال ما أنعم به و انتهى عن تركه تدبيرا فقال تعالى هنا : ﴿كلوا﴾ و قدم الأولى^٣ المستدل بها على وجود الباري و تعرده بالأمر لأن اعتقاد ذلك سعادة روحانية أبدية ، و قال أبو حيان في النهر : لما كان مجيء تلك الآية في معرض الاستدلال بها على الصانع و قدرته ١٠ و الحشر و إعادة الأرواح إلى الأجساد بعد العدم و إراز الجسد . تكوينه من [العظم -^٤] الرميم و هو عجب الذنب ، قال : ”انظروا إلى ثمره اذا أثمر و ينم“ إشارة إلى الإيجاد [أولا -^٥] و إلى غايته ، و هنا لما كان في معرض الامتتان و إظهار الإحسان بما خلق لنا^٦ قال : [كلوا -^٧] ، و دل على أن الرزق أكثر من خلقه بقوله - : ﴿من ثمرة^٧﴾ ، و لما كان ١٥ هذا الأمر للإباحة لا للإرادة ، قيده ثلاثين^٨ لإيجاد الثمر في كل حبة في كل وقت فقال - : ﴿إذا أثمر﴾ لحصل مجموعها الحياة الأبدية و الحياة

(١) ريد منه في ظ : بالعلاج (٢) في ظ : فيها (٣) من ظ ، و في الأصل : الأولى .
(٤) ريد من ظ و النهر - راجع البحر المحيط ٢٣٥/٤ (٥) ريد من النهر (٦) تأخر في الأصل و ظ على « قال » و الترتيب من النهر (٧-٧) تقدم ما بين الرقيين في الأصل على « و دل على » ، و الترتيب من ظ .

الدنياوية السريعة الاقتضاء وتقدم^١ النظر وهو الفكر على الأكل لهذا السبب . انتهى^٢ . وعبر بـ "إذا" دون "إن" تحقيقا لرجاء الناس في الخصب وتسكيننا لأمالهم رحمة لهم ورقاهم لإعلاما أنه إن وقع جذب كان في ناحية دون أخرى وفي نوع دون آخر، وإباحة للأكل في جميع أحوال الثمرة فضيحة وغير فضيحة .

ولما كان في الآيات الحساكية مذاهب الكفار تقييح^٣ أن يجعلوا شيئا من أموالهم لأحد بأهوائهم ، أشار هنا إلى أنه فرض فيها حقا وجعل له مصارف بقوله : (واتوا حقه) ولما أباح سبحانه أكله ابتداء / وانتهاء ، بين أنه خفف عنهم الوجوب قبل الانتهاء فقال : (يوم حساده) أي قتلهم جزا إذا كان أو حصادا ، فكذلك أول وقت نصاب^٤ الأمر وهو موسع ، والحق أعم من الواجب والمندوب ، فإن أريد التنبع عم الأنواع الخمسة الماضية : العنب المشار إليه بالعرش وما بعده . وإن أريد الوجوب فقد أشير بالتعريف بالحصاد إلى أن الأصل في ذلك الحبوب المقتاتة ، وأما غيرها فتابع عليه بيان^٥ النبي صلى الله عليه وسلم فيطلق عليه الحصاد مجازا .

ولما أمر الله بالأكل من ثمره وبايتاء حقه ، نهى عن مجاوزة الحد في البسط أو^٦ القبض فقال : (ولا تسرفوا) وهذا النهى يتضمن أفراد الإسراف ، [فيدخل فيه الإسراف في أكل الثمرة حتى لا يبقى شيء منها للزكاة ، والإسراف -^٧] في الصدقة حتى لا يبقى لنفسه ولا لغيره شيئا ،

(١) في ظ : يقدم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : يفتح (٤) من ظ ، وفي الأصل : في (٥) من ظ ، وفي الأصل : جعله (٦) في الأصل و ظ : انصاب . (٧) من ظ ، وفي الأصل : بيان (٨) في ظ «و» (٩) زيد ما بين الحائزين من ظ .

و يؤيده " وكلوا واشربوا ولا تسرفوا " ، " ولا تبسطها كل البسط " ،
ثم علله بقوله : (انه لا يحب السرفين) أي لا يعاملهم معاملة المحب
فلا يكرمهم ، وقيل لحاتم الطائي : لا خير في السرف فقال : ولا سرف في الخير .
ولما كان السياق للآكل^٢ من الحرث والآنعام من حلال وحرام ،
و فرغ من تقرير أمر الحرث الذي قدم في الجملة الأولى لأنه مادة الحيوان ،
قال : (ومن) أي وأنشأ من (الانعام حولة) أي ما يحمل الأثقال
(وفرشا) أي وما يفرش للذبح أو للتوليد ، ويعمل من وبره وشعره
فرش ، ولما استوفى القسمين أمر بالآكل من ذلك كله على وجه يشمل
غيره مخالفة للكفار قال : (كلوا مما رزقكم الله) أي لأنه الملك الأعظم
الذي لا يسوغ^٣ رد عطية (ولا تبغوا) [ولعله شدد إشارة إلى العفو ١٠
عن صغيرة إذا ذكر الإنسان فيها رجع ولم يستد في هواه -]
(خطوت الشيطان) أي طريقه في التحليل والتحريم كما قال في البقرة
" كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان " ، وعبر
بذلك لأنه - مع كونه من مادة الخطية - دال على أن شرائعه شريعة
الاندراس ، لولا مزيد الاعتناء من الفسقة بالتبغ في كل خطوة حال ١٥
تأثيرها لبادر إليها المحو بطلاتها في نفسها ، فلا أمر من الله بحجبها ولا كتاب
ييقبها ، وإما أسقط هنا " حلالا طيبا " لبيانه سابقا في قوله " فكلوا "

- - - - -

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ ، و راح سورة ٧ آية ٣١ (٢) سورة ١٧
آية ٢٩ (٣) من ظ ، وفي الأصل : لا كل (٤) في ظ : يشتمل (٥) سقط من
ظ (٦ - ٦) من ظ ، وفي الأصل : سوع - كذا (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
(٨) آية ١٦٨ (٩) من ظ و القرآن الكريم ، وفي الأصل : كلوا .

ما ذكر اسم الله عليه، "ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه"، ولاحقا في قوله "قل لا اجد فيما اوحى الى [محرمات - ١]"؛ ثم علل نهي عن اتباعه فقال: ﴿انه لكم عدو﴾ أى فهو لذلك لا يأمركم بخير ﴿مبين﴾ أى ظاهر العداوة لأن أسره مع أيكم شهيد .

و لما رد دين المشركين وأثبت دينه، وكانوا قد فصلوا الحرمه بالنسبة إلى ذكور الآدمى وإناؤه، ألزمهم تفصيلها بالنسبة إلى ذكور الأنعام وإناؤه، ففصل أمرها في أسلوب أبان فيه^٢ أن فعلهم رث^٣ القوى هلهل النسيج^٤ بعيد من قانون الحكمة، فهو موضع للاستهزاء وأهل للتهكم، فقال يانا لـ "حوالة وفرشا": ﴿ثمنية أزواج﴾ أى أصناف، ١٠ لا يكمل صنف منها إلا بالآخر، أنشأها بزواج^٥ كل من الذكر والانثى الآخر، و الحق بتسميتهم^٦ الفرد بالزوج - بشرط أن يكون آخر من جنسه - تسميتهم الزجاجة كأسا بشرط أن يكون فيها خمر .

و لما كان الزوج يطلق على الاثنين وعلى مامعه آخر من نوعه، قال ميثنا أن هذا هو المراد^٧ لا الاثنين^٨ مفصلا لهذه الثمانية: ١٥ ﴿من الضان﴾ جمع ضائن وضائفة كصاحب وصحب ﴿اثنين﴾ أى ذكرا وأنثى كبشاً ونجعة ﴿ومن المعز﴾ جمع ماعز و ماعزة ككاهم وخدم في قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، و تاجر و تاجر في

(١) زيد من ظ والقرآن الكريم (٢) من ظ، وفي الأصل: منها (٣) في ظ: رب - كذا (٤) من ظ، وفي الأصل: الشبح (٥) من ظ، وفي الأصل: يراوح . (٦-٧) في ظ: نحو تسميتهم (٧-٧) فاخر ما بين الرقعين في ظ عن ذكرنا وأنثى .

قراءة غيرهم^١ (اثنين^٢) أى زوجين ذكرا و أنثى تيسا و عززا .

ولما كان كأنه قيل : ما المراد بهذا التفصيل قبل سؤا لهم عن دينهم .

[قال - ٢] : (قل) أى لهم مستفها ، ولما كان هذا الاستفهام بمعنى

التوبيخ و التهمك و الإنكار ، أتى فيه بـ " أم " التى هى مع الهمزة قبلها

بمعنى " أى " ليثفهم بها عما يعلم ثبوت بعضه و إنما يطلب تمينته ، فقال هـ

/ معترضا بين المعدودات تأكيذا للتوبيخ ، لأن الاعتراضات لاتساق / ٢٦١

إلا للتأكيد : (يا الذكرين) .

و لما كان المستفهم عنه بنصبه ما بعده لا ما قبله ، قال : (حرم)

أى الله ، فان كان كذلك لزمكم تحريم جميع الذكور^٣ (أم الاثنين)

ليلزمكم^٤ تحريم جميع^٥ الإناث ، و استوعب^٦ جميع ما يفرض من سائر ١٠

الاقسام فى قوله : (اما) أى أم حرم ما (اشتملت) أى انضمت

(عليه) و حملته (ارحام الاثنين)^٧ أى من الذكور و الإناث ، ومتى

كان كذلك لزمكم تحريم الكل فلم تلزموا^٨ شيئا عما أوجبه هذا التقسيم

فلم تمسحوا على نظام .

و لما علم أنه لا نظام لهم فلم أنهم^٩ جديرون بالتوبيخ ، زاد فى توبيخهم ١٥

فقال : (نبئوني) أى أخبروني عما حرم الله من هذا إخبارا حليلا عظيما ،

ولما كان هذا الإخبار الموصوف لا يكون بشئ فيه^{١٠} شك ، قال :

(يعلم) أى أمر معلوم من جهة الله لا مطمئن فيه (ان كنتم صدقين هـ)

أى إن كان لكم^{١١} هذا الوصف .

(١) فى ظ : غيره (٢) زيد لاستقامة العبارة (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط

ما بين الرقيين من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : لتلزمكم (٦) فى ظ : استوجب .

(٧) فى ظ : لم تلزموا (٨) من ظ ، وفى الأصل : إن .

ولما فصل النعم إلى ضان وممر، أغنى ذلك عن تنويع الإبل إلى العراب والبخت والبقر إلى العراب والجواميس، [١-] ولأن هذه يقتاج بعضها من بعض بخلاف النعم فانها لا يطرق أحد نوعيها الآخر - فقله الشيخ بدر الدين الزركشي في كتاب الوصايا من شرح المتهاج عن ٥ كتاب الأعداد لابن سراه - [٢-] قال: (ومن الإبل اثنين) أى ٢ ذكرًا وأنثى (ومن البقر اثنين ٣) أى كذلك (قل) أى لهؤلاء الذين اختلقوا جهلا وسفها ما تقدم عنهم (الذكرين) أى من هذين النوعين (حرم) أى حرمها الله (أم الاثنين) ٤ أى حرمها (أما) أى الذى (اشتملت عليه) أى ذلك المحرم على زعمكم (أرحام الاثنين ٥) ١٠ أى حرمها الله .

ولما كان التقدير : أجماعكم هذا عن الله الذى لا حكم لغيره على لسان نبي ؟ عادله تويخا لهم وإنكارا عليهم بقوله : (أم كنتم شهداء) أى حاضرين (أذوكم الله) أى الذى لا ملك غيره فلا حكم لسواه (هداء) أى كما حزمتم عليه به ، أو ٦ حزمتم بالحكمة فيما حرمتموه ١٥ والحل فيما أحلتموه ، ولا محرم ولا محلل غير الله ، فكتم بذلك ناسيين الحكم إليه ؛ ولما كان التقدير كما أنتجه السياق : لقد كذبتم على الله حيث نسبتم إليه ما لم تأخذه عنه لا بواسطة ولا بغير واسطة ، سبب عنه قوله

(١) ريد ما بين الطاجرين من ظ (٢) هو محمد بن محمد بن إبراهيم الأنصارى الشاطبي -
 راجع لترجمته معجم المؤلفين ١١/ ١٧٦ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : هؤلاء (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) في ظ « و » .

معما ليصلم' أن' هذا إذا كان في التحريم والتحليل كان الكذب في أصول الدين أشد: ﴿قر اظلم﴾ ووضع موضع «منكم» قوله معما و٣ معلقا للحكم بالوصف: ﴿من افترى﴾ أى تعدد ﴿على الله﴾ أى الذى لا أعظم منه لأنه ملك الملوك: ﴿كذبا﴾ كمروى لى الذى غير شريعة إبراهيم عليه السلام، وكل من فعل مثل فعله .

وما كان يلزم من شرعهم لهذه الأمور إضلال من تعهم فيها عن الصراط السوى، وكانوا يدعون أنهم أهدى الناس وأرهم بدقائق الأمور في بداياتها ونهاياتها وما يلزم عنها، جعل غاية صلهم مقصودا لهم تهكما بهم فقال: ﴿ليضل الناس﴾ . لما كان الضلال قد يقع من العالم الهادى خطأ، قال: ﴿غير علم﴾ .

وما كان هذا محل عجب من يفعل هذا، كشفه سبحانه بقوله استثناء: ﴿ان الله﴾ وهو الذى لا حكم لاحد سواه لا يهديهم، هكذا كان الاصل ولكنه أظهر تعميما بما هو اعم من وصفهم ليكون الحكم عليه بطريق الاول فقال: ﴿لا يهدى القوم الظالمين﴾ أى الذين يضعون الاشياء في غير مواضعها فكيف بالظالمين! وما أحسن هذا الختم لاحكامهم رأنسه" لما ناهاهم عليه من قوله " انه لا يطلع الظالمون" .

وما تضمن قوله اقراء عليه اقراء على الله والتعير في ذلك كله

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده في لأصل: من . ولم تكن الريادة في ظ لخدواها (٣) ظ : او (٤) من ظ ، وفي الأصل: الملك (٥) في ظ: اسهم .

بالاسم الاعظم أن كون التحريم ليس إلا من الله أمر معلوم ليس موضعا
للسك لأنه الملك الاعظم ولا حكم لغير الملك، ومن حكم عن غير أمره
عذب؛ حسن بعد؛ إبطال دينهم^١ [والبیان لأن من حرم شيئا بالتشهي
مضل وظالم -^٢] قوله مينا البيان الصحيح لما يحل ويحرم جوابا لمن يقول:
هـ فما الذي حرمه سبحانه وما الذي أحله: ﴿قل﴾ معلما بأن^٣ التحريم
لا يثبت إلا بوحى [من -^٤] الله ﴿لا اجد﴾ أى الآن ولا فيما يستقبل
من الزمان، فان 'لا' كلمة لا تدخل على مضارع إلا وهو بمعنى
الاستقبال ﴿فى ما-﴾ .

ولما كان ما آناه صلى الله عليه وسلم قد ثبت سجزم عن معارضته
١٠ أنه من الله، بنى للفعول قوله: ﴿اوحى الى﴾ أى من القرآن والسنة
شيئا مما تقدم مما حرمتوه مطلقا أو على حال دون حال وعلى ناس دون
آخرين طعنا ما ﴿محرم على طاعم﴾ أى طاعم كان من ذكر أو أنثى
﴿يطعمه﴾ أى يتناولوه أكلا و^٥ شرما أودوا أو غير ذلك ﴿الا ان يكون﴾
أى ذلك الطعام ﴿ميتة﴾ أى شرعا، والميتة الشرعية هى ما لا يقبل التذكية،
١٥ [وهو كل ما زالت حياته بغير ذكاة شرعية -^٦] ﴿اودما مسفوحا﴾
أى مراقا من شأنه السيلان لا من شأنه الجود كالكدب والطحال .

ولما كان النصارى قد اتخذوا أكل الخنزير دينا، نص عليه وإن
كان داخلا في قوله "ميتة" على ما قرره فى المراد بها، وقال:
(١) من ظ، وفى الأصل: دينه (٢) زيد ما بين الحائزين من ظ (٣) من ظ،
وفى الأصل: إن (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: او (٦) زيد فى ظ: عليه .

(أو لحم خنزير) ليفيد تحريمه على كل حال سواء ذبح أم لا ، ولو قيل : أو خنزيرا لاحتمل أن يراد تحريم ما أخذ منه حيا فقط ، وقال : (فانه) أى الخنزير (رجس) ليفيد نجاسة عينه وهو حى ، فلعنه وكذا سائر أجزائه بطريق الأولى ، [وكل ما وافقه فى هذه العلة كان نجسا ، لا يعاد الضمير على اللحم لأنه قد علمت نجاسته من تحريمه لعينه . فلو عاد ه عليه كان تكرارا - ٢] .

ولما ذكر المحرم لعينه ذكر المحرم لعارضه ، فقال مبالغا فى النفي عنه بان جملة نفس المعنى الذى وقع النهى لاجله : (أو فسقا) أى أو كان الطعام خروجا عما ينبغى القرار فيه من فسيح جناب الله الذى من توطئه ٢ أمن واهتدى وسلم من ٤ ضيق الهوى فى ذكر الغير الذى من ١ خرج إليه ١٠ خاف وحمل وهلك " وتوى " ، ثم قال مفسرا له [مقدما لما هو داخل فى الفسق من الالتفات إلى الغير - ٢] : (اهل لغير الله) أى الذى له كل شيء لأن له الكمال كله ١ (به ٤) أى ذكر غير اسمه عليه بأن ذبح له تدينا ، ثم ذكر لطفه بهذه الأمة فى إيابته لهم فى حال الضرورة كل محرم رحمة ١ منه لهم وسترا لتقصيرهم فقال : (فن اضطر) أى ١٥ حصل له جوع خشى منه التلف ، وبى للفعل لأن الاعتبار حصول الاضطراب لا كونه من معين . ومن التعبير بذلك تؤخذ حرمة ما زاد

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : تواطنه .
(٤) فى الأصل و ظ : الى (هـ-هـ) سقط ما بين الرقيين من ظ .

- على سد الرمق لانه حيث لا يكون مضطرا (غير باغ) أى على غيره
 بمكيدته (ولا عاد) أى على غيره بقوته ولا متجاوز سد الضرورة
 (فان ربك) أى المحسن إليك بأرسالك وإلى أمتك الضعيفة بمحمل
 دينها الحنيفة السمحة (غفور) أى يمحو الذنب إذا أراد (رحيم)
 ٥ أى يسكرم المذنب بعد الغفران بأبواب الكرامات، فهو جدير بأن
 يمحو عن هذا المضطر أثر تلك الحرمة التى كدرها^٢ ويكرمه بأن
 يجعل له - فى حفظه بذلك لنفسه إذا صحت فيه نيته - أجرا عظيما،
 وقد تكلفت الآية على وجازتها بجميع المحرمات من المأكولات مع الإشارة
 بلفظ الرجس والفسق إلى جميع أصناف المحرمات وإلى أن ارتكابها
 ١٠ موجب للخبث والانسلاخ^٣ من الخير^٤، وذلك هو سبب تحريمها؛
 قال الاستاذ أبو الحسن الحارلى فى كتاب العروة: وجه إزال هذا الحرف -
 أى حرف الحرام - طهرة الخلق من مضار أبدانهم ورجاسة نفوسهم
 ومجهلة قلوبهم، فاجتمعت فيه كان أشد تحريما^٥، وما وجد فيه شيء
 منها كان تحريمه بحسب تأكيد الضرورة^٦ إلى طهرته^٧، وكما اختلف^٨
 ١٥ أحوال بنى آدم بحسب اختلاف طبيعتهم من بين خيث وطيب وما بين
 ذلك، اختلف أحوالهم فيما به تجدد خلقهم من رزقهم، فن اغتذى
 بدنه من شيء ظهرت أخلاق نفس ذلك المفتدى به وأوصافه فى نفسه،
 و رين على القلب أو صفاء، لتقويه بما يسمى عليه من ذكر الله أو كفر به

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: قدرها (٣-٢) سقط ما بين
 الرقمن من ظ (٤) فى الأصل و ظ: حرم (٥) فى ظ: اختلفت .

بذكر غيره ، و جامع منزله على حده / من استثناء قليله من متسع^١ الحلال
قوله تعالى " قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان
يكون ميتة او دما مسفوحا " هذا لمضرة بالبدن " او لحم خنزير "
وهذا لتخيشه للنفس و ترجيسه لها كما قال [تعالى - ٢] " انه رجس
او فسقا اهل لغير الله به " وهذا لربنه على القلب ، وهذه الآية مدنية ه
و أثبتها تعالى في سورة مكية إشمارا بأن التحريم كان مستحقا في أول
الدين ولكن آخر^٢ إلى حين اجتماع جهة الإسلام بالمدينة تأليفا لقلوب
المشركين و تيسيرا على ضعفاء [الدين - ٣] الذين آمنوا و اكتفاء للمؤمنين
بتزهمهم عن ذلك و عما يشبهه استبصارا منهم حتى أن الصديق رضى الله
عنه كان قد حرم الخمر [على نفسه - ٤] في زمن الجاهلية لما رأى فيها ١٠
من زوف العقل ، فكيف بأحوالهم بعد الإسلام ! و الحق بها في سورة
" الذين آمنوا " ما كان قتله^٥ سطوة من غير ذكر الله عليه من المنخفة
و الموقودة و المتردية و التطيع و ما أكل السبع إلا ما أدرك^٦ بالتذكية
المنهرة للدم الموصل في التحريم لفساد مسفوحه بما هو خارج عن
حد الطعام في الابتداء و الأعضاء في الانتهاء المستدركة ببركة التسمية آر ١٥
ما أصابها من مفاجأة السطوة ، و الحق بها أيضا^٧ في هذه السورة
(١) من ظ ، و في الأصل : سعى (٢) زيد من ظ (٣) زيد بعده في ظ :
مطلب - كذا (٤) في ظ : بما (٥) في ظ : قبله (٦) في ظ : تدرك (٧) موضعه
في ظ : قبل التذكية .

تحريم الخمر لرجسها كالتحذير كما ألحقت المقتولة بالميته ، وكما حرم الله ما فيه جماع الرجس من التحذير وجماع الإثم من الخمر حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه ^١ حظ من ذلك ، فألحق بالتحذير السباع حماية ^٢ من سورة غضبها لشدة المضرة في ظهور الغضب من العيد لأنه لا يصلح إلا لسيدهم ، وحرم الخمر الإلهية حماية من بلادتها برحائها الذي هو علم غريزة الخرق في الخلق ، وألحق صلى الله عليه وسلم بتحريم الخمر التي سكرها مطبوع ^٣ تحريم المسكر الذي سكره مصنوع ، وكما حرم الله ما يفر العبد في ظاهره وباطنه حرم عليه فيما بينه وبينه ما يقطعه عنه من أكل الربا ، [والربا - ^٤] وضع وسبعون بابا و الشك ١٠ مثل ذلك ، و جامع منزله في قوله تعالى " الذين يأكلون الربوا " - إلى قوله : و أحل الله البيع و حرم الربوا " - إلى انتهاء ذكره إلى ما ينظم من ذلك في قوله : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ^٥ - الآية ما يلحق بذلك في قوله : وما أنتم من ربا " - الآية ، هكذا قال : إن هذه الآية مدنية . وهو - مع ^٦ كوني لم أره لغیره - مشكل ١٥ بقوله " قد فصل لكم ما حرم عليكم " - الآية .

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : حتما به (٣) في ظ : مطبوع - كذا (٤) ريد من ظ (٥) سورة ٢ آية ٢٧٥ (٦) سورة ٣ آية ١١٣ (٧) سورة ٣ آية ٣٩ (٨) من ظ ، وفي الأصل : موضع (٩) راجع آية ١١٩ من سورة الأنعام وهي مكية .

ولما كان تحريم الربا لما بين الرب والعبد، كان فيه^١ الوعيد بالإيذان بحرب من الله ورسوله، ولذلك حمت الأئمة ذرائعه أشد الحماية، وكان أشدهم في ذلك عالم المدينة حتى أنه^٢ حصى من صورته^٣ من الثقة بسلامة الباطن منه، وعمل^٤ بضد ذلك في محرمات ما بين العبد ونفسه، وكما حرم الله الربا فيما بينه وبين عبده من هذا الوجه الأعلى كذلك حرم = أكل المال بالباطل فيما بين العبد وبين غيره من الطرف الأدنى، وجامع منزله في قوله تعالى "ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتسلوها [الى الحكماء]" - الآية إلى ما ينظم به^٥ من قوله تعالى: [يا ايها الذين امنوا -^٦] لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم - إلى ما ينظم به من قوله تعالى: و'اتوا اليسرى اموالهم' - الآية في ١٠ أموال ليتامى، فخرمه تعالى من جهة الأعلى والمثل والأدنى، وانظم التحرير في ثلاثة أصول: من جهة ما بين الله وبين عبده، ومن جهة ما بين العبد و [بين -^٧] نفسه، ومن جهة ما بين العبد وبين غيره، مما تستقرأ^٨ جملة آيه في القرآن وأحاديثه في السنة ومسائله في فقه الأئمة، ولما كان له مقسع - وقع فيما بين الحلال وبين الحرام ١٥

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: كانه (٣) في ظ: سورة (٤) في ظ: علم (ه) من ظ و القرآن الكريم سورة ٢ آية ١٨٨، وفي الأصل موضعه: يا ايها الذين آمنوا (٦) زيد من ظ و القرآن الكريم (٧) في (١) بذلك (٨) ظ. زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ٤ آية ٢٩ (٩) سورة ٤ آية ٢ (١٠) زيد من ظ (١١) في الأصل: يستقروا، وفي ظ: تستقر.

البين أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس ، لأنها تشبه الحلال
 من وجه وتشبه الحرام من وجه ، فلو قوعها بينهما يختلف فيها الأمة
 علما ، ويختب جميعها الصالحون عملا ، من اتقى الشبهات استبرا لدينه في
 العقبي ولرضه في الأولى ، وعن حماية الله عباده عن ويل الحرام تحقق
 ٥ لهم اسمه « الطيب » ، لم يتطلب بطلب الله من لم يحتم عن محرمانه
 ومتشابهاتها ، وهو الورع الذي هو ملاك الدين ، ولا حول ولا قوة
 إلا بالله العلي العظيم ، ثم قال فيما تحصل به قراءة [حرف - ٢] الحرام
 تماما في العلم والحال والعمل : اعلم أن الإنسان لما كان خلقا جامعا كانت فيه
 بزرتان : بزره للخير وبزره للشر ، وبحسب تطهره وتخلصه من مزاحمة
 ١٠ نبات بزره الشر تنمو فيه وتزكو بزره الخير ، ولكل واحدة من البزتين
 منبت في جسمه وقسه وقواده ، فأول الحروف في الترتيب العمل ، والأساس
 لما بعده هو قراءة حرف الحرام ، لتحصل به طهارة البدن الذي هو السابق
 في وجود الإنسان ، فز غنى بالحرام في طفولته لم يقدر على اجتناب
 الآثام في كهولته إلا أن يظهر الله بما شاء من نار الورد في الدنيا من
 ١٥ الأمراض والضراء ، فهو الأساس الذي ينبغى عليه تطهر النفس من
 المناهي وتطهر القواد من العمه والمجاهل ، والذي تحصل به قراءة هذا
 الحرف هو الورع الحاجر عما يضر بالجسم ويؤذى النفس وما يكره الخلق
 (١) من ظ ، وفي الأصل : الطيب (٢) ريد من ظ (٣) في ظ : مزاحات (٤) من
 ظ ، وفي الأصل : ينمو (٥) في ظ : ينشا .

وما يغضب الرب، فمن أصاب شهسا من ذلك ولم يبادر إليه بالتوبة عذب بكل آية قرأها وهو عظام لحكمها من لم يبال من أى باب دخل^١ عليه رزقه لم يبال الله من أى باب أدخله النار.

ولما كان الورع كف اليد ظاهرا^٢ عن الشيء الضار، وكانت الجوارح لا تنقاد إلا عن تأثر من النفس، لم يصح الورع ظاهرا^٣ إلا أن يقع في النفس روعة باطنه من تناول ذلك الشيء^٤، ولما كانت النفس لا تتأثر إلا عن تبصر القلب في الضار كما لا ينكشف اليد إلا عند تقدر النفس^٥ لما تدرك العين قدره^٦ حتى أن النفس الرضيه تأقف من المحرمات كما يأقف المستنظف من المستنذرات، فأكلة الحرام هم^٧ دود جيفة الدنيا يستفندهم أهل البصائر كما يستفندون هم دود جيف المزابيل.

ولما كان الحرام ما يضر العبد في نفسه كالمية، تيسر على المستبصر كف يده عنها لما يدرى من مضرتها بجسمه، وكذلك الدم المسفوح لأنه ميتة بانفصاله عن الحي ومفارقة لروح الحياة التي تغالطه في المروق، قلت: وسيأتى قريبا تعليله في التوراة بما يقتضى أنه أكثر فضلا في النفس و تطييعا لما^٨ تخلق ما هو^٩ دمه من اللحم - والله الموفق، وكذلك^{١٥} ما يضر بنفسه كلهم الخنزير لأنه رجس، والرجس هو خبائث الأخلاق^{١٠} التي [هي - ٦] عند العقلاء أقبح من خبائث الأبدان، وذلك لأن^{١١}

(١) في ظ: فصل (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) في ظ: قدرة.
(٤) سقط من ظ (٥ - ٥) من ظ، وفي الأصل: حنات الاخلاط (٦) ريد من ظ (٧) في ظ: ان.

من اغتذى جسمه بلحم حيوان اغتذت نفسه بنفسانية ذلك الحيوان
 وبخلق^١ من أخلاقه، وفي نفس التحذير مجامع ردائل الأخلاق من
 الإباء والحران والمكر والإقدام على ما يعاينيه فيه الهلاك ومتابعة
 الفساد، والانكباب على ما تقبل^٢ عليه في أدنى^٣ الأشياء على ما ظهرت
 ٥ في خلقته آياته فإنه ليس له استشراف كدورات الاعتناق، وكذلك ما
 يضربها^٤ وبالمقل كالخمر في نزفها للمقل وتصديعها للرأس وإيقاعها
 العداوة والبغضاء في خلق النفس، ولذلك هي جماع الإثم، فالتبصر
 في المحرمات يأتي منها لما يدرى من مضرتها وأذاها في الوقت الحاضر
 وفي معيها^٥ في يوم الدنيا إلى ما أخبر به من سوء عقابها في يوم الدين،
 ١٠ / ٢٦٥ ومن / شرب الخمر ومات ولم يتب منها كان حقا على الله أن يسقيه
 من طينة الجبال، وهي عصارة أهل النار، ولو هدد شاربها في الدنيا
 من له أمر بأن يسقيه من بوله ورجيعه لوجد من الورع ما تحمله
 على الورع عنها، وإذا استبصر ذو دراية فيما يضره في ذاته فأقف
 منه رعاية نفسه لحق له بذلك التزام رعايتها عما يتطرق له منه درك
 ١٥ من جهة غيره فيتورع من^٦ أكل أموال الناس بالباطل لما يدرى من
 المؤاخذه عليها في العاجل وما أخبر به من المعاقبة عليها في الآجل،
 ولها في ذاته مضرة في الوقت^٧ بتعرفها من موارد القرآن بنور الإيمان

(١) من ظ، وفي الأصل: تخلى (٢) في ظ: يقبل (٣) من ظ، وفي الأصل:
 ادنى (٤) من ظ، وفي الأصل: هما (٥) في ظ: مغبتها - كذا (٦) في ظ: عن.
 (٧) من ظ، وفي الأصل: الوقت.

”الذين ياكلون اموال اليتيم ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا“^١ وإن لم يحس بها ، وليس تأويله الوعد بالنار لأن ذلك إنباء عند قوله تعالى ”وسيصلون سميرا“ ، وكذلك إذا أقب عما يضره في نفسه وخاف مما يتطرق إليه ضره من غيره ، أعظم أن يقرب حى ما يتطرق إليه السلوة من ربه لأجله ، وذلك فيما حرم عليه حماية لعظيم ملكه وعدم التفاوت ٥ في أمر رحانيته في محرم الربا ، ولما فيه أيضا من مضرة وقته الحاضر التى يقيدھا بالإيمان من تعريف ربه ، فانه تعالى كما^٢ عرف أن أكل مال الغير بالباطل نار في البطن ، عرف أن أكل مال الربا جنون في العقل وخبال في النفس ”الذين ياكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس“^٣ وأعظم من ذلك ما حرمه الله لمرأته عن اسمه ١٠ عند إزهاق روحه ، لأنه مأخوذ عن غير الله ، وما أخذ عن غير الله كان أكله فسقا وكفرا^٤ لأنه تناول الروح من يد من لا يملكها ، ولذلك فرضت التسمية في التذكية ونطقت فيما سوى ذلك ، فلا تصح قراءة هذا الحرف إلا بتبصرة القلب فيه وروعة النفس منه وورع اليد عنه ، وإلا فهو من الذين يقرأون حروفه ويضيعون حدوده ، الذين قال ١٥ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ”كثير هؤلاء من القراء ، لا كثرهم الله“ ومن لم تصح له قراءة هذا الحرف لم تصح له قراءة حرف سواه

(١) سورة ٤ آية ١٠ (٢) من ظ ، وفي الأصل : يقبلها (٣) في ظ : لا (٤) سورة ٢ آية ٢٧٥ (٥) في ظ : اعلم (٦) من ظ ، وفي الأصل : كفى - كذا .

ولا تصح له عبادة، وهو الذى لا يزيد صلاته^١ من الله إلا بعداء،
ولا يقبل منه دعاؤه^٢ الرجل يطلب الله مطعمه^٣ حرام ومشربه حرام
وملبسه حرام وغذى بالحرام، يقول: يا رب يا رب أفنى يستجاب
لذلك^٤، فهذه^٥ قراءة هذا الحرف وشرطه - والله ولى التوفيق .

- ٥ ولما كان قوله "طاعم" نكرة في سياق النفي، يحرم كل طاعم
من أهل شرعنا وغيرهم، وكان سبحانه قد حرم على اليهود^٦ أشياء
غير ما تقدم، اقتضت إحاطة العلم أن قال مبينا لإحاطة علمه وتكذيبا
للإهود^٧ في قولهم: لم يحرم الله علينا شيئا، إنما حرما على أنفسنا ما حرم
إسرائيل على نفسه: ﴿وعلى الذين هادوا﴾ أى اليهود ﴿حرما﴾
١٠ بما لنا من العظمة التى لا تدافع ﴿كل ذى ظفر﴾ أى على ما هو كالإصبع
للأدمى من الإبل^٨ والسباع والطيور التى تتقوى بأظفارها
﴿ومن البقر والغنم﴾ أى التى هى ذوات الأظلاف ﴿حرما﴾ أى
بما لنا من العظمة ﴿عليهم شعومها﴾ أى الصنفين، ثم استثنى فقال:
﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ أى من الشعوم مما علق بالظهر والجنب
١٥ [من داخل بطونها - *] ﴿أو الحوايا﴾ وهى الأمعاء التى هى متعاطفة
متلوية، جمع حوية فورنها فمائل^٩ كسفينة وسفائر، وقيل: جمع حاوية
أو حارياه^{١٠} كمصاصاء ﴿أو ما احتلط﴾ أى [من - *] الشعوم

(١) من ظ، وفى الأصل: صلوة (٢١) من ظ، وفى الأصل: مطعم (٣) فى
ظ: وهذه (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ .
(٧) من ظ، وفى الأصل: عاريا - كذا .
(٨) من ظ، وفى الأصل: عاريا - كذا .

(بعضهم^١) مثل شحم الآلية فإن ذلك لا يحرم، وهذا السياق يتقدم الجار

و بناء الكلام عليه يدل على أن ما عدا المذكور من الصنفين حلال لهم .

ولما كان كأنه قيل : لم حرم عليهم هذه الطيبات ؟ قيل : (ذلك) أى

التحريم العظيم و الجزء الكبير [و هو تحريم الطيبات -^٢] (جزئهم) أى

بما لنا من العظمة (ينهيهم^٣) أى فى أمورهم / التى تجاوزوا فيها الحدود ، ٢٦٦ / ٥

[و -^٢] فى إيلاء هذه الآية - التى فيها ما حرم على اليهود - لما قبلها

مع الوفاء بالمقصود من حصر محرمات المطاعم على هذه الأمة و غيرها

أمران جليان : أحدهما بيان إطلاعه صلى الله عليه وسلم على تفصيل

ما أوحى إلى من تقدمه و لما يشامم أحدا من أتباعهم و لا دارس

عالمًا و لا درس علما قط ، فلا دليل على صدقه على الله أعظم^٤ من ذلك ، ١٠

و الثانى تفضيله هذه الأمة بأنه أحل لها الخبائث عند الضرورة رحمة لهم ،

و أزال عنها فى تلك الحالة ضررها و لم يفعل بها كما فعل باليهود فى أنه

حرم عليهم طائفة من الطيبات و لم يحلها لهم فى حال من الأحوال عقوبة

لهم ، و فى ذلك آثم تحذير لهذه الأمة من أن يخفوا فيعاقبوا كما عوقب

من قبلهم على ما نبه عليه^٥ فى قوله " غير محى الصيد و أتم حرم " فبان ١٥

الصدق و حصص الحق و لم يبق لتعنت كلام ، لحسن جدا ختم ذلك بقوله

(و انا لصدقون^٦) أى ثابت صدقنا أزلا و أبدا كما اقتضاه ما لنا من

العظمة ، و تعقبيه بقوله : (فإن^٧) أى و بسبب عن هذا الإيجاه الجامع الوجيز

(١) فى ظ : بتقديم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ . و فى الأصل : لم عظم - كذا .

(٤) سقط من ظ (٥) من ظ . و فى الأصل : اليه (٦) فى ظ : الإيجاه .

الدال على الصدق الذي لا شبهة فيه أنا نقول ذلك : إن (كذبوك قهلاً)
و التعمير بأداة التشك مشير إلى أن الحال يقتضى أن يستبعد أن يقع
منهم تكذيب بعد هذا (ربكم) أى المحسن إليكم بالبيان والإمهال
[مع كل امتنان (ذو رحمة واسعة ج) أى فهو مع اقتداره قضى أنه يحلم عنكم
بالإمهال - ١] إلى أجل يعلمه .

ولما أخبر عن رحمة ، فوه بعظيم سلطوته فقال : (ولا يرد بأسه)
أى ٢ إذا أراد الانتقام (عن القوم المجرمين .) أى القاطنين لما ينبغي
وصله ، فلا يفتّر أحد بامهاله فى سوء أعماله وتحقيق ٣ ضلاله ، وفى
[هذه الآية من شديد التهديد مع لطيف الاستعطاف ما هو مسبوك على
١٠ الحد - ١] الأقصى من البلاغة .

ولما تم ذلك فلم أن إقدامهم على الأحكام الدينية بغير حجة
أصلاً ، اقتضى الحال أن يقال : [قد - ١] بطل بالعقل والنقل جميع
ما قالوه فى التحريم على وجه أبطل شركهم ، فهل بقى لهم مقال ؟ فأخبر
سبحانه بشبهة يقولونها اعتذاراً عن جهلهم على وجه [هو وحده - ١]
١٥ كاف فى الدلالة على حقيقة ما يقوله ٥ من الرسالة ، فوقع طبق ما قال
عن أهل الضلال ، فقال غبراً بما سيقولونه قبل وقوعه دلالة على صدق
رسله وكذب المشركين فيما يخالفونهم فيه : (سيقول) أى فى المستقبل ،
و أظهر موضع الإضمار تنصيصاً عليهم وتبكيثاً لهم فقال : (الذين أشركوا)

(١) زيد ما بين الحائزين من ظ (٢) زيد فى ظ : الذى (٣) فى ظ : تحقق .
(٤) من ظ ، وفى الأصل : حقيقة (٥) من ظ ، وفى الأصل : يقول .

تكذبا منهم ﴿ لو شاء الله ﴾ أى الذى له جميع الكمال عدم إشراكنا
وتحرينا ﴿ ما اشركنا ﴾ أى بضم ولا غيره ﴿ ولا أبأونا ﴾ أى ما
وقع من إشراك ﴿ ولا حرنا من شيء ﴾ أى ما تقدم من البحار
و السائب و الزروع وغيرها أى^٢ ولكنه لم يشأ الترك و شاء الفعل ففعلنا
طوع مشيئة، وهو لا يشاء إلا الحق و الحكمة لأنه قادر، فلم يكن حقا
يرضاه لمنعنا منه، وهو لم يمنعنا منه فهو حق .

ولما كان هذا عنادا منهم ظاهرا بعد وضوح الأمر بما أقام على
صدق رسله من البينات، كان كأنه قيل تعجبا منهم : [هل -^٣] فعل
أحد غيرهم مثل فعلهم هذا أو قال مثل ما قالوا ؟ قيل : نعم ﴿ كذلك ﴾
أى مثل ذلك التكذيب البعيد عن الصواب ﴿ كذب الذين ﴾ ولما
لم يكن التكذيب عاما أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلهم ﴾ من الأمم
الحالية بما أوقفوا من محو هذه المجادلة فى قولهم إذا كان الكل بمشيئة
الله كان التكليف عبثا، فكانت دعوى الأنبياء باطلة، وهذا قول من
المشركين عناد بعد ثبوت الرسالات بالمعجزات وإخبار الرسل بأنه يشاء
الشيء و يعاقب عليه لأن ملكه تام وملكه عام، فهو لا يسأل عما يفعل . ١٥
وتمادى بهم غرور التكذيب ﴿ حتى ذاقوا باسنا^٤ ﴾ أى عذابنا لما لنا من
العظمة، فإن من له الأمر كله لا يسأل عما يفعل^٥، فلم ينفعهم عنادهم
عند ذوق البأس، بل^٦ انحلت عزائمهم فغضبوا لنا و آمنوا برسالتنا،

٢٦٧ /

(١-١) من ظ، وفي الأصل : بما (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من
ظ، وفي الأصل « و » (٥) في ظ : بما (٦) زيد في ظ : و تدامى بهم غرور
التكذيب .

فلم يك ينضمهم إليهم لما رأوا بأسنا ، قَالَاية من الاحتمالك : أثبت أولا
الإشراك دليلا^١ على حذف ثانيا ، وثانيا التكذيب دليلا على حذف أولا ،
وسياق توجيه أنه لا بد من تضليل إحدى الطائفتين المتحادتين^٢ وإن
كان الكل بمشيئة الله ، لأنه لا مانع من إتيان الأمر على خلاف الإرادة .
و لما كان ما قالوه شبهة بعيدة عن العلم ، أعلى درجاتها أن يكون
من أنواع الخطابة قفيدة^٣ الظن في أعظم مسائل علم الأصول الذي لا يحل
الاعتماد فيه إلا على القواطع ، أمره أن يقول لهم ما ينهمهم على ذلك فقال :
(قل) أى هؤلاء الدين تلقوا ما يلقيه الشيطان إليهم - كما أشير إليه
في سورة الحج - [تهكم بهم و بعدم عن العلم وجدالهم بعد نهوض
١٠ الحجج -] (* مر عندكم *) أيها الجهلة ، و أغرق في السؤال فقال :
(من علم) أى يصح الاحتجاج به في مثل هذا المقام الضنك
(فتخرجوه لنا *) أى لى ولا تناهى وإن كان مما يجب أن يكون
مكنونا مضمونا به على غير أهله مخزونا ، فهو تهكم بهم .

و لما كان جوابهم عن هذا السكوت لأنه لا علم عندهم ، قال دالا
١٥ على ذلك : (ان) أى ما (تبينون) أى في قولكم هذا وغالب
أمورك (الا الظن) أى في أصول دينكم وهى لا يحل فيها قول إلا بقاطع
(وان) أى وما (انتم الا تخرصون *) أى تقولون تارة
(١) من ظ ، وفي الأصل : دليل (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : فيفيد (٤) زيد
ما بين الحارين من ظ (٥ - ٥) تأخر في الأصل عن « السؤال فقال » والترتيب
من ظ (٦) في ظ : (٧) من ظ ، وفي لأصل : يقولون .

بالحرر والتخمين وتارة بالكذب المحض اليقين .

ولما اتقن^١ أن يكون لهم حجة ، وثبت أن الأمر إنما هو لله ، ثبت أنه المختص بالحجة الواضحة ، قال مسياعن ذلك : (قل فله) أى الإله الأعظم وحده^٢ (الحجة البالغة) أى التى^٣ بلغت أعلى درجات الحق قوة ومثانة وبيانا ووضوحا ورصانة بسبب أنه شامل العلم كامل القدرة كما أقرتم بذلك حين قلتم " و^٤ لو شاء الله ما اشركنا " وإن كنتم قلمتموه على سبيل الإلزام والعناد لا لأجل الدين والاعتقاد (فلو شاء) أى الله (لهدنكم) أى أتم ومخالفكم (اجمعين) ولكنه لم يشأ ذلك ، بل شاء هداية بعض وضلال آخرين ، فوقع ذلك على الوجه الذى شاءه ، فلمزم على قولكم أن يكون الفريقان محقين ، فيكون الشيء الواحد حقا غير حق فى ١٠ حال واحد ، وهذا لا يقوله عاقل ، ويلزمكم على ذلك أيضا^٥ أن توالوا أخصامكم ولا تعادوهم وإن فعلوا ما فعلوا ، لأنه حق رضى الله لأنه ممشيته وأنتم لا تقولون ذلك ، فبطل قولكم قُتبت أنه قد يشاء الباطل لأنه لا يستل عما يفعل ويرسل الرسل [إليكم -^٦] لإزالته ليقيم بهم الحجة على من^٧ يريد عقابه على ما يتعارفه الناس بينهم ، وورود^٨ الأمر على ١٥ خلاف الإرادة غير معتنع .

ولما صدق الحق ، [و-^٩] انكسر جند الباطل واندق يطلان

(١) من ظ ، وفى الأصل : تنعى - كذا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الذى (٤) من ظ ، وفى الأصل : حق (٥) من ظ ، وفى الأصل : لا . (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : ما (٨) من ظ ، وفى الأصل : ورد .

جميع شبههم ، و نطقت الدلائل و ألحم المجادل ، فإن أنه لا شاهد لهم بحق
 لأنه لا حق لهم ، كان كأنه قيل : قل لهم : ها أنا قد شهد لي بما قلته من
 لا ترد شهادته و زكافى الذى لا يقبل إلا تركيته بهذا الكتاب الذى كان
 يحجزكم عن الإتيان بشئ من مثله شاهدا بأنه قوله ، هل لكم أتم من شاهد
 يقبل ١ و لما لم يكن لهم شاهد غير متخصيم^٢ ، فإن المبطل يظهر باطله
 عند المحاكمة سنة من الله مستمرة ، فيظهر للشهود لهم بما يلوح من بهتهم
 أنهم ليسوا على شئ^٣ ، أمره سبحانه أن يأمرهم بدعائهم ليظهر خزيهم
 و تشتت فضيحتهم^٤ فقال : (قل لهم) أى احضروا ، و هى كلمة دعوة
 يستوى فيها المذكر و المؤنث و الواحد و الجمع عند الحجازيين
 ١٠ (شهداءكم) .

و لما كان كأنه قيل : أى شهداء ؟ قال : (الذين يشهدون) أى
 يقومون الشهادة على (أن الله) أى الذى لا حكم لغيره (حرم هذا)
 أى الذى ذكرتموه من قبل ، و إضافة الشهداء إليهم و وصفهم
 بـ « الذين » دليل على أنهم معروفون / موسومون بنصرة مذهبهم بالبطل ،
 ١٥ و لو قال : شهداء - من غير إضافته لأهم أن المطلوب من يشهد بالحق
 و ليس كذلك ، لأنه أقيم الدليل العقلى على أنه لا حاجة لهم و أن الحجة

(١) فى ظ : هذا (٢) فى ظ : محترسهم (٣) العبارة من هنا إلى « عند الحجازيين »
 تقدمت فى ظ على « فإن المبطل » (٤ - ٤) من ظ ، و فى الأصل : شهر فضيحتهم
 - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : عن (٦ - ٦) من ظ ، و فى الأصل : أنتم
 معروفون - كذا .

فه على خلاف ما ادعوه ، فبطل قطعا أن يكون أحد يشهد على ذلك بحق .

ولما كان كآته قيل : فانهم إذا أحضروا^١ لا يقدرّون - إن كان لهم عقل أو فهم حياء^٢ - على النطق إذا سمعوا هذا الحق ، نبي عليه قوله : ﴿ فان ﴾ اجتروا بوقاحة ﴿ شهدوا ﴾ أى كذبا و زورا بذلك ٥ الذى أبطلناه بالأدلة القطعية ﴿ فلا تشهد معهم ﴾ أى فتركهم [ولا تسلّم لهم - ٣] ، فانهم على ضلال و ليست شهادتهم مستندة [إلا - ٢] إلى الهوى ﴿ ولا تتبع أهواء ﴾ وأظهر موضع الإضمار تعميما و تعليqa للحكم بالوصف دلالة على أن القائد إلى التكذيب و كل ردى إنما هو [الهوى - ٢] ، و أن من خالف ظاهر الآيات إما هو صاحب هوى ، ١٠ فقال : ﴿ الذين كذبوا ﴾ أى أوقموا التكذيب ﴿ بآيتنا ﴾ أى على ما لها من الظهور بما لها من العظمة بإضافتها إلينا .

ولما وصفهم بالتكذيب ، أتبعه الوصف بعدم الإيمان ، ودل بالنسق بالوار على المرافقة فى كل من الوصفين فقال : ﴿ و الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ أى لى [هى - ٢] دار الجزاء . فانهم لو جوزوها ١٥ ما اجتروا على العجور ﴿ وهم برهم ﴾ أى الذى لا نعمة عليهم ولا حير عدم إلا هو منه وحده ﴿ يعدّون ﴾ أى يجعلون غيره عدلا له ، و سيعلون حين يقولون لشركائهم وهم فى جهنم يختصمون " والله ان كنا لنى ضلال مبين اذ سويكم رب العلين " .

(١) فى ظ : حضروا (٢) فى ظ : حياة (٣) زيد من ظ. (٤) من ظ ، وفى الأصل : حورها (٥) سورة ٢٦ آية ٩٧ و ٩٨ .

ولما أبطل دينهم كله أصولاً وفروعاً في التحريم والإشراك، وبين فسادهم بالدلائل الثيرة، ناسب أن يخبرهم [بالدين الحق - '] بما حرمه الملك الذى له الخلق والأمر [ومن غيره - ']، فليس التحريم لأحد غيره فقال: ﴿ قل تعالوا ﴾ أى أقبلوا إلى صاعدين من حضيض الجهل والتقليد ٥ وسوء المذهب إلى أوج العلم ومحاسن الأعمال؛ قال صاحب الكشف: هو من الخاص^٢ الذى صار عاماً، يعنى حتى صار يقوله الأسفل للأعلى ﴿ اتل ﴾ أى اقرأ، من التلاوة وهى إتباع بعض الحروف بعضها^٣. ولما كان^٤ القصد عموم كل أحد بالتلاوة، [وإنما خص مخاطبين بالذكر لاعتقادهم خلاف ذلك - ']، و^٥ كان المحرم أمم، قدمه فقال: ﴿ ما حرم ربكم ﴾ ١٠ أى المحسن إليكم بالتحليل والتحريم ﴿ عليكم ﴾ مسخطة منكم. وما وصاكم به إقداماً وإحجاماً فرضية^٦ لكم من قبيل^٧ الأصول والعروج؛ ثم فسر فعل التلاوة ناهياً عن الشرك، وما سده من مضمون الأمر إماماً عدى عنها، فقال: ﴿ لا تشركوا به شيئاً ﴾ الآيات مرتباً بجلها أحسن ترتيب، بدأ بالتوحيد فى صريح الرأفة من الشرك إشارة إلى أن التخلي عن الرذائل ١٥ قل التحلى بالمعاضل، فإن التقية^٨ بالحية قل الدواء، وقرن به البر لأنها من باب شكر المصمم وتعظيماً لأمر العقوق، ثم أولاه القتل الذى هو أكبر الكسائر بعد الشرك، وبدأه بقتل الولد لأنه أخفسه وأخش من مطلقه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: بما (٣) فى ظ «و» (٤ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) زيد بعده فى ظ: لما (٦) من ظ، وفى الأصل: مرضته (٧) من ظ، وفى الأصل: قيل (٨) فى ظ: التقية.

صله^١ خوف القلة، فلما وصى بأول واجب للنعم الأول الموجد من العدم، أتبعه ما لأول منعم بعده بالتسبب في^٢ الوجود، فقال ناهيا عن الإساءة في صورة الأمر بالإحسان على أوكد وجه لما للنفوس من التهاون في حقها، وكذا جميع المأمورات ساقها هذا السياق المفهم لأن أضعافها منهي عنها ليكون مأمورا بها منها عن أضعافها، فيكون ذلك أوكد لها ٥
وأضخم : ﴿ وبالوالدين ع ﴾ أى افعلوا بهما ﴿ احسانا ع ﴾ .

ولما أوصى بالسبب في الوجود، نهى عن التسبب في الإعدام وبدأ بأشده فقال : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم ﴾ ولما كان النهى عاما، وكان ربما وحب على الولد قتل، خص لبيان^٣ الجهة فقال : ﴿ من املاق^٤ ﴾ أى من أجل فقر حاصل بكم، ثم علل ذلك، ولأجل أن الظاهر هو^٥ حصول ١٠ المقر قدم الآباء فقال : ﴿ بمن رزقكم ﴾ بالخطاب، / أى أيها الفقراء، ثم عطف عليه الأبناء فقال : ﴿ وإياهم ع ﴾ وظاهر قوله في الإسراء " خشية املاق "، أن الآباء موسرون ولكنهم يخشون من إطعام الأبناء الفقر. مدأ بالأولاد فقال : " [من -^٦] رزقهم " ثم عطف الآباء فقال " وإياكم " -
نبه عليه أبو حيان .

١٥

ولما كان قتلهم ألحش الفواحش مد^٧ الشرك. أتبعه نهى عن مطلق الفواحش، وهى ما غلظت^٨ قباحته، وعظم أمرها بالنهى عن (١) في ظ : ملعه - كذا (٢) في ظ : الى (٣) في ظ : بيان (٤) سقط من ظ . (٥) آية ٣١ (٦) زيد من ظ والقرآن الكريم (٧) في ظ : ثم (٨) من ظ ، وفي الأصل : عطفت .

القرآن فضلا عن الغشيان فقال: ﴿ولا تقرروا الفواحش﴾ ثم أبدل منها تأكيداً للتعميم قوله: ﴿ما ظهر منها﴾ أى الفواحش ﴿وما بطن﴾ ثم صرح منها بمطلق القتل تعظيماً له بالتخصيص^١ بعد التعميم فقال: ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله﴾ أى الملك الأعلى عليكم قتلها ٥ ﴿إلا بالحق﴾ أى الكامل، ولا يكون كاملاً إلا وهو كالشمس وضوحاً لاشبهة فيه، فصار قتل الولد منها عنه ثلاث مرات، ثم أكد المذكور بقوله: ﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم فى هذه المذكورات.

ولما كانت هذه الأشياء شديدة على النفس، ختمها بما لا يقوله^٢ إلا المحب الشفوق ليتقبلها القلب فقال: ﴿وخصم﴾ أمراً ونهياً، ولما كانت هذه الأشياء لعظيم خطرها وجلالة وقعها فى النفوس لا تحتاج إلى مزيد فكر قال: ﴿لعلكم تعقلون﴾ أى لتكونوا على رجاء من المشى على منهاج العقلاء، فلم من ذكر الوصية أن هذه المذكورات هى الموصى بها والمحرمات أضرارها، فصار شأنها مؤكداً من وجهين: التصريح بالتوصية^٣ بها، والنهى عن أضرارها.

١٥ ولما كان المال عدل الروح من حيث أنه لا قوام لها إلا به، ابتداء الآية التى تليها بالأموال، ولما كان أعظمها خطراً حرمة مال القيم لضعفه وقلة ناصره، ابتداء به فنهى عن قربه فضلاً عن أكله أو شره

(١) من ظ، وفى الأصل: بالتخفيف (٢) من ظ، وفى الأصل: لا تقوله.
(٣) فى ظ: ليقبلها (٤) من ظ، وفى الأصل: يكونوا (٥) فى ظ: العقل (٦) من ظ، وفى الأصل: بالوصية.

قال: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾ أى بنوع من أنواع القربان عمل فيه
أو غيره ﴿إلا بالتي هي أحسن﴾ من الحاصل من السعى فى تميته و تثيره
و ليستمر ذلك ﴿حتى يبلغ أشده﴾ و هو من يبلغ به أوان حصول
عقله عادة و عقل يظهر به رشده ، ثم ثنى بالمقادير على وجه يعم فقال:
﴿و ارفوا﴾ أى أموالا ﴿الكيل و الميزان﴾ لأنهما الحكم فى أموال الأيتام ،
و غيرهم ؛ و لما كان الشيء ربما أطلق على ما قاربه نحو " قد قامت الصلاة "
أى قرب قيامها ، و هذا وقت كذا - إذا قرب جدا ، أزيل هذا الاحتمال
بقوله: ﴿بالقسط﴾ أى أبغاه كاتبا به من غير إرطاط و لا تضييق .

و لما كانت المقادير لا تكاد تتساوى لا سيما الميزان فانه أبعدا
من ذلك ، و أقربها الذرع و هو داخل فى الكيل ، فانه يقال : كال ١٠
الشيء بالشئ : قاسه ، أشار إلى أنه ليس على المكلف المبني أمره على
العجز للضعف إلا الجهد فقال: ﴿لا تكلف﴾ أى على ما لنا من العظيمة
﴿فما الا وسعها﴾ و ما ، راء الوسع معضو عنه ، ثم ثلث بالعدل فى
القول لأنه الحكم على الأموال و غيرها ، و قدم عليه الفعل لأنه دال
عليه ، فصار الفعل موصى به مرتين فقال: ﴿و اذا قلتم﴾ أى فى شهادة ١٥
أو [فى - ٢] حكم أو توفيق بين اثنين أو غير ذلك ﴿فاعدلوا﴾ أى
توفيقا بين القول و الفعل .

و لما كانت النفوس مجبولة على الشفقة على القريب قال :

(١) من ظ ، و فى الأصل : أشده (٢) فى الأصل و ظ : ثبت (٣) ريد من ظ .

(٤) من ظ ، و الأصل : توفيق (٥) سقط من ظ .

(ولو كان) أى المقول فى حقه له أو عليه بشهادة أو غيرها (ذا قربى ع) ولا تحابوه طمعا فى مناصرته أو خوفا من مضارته^١ ثم ختم بالمهد بجمعه الكل فى القول و الفعل / قال: (و بعهد الله) أى الملك الأعظم خاصة (أوفوا^٢) وهذا يشمل كل ما على الإنسان و له ، فان الله لم يعمل شيئا ه بغير تقدم فيه^٣ ثم أكد تعظيم ذلك بقوله: (ذلكم) أى الامر المعنى به (و وصمكم به) أى ربكم المحسن إليكم .

ولما كانت هذه الأفعال و الأقوال شديدا على النفس العدل فيها لكونها^٤ شهوات ، تقدم بالترغيب فيها و الترهيب منها بأن كل من يفعل شيئا منها مع غيره يوشك أن يفعل معه مثله ، فلذلك حض ١٠ على التذكر فى الوصية بها ولأنها خفية^٥ تحتاج إلى مزيد تدبر قال: (لعلكم تذكرون^٦) أى لتكونوا بحيث يحصل لكم التذكر - ولو على وجه خفى بما أشار إليه الإدغام - فيما جبلت عليه نفوسكم من محبة مثل ذلك لكم ، فتحكموا لغيركم بما تحكمون به لأنفسكم .

ولما قرر هذه الشرائع ، نبه على تعظيمها بالخصوص على وجه يحم ١٥ جميع ما ذكر فى السورة بل ، فى غيرها ، فقال عاطفا على ما تقديره - عاطفا على المنهيات و أضرار المأمورات على وجه يشمل سائر الشريعة - : ولا تزيفوا عن سبيل^٧: (و ان) أى ولأن - على قراءة الجماعة بالفتح ، أى اتبعوه لذلك ، وعلى قراءة ابن عامر و يعقوب بالكسر هو ابتداء

(١) من ظ ، وفى الأصل: المعين (٢) فى ظ: يكونها (٣) من ظ ، وفى الأصل: حقيقة (٤ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ .

(هذا) أى الذى شرعته لكم (صراطى) حال كونه (مستقيما فاتبوه)

أى بناية جهنم لأنه الجامع للبياد على الحق الذى فيه كل خير .

ولما كان الأمر باتباعه متضمنا للنهى 'عن غيره' ، صرح به

تأكيدا لأمره فقال : (ولا تقبوا السبل) أى المنشعبة عن الأهوية المفرقة

بين العباد ، ولذا قال مسيا (ففرق بكم) أى تلك السبل الباطلة .

(عن سبله)^٢ ، ولما مدحه أمرا به ناهيا عن غيره ميئا للعة فى ذلك ،

أكد مدحه فقال : (ذلكم) أى الأمر العظيم من اتباعه (وتوكل به) .

ولما كان قد حذر من الزلل عنه ، وكان من المعلوم أن من ضل

عن الطريق الأقوم وقع فى المهالك . وكان كل من^٣ يتخيل أنه يقع فى

مهلك يخاف ، قال : (لعلمكم تتعون .) أى اتبعوه و اتركوا غيره ليكون ١٠

حالكم حال من يرجى له أن يخاف من أن يزل فيضل فيهلك ، وهذا

كما مدحه سبحانه سابقا فى قوله " وهذا صراط ربك مستقيما " ، " قد

فصلنا الآيت لقوم يذكرون " ، فصل ما هنا من الأحكام فى ثلاث

آيات ، وختم كل آية لذلك بالوصية ليكون ذلك أكد فى القول فيكون

أدعى^٤ للقبول ، وختم كل واحدة منها بما ختم لأنه إذا كان العقل دعا ١٥

إلى التذكر فعمل على التقوى .

ولما كانت هذه الآيات الثلاث وافية بالآيات العشر التى كتبها الله

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : على وجه خفى ملبس

كما أشار إليه الإدغام (٣) من ظ ، وفى الأصل : شىء (٤) فى ظ : أكد .

لموسى عليه السلام على لوحى^١ الشهادة فى أول ما أوحى إليه فى طور سيناء
المشار إليها بقوله "وعلمتم ما لم تعلموا أتم ولا أبواكم" وبنى عليها التوراة
وأمره أن يودعها فى تابوت العهد لتكون^٢ شهادة عليهم وعلى أعقابهم
كما هو مذكور فى وسط السفر الثانى من التوراة وقد مضى بيانه فى البقرة
هـ : بآى فى آخر هذه المقالة وزائدة عليها من الأحكام والمحاسن ما شاء
الله ؛ حسن أن تذكر بعدها التوراة ، فقال مشيراً بأداة التراخى إلى كل من
الترتيب^٣ والتعظيم : (ثم اتينا) أى بما لنا من العظمة التى [تقتضى -^٤
تعظيم ما كان [من -^٤] عندنا / (موسى الكُتُب) أى المشار إليه بقوله
تعالى "قل من أنزل الكتب الذى جاء به موسى" - وهى - والله أعلم -

/ ٢٧١

١٠ معطوفة على قوله "وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر" لأنه تعالى
بعد أن أعطى موسى الشر الآيات وأوعده إلى الجبل مواعدة ثانية ، فشرع
له بعض الأحكام وأمره بنصب قبة الزمان التى^٥ يوحى إليه فيها ويصلون
إليها ، ويحضر ما يتخذ من آلاتها كما مضى فى البقرة ، ثم ذكر بعد
ذلك يسير تحريم الشحوم عليهم ، فقال فى أوائل السفر الثالث
١٥ وهو سفر الكهنة ، وفيه تلخيص^٦ أمر القرايين : ودعا الرب موسى وكله
فى قبة الأمد وقال له : كلم بنى إسرائيل : قل لهم : كل إسان منكم إذا
قرب للرب قرباناً من البهائم فلتكن قرايئكم^٧ من البقر ومن الغنم - إلى

(١) من ظ ، وفى الأصل : لوح (٢) من ظ ، وفى الأصل : ليكون .

(٣) من ظ ، وفى الأصل : الترك (٤) زيد من ظ (هـ) من ظ ، وفى الأصل :

الذى (٦) من ظ ، وفى الأصل : تخليص (٧) ق ظ : قرايينه .

أن قال^١: و يقرب قربانا [للرب الحجاب المبسوط على الاجشاء و كل
 التوب الذى على الاكشاح والكلتين - ٢] ٢ و الشحم الذى عليها وعلى
 الجنب - إلى أن قال: وقال: الشحوم^٣ للرب عهد الابد، ولا تأكلوا
 دما ولا شحما، ثم قال: و كلم الرب موسى وقال له: كلم^٤ بنى إسرائيل
 و قل لهم: لا تأكلوا شحم البقر و لا شحم النعم: الضأن والماعز جميعا، لان
 كل من أكل شحم بهيمة و^٥ يقرب قربانا للرب، تهلك تلك النفس من
 شعبها، ولا تأكلوا دما حيث ما سكتم. لا دم البهائم ولا دم الطير،
 و آية^٦ نفس أكلت دما تهلك تلك النفس من شعبها، . قال فى السفر
 الخامس: فأما الدم فلا تأكلوا ولكن ادقوه على لأرض مثل الماء،
 ثم قال بعده بقليل: و كلوا فى قراكم من كل شهوات أنفسكم، ولكن إياكم
 أن تأكلوا دما، لان دم البهيمة هو فى نفسها، فلا تأكلوا النفس^٧
 مع اللحم ليحسن إليكم وإلى اولادكم من بعدكم إذا عملتم الحسنة^٨
 أمام الله ربكم: رجس إلى "سفر الثالث" ثم قال: و دخل موسى
 وهارون إلى قبة الزمان و حرجا و دعوا الشعب، فظهر مجد الرب أمام
 جميع الشعب، و نزلت نار من قبل الرب فأحرقت الشحم و الذبيحة^٩
 الكاملة لله^{١٠} على المذبح، و عاين ذلك جميع الشعب ٢ و حمدوا الله، و خر^{١١}

(١) من ظ، و فى الأصل: تعالى - كذا (٢) ريد من ظ (٣-٣) سقط ما بين

الرقمين من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: كل (٥) سقط من ظ (٦) ريد

بعده فى ظ: كل (٧) فى ظ: الدم (٨) فى ظ: الحسنات .

الشعب كله على وجهه^١ ثم ذكر بحق ذلك يسير^٢ محرمات الحيوان، وكذا ذكر^٣ في السفر الخامس وقد جمعت بينها ومعظم السياق للخماس : قال : لا تأكلوا شيئاً نجساً، هذا ١ كلوا من جميع البهائم : الثور والعل و النجبة والمعز والأيل والظبي^٤ والجوزد والرخ والرثم والوعل^٥ والثيئل^٦ كل بهيمة ذات ظلف مقسوم ظلنها تجتر كلوها، وحرما من التي لا تجتر، ومن التي لها ظلوف مقسومة ولا تجتر^٧ الجمل والأرنب والوبر التي تجتر وليس لها أظلاف مقسومة هي نجسة لكم، وفي الثالث : وحرموا من البهائم التي ليست لها أظلاف التي تجتر^٨ : الجمل الذي يجتر وليس له أظلاف هو [نجس - ٦] محرم عليكم، والأرنب الذي ١٠ يجتر . ليس [له - ٦] أظلاف منجس محرم عليكم، رجع : والتحذير الذي له أظلاف ولا يجتر هو نجس، لا تأكلوا من لحوم هذه ولا تقربوا إلى أجسادها؛ وقال في الثالث : ولا تمسوا لحومها لأنها^٩ نجسة محرمة عليكم؛ وقال في الخامس من ترجمة الاثنين والسبعين : وإياكم أن تأكلوا كل نجس، ويكون الذي تأكلونه من الدواب العجل من البقر ١٥ والخروف من الغنم والجدي من المعز أو الأيل والغزال والعين

(١) من ظ ، وفي الأصل : سر (٢) في ظ : ذكره (٣) من ظ و التوراة ، وفي الأصل : الطير (٤) من ظ ، وفي الأصل : الفيل ، وفي التوراة : الثيئل - وهو صحيح (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ - (٧) من ظ . وفي الأصل : لا .

و الوعل وعز الجبل والبحر و ناقة القمر^١ و الزرافة ، و كل دابة مشقوقة الظلف و هي تبت أظافر [في - ٢] كل ظلفها و اجتر من الدواب فإياه فكلوا ، و الذي لا تأكلون منه من الذي يجتر و من المشقوق الظلف الذي يبت^٢ له أظافر الجبل و الأرنب و البروع ، فان ذلك يجتر و لكنه

غير مشقوق الظلف ، / و هو لا يجل^٣ لكم ، و الحنزير أيضا فان ظلفه ٥ / ٢٧٢

مشقوق^٤ و يبت في ظلفه أظافر غير أنه لا يجتر ، و ما لا يجتر فانه لا يجل لكم فلا تأكلوا من لحومها و لا تقربوا أجسادها ، و قال في الثالث منها : و كلم الرب موسى و هارون و قال لهما : كلما بنى إسرائيل و قولا لهما : إن الذي تأكلونه من المواشى من جميع الأنعام التي على الأرض كل

بهيمة قد شق ظلفها^٥ و هي تخرج أظفارها في كلا ظلفيها و تجتر^٦ ، فذلك ١٠

الذي تأكلونه من الأنعام ، و الذي لا يجل مما يجتر^٧ و لم يشق ظلفه الجبل الذي يجتر و ظلفه غير مشقوق^٨ فانه غير طاهر لكم ، و البروع - و في نسخة : السنجاب - الذي يجتر و ظلفه غير مشقوق [فانه غير طاهر لكم لم يظهر لكم ، و الأرنب الذي يجتر و ظلفه غير مشقوق فانه لا يظهر لكم

و الحنزير فانه مشقوق - ٢] الظلف و يخرج أظفارها في ظلفه و هو لا يجتر ١٥

فانه لا يظهر لكم فلا تأكلوا من لحومها و لا تمسوا ما مات منها ، فان

(١) في ظ : الثمر - كذا (٢) زيد ما بين الحائزين من ظ (٣) من ظ ، و في

الأصل : نبت (٤) من ظ ، و في الأصل : لا تجل (٥) في الأصل و ظ : مشقوقة .

(٦-٧) من ظ ، و في الأصل : هو يخرج (٧) من ظ ، و في الأصل : كل (٨) في

الأصل و ظ : يجتر (٩) في ظ : لا يجتر .

ذلك لا يظهر لكم، رجع إلى نسختي، ثم ذكر في الطير ودواب البر قريبا
 بما في شرعنا إلى أن قال: ولا تأكلوا أشياء نجسة بل ادفوها إلى
 السكان الذين في قراكم يأكلونها أو يبيعونها^١ من الغرباء، لأنك شعب
 طاهر لله ربك لا تطبخوا جديا بلبن أمه^٢، وقال في ترجمة الاثنين والسبعين:
 هـ ولا تطبخ الحروف بلبن أمه^٣؛ وقال في السفر الخامس: وكلوا من الطير
 ما كان زكيا وحرموا هذه التي أصف لكم، لا تأكلوا منها شيئا: النسر
 والحداء. وذكر نحو ما عندنا، وقال في نسختي في الثالث: فن مس
 شيئا من هذه - أي المحرمات - يكون نجسا إلى المساء، ومن حل منها
 شيئا فليسل ثيابه ويكون نجسا إلى الليل - انتهى . الطي - بالمعجمة
 ١٠ المشاركة^٤ - معروف، والجوزر - بفتح الجيم والذال المعجمة [والراء -^٥]:
 البقرة الوحشية، والرثم - بكسر المهمله: الطي الخالص اليابس، والثيل -
 بثلاثين مفتوحين بينهما ياء تحتانية ساكنة: بقر الوحش، والإيل - بفتح
 الهزلة وكسر التحتانية المشددة، الوعل - بفتح الواو وكسر المهمله - وهو
 تيس الجبل، والحل - بفتح المهمله: الرضيع من أولاد الضأن، وقوله:
 ١٥ لا تطبخوا جديا بلبن أمه، الظاهر أن معناه انتهى عن أكله ما دام يرضع،
 وما بعد الذي في الثالث هو معظم التوراة، والذي في الخامس إنما هو
 إعادة لما في الثالث، فإن الخامس تلخيص لجميع ما تقدمه من القصص
 والاحكام مع زيادات، فصدق أن إتياء الكتاب أتى معظمه بعد
 (١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: يبيعونها (٣) من ظ، وفي الأصل:
 المشاة - كذا (٤) زيد ما بين الحاذرين من ظ .

- تحريم ما حرم عليهم ، ويجوز - وهو أحسن - أن يكون معطوفاً على محذوف تقديره : ذلكم وصاكم به كما وصى نبي إسرائيل في الفصل الذى نُسجت من التوراة كنسبة أم القرآن من القرآن ، وذلك هى العشر الآيات التى هى أول ما كتبه الله لموسى عليه السلام ، وهى أول التوراة فى الحقيقة لأنها أول الأحكام ، وما قبلها فهو قصص وأحاصل هـ
- هذه العشر^٢ [آيات - ٤] : الرب إلهك الذى أصعدك من أرض مصر من المبودية والرق ، لا يكون^٣ لك إله غيرى ، لا تقسم باسمى كذبا ، احفظ يوم السبت ، أكرم والديك ، لا تقتل ، لا تزنى ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تمدن عينيك^٤ إلى ما فى أيدي الناس ، فالمنى : ذلك وصيتاكم به كما وصينا نبي إسرائيل به فى العشر الآيات^٥ وبعض ما آتينا^٦ موسى من التوراة ، ويجوز أن يكون التقدير : لكون هذه الآيات^٧ محكمة فى كل الشرائع لم تنسخ فى أمة من الأمم ولا تنسخ^٨ ، وصاكم به يا نبي آدم فى الزمن الأقدم ، ولم يزد الأمر بها فى التوصية إلا شدة "ثم آتينا" أى بما لنا من العظمة "موسى الكئيب" أى جميعه وهى فيه ، حال كونه (تماما) لم ينقص عما يصلحهم شيئا (على الوجه ١٠ الذى أحسن) أى [آى - ١] بالإحسان فأثبت الحسن وجمعه بما بين
- (١) فى ظ : الذى (٢) زيد بعده فى ظ : سبب - كذا (٣) من ظ ، وفى الأصل : العشرة (٤) زيد من ظ (هـ) من ظ ، وفى الأصل : لا يكون (٦) زيد بعده فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفنا (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ . (٨) من ظ ، وفى الأصل : لا يفسخ (٩) زيد من ظ .

من الشرع وبما حى طوائف / أهل الأرض به من الإهلاك^٢ بامه ،
 فانه قل أن الله تعالى لم يهلك قوما هلاكا عاما بعد^٣ إزال التوراة^٤
 (و تفصيلا لكل شيء) من جملة ذلك الفصل المحتوى على الكلمات العشر
 الحاوية لكل شيء يحتاج إليه من أمر الدين والدنيا ، كما أن القرآن
 ٥ تفصيل لكل شيء من الجوامع السبع التى حوتها أم القرآن الحاوية
 لمصالح الدارين ، وفى هذين الاحتمالين المقتضيين لكون "ثم" على حقيقتها
 من الترتيب والمهلة علم من أعلام النبوة ، وهو الاطلاع على أن العشر
 الآيات ونحرم ما حرم عليهم بالبنى فى أوائل ما أوحى إلى موسى عليه السلام
 بعد إغراق فرعون وأن معظم التوراة^٥ أنزل بعد ذلك ، وهذا لا يعرفه
 ١٠ إلا أجارهم (وهدى) أى يانا (ورحمة) أى إكراما لمن يقبله ويعمل به
 (لعلمهم) أى بنى إسرائيل (بلقاء ربه) أى الذى أخرجهم من مصر
 من العبودية والرق بقوة العظيمة وكلماته الثابتة (يؤمنون) أى ليكون
 حالهم بعد إزال الكتاب - لما يرون من حسن شرائعه^٦ وغمامة كلامه
 وجلالة أمره - حال من يرجى أن يحدد الإيمان فى كل وقت بلقاء ربه
 ١٥ لقدرة على البعث الذى الإيمان به نهاية تصديق الانبياء لانه [لا - ١]
 تستقل به العقول ، وإنما يثبت^٧ بالسمع مع تجرير العقل له ، فيملأوا
 أنه لا يشبهه شيء كما أن كلامه لا يشبهه كلام فلا يفرو باتخاذ مجمل غاية
 (١) من اظ ، وفى الأصل : اهلاك (٢) من ظ ، وفى الأصل : عند (٣) من ظ ،
 وفى الأصل : السورة (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : سابقه (٦) من ظ ،
 وفى الأصل : ثبت .

أمره حوار لا يفهم وجمعية لا تقيد .

فلما بين^١ أن إزال الكتب رحمة منه لأن غايتها الدلالة على منزلها
فتمثل^٢ أوامره وتتنق^٣ مناهيه وزواجره ، بين أنه لم يخص تلك الأوامر
بذلك ، بل أنزل على هذه الأمة كتابا ولم يرض لها كونه مثل تلك
الكتب ، بل جعله أعظمها بركة وأبينها دلالة ، قال : (وهذا) أى ٥
القرآن (كتب) أى ' عظيم ' (أنزلته) أى بعظمنا إليكم بلسانكم حجة
عليكم (منرك) أى ثابت كل ما فيه من وعد وعيد وخير وغيره
ثباتا لا يمكن^٤ إزالته مع اليقين والخير .

ولما كان هذا معناه : وكان داعيا إليه محسا فيه ، سبب عنه قوله :

(فاتبوه) أى ' ليكون جميع أموركم ثابتة ميمومة ، ولما أمر باتباعه ١٠
وكان الإنسان ربما تبعه في الظاهر ، أمر بإيقاع التقوى المصححة للباطن
إيقاعا عاما ، ولذلك حذف الضمير فقال : (واتقوا) أى ومع ذلك
فأوقعوا التقوى ، وهى إيجاد الوقاية من كل محذور ، فإن الخطر الشديد
والسلامة^٥ على غير القياس ، فلا تزالوا الخوف من منزله بمجهودكم^٦ . فإن
ذلك أجدر أن يحملكم على تمام الاتباع وإخلاصه (لعلكم ترحون) ١٥
أى ليكون حالكم حال من يرجى له الإكرام بالعطايا الجسام ، والآيات
ناظر ثان إلى قوله [تعالى " قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى -
إلى قوله -] :^٧ وهم على صلاتهم يحافظون " ، ثم بين المراد من إزاله

(١) في ظ : تبين (٢) من ظ ، وفي الأصل : فيمثل (٣) من ظ ، وفي الأصل :
يتقى (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، وفي الأصل : لا يمكن (٦-٧) سقط ما بين
الرقين من ظ (٧) زيد من ظ .

و هو إقامة الحجة البالغة فقال: ﴿ان﴾ أى لأن لا ﴿تقولوا﴾ أو كراهة
 أن تقولوا أيها الامة الامة ﴿انما انزل الكتب﴾ أى الربانى المشهور
 ﴿على طائفتين﴾ وقرب الزمن و بعضه بادعال الجبار فقال:
 ﴿من قبلنا﴾ أى اليهود و النصارى ﴿وان﴾ أى وأنا - أو وأن
 ٥ الشأن - ﴿كنا عن دراستهم﴾ أى قراءتهم لكنائهم قراءة مرددة^٢.

و لما كانت هى المنخفضة أى باللام العارقة بينها و بين النافية فقال:
 ﴿لنفلين لا﴾ أى لانعرف حقيقتها ولا ثبت عندنا حقيقتها [ولا هى بلساننا-^٣]
 ﴿او تقولوا﴾ أى أيها العرب: لم نكن عن دراستهم غافلين بل كنا
 غافلين بها، ولكنه لا يجب اتباع الكتاب إلا على المكتوب إليه
 ١٠ فلم يقبه، و ﴿لو اننا﴾ أهملنا لما أهملوا له حتى ﴿انزل علينا الكتب﴾ أى جنسه
 أو الكتاب الذى أنزل إليهم من عند ربنا ﴿لكننا اهدى / منهم﴾ أى
 / ٢٧٤ لما لنا من الاستعداد ووفرة العقل وحدة الازهان و استقامة الافكار
 و اعتدال الامزجة و الإذعان للحق، ولذلك سبب عن هاتين العلتين
 قوله: ﴿فقد جاءكم﴾ و ذكر الفعل مدحاً لهذا القرآن و تفضيلاً و تشريراً له
 ١٥ على كل ما تقدمه [و تنبيهاً على أن يان هذه السورة فى النهاية لانها
 سورة أصول الدين-^٤] ﴿بينه﴾ أى حجة ظاهرة بلسانكم ﴿من ربكم﴾
 أى المحسن إليكم على لسان رجل [منكم-^٥] تعرفون أنه أولاً كم بذلك
 ﴿وهدى﴾ أى بيان لمن تدبره عظيم^٦ ﴿و رحمة﴾ أى إكرام لمن قبله،

(١) من ظ. و فى الأصل: اى (٢) فى ظ: مودودة (٣) زيد ما بين الجاهزين
 من ظ (٤) فى الأصل و ظ: فلم يقبه (٥) سقط من ظ.

فكذبتم بها .

و لما قامت عليهم الحجة ، حسن وقوع [تحذير - ^١] التقرير بقوله ^٢ :
 ﴿ من ﴾ أى قسب ^٣ عن تكذيبكم أنه يقال يانا لأنكم أظلم الناس : من
 ﴿ اظلم من كذب ﴾ [أى أوقع التكذيب - ^١] ﴿ بأيست الله ﴾ أى الذى
 لا أعظم منه فلا أعظم من آياته ، لأن الأثر على قدر المؤثر ﴿ وصدق ﴾ ^٥
 أى أعرض [إعراضا صار به كأنه فى صفد أى سد عن سهولة الاقتياد
 للدليل - ^١] ﴿ عنها ^٦ ﴾ [بعد ما عرف صحتها - ^١] .

و لما كان الجواب قطعا : لا أحد أظلم منه ، فكان الحال مقتضيا
 لتوقع ما يجازى به ، قال : ﴿ سنجزى ﴾ أى بوعد صادق لا خلف فيه ،
 و أظهر ما أصله الإختار تميميا و تطبيقا للحكم بالوصف [فقال - ^١] : ^{١٠}
 ﴿ الذين يصدفون ﴾ أى يحددون الإعراض و لا يتوبون ﴿ عن أيتنا ﴾ أى
 على ما لها ^{١١} من العظمة ﴿ سوء العذاب ﴾ أى الذى يسوء نفسه ^{١٢}
 ﴿ بما كانوا يصدفون ﴾ أى بسبب إعراضهم الذى كان عادة لهم .

و لما كان أسوء السوء حقوق العذاب ^{١٣} ، و كان حقوقه بعدم قبول
 التوبة ، فسره بقوله مهونا له ^{١٤} و سهلا بتجريد الفعل : ﴿ هل ينظرون ﴾ أى ^{١٥}
 ما ينظرون هؤلاء المكذبون أدنى انتظار وأقربه وأيسره ﴿ إلا ان تائبهم ﴾
 [أى حال تكذيبهم - ^١] ﴿ المأشكة ﴾ أى بالامر الفصيل من عذابهم

(١) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : لقوله (٣) من ظ ،
 وفى الأصل : قسب (٤) من ظ ، وفى الأصل : قيد (٥) من ظ ، وفى الأصل :
 لها (٦) فى ظ : منه (٧) من ظ ، وفى الأصل : عذاب (٨) سقط من ظ .

كما هي عاداتها في إتيانها المكذبين ﴿او ياتي ربك﴾ أى ظهور أمر
 المحسن إليك آمم ظهور بجميع الآيات التى تحملها العقول و ذلك يوم الجزاء
 ﴿او ياتي﴾ وأبهم تهويلا للأمر و تعظيما فقال: ﴿بعض أئنت ربك﴾
 أى أشراف الساعة التى يكون فيها ظهوره التام وإحسانه إليك الأعظم
 ٥ مثل دابة الأرض التى تميز الكافر من المؤمن و طلوع الشمس من
 مغربها المؤذن باغلاق باب التوبة؛ روى البخارى فى التفسير وغيره
 عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة
 حتى تطلع الشمس من مغربها، فاذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك
 حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، ثم قرأ الآية .
 ١٠ ولما كان إتيان الملائكة - أى كلهم - أمرا لا يحتمل العقول وصف
 عظمتها، ولا بشرى للجرمين عند رؤيته، فانه لو وقع على صورتهم لتقطعت
 أوصالهم ولم يحتمله قوام قضى الأمر ثم لا ينظرون، وأما تعجب الرب
 سبحانه وعز اسمه وجلت عظمتها

فالامر أعظم من مقالة قائل إن رقق البلغاء أو^٢ إن نغموا

١٥ ترك ما يترتب عليه وقال: ﴿يوم ياتي﴾ [أى يكشف ويظهر -^١]
 ﴿بعض أئنت ربك﴾ أى المحسن إليك بالإتيان بذلك تصديقا لك وترويعا
 وتدميرا لمخالفك ﴿لا ينفع نفسا﴾ أى كافرة ﴿إيمانها﴾ أى إذ ذاك،
 ولا نفسا مؤمنة كسبها الخير إذ ذاك فى إيمانها المتقدم على تلك الآية
 [بالتوبة فأوراعها -^٤]، ولذلك بينه بقوله^٥ واصفا نفسا: ﴿لم تكن﴾

(١) من ظ، وفى الأصل: تكون (٢) فى ظ: لم تحمله (٣) من ظ، وفى الأصل
 «و» (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) سقط من ظ .

أى الكافرة (أمنت) ويسر الأمر ببعض زمان^١ القبل، ولم يكلف^٢ باستغراقه بالإيمان^٣ فقال: (من قبل) أى قبل^٤ بجيء الآية فى زمن متصل بمجيئها^٥.

ولما ذكر الكافرة، أتبعها المؤمنة فقال عاطفا على "أمنت": (أو) لم تكن المؤمنة العاصية (كسبت) [أى من قبل -^١] (فى إيمانها) هـ
أى السابق على مجيء الآية (خيرا^٢) أى توبة، وبعبارة أخرى: فسا كافرة^٣ لإيمانها المجدد بعد مجيء الآية، وهو معنى "لم تكن أمنت من قبل"
أو فسا مؤمنة كسبها الخير بعد مجيء الآية ما لم تكن كسبت / فى إيمانها ٢٧٥ /
السابق على الآية خيرا، والحاصل أنه لا يقبل عند ذلك إيمان كافر ولا توبة فاسق - كما قاله البخوى - لأن المقصود من التصديق والتوبة الإيمان ١٠
بالغيب وقد فات بالآية الملجئة، فيكون فاعل الفعل المقدر فى "كسبت" محذوفا، والتقدير: لا ينفع فسا لم تكن آمنت من قبل، أو لم تكن كسبت فى إيمانها خيرا لإيمانها وكسبها، فالإيمان راجع إلى من لم يؤمن، والكسب راجع إلى من لم يكسب، وهو ظاهر، والتهديد بعدم نفع الإيمان عند مجيء الآية أعظم دليل على ما ذكرته من التقدير، والآية من الاحتباك: ١٥
ذكر إيمانها أولا دليل على حذف كسبها من الجملة الثانية، وذكر جملتى "أمنت وكسبت" ثانيا دال على حذف كافرة ومؤمنة أولا.

ولما كان هذا تهديدا - كما ترى - هائلا، أتبعه ما هو أشد منه للتنبيه

(١) - سقط من ظ (٢ - ٣) فى ظ: باستغراق الإيمان (٣ - ٣) من ظ، وفى الأصل: مستقبل مجيئها (٤) زيد من ظ.

على أن أهل الإيمان سالمون من ذلك قوله: ﴿ قل انتظروا ﴾ أى بناية جهدكم أيها المكذبون ﴿ انا منتظرون ﴾ مجهدنا، و ستملون لمن تكون العاقبة .

ولما نهى عن اتباع السبل^١ لأنها سبب التفرق عن الحق، و كان
 ٥ قد كرر^٢ فى هذه السورة^٣ نصب الحجج و إثارة الأدلة و إزاحة الشكوك
 و نحو آثار الشبه، و أشرفت السورة على الانقضاء . و كان من المعلوم
 قطعاً أن الحق - من حيث هو حق - شديد التأثير فى إزهاق الباطل^٤ فكيف
 إذا كان كلام الملك الذى لا يخالف أمره و لا يخرج عن إرادته، اشتد
 استشراف^٥ النبي صلى الله عليه و سلم إلى رؤية ذلك الأثر مع ما عنده
 ٢٠ من الحرص على إسلام قومه لما طبعه الله عليه من الشفقة على جميع الخلق
 صوما و عليهم خصوصاً، و إما يكون ذلك الأثر بإيجاد هدايتهم و نحو
 غوايتهم، فلما ختم سبحانه يهذين اتهديدتين العظيمين الدالين على غشاوتهم،
 فاته^٦ صلى الله عليه و سلم بما كان رجاء من هدايتهم أمر كأنه [كان -^٧]
 قد حصل، و ذلك ورت للشعوق من الأسف [على -^٨] ما لا يدرى
 ١٥ قدره و لا يوصف حبره، فبته سبحانه و سلاه بقوله: ﴿ ان الذين فرقوا ﴾
 أى بعد إبلاغك لإيائهم ﴿ دينهم ﴾ أى بتكذيبهم بعض آيات الله
 و صدوقهم^٩ عنها و إيمانهم بعضها فارقوه، لأن الكفر بحضه كفر
 بكله، و أضيف الدين إليهم لشدة^{١٠} رغبتهم فيه و مقاتلتهم عليه^{١١}،
 (١ - ١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) فى ظ . الرسل (٣) فى ظ : ذكر .
 (٤) سقط من ظ (٥) فى الأصل و ظ : فاته (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ :
 صدوقهم (٨) من ظ، و فى لأصل : شدة .

(وكانوا شيما) كل فرقة تشايح و تشيع إمامها كالعرب الذين تحرروا
أحرابا بالاستكثار من الأصنام ، فكان في كل قطر لهم معبود أو اثنان
فأكثر ، و كأهل الكتاب الذين ابتدعوا في دينهم بدعا أوصلتهم إلى
تكفير بعضهم بعضا و آمنوا ببعض الأنبياء و كفروا ببعض . و كالنجوس
الذين مزقوا دينهم باعتماد أن الإله اثنان : النور و الظلمة ، و عبدوا □
الأصنام و النجوم و جعلوا لكل نجم صنما يتوسل به في زعمهم إليه
(لست منهم) أى من حسابهم و لا [من - '] عقابهم و لا من
خلق الهداية في قلوبهم (في شيء ^١) و في هذا غاية الحث على الاجتماع
و نهاية التوعد على الاقتراق .

ولما خفف عنه صلى الله عليه و سلم بترثته منهم ، أسند إلى نفسه ١٠
المقدس ما يحق له في إحاطة علمه و قدرته ، فقال حوايا لمن يقول :
قال من يكون أمرهم ؟ (إنما أمرهم) أى في ذلك كله و في كل ما يتعلق
بهم مما لا يحصره حد و لا يحصيه عد (إلى الله) أى الملك الذى
لا أمر لأحد معه ^٢ غيره ، فن شاء هداه و من شاء أعماه ، ^٣ و من شاء
أهلكه و من شاء أبقاء ^٤ لأن له كمال العظمة .

١٥

ولما كان الحشر متراخيا عن ذلك كله في الرتبة و في الرمان ،
لا تبلغ كنه عظمتة العقول ، نبه على ذلك بالتعبير بأداة التراخي والتبنيه

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده في الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة في ظ
لحذفها (٣-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ .

١٧٦ / [بقوله -^١] : (ثم) بعد استيفاء ما ضرب لهم / من الآجال (بينهم)
 أى تبة عظيمة جليلة مستقصاة بعد أن يحشرهم إليه داخرين (بما كانوا)
 [أى جلة وطبا -^١] (يعملون) [أى -^١] من تلك الأشياء القبيحة
 التى كان لهم إليها أتم داعية غير متوقفين فى إصدارها على علم مع ادعاء
 هـ التين بها ، و الآية - مسع ما تقدم من مقتضياتها - تعليل لقوله
 " ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سيله " .

ولما أخبر أن أمرهم ليس إلا إليه ، كان كأنه قيل : فماذا يفعل بهم
 حينئذ ؟ فأجيب بقوله : (من جاء) أى منهم أو من غيرهم (بالحسنة) أى
 الكاملة بكونها على أساس الإيمان (فله) من الحسنات (عشر أمثالها)
 ١٠ . كرما وإحسانا وجودا وامثانا ، يحازيه بذلك فى الدنيا أو فى الآخرة ،
 وهذا المحقق لكل أحد ويزداد البض وضوحا بحسب النيات ، و ذكر
 العشر ، لأنه يعنى الحسنة ، وهو مضاف إلى ضميرها . ولما تضمن قوله
 " و اوفوا الكيل والميزان بالقسط " مع تعقيه بقوله " لا تكلف نفسا "
 الا وسمعا " الإشارة إلى أن المساواة فى الجزاء " مما ينقطع " دونه أعناق
 ١٥ الخلق ، أخبر أن ذلك عليه هير لأن عليه شامل وقدرته كاملة بقوله :

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : عظيم حليل (٣) فى ظ :
 الأسباب (٤) من ظ ، وفى الأصل : تم (هـ-هـ) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٦) فى ظ : فيضاتها (٧) من ظ ، وفى الأصل : من (٨) من ظ ، وفى الأصل :
 لتحقق (٩) فى ظ : يزداد (١٠) زيد فى ظ : ببعض (١١-١١) فى ظ : لا تكلف نفس .
 (١٢-١٢) من ظ ، وفى الأصل : بما ينقطع .

{ ومن جملة بالسيرة } أى أى شيء كان من هذا الجنس { فلا يجرى }

أى فى الدارين { الامثلها } [إذا جوزى ، ويغفو عن كثير - ١] .

ولما كانت المماثلة لا يلزم كونها من كل وجه وإن كانت ظاهرة

فى ذلك ولا سيما فى هذه العبارة ، صرح بما هو ظاهره لأنه أطيّب للنفس
وأسكن للروح فقال : { وهم لا يظلمونه } أى بكونها مثلها فى الوحدة .

وإن كانت أكبر^٢ أو من جنس أشد من جنسها ونحو ذلك ، بل المماثلة

موجودة فى الكم والكيف^٣ ، فلا ينقص أحد فى ثواب ولا يزداد

[فى - ١] عقاب .

ولما تضمن ما مضى تصحيح التوحيد بالادلة القاطعة وتحقيق أمر

القضاء والقدر وإبطال جميع أديان الضلال وصفها بفرق أهلها الدال ١٠

على بطلانها واعوجاجها ، وختم بهذا التحذير الذى لا شيء أقوم منه

ولا اعدل ، أمره صلى الله عليه وسلم بالإعلان بأمره وأن يصف دينه

الذى شرعه له^٤ وهده إله بما فيه من المحاسن تحميا فيه وحثا عليه ولأن

ذلك من نتيجة هذه السورة فقال : { قل } وأكد بالإتيان بالتونين

فقال : { اتنى هدىنى } أى يابا وتوفيقا { ربى } أى المحسن إلى بكل ١٥

خير لا سيما هذا الذى أوحاه إلى وأزله على { الى صراط مستقيم } {

أى طريق واسع بين ، ثم مدحه قوله : { دينا قويا } أى بالغ الاعتدال

والاستقامة ثابته ، هذا على قراءة ابن كثير ونافع وأى عمرو بفتح

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : أكثر (٣) فى ظ : الكيل (٤) فى ظ : لامته .

(٥) تأخر فى الأصل عن « واسع بين » والترتيب من ظ .

القاف وتشديد الياء المكسورة^١ ، وهو^٢ في قراءة الباقي بكرر القاف
 وفتح الياء الحقيقة مصدر بمعنى القيام وصف به للبالغة ، وزاده مدحا
 بقوله مذكرا لهم - لتقليد الآباء - بأنه دين أبيهم الأعظم : (ملة إبراهيم)
 والملة ما أظهره نور العقل من الهدى في ظلم ما ألزمه الناس من عوائد
 ه أمر الدنيا - أفاده الحراي . ولذلك قال : (حنيفا ج) أى لنا هينا
 سهلا قابلا للاستقامة لكونه^٣ ميالا مع الدليل غير جاف ولا كرواقف
 مع التقليد عمى عن نور الدليل - كما تقدم ذلك في البقرة ، وهو معنى
 قوله : (وما) أى والحال أنه ما^٤ (كان من المشركين ه) أى الجامدين
 مع أوهامهم في ادعاء شرك لله مع رؤيتهم له في كونه لا يضر ولا ينفع
 ١٠ ولا يصلح لشركه آدمى فضلا عن غيره بوجه ، لا يتقادون لدليل ولا يصغون
 إلى قيل ، فكان هذا مدحا لهذا الدين الذى هدى إليه صلى الله عليه وسلم
 وبيانا لآله الذى اختاره سبحانه لحبيله إبراهيم عليه السلام رجوعا إلى^٥
 "واذ قال إبراهيم لآله أزر" الذى بنيت السورة في الحقيقة عليه ،
 وألقيت / أزمة أطرافها إليه ، وترغيا في هذا الدين لأن جميع المخالفين
 ١٥ يتشبثون بأذيال إبراهيم عليه السلام : العرب وأهل الكتابين بنسبة الآوة ،
 والمجوس بنسبة البلد والآنوخة ، وأشار بذلك إلى أن محمدا صلى الله
 عليه وسلم فهم^٦ ما حاح به أبوه إبراهيم عليه السلام قومه وقله^٧ ، فلم ينسب
 (١) من ظ ، وفي الأصل : مكسورة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفي
 الأصل : بكوه (٤) من ظ . وفي الأصل : وكان (ه) من ظ ، وفي
 الأصل : قلبه .

كغيره إلى جهود ولا عناد .

- ولما كان [كأن - ١] سائلاً قال : و^٢ ما هذه الملة التي تكرر مدحها
والدعاء إليها ؟ أجاب بقوله ليتأسي به أهل الإيمان ، فليتزموا جميع
ما يدعو إليه على وجه^٣ الإخلاص : ﴿ قل إن صلاتي ﴾ أي التي هي لباب
الدين وصفاته^٤ ﴿ ونسكي ﴾ أي جميع عبادتي من الذبائح وغيرها ٥
﴿ وبحاي ﴾ أي حياتي وكل ما يجمعه من زمان ومكان وفعل ﴿ وسماني لله ﴾
أي الملك الأعظم الذي لا يخرج شيء عن أمره ٦ و [لما - ١] علم بالاسم
الأعظم أنه يستحق ذلك لذاته ، أعلم أنه يستحقه من كل أحد لإحسانه
إليه وإنعامه عليه فقال : ﴿ رب العلمين ٧ ﴾ الموجد والمدير والموعى لهم .
- ولما أعلم أنه يستحقه لذاته وصفه ، أعلم أنه يستحقه وحده ٨
فقال : ﴿ لا شريك له ح ﴾ أي^٩ ليكون لشريكه [على زعمك شيء - ١] من
العبادة لما^{١٠} كان له شيء من الربوبية ، فأبان بهذا أن وجهه صلى الله عليه
وسلم ووجه من تبعه واحد لا افتراق فيه^{١١} . وهو قصد الله وحده على
سبيل الإخلاص كما أنه يوحد^{١٢} بالإحياء والإماتة فينبغي أن يوحد بالعبادة .
- ولما دل على ذلك برهان العقل ، أتبعه بحازم انقل فقال [عاطفا ١٥
على ما تقديره : إلى ذلك أرشدني دليل العقل^{١٣}] : ﴿ وبذلك ﴾
أي الأمر العالي من توجيه أمور^{١٤} إليه على وجه الإخلاص .

(١) زيد لاستقامة العبارة (٢) سقط من ظ (٣) من ط ، وفي الأصل : صفاته -
كدا (٤) زيد من ظ (٥) من ط ، وفي الأصل : لدل - كدا (٦) في ظ : ان .
(٧) من ظ ، وفي الأصل : منه (٨) في ظ : توحد (٩) من ط ، وفي الأصل : امرى .

[ولما كان له سبحانه في كل شيء آية تدل على أنه واحد ، فكان كل شيء أمرا بالتوحيد بلسان حاله أو ناطق قاله ، نبى للفعول قوله - '] :
 ﴿ امرت ﴾ [أى - '] يعنى أن هذا الدين لو لم يرد به أمر كان ينبغى للعاقل أن يدين به ولا يعدل عنه لشدة ظهوره و انتشار نوره بما قام عليه من الدلائل و درج على اتباعه من الافاضل و الامائل ، فكيف إذا برزت به الاوامر الإلهية و دعت إليه الدواعى الربانية ﴿ وانا اول^٢ المسلمين ﴾ أى المتقدين لما يدعو إليه داعى الله فى هذا الدين ، لا اختيار لى أصلا ، بل أنا مسلوب الاختيار فيه منقاد آمم اقتياد ، وهذه الاولية على سبيل الإطلاق فى الزمان و الرتبة بالنسبة إلى أمته صلى الله عليه و سلم و فى الرتبة بالنسبة إلى من تقدمه من الانبياء و غيرهم ، و هذا أيضا من باب الإحسان فى الدعاء بالتقدم إلى ما يدعو إليه و أن يجب للدعوى ما [يجب - '] لنفسه ليكون أنبى للثمة و أدل على الصيحة فيكون أدعى للقبول .

ولما حاجوه فى الشرك فى هذه السورة غير مرة كما حاج إبراهيم عليه السلام قومه ، و كان آخر ذلك أن دعاهم صلى الله عليه و سلم إلى تلاوة ما أنزل عليه سبحانه فى تحريم الشرك و شرح دينه القيم ، ثم كرر هنا ذمهم بالفرق الدال على الضلال و لابد ، و مدح دين الرسل الذى تقدم أهم لم يحفلوا^٢ فيه أصلا ، و أياس الكفار من موافقته صلى الله عليه و سلم لهم ، نوعا من الموافقة و ميله معهم شيئا من الميل ، أمره (١) زيد من ظ (٢) من ظ و القرآن الكريم و فى الأصل : من (٣) من ظ ، و فى الأصل : لم يحفلوا (٤) من ظ ، و فى الأصل : اليهم .

سبحانه - بعد أن ثبت بأول السورة وأتمتها وأخبرها أنه لا رب غيره -
 بالإتكاف على من يريد منه ميلا إلى غير من تفرد بمجياه وماتة، فكان
 له التفرد بما بينهما وما بعد ذلك من غير شبهة، والتوبيخ الشديد فقال:
 ﴿ قل ﴾ أي هؤلاء الذي يطعمون أن تطرد أصحابك من أجلهم
 ﴿ اغير الله ﴾ أي الذي له الكمال كله ﴿ ابني ﴾ أي أطلب وأر يد بالإشراك
 فان القى المطلق لا يخل من أشرك به شيئا ﴿ ربا ﴾ أي منها يتولى
 مصالحى كما يقيم أنتم، فهو تعرض بهم وتيسه لهم، والإسناد إليه
 صلى الله عليه وسلم - والمراد جميع الخلق - من باب الإنصاف فى المناظرة
 للاستعفاف ﴿ وهو ﴾ أى والحال أنه كما ثبت بالقواطع وركز فى
 العقول الثابت وطبع / فى أوار الأفكار اللوامع ﴿ رب كل شئ ﴾ ١٠ / ٢٧٨
 أى موجد ومريه، أفينفى لاحد أن يدين لغير سيده وذلك الغير
 مربوب مثله لسيده، هذا ما لا يرضاه عاقل لنفسه .

ولما أنكر على من يحنح إلى غيره مع عموم بره وخيره، أتبعه
 الترويع من قويم عدله فى عظيم ضره فقال: ﴿ ولا ﴾ أى والحال أنه
 [لا - ١٠] ﴿ تكسب كل نفس ﴾ أى دنيا وإن قل مع التصميم والعزم ١٥
 القوى الذى هو بحيث يصدقه العمل - كما مضى فى آية البقرة ﴿ الا عليها ﴾
 أى لا يمكن أن يكون باطلا لا عليها ولا على غيرها، وإذا كان عليها

(١) من ظ ، وفى الأصل : الميل (٢) فى ظ : لا يقه (٣) فى ظ : الاستناد .

(٤) زيدت الواو منه فى الأصل ، ولم تكن فى ظ لخذناها (٥) زيد من ظ .

لا يمكن^١ أن يحاسب به سبحانه موما لا لله عدل حكيم فكيف أدعو غيره
 دعاء جليلا أو خفيا وذلك أعظم الذنوب^٢ ، والتفكير من الشرك الخفى
 بالرباء وكل محصية وإن صغرت^٣ ، جرد الفعل عن الاعتقال لتلايقهم
 أنه لا يكون عليها إلا [ما - ٣] بالنت^٤ فيه ، والسياق هنا واضح في
 ٥ أن الكسب مقيد بالذنوب فإنه في دعاء غيره الله وآية القرعة للايمان إلى
 الذنب [الذى - ٤] لا يقع^٥ إلا بشهوة شديدة من النفس له لطبعها على
 النقائص ، فهي لا تاني هذه لأن ما كسبه من الذنوب قد علم من ثم^٦
 أنه اكتساب^٧ ، وأحسن من هذا أن يقال : ولما كان المعنى أى إن بغيت
 ربا غيره وكفى إلى ما توليته ، وأما إسان والإنسان مطبوع على النقائص
 ١٠ فهلكك ، عبر عنه بقوله مجردا للفعل لقصد العموم : ” ولا تكسب كل
 نفس “ بما هي نفس ناظرة في نفاستها مرضة عن ربا موكولة إلى حولها
 وقوتها ” الا عليها “ ولا يحمل عنها غيرها شيئا من وزرها ، ولما كان
 ربما حمل أحد عن غيره شيئا من أقاله مساعدة له ، نفي ذلك بقوله :
 (ولا تزر وازرة حملا أى تحمل حاملة ولو كانت والدا أو ولدا (وزر)
 ١٥ أى إثم (اخرى ح) ” وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء
 ولو كان ذا قرى “ ، فإذا كان الأمر كذلك فلا يحمل بعاقل أن يعرض
 نفسه لحمل شيء من غضب هذا الملك الذى لا شريك له وإليه المرجع

(١) فظ : لا ينبغي (٢) ريدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ لغذناها .

(٣) زيد من ظ (٤) في ظ : نكت (٥) زيد لاستقامة العبارة (٦-٧) سقط ما بين

الرقين من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : اكتسب (٨) سورة ٣٠ آية ١٨ .

وإنه طالع المدي .

ولما عم في الكسب وحل الوزر لئلا يقول متعنتا أن خص هذا لك لا لنا، عم في المرجع أيضا لمثل ذلك ، قال مهددا لهم بعد كمال الإيضاح عاطفا على ما أرشد إليه الإنكار من النفي في نحو أن يقال : إني لا أقبل شيئا من ذلك ، لا أبني رما غير ربي أصلا ، وأما أتم فافعلوا ٥ ما أتم فاعلون فإن ربكم عالم به^١ : (ثم) [أى بعد طول الإمهال - ٢] لكم لطفنا منه بكم (إلى ربكم) أى الذى أحسن إليكم بكل نعمة ، لا إلى غيره (مرجعكم) أى بالحشر وإن عمرتم كثيرا أو بقيتم طويلا (فينبئكم) أى يخبركم إخبارا جليلا عظيما مستويا .

ولما كان قد تقدم أنهم فرقوا دينهم ، قال : (بما كنتم) أى جيلة ١٠ وطبعا ، ولذلك قدم الجار ليفيد الاهتمام به لقوة داعيتهم إليه من غير إكراه ولا ذهول ولا نسيان قال : (فيه تختلفون ٥) أى مع رسول وغيره ، ويدنسكم على جميع ذلك بما تستحقونه ، وحالكم جدير بأن يعظم عقابكم لأنكم كمرتم نعمته ، قال أبو حيان : حكى النقاش أنه روى أن الكفار قالوا لئن صلى الله عليه وسلم : ارجع يا محمد إلى ديننا واعد ١٥ آلهتنا وترك ما أنت عليه ونحن تكمل لك بكل ما تحتاج إليه في دنياك وآخرتك ، فولت هذه الآية - انتهى .

ولما قدم أنه المحسن إلى كل شيء بالروبه ، وختم بالتهديد بالحشر ،

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) - قط من ظ (٣) - زيد من ظ (٤) من ظ . وفى الأصل : استحقوا به - كذا .

أنبه التذكير بتخصيصهم بالإحسان، قال عاطفا على "وهو رب كل شيء" مستعظفا لهم إليه بالتذكير بنعمته: (وهو) أى لا غيره (الذى جعلكم) أى أيها الإِنس (خَلَقَ الارض) أى تفضلون فيها فعل الخليفة متمكنين من كل ما تريدونه، ويجوز أن يراد بذلك العرب، ويكون ظاهر الكلام أن المراد بالارض ما هم فيه من جزيرة العرب، وباطنه البشارة
 ٥ / ٢٧٩ / باعلاء دينهم الإسلام على الدين كله وغلبتهم على أكثر أهل الارض في هذه الأزمان وعلى جميع أهل الارض في آخر الزمان (ورفع بعضكم) فى مراقى العقل والعلم والدين والمال والجاه والقوة الحسية والمعنوية (فوق بعض درجت) أى مع كونكم من نفس واحدة، وربما كان الوضع ١٠ أعقل من الرفيع ولم ينعمه عقله فبدل ذلك دلالة واضحة على أن ذلك كله إنما هو فعل الواحد القهار، لا بعجز ولا جهل ولا بخل؛ ثم علل ذلك بقوله: (ليلوكم) أى يفعل معكم فعل المختبر ليقيم الحجة عليكم وهو أعلم بكم منكم (فى ما أنشكم) فينظر هل يرحم الجليل الحقير ويرضى الفقير بعبادته اليسير، ويشكر القوى ويصر الضعيف!

١٥ وما ذكر علو بعضهم على بعض، وكان من طبع الآدمى التجبر. أنه التهديد للظالم والاستعطف للتائب بما يشير - بما له - سبحانه من علو الشأر وعظيم القدرة - إلى ضعف العالى منهم وعجزه عن عقاب السافل ممن يحول بينه وبينه من شفيح وناصر وبما يحتاج إليه من (١) من ظ، وفى الأصل: يفعلون (٢) فى ظ: لعجز (٣) من ظ، وفى الأصل: يتقى (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ.

تمهيد الأسباب ، عمنوا من البنى والصيان فقال موجها الخطاب إلى
 أكمل الخلق تطييبا لقلبه إعلاما بأنه رياه سبحانه أجل تربية وأدبه أحسن
 تأديب: (ان ربك) أى المحسن إليك (سريع العقاب) أى لمن يريد
 عقابه من يكفر نعمته لكونه لا حائل بينه وبين من يريد عقابه ولا يحتاج
 إلى استحصار آلات العقاب ، بل كل ما يريد حاضر لديه عتيد " انما امره ٥
 اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون " و فى ذلك تهديد شديد لمن
 لا يتعظ .

ولما هدد وخوف ، رتجى من أراد التوبة واستغطف فقال :
 (وانه لغفور رحيم) معلما بأنه - على تمام قدرته عليهم وانهما كمهم فيما
 يوجب الإهلاك - بليغ المغفرة لهم عظيم الرحمة " ولو يؤاخذ الله الناس
 بظلمهم ما ترك عليها من دابة " حثا على غفر الرفيع من الوضع ، وتأكيده
 الثانى دون الاول ناظر إلى قوله " كتب على نفسه الرحمة " وان رحمى
 سبقت غضى ، لانه فى سياق التأديب لهذه الأمة والتذكير بالإنعام عليهم
 بالاستخلاف ، و سأتى فى الاعراف بتأكيد الاثنين لانه فى حكاية ما وقع
 لى اسرائيل من إسرائيلهم فى الكفر ومبادرتهم^٢ إليه واستحقاقهم على ذلك ١٥
 العقوبة ، وجاء^٤ ذلك على طريق الاستئناف على تقدير أن قائلا قال : حيثذ

(١) سورة ٣٦ آية ٨٢ (٢) سورة ١٦ آية ٦١ (٣) فى ظ : تأكيد (٤) زيد بعده
 فى الأصل : الننى ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخدمناها (٥) من ظ ، وفى الأصل :
 بالاختلاف (٦) فى ظ : وقعت (٧) من ظ ، وفى الأصل : يسادهم - كذا .
 (٨) سقط من ظ .

يسرع العالى^١ إلى عقوبة السافل^٢ فأجيب بأن الله فوق الكل وهو
أسرع عقوبة^٣، فهو قادر على أن يسلط الوضع أو أحقر منه على الرفيع
فيهلكه؛ ثم رغب بعد هذا الترهيب في العفو بأنه على غناه عن الكل
أسبل ذيل غفرانه ورحمته بامهاله العصاة وقبوله اليسير من الطاعات بأنه
خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور منافع لهم ثم هم به
يبدلون^٤ ولو لا غفرانه ورحمته لاسرع عقابه لمن عدل^٥ به غيره فأسقط
عليهم السماوات وخسف بهم الأرضين التي أنعم عليهم بالخلق فيها
وأذهب عنهم النور وأدام الظلام، فقد ختم السورة بما به ابتدأها، فان
قوله " وهو الذى جعلكم خلائف الأرض " هو المراد بقوله " هو الذى
خلقكم من طين " وقوله " اغفر الله ابنى ربا وهو رب كل شيء " هو معنى
قوله " خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا
بهم يبدلون " - والله الموفق .

(١) من ظ ، وفي الأصل : الحال - كذا (٢-٣) - سقط ما بين الرقيين من ظ .
(٢-٣) في ظ عبد (٤) زيد بعده في ظ : ثم الجزء الأول وبليه الجزء الثاني
من أول سورة الأعراف ، وقه الحمد مباركا طيبا والصلاة والتسليم على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم .

سورة الأعراف

مقصودها إنذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب في السورة الماضية
من التوحيد والاجتماع على الخير والوفاء لما قام على وجوبه من الدليل
في الأنعام ، وتحذيره بقوارع الدارين ، وهذا أحسن مما كان ظهر لى
و ذكرته عند " والوزن يومئذ الحق " وأدل ما فيها على هذا المقصد ه
أمر الأعراف فان اعتقاده يتضمن الإشراف على الجنة / و النار والوقوف
على حقيقة ما فيها وما أعد لأهلها الداعي إلى امتثال كل خير واجتناب
كل شر والاعتاظ بكل مرقق ﴿ بسم الله ﴾ المتردى برداء الكبر
و إزار العظمة والجلال ﴿ الرحمن ﴾ الذى من رحمته انتقامه من
أهل الكفر والضلال ﴿ الرحيم ﴾ المهادى لأهل الاصطفاء إلى لزوم ١٠
طريق الوفاء ﴿ التمسك ﴾ .

لما ذكر سبحانه في آخر آتى قبلها أنه أنزل إليهم كتابا مباركا ،
وأمر باتباعه وعلل إزاله و ذكر ما استتبهم ذلك مما لا بد منه في منهاج
البلاغة وميدان البراعة ، وكان من جملة أن أمر المدعين به ليس
إلا إليه ، إن شاء هداهم وإن شاء أضلهم . واستمر فيما لا بد منه في تميم ١٥
ذلك إلى أن ختم لسورة انه صب على د فستحت به ، فأشد اعتناؤه له

(١) ويد قبله في ظ : بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر لي تريم . و مره تبتدى
صفحة ظ ١ / الف (٢) - كية . وهي شان ونسرت في البصري والتمامى .
وست في المدني والكوى م في ظ : تحدر (٤) من ظ وفي الأصل : أهلها .
(د) من ظ ، وفي الأصل : انقم - ٦١ - ٦٢ سقط ما بين رتين من ظ .

حتى صاروا كشيء واحد؛ أخذ يستدل على ما ختم به تلك من سرعة العقاب وعموم البر والتواب وما تقدمه^٢، قال مخبرا عن مبتدئ تقديره: [هو - ٢]: ﴿كثير﴾ أى عظيم أوضح الطريق المستقيم فلم يدع لها لبسا ولم يذر خيرا إلا أمرا به ولا شرا إلا نهى عنه، فانزله من عظيم رحمته؛ ثم وصفه بما أكد ما أشار إليه من رحمته^٣ قوله: ﴿انزل إليك﴾ أى وأنت أكرم الناس نفسا وأوسعهم صدرا وأجلهم قلبا وأعرفهم إصالة وأعرفهم باستعطاف المبادئ واستجلاب المنافر المباحض، وهذا شيء قد خصك به فرفعك على جميع الخلق درجات لا تحصى ومراتب لا حد لها فاستقصى^٤.

١٠ ولما كان المقصود من البعثة أولا التنذارة للرد عما هم عليه من الضلال، وكانت مواجهة الناس بالإنذار شديدة على النفوس، وكان الإقدام عليها من الصعوبة بمكان عظيم؛ قدم قوله مسيا عن تخصيصه بهذه الرحمة: ﴿فلا يكن﴾ [وعبر عن القلب بمسكنه الذى هو أوسع منه مبالغة في الأمر فقال - ٢]: ﴿فى صدرك حرج﴾ أى شيء من ضيق^٥ بهم أو خوف ١٥ أو نحو ذلك ﴿منه﴾ على ما تعلق بـ "انزل" من قوله^٦:

(١) من ظ، وفى الأصل: كثير (٢) من ظ، وفى الأصل: تقدم (٣) زيد من ظ (٤) زيد فى ظ: به (٥) فى ظ: أحلهم (٦) من ظ، وفى الأصل: فينقضى - كذا (٧) من ظ، وفى الأصل: حر - كذا (٨) من ظ، وفى الأصل: «و». (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل وظ، ولم تكن فى القرآن العظيم لحذفها.

(تندر به^١) أى نذرى لكل من بلغه أو للخالفين من سرعة العقاب على نحو ما أوقع سبحانه بالقرون الماضية و الأمم السالفة- كما أشار إليه آخر الأنعام، [و-^٢] سيقص من أخبارهم^٣ من هذه^٤ السورة (و) لتندر به (ذكرى) أى عظيمة (للمؤمنين) أى بالبشر و المواعظ و الغفران و الرحمة على ما أشار إليه ختام الأنعام ، و حذف المفعول يدل على عوم الرسالة لكل من أمكن إنذاره و تذكيره من العقلاء، و يجوز أن تتعلق لام "تندر" بمعنى النهى، أى اقف الحرج لكذا^٥، فإن من كان مشرح الصدر أقدم على ما يريد أو يخرج، أى لا يكن الحرج الواقع^٦ لاجل أن تندر، أى لاجل إنذارك به، و النهى للنبي صلى الله عليه و سلم . تحول إلى الحرج مبالغة و أدبا، و يجوز أن يكون التقدير: لتندر به و تذكر به، ١٠ فانه نذرى للكافرين و ذكرى للمؤمنين، و الآية على كل تقدير من الاحتباك: إثباته "تندر" أولا دال على حذف 'لتذكر' ثانيا . و إثبات المؤمنين ثانيا دال على حذف المخالفين أولا ، فإن النفوس على قسمين: نفوس بليدة جاهلة بعيدة عن عالم الغيب غريقة فى طلب اللذات الجسمانية و الشهوات الحيوانية فبحة الرسل فى حقهم إنذار و تخويف، و نفوس ١٥ شريفة مشرقة بالانوار الإلهية فبحة الرسل فى حقهم تذكير لأن هذه النفوس بمقتضى جواهرها الاصلية و جبلتها الخلقية مستعدة للانجذاب إلى عالم القدس إلا أنه ربما غشيها غواش من عالم الأجساد^٧ فيعرض لها

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم (٢) زيد من ظ (٣-٤) فى ظ : فى آخر .
(٤) من ظ ، وفى الأصل : كذا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل :
الاجال - كذا .

نوع ذهول و غفلة ، فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصلت بها أنوار
أرواح رسل الله تذكرت^١ مركزها وأبصرت منشأها ، فاشتاققت إلى
ما حصل هناك من الروح والريحان فطارت نحوهم كل مطار فتسحقت
لديها تلك الآتوار ؛ وقال أبو حيان : واعتلاق هذه السورة بما قبلها
هو أنه لما ذكر تعالى قوله^٢ ” وهذا كتيب أنزلناه مبارك فاتبعوه^٣ “

و استطرد منه / لما بعده^٤ إلى قوله في آخر السورة ” وهو الذي جعلكم
/ ٢٨١

خلف الأرض^٥ “ وذكر ابتلاءهم فيها آتاهم ، وذلك لا يكون
إلا بالتكاليف الشرعية ، ذكر ما يكون^٦ به التكاليف ، وهو الكتاب
الإلهي ، وذكر الأمر باتباعه كما أمر في قوله ” وهذا كتيب أنزلناه
١٠ مبارك فاتبعوه “ - انتهى . وقال شيخه الإمام أبو جعفر بن الزبير :

لما قال تعالى ابتداء بالاعتبار ” ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن
مكثهم^٧ في الأرض ما لم نمكن لهم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا
الأنهر تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأثانا من بعدهم قرنا
آخرين^٨ “ [ثم قال تعالى -^٩] ” ولقد استهزئ رسل من قبلك^{١٠} خلقا
١٥ بالذين يخفون منهم ما كانوا به يستهزئون^{١١} “ ثم قال تعالى ” قل سيروا
في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين^{١٢} “ ثم قال تعالى

(١) في ظ : تذكرت - كذا (٢) سقط من ظ (٣) آية ١٥٥ (٤) زيدت
الوار بعده في البحر المحيط ٢٦٦/٤ (٥) آية ١٦٥ (٦) في ظ : تكون (٧) في ظ :
مكناكم (٨) سورة ٦ آية ٦ (٩) زيد من ظ (١٠) العبارة من هنا إلى «من قبلك»
ساقطة من ظ (١١) سورة ٦ آية ١٠ (١٢) سورة ٦ آية ١١ .

”و لقد كذبت رسل من قبلك فصبوا على ما كذبوا“^١ - الآية ، وقال تعالى
 ”و لقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذتهم بالاساء و الضراء“^٢ - الآية ، وقال
 تعالى ”يُصْخِرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسَ الْمَ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي“^٣ فوقمت
 الإحالة في هذه الآية^٤ على الاعتبار بالأمم السالفة و ما كان منهم حين
 كذبوا أنبياءهم و هلاك تلك القرون بتكذيبهم و عتوهم و تسلية رسول الله
 صلى الله عليه و سلم بجران ما جرى له بمن تقدمه^٥ من الرسل ”قد نعلم انه
 ليحزنك الذي“ يقولون “ فاستدعت الإحالة و التسلية بسط أخبار الأمم
 السالفة^٦ و القرون الماضية ، و الإعلام بصبر الرسل - عليهم السلام - عليهم
 و تطفهم في دعائهم ، و لم يقع في السور الأربع قبل سورة الأنعام مثل
 هذه الإحالة و التسلية و قد تكررت في سورة الأنعام كما تبين بعد اقتضاء ١٠
 ما قصد من بيان طريق المتقين أخذاً و تركاً و حال من حاد عن سنتهم من
 رامة أو قصده فلم يوفق له و لا آثم له أمله من الفرقين^٧ : المستندة للسمع
 و المعتمدة للنظر ، فحاد الأولون بطارئي التفسير و التبديل ، و تنكب^٨
 الآخرون بسوء التناول و قصور الأفهام و علة حيد الفريقين السابقة الأولية ،
 فلما انقضى أمر هؤلاء و صرف الخطاب إلى تسليته عليه السلام و تثبيت ثوابه ١٥

(١) سورة ٦ آية ٣٤ (٢) سورة ٦ آية ٤٢ (٣) سورة ٦ آية ١٣٠ (٤) من
 ظ ، و في الأصل : الآية (٥) زيد بعده في الأصل : ص مقدمة ، و لم تكن
 الزيادة في ظ لحذفها (٦) من ظ و القرآن الكريم سورة ٦ آية ٣٣ ، و في
 الأصل : الدين (٧) زيد في ظ : تلك (٨) من ظ ، و في الأصل : الفريقين .
 (٩) من ظ ، و في الأصل : منكث - كذا .

بذكر أحوال الأنبياء مع أممهم وأمر الخلق بالاعتبار بالأمم السالفة ،
وقد كان قدّم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذكر الأنبياء " أولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده " بسط تعالى حال من وقعت الإحالة عليه ،
و^٢ استوفى الكثير من قصصهم إلى آخر سورة هود إلى قوله سبحانه
٥ " وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك " فأمل بما افتحت
به السورة المقصود بها قصص الأمم وبما اختتمت يُلحُّ لك ما أشرت
إليه - والله أعلم بمراده ، وتأمل افتتاح سورة الاعراف بقوله " فلنقص
عليهم * ولم وما كنا غائبين " وختم القصص فيها بقوله " فاقصص القصص
لعلهم يتفكرون " بعد تعقيب قصص نبي إسرائيل بقصة بلعام " واتل عليهم
١٠ نبا الذي آتينه آيتنا " - الآية ، ثم قال " ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآيتنا "
فتأمل هذا الإيماء بعد ذكر القصص ، وكيف ألحق من كذب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من العرب وغيرهم بمن قص ذكره من المكذبين ،
وتأمل افتتاح ذكر الأشقياء بقصة إبليس وختمها بقصة بلعام وكلاهما بمن
كفر على علم ، وفي ذلك أعظم موعظة ، قال الله تعالى إثر ذلك " من يهد الله
١٥ فهو المهتدى " - الآية ، فبدأ " الاستجابة بنيه " صلى الله عليه وسلم بذكر
ما أنعم عليه و^٣ على من استجاب له فقال تعالى " المص كُتب إليك "
(١) سورة ٦ آية ٩٠ (٢-٢) من ظ ، وفي الأصل : استقرى الكبير (٣) آية ١٢٠ .
(٤) من ظ ، وفي الأصل : بد - كذا (٥) من ظ والقرآن الكريم ، وفي الأصل :
عليك (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفي الأصل : ذكر (٨) في ظ : بذكر .
(٩) من ظ ، وفي الأصل : هلاهما (١٠-١١) في ظ : لاستجابة نبيه .

فأشار إلى نعمته بإزال الكتاب الذي جعله هدى للتحين ، و أشار هنا إلى ما يحمله [عليه -] من^٢ التسلية و شرح الصدور^٣ / بما جرى من العجائب و القصص مع كونه هدى و نورا ، قال " فلا يكن في صدرك حرج منه " أى أنه قد تضمن بما أحلتك عليه^٤ ما يرفع الحرج و يسلى النفوس لتتذكر به كما أنذر من قبلك عن قصص خبره من الرسل ، و لتستن في إنذارك و دعائك و صبرك سقمهم ، و ليتذكر المؤمنون^٥ ، ثم أمر عباده بالاتباع لما أنزله فقال " اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم " فان هلاك من قصص عليكم خبره من الأمم إنما كان لعدم الاتباع و الزكون إلى أولياتهم من شياطين الجن و الإنس ، ثم أتبع ذلك بقصة آدم عليه السلام ليعين لعباده ما جرت سنته فيهم من تسلط^٦ الشياطين و كبده و أنه عدو لهم ١٠

" بنى آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة " و وقع في قصة آدم هنا ما لم يقع في قصة البقرة من بسط ما أجمل هناك كتصريح اللعين بالحسد و تصور خيريته مخلفه من النار و طلبه الإنتظار^٧ و التسلط^٨ على ذرية آدم و الإذن له في ذلك و وعيده و وعيد متبعه ثم أخذه في الوسوسة إلى آدم عليه السلام و حلفه له " و قاسمها انى لكما لمن النصحين " ١٥

و كل هذا مما أجمل في سورة البقرة و لم تتكرر قصة إلا و هذا شأنها ، أعنى^٩ أنها تفيد مهما تكررت ما لم يكن حصل منها أولا ؛ ثم أجمرت

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : الصدر (٤) من ظ ، و في الأصل : عليك (٥) من ظ ، و في الأصل : سلط (٦) في ظ : الانتظار (٧) من ظ ، و في الأصل : السلط .

الآى إلى ابتداء^١ قصة نوح عليه السلام واستمرت القصص إلى قصص
 بنى إسرائيل، فبسط هنا من حالهم وأخبارهم شيه ما بسط في قصة
 آدم وما جرى من عنة^٢ إبليس، وفصل هنا الكثير وذكر ما لم يذكر^٣
 في البقرة حتى لم يتكرر^٤ بالحقيقة ولا التعرض لقصص طائفة معينة فقط،
 ومن عجيب الحكمة أن الواقع في السورتين من كلنا^٥ القصتين مستقل
 شاف، وإذا ضم بعض ذلك إلى بعض ارتفع إجماله ووضح كماله،
 فتبارك من هذا كلامه ومن جملة حجة قاطعة وآية باهرة . ولما أعقب
 تعالى قصصهم في البقرة بأمره فيه والمؤمنين بالنفو والصنع فقال
 تعالى ” فاعفوا واصفحوا^٦ “ أعقب^٧ تعالى أيضا بقوله لنبيه عليه
 الصلاة والسلام ” خذ النفو وامر بالعرف واعرض عن الجهلين “
 وقد خرجنا عن^٨ المقصود فلنرجع إليه - انتهى .

ولما تقدم سبحانه إليه صلى الله عليه وسلم في أمر الإنذار
 والإذكار بالكتاب تقدم إلى اتباعه فأمرهم باتباعه ونهاهم عن اتباع
 أهل الضلال وما يوحى إليهم أولياؤهم من زغارهم بعد أن أخبر بكونه
 ١٥ ذكرى أنه سبب لعلو شأنهم وعز سلطانهم ، فقال ملتفتا إليهم مقبلا بمن جلالة

(١) في ظ : الاجتهاد (٢) من ظ ، وفي الأصل : تمعه - كذا (٣) من ظ ،
 وفي الأصل : لم تذكر (٤) من ظ ، وفي الأصل : لم تتكرر (٥) في الأصل :
 كلا ، وفي ظ : كلام (٦) آية ١٠٩ (٧) في ظ : عقب (٨) من ظ ، وفي
 الأصل : على .

عليهم ﴿ اتبعوا ﴾ أى حملوا أنفسهم حملا عظيما بمجد و نشاط على اتباع
 ﴿ ما أنزل إليكم ﴾ أى قد خصصتم به دون غيركم فاشكروا هذه النعمة
 ﴿ من ربكم ﴾ أى الذى لم يزل يحسن إليكم ﴿ ولا تتبعوا ﴾ ولعله
 عبر بالافتعال إيماء إلى أن ما كان دون علاج - بل هفوة و بنوع غفلة -
 فى محل العفو ﴿ من دونه ﴾ أى دون ربكم ﴿ أولياء ﴾ أى من الذين
 نهيناكم عنهم فى الاسماء و بينا ضررهم لكم من شياطين الإنس و الجن
 و عدم إغنائهم و أن الامر كله لربكم .

ولما كانوا قد خالفوا فى اتباعهم صريح العقل و سليم الطبع ،
 و عندهم أمثلة ذلك لو تذكروا ، قال منبهاهم على تذكر ما يعرفون من
 تصرفاتهم : ﴿ قليلا ﴾ و أكد التقليل [بـ " ما " - " -] الناقى و بادغام ١٠
 تاء * التفضل فقال : ﴿ ما تذكرونه ﴾ أى تعالجون أنفسكم على ذكر
 ما هو مركز فى فطركم الأولى فانكم مقرون بأن ربكم رب كل شئ ،
 فكل من تدعون من دونه مربوب ، و أتم لا نجدون / فى عقولكم
 و لا طباعكم و لا استعمالكم ما يدل بنوع دلالة على أن مربوبا يكون
 شريكا لربه .

١٥

ولما كان من أعظم ما يتذكر سائر النعم و ضار النقم للاقبال
 على الله و الإعراض عما سواه و عدم الاعتراض بأسباب الأمن و الراحة ،
 قال : ﴿ وكم ﴾ أى قل تذكركم و خوفكم من سطواتنا و الحال أنه ٢

(١) سقط من ط (٢) من ط ، وفى الأصل : لقد (٣) ريد من ط (٤) فى
 الأصل : بالناقى ، و سقط من ط (٥) من ط . وفى الأصل : التاء (٦) من
 ط ، وفى الأصل : مفاد - كذا (٧) من ط ، وفى الأصل : ان .

كم^١ (من قرية) وإن جلت ، ولما كان المراد المبالغة في الإهلاك ،
أسنده إلى القرية والمراد أهلها فقال : (اهلكها) أى بما لنا من
العظمة لظلمها باتباع من دوى الله ، فلا تقفروا بأوليائكم من دونه وأتم
عالمون بأنهم لم ينفعوا من ضل من الأمم السالفة وقت إنزالنا بهم السطوة
وإحلالنا بهم النعمة وتحقيق المهلكون^٢ إذ ذاك - مع أنهم كانوا أشد
منكم بطشا وأكثر عددا وأمن كيدا - عدم إغنائهم فلم يوجهوا آلامهم^٣
نحوهم .

ولما كان المعنى : أردنا إهلاكها وحكمتا به ، سبب عنه قوله :
(فجاءها بأسنا) أى عذابنا بما لنا من القوة والعظمة ، أو^٤ الإهلاك
١٠ على حقيقته وهذا تفصيل له وتفسير ، ولما كان لافرق في إتيان
عذابه سبحانه بين كونه ليلا أو نهارا ، وكان أخش البأس وأشد ما كان
في وقت الراحة والدعة والغفلة قال : (يأتا) أى وقت الاستكثان
في السيوت ليلا كما أهلك^٥ قوم لوط عليه السلام "وقت السحر"^٦ .

ولما كان المراد بالقرية أهلها ، بينه بقوله [لأنه إذا حذف
١٤ المضاف حاز فيه اعتباران بحسب ما يحسن من المعنى : أن لا يلتفت إليه -
كما في أول الآية ، و أن يلتفت إليه - كما في هذا الأخير لبيان أن الأهل هم
المقصودون بالذات لأنه موضع التهديد -^٧] : (أو هم قاتلون^٨) أى

(١) في الأصل : لكم (٢) من ظ ، وفي الأصل : أنزلنا (٣) من ظ ، وفي الأصل :
الملوكوت - كذا (٤) من ظ ، وفي الأصل : ما لهم - كذا (٥) في ظ « و » .
(٦) في ظ : جاء (٧-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

نائمون وقت العائلة أو مستريحون من غير نوم كما أهلك قوم شعيب عليه السلام ، يعني أنهم كانوا في كل من الوقتين غافلين بسبب أنهم كانوا آمنين ، لم يظنوا أن شيئا من أعمالهم موجب للعذاب ولا كانوا مترقبين لشيء منه ، فالتقدير: يأتاهم فيه^١ بآتون أى نائمون ، أو قائلة هم فيها قائلون أى نائمون ، فالآية من الاحتباك : دل إثبات "يأتا" ٥
أولا على حذف "قائلة" ثانيا ، وإثبات "هم قائلون" ثانيا على حذف "هم نائمون" أولا ، والذي أرشدنا إلى هذا المعنى الحسن سوق "هم" من غير واو ، وهذا قريب من قوله تعالى فيما يأتى "أغامن أهل القرى ان ياتهم باسنا [يأتا - ٥] و هم نائمون" فالأقرب أن يكون المحذوف أولا نائمون ، وثانيا نهارا ، فيكون التقدير: يأتاهم فيه نائمون ، أو نهارا هم ١٥
فيه قائلون . وبين عظمة ما جاءهم وهوله بأنهم في كل من الوقتين لم يقع في فكر أحد منهم التصويب إلى مدافسته بما سبب من ذلك من قوله :
(فما كان دعوتهم) أى قولهم الذى استدعوه (اذ جاءهم باسنا) أى بما لنا من العظمة (الآن قالوا) أى إلا قولهم (انا كنا) أى بما لنا من الجبل (ظلمين) أى فى أما لم تتبع ما أزل إلينا من ربنا ، فلم يقدم ذلك ١٥
شيئا غير شدة التحسر ، ثم سبب عما مضى من أمر الرسول والامم
(١) زيد بعده فى ظ : لا ، ولم تكن الزيادة فى ظ لخبرها (٢) سقط من ظ .
(٣) من ظ ، وفى الأصل : باتون (٤) من ظ ، وفى الأصل : ارسنا (٥) زيد من ظ والقرآن الكريم سورة ٧ آية ١٧ (٦) فى ظ : قالول (٧) من ظ ، وفى الأصل : النصب (٨) من ظ ، وفى الأصل : فلم يقد .

قوله **فما لوم من يظن أن الأمر انقضى بما عذبوا به في الدنيا** : (فلنستن) أي بما لنا من العظمة على جهة التوبيخ و التفرغ للصاة و التشريف و التحظيم للطبعين ، [و-^١] أظهر موضع الإضمار تعميما فقال . (الذين) . و لما كانت الملامة على تكذيب الرسول لا بقيد كونه معنا ، نبي ه للفعول قوله : (ارسل اليهم) أي و هم الأمم ، هل امثلوا أو امرنا و أحجموا عند زواجرتنا كما أمرتهم الرسل أم لا (ولنستن) أي بعظمتنا (المرسلين) أي هل كان في صدورهم حرج بما أرسلناهم به و هل بلغوه أم لا يوم تكونون شهداء على الناس بما علمتم من شهادتي في هذا القرآن و يكون الرسول عليكم شهيدا ، فاما لا بد [أن-^١] نحيكم بعد الموت ١٠ ثم نسألكم في يوم تظهر فيه السرار و تنكشف^١ - وإن اشتد خفاؤها - الضمائر ، / و ليرين الأفعال و الأقوال ، و لا ترك شيئا من الأحوال .

/ ٢٨٤

و لما كان السؤال يفهم خفاء المسؤول عنه على السائل ، سبب عن ذلك ما يزيل هذا الوم بقوله مؤذنا بأنه أعلم من المسؤولين عما سألهم عنه : (فلنقمن) أي بما لنا من صفات العظمة المستلزمة لكل كال ١٥ (عليهم) أي المسؤولين من الرسل و أمهم ، جميع أحوالهم و ما يستحقون من جزائهم (و ما كنا) أي مقطوع به لا مظنون ، فقد كنا معهم في جميع قلباتهم (و ما كنا) أي في وقت من الاوقات^٢ كما هو مقتضى ما لنا من العظمة^٣ (غائبين^٤) أي مطلقا و لا عن أحد من الخلق

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : يتكشف (٣-٢) سقط ما بين الرقمن من ظ (٤) من ظ و القرآن الكريم ، وفي الأصل : غافلين - كذا .

بل علمنا عامل لجميع الكليات والجوئيات لأن ذلك مقتضى العظمة ومقتضى ما لنا من صفات الكمال، [و من لم يكن محيط العلم بأن يميز المطيع من العاصي لا يصح أن يكون إلها -] .

ولما تقدمت الإشارة بقوله تعالى "و افروا الكيل والميزان بالقسط" -

الآية إلى أن المساواة الحقيقية في الميزان مسجوز عنها وأنه أبعد المقادير عن التساوي، والص في قوله تعالى "و من جاء بالحسنة فله أجرها ولا يجرى إلا مثلاً" على قدرة القدير^٢ على ذلك، وختم الآية السالفة بإحاطة العلم على الوجه الأبلغ المقتضى لذلك على أعلى الوجوه، أكد الأمر أيضاً وقصره على علمه هنا فقال: ﴿و الوزن^٣﴾ بميزان حقيق لصحف الأعمال

أو للأعمال أنفسها بعد تصويرها بما تستحقه من الصور أو بغير ذلك ١٠ بعد أن يقذف الله في القلوب العلم به، ولعله حال من تون العظمة في الآية التي قبلها، أي إنا لا نكتفي بما نقص بل نزنه [فصير -^١] بحيث يظهر لكل أحد أنه على غاية ما يكون من التساوي، قال أبو حيان وعلى ابن الحسين النحوي الأصفهاني في إعرابه: "الوزن" مبتدأ ﴿يؤمّد﴾

ظرف منصوب به ﴿الحق ح﴾ خبر المتبداً، راداً الأصفهاني فقال: ١٥ واستضعف لإعمال المصدر وفيه لام التعريف وقد ذكرنا أنه جاء في التنزيل "لا يجب [الله -^٤] الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم" - انتهى . أي [و -^١] الوزن في ذلك اليوم مقصور على الحق، يطابقه الواقع

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : التقدير (٣) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ لحذفها (٤) من ظ ، وفي الأصل : يعرف (٥) من ظ والبحر المحيط ١/٢٧ ، وفي الأصل : فيه - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : اراد (٧) زيد

من ظ والقرآن الكريم سورة ٤ آية ١٤٨ .

مطابقة حقيقة لا فضل فيها أصلاً ولا يتجاوز الوزن في ذلك اليوم الحق إلى شيء من الباطل بزيادة ذرة [و - ١] لا تقصها ولا مادن ذلك ،
 فحرر أن مقصود السورة الحث على اتباع الكتاب ، وهو يتضمن الحث على اتباع الرسول و الدلالة على التوحيد و القدرة على البعث^٢ ببيان
 ٥ الأفعال الهائلة في ابتداء الخلق و إهلاك الماضين إشارة إلى أن من لم يتبعه و يوحد - من أنزله^٣ على هذا الأسلوب الذي لا يستطيع ، و المتهاج الذي وقفت دونه العقول و الطباع ، لما قام من الأدلة على توحيده بجزء من سواء عن أقواله و أفعاله - أو شك أن يعاجله قبل يوم البعث بعقاب مثل عقاب الأمم السالفة و القرون الخالية مع ما ادخر له في ذلك اليوم
 ١٠ من سوء المتقلب و إظهار أثر الغضب .

ولما أخبر أن العبرة بالميزان على وجه يظهر أنه لا حيف فيه بوجه ،
 تسبب عنه قوله : ﴿ فن ثقلت ﴾ أى دنت و رسبت على ما يعهد في الدنيا ﴿ موازينه ﴾ أى موزونات أعماله ، [أى أعماله - ١] الموزونة ،
 و لعله عبر بها عنها إشارة إلى أن كل عمل يوزن على حدة ليسعى في
 ١٥ إصلاحه ﴿ فاولئك ﴾ أى العالو الهمم ﴿ هم ﴾ [أى خاصة - ١]
 ﴿ المملحون ﴾ أى الظاهرون بجميع مآربهم ﴿ و من خفت ﴾ أى طاشت
 ﴿ موازينه ﴾ [أى - ١] التى توزن فيها الأعمال الصالحة ﴿ فاولئك ﴾ المبعدون ﴿ الذين خسروا أنفسهم ﴾ أى التى هى رأس ما لهم فكيف بما دونها ﴿ بما كانوا بآيئنا ﴾ أى على ما لها من العظمة ﴿ يظلمون ﴾
 (١) زيد من ظ (٢) فى ظ : البعث (٣) فى ظ : أنزله (٤) من ظ ، وفى الأصل :

يوزن .

أبى باستمرار ما يحدونه من وضعتها في غير المحل الذى يليق بها فعل
من هو في ظلام ، قال الحسن : وحق لميزان توضع فيه [الحسنات أن
يثقل ، وحق لميزان توضع فيه - ١] السيئات أن يخف .

ولما أمر الخلق بمتابعة الرسل وخدمهم من مخالفتهم ، فأبلغ / في ٢٧٥ /
تحذيرهم بعذاب الدنيا ثم بعذاب الآخرة ، التفت إلى تذكيرهم ترغيباً في •
ذلك بأسياغ نعمه وتحذيراً من سلبها ، لأن المواجهة أردع للمخاطب ،
قال في موضع الحال من " خسروا أنفسهم " : (ولقد مكثكم) أى
خسروها والحال أنا مكثكم^٢ من إنجازها بخلق القوى والقدرة^٣ وإدوار
النعم ، وجعلنا مكاناً يحصل التمكن فيه (في الأرض) أى كلها ، ما منها
من بقعة إلا وهى صالحة لاتقاعهم بها ولو بالاعتبار (وجعلنا لكم) أى ١٠
بما لنا من العظمة (فيها معاش^٤) أى : جميع معيشة ، وهى أشياء
يحصل بها العيش ، وهو تصرف^٥ أيام الحياة بما ينفع ، والياء أصلية
فلذا لا تهمز ، [وكذا ما ولى ألف جمعه حرف عة أصلى وليس قبل
ألفه وار كأوائل ولا ياء ككبار جمع أول وخير فانه لا يهمز إلا شاذاً
كناثر ومصابب جمع متارة ومصيبة - ١] •

١٥

ولما كان حاصل ما مضى أنه سبحانه أوجدكم وقوام وخلق لهم
[ما - ١] يديم قوام ، فأكلوا خيره وعبدوا غيره ، أتج قوله على
وجه التأكيد : (قليلاً ما تشكرون^٦) أى لمن أسبغ عليكم نعمه ظاهرة

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : مكثكم (٣) من ظ ، وفي الأصل : القدرة (٤) سقط
من ظ (٥) في ظ : جمع (٦) في ظ : التصرف .

و باطنة بما تتجرون به أنفسكم ، وقال أبو حبان : إنه واجع للذين 'خوطبوا
بـ "اتبعوا ما أنزل إليكم" و ما بينهما أورد مورد الاعتبار و الاعتناظ
بذكر ما آل إليه أمرهم في الدنيا و ما يؤل إليه في الآخرة - انتهى .

- ولما ذكر سبحانه ما منحهم به من التمكين ، ذكرهم ما كانوا عليه
٥ قبل هذه المسكنة من العدم تدكيرا بالنعم^٢ في سياق دال على البعث
الذى فرغ من تقريره ، وعلى ما خص به أباهم آدم [عليه السلام -^٣]
من التمكين في الجنة بالخلق والتصوير وإفاضة روح الحياة
و روح العلم و أمر أهل سماواته بالسجود له و الغضب على من عاداه
و طرده عن محل كرامته و معدن سعادته و إسكانه هو ذلك المحل الأعلى
١٠ و الموطن الأسنى مأذونا له في كل ما فيه إلا شجرة واحدة ، فلما خالف
الأمر أزاله عنه و أخرجه منه ، و في ذلك تحذير لأهل المسكنة من إزالة
المنة في استدرار النعمة و إحلال النقمة فقال : ﴿ ولقد خلقناكم ﴾ أى بما
لنا من صفات العظمة ﴿ ثم صورناكم ﴾ أى قدرا خلقكم ثم تصويركم بأن
جعلنا فيكم قابلية قرية من ذلك بتخصيص كل جزء من المادة بمقداره
١٥ المعين تخمير طينة آدم عليه السلام على حالة تقبل ذلك كما يهيا^٤ التراب
بتخميره ما زال المطر لأن يكون منه شجرة ، و قد تكون تلك الشجرة
مهياة لقبول صورة الثمرة و قد لا تكون كما قال تعالى " و لقد خلقنا
الانسان من سلتة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة
(١) في ظ : الى الدين (٢) من ظ ، وفى الأصل : بالنعمة (٣) زيد من ظ .
(٤) من ظ ، وفى الأصل : تهبيا (٥-٥) تكرر ما بين الرقيين فى الأصل (٦) من
ظ ، وفى الأصل : القمر - كذا .

علقة نخلقنا الفلقة مضعة نخلقنا المضعة عظمنا فكسونا العظم لحما ثم انشأناه خلقا آخر^١“ وقال النبي^٢ صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضعة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح . وعنه أيضا رضى الله عنه عند مسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا مر بالطفلة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمها وبصرها وجلدها ولحها وعظامها ، ثم قال : يا رب اذكر أم أتى ؟ فيقضى ربك ما شاء^٣ ويكتب الملك - الحديث . فظاهر هذا الحديث مخالف للفظ الذى قبله وللآية ،

فيحمل على أن معنى صورها : هيأها في مدة الأربعين الثانية لقبول الصورة ١٠
تهيئة قرية من الفعل ، وسهل أولها بالتخمين^٤ على هيئة مخصوصة بخلاف ما قبل ذلك ، فأنها كانت نطفة مكانت بعيدة عن قول الصورة ، ولذلك اختلفوا في احترامها وهل يباح إفسادها والتسبب في إخراجها ، ومعنى ”خلق“ : قدر^٥ أى جعل لكل شيء من ذلك حدا لا يتجاوزه في الجملة ،

والدليل على هذا المجاز شك في كونها ذكرا^٦ أو أنثى ، ولو كان ذلك ١٥

على ظاهره لما حصل شك في كونها / ذكرا أو أنثى إذ آله الذكر والأنثى ٢٨٦/

(١) - سورة ٢٣ آية ١٢-١٤ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ وصحيح مسلم - كتاب

القدر ، وفي الأصل : يشاء (٤) من ظ . وفي الأصل : بالتخمين (٥) من ظ ،

وفي الأصل : تقدر ، (٦) في ظ : ذكر .

من جملة الصورة، وبهذا قلتم هذه الآية مع قوله تعالى^٢ "أذ قال ربك للشيكة إني خالق بشر من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين" فهذا خلق بالفعل، والذي في هذه السورة بإيداع القوة المقربة منه، والمراد من الآية التذكير بالنعم استعظافا إلى الموافقة وتقليدا^٣ بحال المخالفة، أى خسروا أنفسهم والحال أنا أنعمنا عليهم بنعمة التمكين بعد [أن - ٤] أنشأناهم على الصورة المذكورة بعد أن كانوا عدما، وأنجدنا ملائكتنا لآيهم وطردها من تكبر عليه طردا لا طرد مثله، وأبعدناه عن محل قدسنا بعدا لا قرب معه، وأسكننا أباهم الجنة دار رحمتنا وقرينا، فقال تعالى مترجما عن ذلك: ﴿ثم قلنا﴾ أى على ما لنا من الاختصاص بالعظمة ﴿للاشكة﴾ أى الموجودين في ذلك الوقت من أهل السماوات والأرض كلهم، بما دلت عليه 'ال' سواء قلنا: إنها للاستفراق أو الجنس ﴿اسجدوا لأدم﴾ أى بعد كونه رجلا قائما سويا ذا روح كما هو معروف من القسمية، ثم سبب عن هذا الأمر قوله: ﴿مسجودا﴾ أى كلهم بما دل عليه الاستثناء في قوله: ﴿إلا إبليس﴾ ولما كان معنى ذلك لإخراجه من سجدة أنه لم يسجد، صرح به فقال: ﴿لم يكن من الساجدين﴾ أى لأدم. ولما كان مخالفته الملك في محل العقاب، تشوف السامع إلى خبره فأجيب بقوله: ﴿قال﴾ أى لإبليس إنكارا عليه وتويخا له^٤ استخراجا لكفره الذى كان يخفيه بما يبدى من جوابه ليعلم الخلق سبب طرده

(١) في ظ: جهة (٢) زيدت الواو بعده في الأصل وظ، ولم تكن في القرآن الكريم سورة ٣٨ آية ٧١ لحذفها (٣) من ظ، وفي الأصل: تليظا (٤) زيد من ظ (٥) في ظ: تركا (٦) من ظ، وفي الأصل: مخالفا (٧) في ظ: و. و.

- (ما منك) ولا كانت هذه العبارة قد صرحت بعدم مجوده ، فكان المعنى لا يلبس بأدغال ؟ لا ، في قوله : (لا تسجد) أتى بها لتفيد التأكيد بالدلالة على اللوم على الامتناع من الفعل والإقدام على الترك ، فيكون كأنه قيل : ما منك من السجود وحملك على تركه (إذ) أى حين (امرتك) أى حين حضر الوقت الذى يكون فيه أداء الأمور به .
- (قال) أى إبليس ناسباً ربه سبحانه إلى الجور أو عدم العلم بالحق (أنا خير منه) أى فلا يليق لى السجود لمن هو دونى ولا أمرى بذلك لأنه مناف للحكمة ، ثم بين وجه الخيرية التى تصورها بسوء فهمه أو بما قاده إليه سوء طبعه بقوله : (خلقتى من نار) أى فهمى أغلب أجزائى وهى مشرقه مصيبة عالية [غالبه - ٢] (و خلقت من طين) أى هو ١٠ أغلب أجزائه وهو كدر مظلم سافل مغلوب ، وقد غلط غلطاً فاحشاً فان الإيجاد خير من الإعدام بلا نزاع ، و النار سبب الإعدام والمحق لما خالطته ، و الطين سبب البقاء و الترية لما خالطه ، هذا لو كان الأمر فى الفضل باعتبار العناصر و المبادئ وليس كذلك ، بل هو باعتبار انغايات .
- ولما كان هذا أمراً ظاهراً ، و كان مجرد التكبر على الله كفراً ١٥ على أى وجه كان ، أعرض عن جوابه بغير الطرد [الذى معناه نزوله المنزلة الذى موضح ما طلب من علوها - ٢] فاستأنف قوله : (قال) مسيياً عن إباته قوله : (فاهبط منها) مضمراً للدار التى كان فيها وهى
- (١) من ظ ، وفى الأصل : ليميد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : هو .

للجنة. فانها لا تقبل عاصيا، وعبداً بالهبط الذي يلزم منه سقوط المنزلة دون الخروج، لأن مقصود هذه التورية الإنذار وهو أدل تعليقه - [١]، و سبب عن أمره بالهبط [الذى معناه النزول والحدود والاعطاط والتقصان والوقوع فى شيء منه - [١] قوله: (فما يكون) أى يصح ويتوجه بوجه من الوجوه (لك ان تتكبر) أى تعتمد الكبر (وهو الرتبة فى الشرف والعظمة والتجبر - [١]، ولا مفهوم لقوله "لك"، ولا لقوله: (فما يكون) لوجود الصرائح بالمنع من الكبر مطلقاً "انه لا يجب المستكبرين"، كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر"، "قال الذين استكبروا انا كل فيها"، وإنما قيد بذلك تهويلاً للأمر، فكأنه قيل: لا ينبغي التكبر إلا لنا، [و - [١] كلما قرب الشخص من محل القدس الذى هو مكان المطيعين المتواضعين جل تحريم الكبر عليه "لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر" - رآه مسلم وغيره عن ابن مسعود رضى الله عنه، وسبب^٦ عن كونها لا تقبل الكبر قوله: (فاخرج) أى من الجنة دار الرضوان^٧، [فاتق أن يكون الهبوط من موضع عال من الجنة إلى موضع منها أخط منه - [١]، ثم علل أمره بالهبط والخروج بقوله مشيراً إلى أن كل من أظهر الاستكبار ألبس انصغار: (انك من الصغرين) أى الذين هم أهل للطرد والحد والحقارة والهوان.

/ ٢٨٧

(١) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: لانه، وراجع سورة ١٦ آية ٢٣ (٤) سورة ٤٠ آية ٣٥ (٥) سورة ٤٨ آية ٤٨ (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ، وفى الأصل: رضوان.

١٠٠ وما علم أن الحسد قد أبده ونزل به عن ساحة الرضى وأقصده ،
 تمادى فيه فسأل ما يتسبب به ١ إلى إزال المحسودين عن درجاتهم العالية
 إلى دركته السافلة ، ولم يسأل بشقاوته فيما يليه من دركته السافلة إلى
 درجاتهم العالية ، وذلك بأن (قال) أى إليس ، وهو استئناف ؛
 [ولما كان السياق - ولا سيما الحكم بالصغار العارى عن تقييد - أبى لأن
 يكون سببا لسؤاله الانتظار ، ذكره بصيغة الإحسان فقال - ٢] : (انظرنى)
 أى بالإمهال ، أى اجعلنى ٣ موجودا بحيث أنظر وأتصرف فى زمن تمتد
 (إلى يوم يعيش) أى من القبور ، وهو يوم القيامة ، وكان اللعين
 طلب بهذا أنه لا يموت ، فإن ذلك الوقت ليس وقتا للموت ، إنما هو
 وقت إفاضة الحياة الأبدية فى شقاوة أو سعادة ، فأعلم سبحانه أنه ٤ حكم له ١٠
 بالانتظار ٥ ، لكن لا على ما أرواه [ولا على أنه إجابة له ، ولكن هكذا
 سبق فى الأول فى حكمه فى قديم عليه ، وإليه يرشد التعبير - ٢] بقوله :
 (قال انك من المنظرين) أى فى الجملة ، ومنعه من الحماية عن الموت
 بقوله كما ذكره فى سورى الحجر وصر " إلى يوم الوقت المعلوم " وهو
 وقت النفخة الأولى التى يموت فيها الأحياء فيموت هو معهم ، وكان ١٥
 ترك هذه الجملة فى ٦ هذه السورة لأن هذه السورة للانذار ، وإيهام الأمر
 أشد فى ذلك ، وأجابه إلى الإنظار وهو يريد به الفساد ، لأنه لا يعدو
 أمره فيه وتقديره به ، ولأنه سبحانه لا يستل عما يعمل ، وتظهر حكمته
 تعالى فى الثواب والعقاب .

(١) فظ : فيه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : اجعلوه .

(٤-٤) : من ظ ، وفى الأصل : اجابه إلى الانتظار (٥) آية ٣٨ وآية ٨١ (٦) فظ : من .

ولما كان قد حكم عليه بالشقاء ، قابل نعمة الإمهال وإطالة
 العمر بالتمادي في الكفر ، وأخبر عن نفسه بذلك بأن (قال)
 مسيئاً عن إيقاعه في المعصية بسبب نوح الآدميين (فبما أغويتني) أي
 فبسبب إغوائك لي ، وهو إيجاد النفي واعتقاد الباطل في قلبي من
 ٥ أجلهم والله (لا تمدن لهم) أي أقبل في قطعهم عن الخير فعل المتكبر
 المقبل بكليته [التأتى الذى لا شغل له غير ما أقبل عليه - ٢] في مدة
 إمهالك لي بقطعهم عنك بمنهم من فعل ما أمرتهم به ، وحملهم^٣ على فعل
 ما نهيتهم عنه ، كما يقعد قاطع الطريق على السابلة للختطف (صراطك)
 أى في جميع صراطك ، بما دل عليه نزع الخافض (المستقيم) وهو
 ١٠ الإسلام بجميع شعبه ، ومن أسند الإغواء إلى غير الله بسبب اعتقاده أن
 ذلك بما ينزهه الله عنه ، فقد وقع في شر مما فرمته ، وهو أنه جعل في
 الوجود فاعلين يخالف اختيار أحدهما اختيار الآخر .

ولما كان قد أقام نفسه في ذلك بقاية الجدة ، فهو يفعل فيه بالوسوسة
 بنفسه ومن أطاعه من شياطين الجن والإنس ما يفتوت الحد ويعجز
 ١٥ القوى ، أشار إليه بحرف التراخي [فقال - ٢] مؤكدا : (ثم لا تينهم)
 أى إتيانا لا بد لي منه كأننا ابتداءه (من بين أيديهم) أى مواجهة ،
 فأحملهم على أن يفعلوا ما يعملون أنه خطأ (و) كأننا (من خلفهم)
 أى مغافلة ، فيعملون^٤ ما هو فاسد في غاية الفساد ولا شعور لهم بشيء .

(١) زيد في ظ : هم (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل :
 حملهم (٤) من ظ ، وفي الأصل : يعملون (٥) تأخر في الأصل عن « كأننا »
 والترتيب من ظ (٦) من ظ ، وفي الأصل : فيعملون .

من فساد حين تعاطيه فأدلم^١ بذلك على تعاطي مثله وم [لا - ٢]
 يشعرون (وعن) أى ومجاوزا للجهة^٢ التى عن (إيمانهم) إليهم
 (وعن) أى ومجاوزا لما عن (شأئهم^٣) أى غايته ، فيقلونه
 وهو مشتبّه عليهم ، وهذه هى الجهات التى يمكن الإتيان منها ، ولعل
 فائدة^٤ عن^٥ المفهمة للجائزة^٦ وصل خطى التقدم والخلف ليكون إتيانه
 مستوعبا لجميع الجهة المحيطة ، [وأفهمت الجهات الأربع قدحه وتليسه
 فيما يعلونه حق عليه وما يعلون شيئا منه وما هو مشتبّه عليهم^٧ اشتباها
 قليلا أو كثيرا ، وم من ترك ذكره الأعلى أنه لا قدرة له على الإتيان
 منه لئلا يلتبس أمره باللائكة ، وقد ذكر ذلك فى بعض الآثار كما
 ذكره فى ترجمة ورقة بن نوفل رضى الله عنه - ٢] . ١٠

ولما عزم اللعين على هذا عزمًا صادقًا ، ورأى أسبابه ميسرة^٨ من
 الانتظار^٩ ونحوه ، ظن أنه^{١٠} بما رأى لهم من الشهوات والحظوظ^{١١} يظفر
 بأكثر^{١٢} حاجته ، فقال عاطفا^{١٣} على ما تقديره : فلا تخونهم وليتبعنى :
 (ولا تجد أكثرهم) كما هى عادة الأكثر فى الخبث (شكرين^{١٤}) فأريد به
 الشقاء فأغرق فى الحسد ، ولو أريد بالشق^{١٥} الخير لاستبدل بالحسد الغبطة ١٥

(١) وفى ظ : فادريه - كذا (٢) زيد ما بين الخارجين من ظ (٣) من ظ ،
 وفى الأصل : الجهة (٤) من ظ ، وفى الأصل : على (٥) من ظ ، وفى الأصل :
 هم (٦) فى ظ : من (٧) من ظ ، وفى الأصل : بالمجازة (٨) فى ظ : عليه (٩) فى
 ظ : متيسرة (١٠) فى ظ : الانتظار (١١) سقط من ظ (١٢) زيد فى ظ : اه .
 (١٣) من ظ ، وفى الأصل : الجنة (١٤) فى ظ : عطفا (١٥) من ظ . وفى
 الأصل : بالشقا .

[مطلب - ١] أن يرتقى هو إلى درجاتهم / العالية بالبكاء و الندم
و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و بذل النصيحة خضوعا لمقام
الربوبية و ذلا لعظيم شأنه .

ولما كان كأنه قيل : ما ذا قال له ؟ قيل : ﴿ قال ﴾ في جواب
هـ ما ذكر لنفسه في هذا السياق من القوة و الاقتدار ٢ و أنان ٣ عنه من الكبير
و الاختيار ما دل على أنه من أهل الصفار ، لا يقدر على شيء إلا باقار
العزير الجبار ، [مصرحا بما أريد من الهبوط الذى ربما حمل على النزول
من موضع من ٢ الجنة عال إلى مكان منها أحط منه - ١] ﴿ اخرج منها ﴾
أى الجنة ﴿ مذهبوما ﴾ أى محقورا مخزيا بما فعل ، قال ابن القطاع :
١٠ ذأمت الرجل : خزيته ، و قال ابن فارس : ذأمته ، أى حقرتة ﴿ مدحورا ٤ ﴾
أى مبعدا مطرودا عن كل ما لا أريده .

و لما علم بعض حاله ، تشوفت النفس إلى حال من تبعه ، فقال
مقسما مؤكدا بما يحق له من القدرة التامة و العظمة الكاملة :
﴿ لمن تبعك منهم ﴾ أى نبي آدم ، و أجاب القسم بما أغنى عن جواب
١٥ الشرط فقال : ﴿ لا ملأن جهنم منكم ﴾ أى منك و من قبلك ٥ و منهم
﴿ اجمعين ٦ ﴾ أى لا يفوتنى منكم أحد ، ظم يزل ٥ من فعل ذلك منكم على
أذى نفسه و لا أبالي أنا بئى .

ولما أوجب له ما ذكر من الشقاوة بمآديه في الحسد و كثرة كلامه

(١) زيد ما بين الحائزين من ظ (٢-٢) في ظ : بأن (٣) ليس في ظ .
(٤) من ظ ، وفى الأصل : قبلك (٥) من ظ ، وفى الأصل : فكم رد - كذا .

في محسوده ، التفت إلى محسوده الذي لم يتكلم فيه كلمة واحدة ، بل اشتغل
بنفسه في البكاء على ذنبه ، واكتفى بفعل ربه بما ينجمه من حباتل مكره
التي نصبها بما ذكر ، ليكون ذلك سبب سعادته^١ . فقال عطفًا على
" اخرج منها " : ﴿ وَيَأْذُمُ اسْكُنْ ﴾ ولما كان المراد بهذا الأمر " هو نفسه
لا التجوز^٢ به عن بعض مر يلابسه ، أكد ضميره لتصحيح المطف^٣
و رفع التجوز قليل : ﴿ انت وزوجك الجنة ﴾ .

ولما كان السياق هنا للتعريف بأنه مكن^٤ لاينا في الجنة أعظم
من تمكينه لنا في الأرض بأن حباه فيها رعد العيش مقارنا لوجوده ؛
ثم حسن في قوله : ﴿ فكلّا ﴾ المطف بالقاء الدال على أن المأكول كان
مع الإسكان . لم يتأخر عنه ، ولا منافاة بينه وبين التعبير بالواو في البقرة . ١٠
لأن مفهوم القاء نوع داخل تحت مفهوم الواو . ولا منافاة بين النوع
والجنس ، و قوله : ﴿ من حيث شئنا ﴾ بمعنى رغدا أي واسما ، فإنه
يدل على إباحة الأكل من كل شيء فيها غير المنهى عنه ، وأما آية
البقرة فتدل على إباحة الأكل منها في أي مكان كان ، وهذا السياق إلى
آخره مشير إلى أن من خالف أمره تعالى ثل عرشه وهدم عزه وإن ١٥
كان في غاية المكنة ونهاية القوة كما أخرج من أعظم له المكنة بإيجاد
ملائكته وإسكان جنه وإباحة كل ما فيها غير شجرة واحدة ؛ أكد
تحريمها بالنهي عن قربانها دور الاكتفاء بالنهي عن غشيانها [فقال -] :

(١) في ظ : سعادة (٢) من ظ . وفي الأصل : التجريز (٣) سقط من ظ .

(٤) في ظ : في (هـ) زيد من ظ .

(ولا تقربا) أى فضلا عن أن تتأولا (هذه الشجرة) مشيرا إلى شجرة بينهما أو نوعها؛ ثم سبب عن القربان العصيان، فإن من ساء حول الحى أوشك أن يواقبه فقال: (فتكونا) أى بسبب قربها (من الظالمين) أى بالآكل منها الذى هو^١ مقصود النهى فتكونا بذلك فاعلين فعل من يمشى فى الظلام^٢، ثم سبب عن ذلك يان حال الحاسد مع المحسودين فيما سأل الإنظار بسببه، وأنه وقع على كثير من مراده واستغوى منهم أما تجاوزوا الحد وقصر عنهم مدى العد؛ ثم بين أنه أقل من أن يكون له فعل، وأن الكل يده سبحانه، هو الذى جملة آلة لمراده منه ومنهم، وأن [من - ٢] يهتداه فهو المهتدى، ومن ١٠ يضل فأولئك هم الخاسرون، فقال: (فوسوس^٣) أى ألقى فى خفاء وتزيين [و تكرير - ٢] واشتهاء (لها الشيطان) [أى - ٢] بما مكنته الله منه من أنه يجرى من الإنسان بجرى الدم^٤ ويلقى له فى خفاء ما يميل به قلبه إلى ما يريد؛ ثم بين علة الوسوسة بقوله: (ليبدى) أى يظهر (لها ما ورى) أى ستر وغطى بأن جعل / كأنه وراهما لا يلتفتان إليه (عنهما) والبناء للمفعول إشارة إلى أن الستر بشئ لا كلفة عليهما فيه كما يأتى فى قوله "ينزع عنها لباسها" (من سواتهما) أى المواضع التى يسوءهما انكشافها، وفى ذلك أن إظهار السوء موجب للبعد من الجنة وأن بينهما منفية الجمع^٥ وكال التباين.

/ ٢٨٩

ولما أخبر بالوسوسة وطوى مضمونها فقها أنه أمر كبير وخدايع

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: الضلال (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: فسوف - كذا (٥) فى ظ: الجنة.

- طويل ، صلف عليه قوله : (وقال) أى [فى - ١] وسوسه أيضا ،
أى زين لها ما حدث بسببه فى خواطرهما هذا القول : (ما نهكما)
وذكرهما بوصف الإحسان تذكيرا باكرامه لهما تيمنا لهما على ما يريد
منهما فقال : (ربكما) أى المحسن إليكما بما تعرفانه من أنواع إحسانه
(عن) أى ما جعل نهايتكما فى الإباحة للجنة متجاوزة عن (هذه الشجرة) ٥
جمع بين الإشارة والاسم زيادة فى الاعتناء بالتنصيص (الآن) أى
كراهية أن (تكونا ملكين) أى فى عدم الشهوة وفى القدرة على الطيران
والتشكل وغير ذلك من خواصهم (أو تكونا) أى بما يصير لكما من
الجلبة (من الخلدین) أى الذين لا يموتون ولا يخرجون من الجنة أصلا .
ولما أوصل إليهما هذا المعنى ، أخبر أنه أكده تأكيدا عظيما كما
يؤكد الحالف ما يحلف عليه فقال : (وقاسمهما) أى أقسم لهما ، لكن
ذكر المفاعلة ليدل على أنه حصلت بينهما فى ذلك مراوغات ومحاولات
بذل فيها الجهد ، وأكد - لمعرفته أنها طبعيا على النعمة من المعصية -
ما أقسم عليه أنواعا من التأكيد فى قوله : (إني لكما) فأفاد تقسيم الجار
المفهم للاختصاص أنه يقول : إني خصصتكما بجميع نصيحتي (لمن النصحين) ١٥
وفيه تنبيه على الاحتراز من الحالف ، وأن الأغلب أن كل حلاف
كذاب ، فانه لا يحلف إلا عند ظنه أن سامعه لا يصدقه ، ولا يظن
ذلك إلا وهو متاد للكذب .

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : عن (٤) من ظ ، وفى الأصل :
يكما (٥) من ظ ، وفى الأصل : لمرة (٦) من ظ ، وفى الأصل : العطية - كذا .
(٧) فى ظ : على .

ولما أخرج بعض وسوسه لها ، سبب 'عنها ترجمتها' بأنها إيهاب
 من أوج شرف إلى حضيض أدنى وسرف قال: ﴿فدلّهما﴾ أى أنزلهما
 عما كانا فيه من علو الطاعة [مثل ما فعل بنفسه بالمعصية التى أوجبت
 له الهبوط من دار الكرامة - ٢] ﴿بغرور﴾ أى بخداع وحيلة حتى
 ٥ نسي آدم عهد ربه ، وقوله: ﴿فلما ذاقا﴾ مشير^٢ إلى الإسراع فى الجزاء
 بالقاء والذوق الذى هو مبدأ الأكل ﴿الشجرة﴾ أى وجدا طعمها
 ﴿بدت﴾ أى ظهرت ﴿لها سواتها﴾ أى عوراتها السلاق يسوءهما
 ظهورها ، وتهاوت عنهما لباسهما فأبصر كل واحد ما كان مستورا عنه من
 عورة الآخر ، وذلك قصد الحسود فاستحيا عند ذلك ﴿وطفقا﴾ أى
 ١٠ شرعا وأقلا ﴿يخصفن عليهما﴾ أى يصلان بالحياطة ﴿من ورق الجنة﴾
 ورقة إلى أخرى ﴿وناذبهما ربهما﴾ أى المحس إليها بأمرهما ونهيها ،
 ولم يفعل شيئا من ذلك إلا برأى منه ، فقال منكرا عليهما ما فعلاه ومعاتبا:
 يا عبادى ﴿الم انهكما﴾ أى أجعل لكما نهاية فيما أذن لكما فيه متجاوزة
 ﴿عن تلكما الشجرة﴾ أى التى كان حقها البعد منها ، الموجبة *للقرية من*
 ١٥ هذا الموضع الشريف إحسانا إليكما ﴿واقلا لكما ان الشيطان﴾ أى
 الذى تكبر^٣ عن السجود^٤ حسدا لك يا آدم ونقاسة عليك ، فاحترق

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : عنها ترجمتها (٢) زيد ما بين الحاذرين من ظ .
 (٣) فى الأصل وظ : مشيرا (٤) فى ظ : عراتها (٥-٥) فى ظ : للقرية عن .
 (٦) من ظ ، وفى الأصل : يكبر (٧) ريدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن
 فى ظ لحدفتاها .

بجنيب فطره وأبد من رحمتي ﴿ لكما ﴾ أى لك ولزوجك ولكل من
تقرع^١ منكما ونسب إليكما ﴿ عدو مين ٥ ﴾ ظاهر العداوة بأتيسكم من
كل موضع يمكنه الإتيان منه بمجاهرة ومساورة وبماكرة فهو مع^٢ ظهور
عداوته دقيق المكر بما أقدرته عليه من إقامة الأسباب ، فإن أعطيته
قوة على [الكيد ، وأعطيتكم قوة على الكيد وأعطيتكم قوة على - ٢] ٥
الخلاص وقلت لكم : تغالبوا ، فإن غلبتموه فأتتم من حزبي ، وإن غلبكم
فأتتم من حزبه مع ما له إليكم من العداوة ، فالآية منبهة على أن من غوى
فإنما هو تابع لأعدى أعدائه تارك لأولى أوليائه .

/ ولما كان هذا ، تشوف السامع إلى جوابها ، فأجيب بقوله :
٩٠ / ﴿ قالوا ﴾ أى آدم وحواء - عليهما السلام وأزكى التحية والإكرام -
[قول الخواص بأسراعها في التوبة - ٢] ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن
إلينا والمنعم علينا ﴿ ظلمنا أنفسنا ﴾ أى ضررناها بأن أخرجناها
من نور الطاعة إلى ظلام المحصية ، فإن لم ترجع بنا وتب علينا لنستمر^٣
حاصين ﴿ وإن لم تغفر لنا ﴾ أى تمحو ما عملناه عينا وأثرا ﴿ ورحمنا ﴾
فتبلى^٤ درجاتنا ﴿ لنكون من الخاسرين ٥ ﴾ فأعربت الآية عن أنها ٥
فزعاً إلى الانتصاب^٥ بالاعتراف ، وسمياً ذنبهما^٦ - وإن كان إماماً هو خلاف

(١) من ظ ، وفي الأصل : يهرع (٢) في ظ : موصح - كذا (٣) يريد ما بين
الحاجزين من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : ضرراً (٥) من ظ . وفي الأصل :
كنتم - كذا (٦) من ظ . وفي الأصل : فتبلى (٧) من ظ . وفي الأصل :
الانصاف (٨) من ظ ، وفي الأصل : ذنبهم .

الاولى^١ لانه بطريق النسيان كما في ظه - [ظلياً - '] كما من عادة الاكابر
في استعظام الصغير منهم ، ولم يجددلا كما فعل إبليس ، وفي ذلك إشارة^٢
إلى أن المبادرة إلى الإقرار بالذنب من فعال الاشراف لكونه من
معالي الاخلاق ، وأنه لا مثل له في اقتضاء العفو وإزالة الكدر ، وأن
الجدال من فعال الأرذال ومن مساوى الاخلاق و موجبات الغضب
المقتضى للطرده .

ولما تشوفت النفس الى جواب العلي الكبير سبحانه ، أجيت^٣ بقوله :
(قال اهبطوا) أى إلى دار المجاهدة والمقارعة والمناكدة حال كونكم
(بضعكم لبعض عدو) أى أنتم ومن ولدتماء أعداء إبليس ومن
١٠ ولد ، وبعض أولادكم أعداء لبعض ، ولا خلاص إلا باتباع مامتحكم
من هدى العقل وما أنزلت اليكم من تأييده^٤ بالنقل ، وفي ذلك تهديد
صاعد لمن له أدنى مسكة بالإشارة إلى قبج مغبة^٥ المخالفة ولو مع التوبة ،
وحت على دوام المراقبة خوفاً من سوء المعاقبة (ولكم في الارض)
أى جنسها (مستقر) أى موضع استقرار كالسهول^٦ وما شابهها
١٥ (ومتاع الى حين) أى اقضاء آجالكم ثم اقضاء أجل الدنيا .

ولما علم بهذا أن للكون في الارض آخر ، [وكان من الفلاسفة

(١) من ظ ، وفي الأصل : للاولى (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) في ظ :
ارشاد (٤) من ظ ، وفي الأصل : اجيب (٥) من ظ ، وفي الأصل : يده - كذا .
(٦) من ظ ، وفي الأصل : معه (٧) من ظ ، وفي الأصل : بالسهول .

التأخية و غيرهم ممن يقر بالوحدانية من يقول : إن النفوس مجردة عن
الجسمية و علاقتها و إنه إذا هلك الجسد اتصلت بالعلويات إما بكوكب
أو غيره أو انحطت في سلك الملائكة و بطل تعلقها بالبدن من كل وجه
فلا تتصل به لا بتدبير ولا غيره ولا بالبعث - عند من قال منهم بالبعث -^١ ،
كان كأنه قيل : فما ذا يكون بعد ذلك ؟ فأجيب بقوله : ﴿ قال ﴾ ٥
[أى الله رادا عليهم ما يعتقدون من بطلان التعلق بالبدن معبرا بالخطاب
بالضمير الذى يعبر به عن هذا الهيكل المخصوص روحا و جسدا -^١]
﴿ فيها ﴾ [أى الأرض لا فى غيرها -^١] ﴿ تحيون ﴾ أى أولا و^٢ ثانيا
[على ما أتم عليه بطوامركم و بواطلكم أبدا و أرواحا -^١] ﴿ و فيها ﴾
[أى كذلك ، لافى غيرها كما أتم لذلك مشاهدون -^١] ﴿ تموتون ﴾ أى ١٠
من الحياة الأولى [بجملتكم ، فيكون للأرواح تعلق بالأبدان بوجه ما
حتى يقعد الميت فى القبر و يجب سؤال الملكين عليها السلام ، و تلتذ
الأجساد بلذتها و تتألم بتألمها -^١] ، فأشير إلى الحشر مع تفصيل حال الكون
فى الأرض ، و ختمت القصة بما ابتدئت به من الإعلام بالبعث بقوله :
﴿ و منها ﴾ [أى لامن غيرها باخبار الصادق -^١] ﴿ تخرجون ﴾ أى ١٥
[روحا و بدنا -^١] بعد موتكم فيها و^٢ عودكم إلى ما كنتم عليه أولا ترانا ،
للجزاء و إظهار ثمرة الملك بأنصاف بعضهم من بعض و التحلى زينة -^١]
العدل فيما كان بعضهم يفعل مع بعض من العسف و الجور الذى لا يرضى
أقل رؤسائكم أن يقر عليه عيده ، و علم بهذا أن الدلالة على الحشر فذلك

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : او .

القصة ، و هذا آيين [من ذكره -^١] فيما مضى [في قوله "فلسطين القديم
ارسل اليهم" - الآيات .

ولما بين فيما مضى أن -^١] بموجب الإخراج من الجنة^٢ هو ما
أوجب^٣ كشف السوءة من المخالفة و فرغ عما استقبله حتى أخبر بأنه حكم
٥ باسكاننا هذه الدار بعد تلك الدار ، شرع يحذرنا من عدونا كما حذر
أبانا عليه السلام^٤ ، و بدأ بقوله يابا لأنه أنعم علينا فيها بكل ما يحتاج
إليه في الدين و الدنيا و إيدانا بما في كشف العورة من الفضيحة و الإبعاد
عن كل خير و إشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى :
(يُنْفِىْ أَدَمَ) .

١٠ ولما كان الكلام في كشف العورة ، و أن آدم عليه السلام أعوزه
السار حتى فرغ إلى الورق ، كان موضع أن يتوقع^٥ ما يكون في ذلك
فقال "مفتحا بحرف التوقع : (قد انزلنا) أى بعظمتنا (عليكم) من
آثار بركات السماء ، إما ابتداء بخلقه و إما بانزال أسبابه من المطر و نحوه
(لباسا) أى لم يقدر عليه أوكم في الجنة (يوارى سواتكم) إرشادا
١٥ إلى دواء ذلك الداء و إعلاما بأن ضس الكشف نقص لا يصلح للحضرات
الكامل ، و قال : (وريشا^٦) إشارة إلى أنه سبحانه زادنا على السار ما به

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) العبارة
من هنا إلى "آدم عليه السلام" تكررت في ظ (٤) من ظ ، و في الأصل :
تتوقع (٥) من ظ ، و في الأصل : قال .

الزينة والجمال استشارة من ريش الظلّة هيباً فيما يلبد من الثغب وقرب
إلى حضرة^٢ الرب .

- وما ذكر اللباس / الحسى ، أو قسمه على سائر ومزين^٣ ، أتبعه ٢٩١ /
المعنوى فقال معبراً - بقطعه في قراءة الجمهور عما قبله - إلى كمال تعظيمه حثاً
عليه و ندباً إليه : (و لباس التقوى^٤) فلم أن سائر العورات حسى ومعنوى ، ٥
فالحسى لباس الثياب ، و المعنوى التحلى بما يبعث على المثاب^٥ ، ثم زاد
في تعظيم المعنوى بقوله : (ذلك خير^٦) أى و لباس التقوى [هو -] خير
من لباس الثياب ، و لكنه فصل باسم الإشارة المقترن بأداة البدل إيماء إلى
علو رتبته وحسن عاقبته لكونه أهم^٧ اللباسين لأن نزعه يكون بكشف العورة
الحسية و المعنوية ، فلو تجعل الإنسان بأحسن الملابس و هو غير متق كان كله ١٠
سوءات ، و لو كان متقياً و ليس عليه إلا خريقة توادى عورته كان في غاية
الجمال و السر و الكمال ، بل و لو كان مكشوف العورة في بعض الأحوال
كما قال صلى الله عليه وسلم : ستر ما بين عوراتكم و أعين الجن أن يقول أحدكم
إذا دخل الخلاه : بسم الله اللهم ! إني أعوذ بك من الخبث و الخبائث ،
رواه الترمذى و ابن ماجه عن على رضى الله عنه ، [و الذى يكاد يقطع ١٥
به أن المعاصى سبب لإحلال السوءة الذى منه ضعف البدن و قصر العمر
حسباً أو معنى بمحق البركة منه لما يفهمه ما تقدم في البقرة في بدء الخلق
عن التوراة أن الله تعالى قال لأدم عليه السلام : كل من جميع أشجار

- (١) في ظ : تحيياً (٢) في ظ : حضرات (٣) سقط ما بين الرقعين من ظ .
(٤) من ظ ، و في الأصل : المثاب (٥) زيد من ظ (٦) في ظ : أهل .

الفردوس، فأما شجرة علم الخير والشر فلا تأكل منها لأنك في اليوم الذي تأكل منها تموت موتاً أياً تنهياً للوثة حساً، ويقضى عليك بالاشتغال بأسباب المعيشة فيقصر عمرك معى بذهاب بركته - والله أعلم - [١] .

ولما كان في شرع اللباس تمييز الإنسان عن بقية الحيوان وتهية أسبابه التي لم يجدها آدم عليه السلام في الجنة من الفضل والنعمة والدلالة على عظمة النعم ورحمته وقدرته واختياره ما هو معلوم، قال :
 ﴿ ذلك ﴾ أى إزال اللباس ﴿ من أيت الله ﴾ أى الذى حاز صفات الكمال الدالة على فضله ورحمته لعباده، وامل الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في ﴿ لعلمهم يذكرون ﴾ - ولو على أدنى وجوه التذكر بما يشير إليه الادغام - لتلا يقول المتعنت : إن الحث على التذكر خاص بالمخاطب ويدعى أنه المسلمون فقط ، أى أنزلنا ذلك ليكون حالهم^٢ حال من يتذكر فيعرف أنه يستقيح منه ما يستقيح من غيره .

ولما كان المقصود من ذكر القصص لاسيما قصص الأنبياء الاعتبار بها، فكان بيان ما وقع بين آدم عليه السلام وبين الشيطان من شديد العداوة مقتضياً للتحذير من الشيطان ، وكان المقام خطراً والتخلص عسراً ، أشار إلى ذلك بالتأكيد وبيان ما سلبه الشيطان^٣ من المكاييد الخفية والأسباب الدقيقة ليعلم الناحى أنه إنما يجامح بمحض التوفيق ومجرد اللطف فيقبل على الشكر مترثاً من الحول وبقوة، فقال منادياً لهم بما يفهم الاستعطاف والتراؤف والتحنن والترفق والاستصناف^٤ : ﴿ يَبَىٰ أَدَمَ ﴾

(١) زيد ما بين الحازرين من ظ (٢) في ظ : حالكم (٣) في ظ : الاستعطاف .

أى الذى دخلته يدي وأمسكته حتى ثم أزلته إلى دار يحق بإرادة الإله
لكم إلى الذروة من عمارق الإسفالة إلى الحضيض من مصبتي (لافتنكم)
أى [لا يـ^٢] بخاطنكم بما يملككم عن الاعتدال (الشیطن) أى الهيد^٣
المخترق بالذنوب^٤، يصدكم عما يكون سببا لردكم إلى وطنكم بزيين ما يزع
عنكم من لباس التقوى المقضى إلى هناك العورات الموجب لحزى الدنيا،
فيمنعكم بذلك من دخول الجنة ويدخلكم النار (كما أخرج أبوكم
من الجنة) بما قتها به بعد أن كانا سكنها وبمكنا فيها وتوطناها،
وقد علم أن الدفع أسهل من الرفع فإياكم ثم إياكم^١ فالآية من الاحتباك:
ذكر الفتنة أولا دليلا على حذفها ثانيا، والإخراج ثانيا دليلا على حذف
ضده أو نظيره أولا.

١٠

ولما كان الشيطان قد بذل الجهد فى إخراجها، فسر الإخراج - مشيرا
إلى ذلك - باطالة الوسواس وإدامة المكر والخديعة بالتعبير بالفعل المضارع
فقال [فى موضع الحال من ضمير "الشیطن" -^٢]: (يزع عنها) أى
[بالتسيب -^٣] بادامة التزيين والاخذ من المأمن (لباسها) [أى الذى

كان الله سبحانه قد سترها به ماداما حافظين لأنفسهما من مواجهة ما نها عنه،
ودل على منافاة الكشف للجنة بالتعليل بقوله: (ليريها سواتهما^٤) -^٥

٢٩٢ /

فان ذلك مبدأ ترك الحياء والحياء والإيمان / فى قرن - كما أخرجه
الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر رضى الله عنهما، والحياء لا يأتى
(١) فى ظ: الاشتغال (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) يريد بعده فى الأصل:
من، ولم تكن الزيادة فى ظ لخذفها (٤) من ظ، وفى الأصل: بالذنب.
(٥) من ظ، وفى الأصل: يظهره.

إلا بخير - كما رواه الشيطان عن عمران بن حصين رضي الله عنها .
 ولما كان نهى الشيطان عن قتلنا إنما هو في الحقيقة نهى لنا عن
 الاقتتان به ، فهو في قوة ليشدد حذركم من قتله فإنه دقيق الكيد بعيد
 الغور^١ بديع الخاتلة ، علل ذلك بقوله : ﴿ انه يرؤكم ﴾ أى الشيطان
 ٥ ﴿ هو و قبيله ﴾ أى جنوده ﴿ من حيث لا تدرونه^٢ ﴾ عن مالك بن
 دينار أن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصمه الله .

ولما كان كأنه قيل : لم سلطوا علينا هذا التسليط العظيم الذى
 لا يكاد يسلم معه أحد ، قال مخففا لأمرهم موهيا في الحقيقة لكيدهم :
 ﴿ انا ﴾ أى فعلنا ذلك لانا بما لنا من العظمة ﴿ جعلنا الشيطيين ﴾ أى
 ١٠ المحترقين بالغضب البعدين من الرحمة ﴿ اولياء ﴾ أى قرباء^٣ وقرناء
 ﴿ للذين لا يؤمنون ٥ ﴾ أى يحددون الإيمان ، لان بينهم تناسبا في الطباع
 يوجب الاتباع ، وأما أولياؤنا الذين منعناهم بقوتنا منهم أو قتلناهم يسيرا بهم ،
 ثم خلصناهم بلطفنا منهم فليسوا لهم بأولياء ، بل هم لهم أعداء وآيتهم
 أنهم يؤمنون ، والمعنى أنا مكناهم من مخالفتكم بسترهم عنكم وإظهاركم لهم ،
 ١٥ فسلطناهم بذلك على من حكنا بأنه لا يؤمن بآيتهم لهم وتسويلهم
 واستخفافهم بأن ينصروهم في بعض المواطن ووصولهم^٤ إلى شيء من
 المطالب ، فعلنا ذلك ليتبين الرجل الكامل - الذى يستحق الدرجات العلى
 و يتردد إليه الملائكة بالسلام والجنى^٥ - من غيره فخذوا حذركم فان الامر

(١) من ظ ، وفى الأصل : التردد (٢) فى ظ : اقرباء (٣) فى ظ : يوصلهم .

(٤) من ظ ، وفى الأصل : الحى - كذا .

- خطر^١ والخلاص^٢ عصر، و بعبارة أخرى: إنا سلكناكم^٣ طريقا وجننا
 بجنبتيها^٤ أعداء يرونكم^٥ ولا ترونهم، وأقدرناهم^٦ على بعضكم، فن سلك
 سواء السبيل نجا ومن شذ أسره العدو، ومن دنا من الخافات بمراقبة الشبهات
 قارب العدو ومن قاربه استغواه، فكلما دنا منه تمكن^٧ من أسره، وكل
 من تمكن من أسره بعد من الخلاص^٨ فاحذروا، وعدم رؤيتنا لهم في
 الجملة لا يقتضى امتناع رؤيتهم على أنه قد صح تصورهم في الأجسام
 الكثيفة ورؤية بنى آدم لهم في تلك الأجسام كالشيطان الذى رآه
 أبو هريرة رضى الله عنه حين أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ
 الصدقة، وكذا أبى بن كعب رضى الله عنه، وحديث خالد بن الوليد
 رضى الله عنه في شيطان العزى معروف في السير، وكذا حديث سواد
 ابن قارب رضى الله عنه في إرشاد رثيه من الجن له، وكذا خطر ابن
 مالك رضى الله عنه في مثل^٩ ذلك وغيرهما، وفي شرحى لنظمى للسيرة
 كثير من ذلك، وكذا حديث العفريت الذى قفلت على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بشعلة من نار ليقطع عليه صلاته فأخزاه الله وأمكن
 منه [رسول الله - ١٠]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو لا دعوة أخى
 سليمان عليه السلام لأصبح مربوطا بسارية المسجد يتلعب^{١١} به ولدان أهل
 (١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) في ظ: سلكناهم (٣) من ظ، وفي
 الأصل: تحتها (٤) من ظ، وفي الأصل: يركم - كذا (٥) من ظ، وفي الأصل:
 أقدرناكم (٦) من ظ، وفي الأصل: يمكن (٧) من ظ، وفي الأصل: الاخلاص.
 (٨) في الأصل: الا، وفي ظ: كما (٩) سقط من ظ (١٠) زيد من ظ (١١) من
 ظ، وفي الأصل: يتلعب.

المدينة قال أنجرحان: إلا أن رؤيتهم في الصور نازقة كل أن بالمشقة
عليهم السلام يبدو في صوير كحديث جيزيل عليه السلام: ^١ «...»
... ولما جعل أمارتهم في ولاية الشيطان عدم الإيمان، عطف على
ذلك أماره أخرى قال: (وإذا فعلوا فاحشة) أى أمرا بالنظر في القبح
كالشرك و كشف العورة في الطواف (قالوا) معطين لارتكابهم إياها
(وجدنا عليها) أى الفاحشة (آباءنا) ولما كانت هذه العلة ظاهرا عوارها
بيننا عوارها، ضموا إليها اقراء^١ ما يصلح للعلية، فقالوا معبرين بالاسم
الاعظم غير محتشين من جلاله وعظمته و كماله: (والله امرنا بها^٢).
ولما كانت العلة الأولى ملغاة، وكان العلم يطلانها بدورها، لأن
١٠ من المعلوم أنهم لو وجدوم على سفه في تحصيل المال ما تابوم؛ أعرض
/ عنها إشارة إلى ذلك، وأمر بالجواب عن الثانية التى هى اقراء على الملك
/ ٢٩٣
الأعلى مع ادعائهم أنهم أبعد الناس عن مطلق الكذب وأشد هم تحريا
بقوله: (قل إن الله) أى الذى له الكمال كله (لا يأمر بالفحشاء^٣)
أى بشئ من هذا الجنس.

١٥ ولما كان الكذب قبيحا في نفسه و هو عديم أقبح القبيح مطلقا،
فكيف به على كبير منهم فكيف إذا كان على أعظم العظام! قال
منكرا عليهم موبخا لهم مهددا: (اتقولون على الله) أى الذى له جميع
العظمة (ما لا تعلمون^٤) لأنكم لم تسمعوا ذلك عن^٢ الله بلا واسطة
ولا قل إليكم بطريق صحيح عن نبي من الأنبياء^٥ عليهم السلام، وفيه
(١) من ظ، وفي الأصل: امرا - كذا (٢) من ظ، وفي الأصل: من.
(٣) في ظ: انبياء.

تهديد شديد على الجاهل^١ والقول على الله بالظن .

ولما كان تعليمهم بأمر الله مقتضيا لآله [إذا امر بشيء أتبع ، أمره أن
يلتزم أمره الذي جاء به دليل العقل مؤيدا بحججهم العقل فقال: ﴿قل﴾ أى
لهؤلاء الذين نابذوا الشرح والعرف ﴿امر ربى﴾ المحسن إلى بالتكليف
محاسن الأعمال، التى تدعو إليها المصمم العوال ﴿بالقسط﴾ وهو الأمر
الوسط بين ما خش فى الإفراط صاعدا عن الحد ، وفى التفريط [هابطاً
منه] ولما كان التقدير: فأقسطوا اتباعاً لما أمر به ، أو كان القسط -^٢ [مصدر] ينحل إلى: أن أقسطوا، عطف عليه ﴿واقموا وجوهكم﴾ مخلصين
غير مرتكبين لشيء من الجور ﴿عند كل مسجد﴾ أى مكان ، وقت وحال
يصلح المجدد فيه ، ولا يتخذ أحد مكان ولا زمان [بأن -^٣] يقول ١٠
وقد أدركته الصلاة: أذهب فأصلى فى مسجدى ﴿وادعوه﴾ عند ذلك
كله دعاء عبادة ﴿مخلصين له الدين﴾ أى لا تشركوا به شيئاً .

ولما كان المعنى: فإن من لم يفعل ذلك عذبه بعد إعادته له بعد الموت ،
ترجمه مستدلاً عليه بقوله معللاً: ﴿كما بدأكم﴾ أى فى النشأة الأولى فأنتم
تبتدون نميذكم بعد الموت فأنتم ﴿تعودون﴾ حال كونكم فريقين : ١٥
﴿فريقاً هدى﴾ أى خلق الهداية فى قلوبهم لحق لهم ثواب الهداية
﴿وفريقاً أضل﴾ ، ثم فسر 'أضل' - لآله واجب التقدير بالنصب - بقوله :
﴿حق﴾ أى تمت ووجب ﴿عليهم الضلالة﴾ - أى لآله أضلهم فيحشرون
على ما كانوا عليه فى الدنيا من الأديان ، والابدان . وقد تبين أن مهنا

(١) من ظ ، وفى الأصل : الجهد (٢) زيد ما بين الحاضر من ظ .

احباكين: أثبت في أولهما 'بدا' دليلا على حذف 'يعيد' وذكر 'تودون'
دليلا على حذف 'تبتدون'. وأثبت في الثاني 'هدى' دليلا على حذف
'أضل' وذكر حقوق الضلالة دليلا على حذف حقوق الهدى.

ولما كرر سبحانه ذكر البعث كما تدعو إليه الحكمة في تقرير ما
يتكره المخاطب تأنيسا له به وكسرا لشوكته وإيهانا لقوته وقعا لسورته إلى
أن ختم بما هو أدل عليه مما قبل من قوله "ومنها تخرجون" ولنستلث
الذين أرسل إليهم" علل ما ختم به هذا الدليل من حقوق الضلالة أى
وجوبها أى وجوب وبالها عليهم بقوله: ﴿انهم اتفقدوا﴾ أى كفوا
أنفسهم ضد ما دعتهم إليه انقطة الأولى بأن أخذوا ﴿الشيطين اولياء﴾ أى
١٠ أقرباء وأصهارا ﴿من دون الله﴾ أى الملك الأعلى الذى لا مثل له
﴿ويحسبون﴾ أى والحال أنهم يظنون بقله عقولهم ﴿انهم مهتدون﴾
فأشار بذلك إلى أنهم استحقوا النكال لأنهم قنعوا فى الأصول - التى يجب
فيها الإبتهاال - إلى القطع - بالظنون -

ولما أمر سبحانه بالقسط وإقامة الوجه عند كل مسجد، أمرهم
١٥ بما ينبغى عند تلك الإقامة من ستر العورة الذى تقدم الحث عليه ويان
خش الحثك وسوء أثره معبرا عنه بلفظ الزينة ترغيا فيه وإذنا فى الزينة
و بياناً لأنها ليس^٢ بما يتورع عنه لقوله صلى الله عليه وسلم "إن الله يحب
إذا سطر على عبد رزقه أن يرى أثر نعمته عليه"، رواه أحمد و الترمذى
(١-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: الذى (٤) فى
ظ: الانتهاء .

وابن منيع عن أبي هريرة رضى الله عنه ، وأتبع ذلك أعظم ما ينبغي
لابن آدم أن يعتبر فيه القسط من المأكل والشرب فقال مكررا النداء
استعطافا وإظهارا لعظيم الإشفاق / و تذكيرا بقصة أيهم آدم عليه السلام
التي أخرجه من الجنة مع كونه صفي الله ليشتد الحذر : ﴿ يَبْنِيْ آدم ﴾
أى الذى زينه فخره الشيطان ثم وقيناه شره بما أسننا عليه به من
حسن التوبة و عظيم الرغبة ﴿ خذوا زينتكم ﴾ أى التى تقدم التعبير عنها
بالريش لستر العورة و التجميل عند الاجتماع للمعدة ﴿ عند كل مسجد ﴾
'و أكد ذلك' كونهم كانوا قد شرعوا أن غير الحس يطوفون عراة .
ولما أمر^٢ بكسوة الظاهر بالثياب لأن صحة الصلاة متروقة عليها ،
أمر بكسوة^٣ الباطن بالطعام و الشراب لتوقف القدرة عادة عليها قال : ١٠
﴿ و كلوا واشربوا ﴾ و حسن ذلك أن بعضهم كان يتدين فى الحج
بالتضييق فى ذلك .

ولما أمر بالملبس و المظهر ، نهى عن الاعتداء فيها فقال :
﴿ ولا تسرفوا ﴾ وضع شيء من ذلك فيما لا يكون أحق مواضعه ولو
بالزيادة على الماء ، [و من ذلك أن يتبع السنة فى الشرب فيفسر لأن العكر ١٥
يرسب فى الإناء فربما أذى من شربه ، ولذلك نهى عن النفس فى الإناء
لأنه ربما أثنى فاقته النفس ، و أما الطعام فيلحس إناءه و الأصابع لئلا
البركة و هو أنظف - ٢] ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انه لا يحب المسرفين ﴾

(١ - ١) من ظ ، و فى الأصل : كذلك (٢ - ٢) - سقط ما بين الرقین من ظ .

(٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

أى لا يكرمهم ، ولا شك أن من لا يحبه لا يحصل له شيء من الخير فيحيط
 به كل شر ، ومن جملة السرفه الأكل فى جميع البطن ، والاقتصاد
 الاقتصار على الثلث كما قال التى صلى الله عليه وسلم « حسب ابن آدم
 لثقتان يقمن صلبه فان كان لاد ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث
 للنفس ، و « ما ملا » ابن آدم وعاء شرا من طن » ، و « الكافر يأكل
 فى « سبعة أمعاء » والمؤمن يأكل فى مئ واحد » أخرجه البخارى عن
 ابن عمر رضى الله عنهما ، قال الأطباء : الأمعاء سبعة ، فالمعنى حيثنه أن
 الكافر^١ يأكل شبعاً فيملا^٢ الأمعاء السبعة ، والمؤمن يأكل تقوتا^٣ يأكل
 فى مئ واحد ، وذلك سبع بطنه ، واليه الإشارة بلفظيات ، فان لم يكن
 ١٠ فى معامين وشيء وهو الثلث - والله أعلم ، وسبب الآية أنهم كانوا
 يطرحون ثيابهم إذا أرادوا الطواف ، يقولون : لا نظوف فى ثياب إذ بتنا
 فيها ، وتعرى منها لتعرى^٤ من الذنوب إلا^٥ المحس وهم قريش ومن ولده ،
 وكانوا لا يأكلون من الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسماً ، فقال المسلمون :
 « يا رسول الله ! فنحن أحق أن تفعل ذلك ، فأنزلت .

١٥ ولما كان من المعلوم أن ما كانوا ألفوه واتخذوه ديناً يستعملون
 تركه ، لأن الشيطان يوسوس لهم بأنه توسع [الدنيا ، والتوسع -^٦]

- (١) فى ظ : بطنه (٢-٣) فى ظ : مئ واحد (٣) من ظ ، وفى الأصل : كافر .
 (٤) من ظ ، وفى الأصل : مقوتا (٥) فى ظ : لنقوى (٦) زيد بعده فى الأصل :
 غير ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧-٨) من ظ ، وفى الأصل : ير - كذا .
 (٨) زيد من ظ .

فيهك فلا يبغي! الزهد فيه كما دخل إليه . كثير من الآيات عند كبد سبب حيلة ٢
 الإذنب في ذلك ، بالإتكاف على من حرمة ، فقال منكرا عليهم لإهلال بأن
 الزهد المدح ما كان مع صحة الاعتقاد في الحلال والحرام ، وأما ما كان فيه
 مع تبديل شيء من الدين بتحليل حرام ، أو عكسه فهو مضموم : (قل)
 منكرا هوذا (من حرم ذينة الله) أي الملك الذي لا أمر لأحد معه
 (التي يخرج لعباده) أي ليعتقوا بها محال الثياب والمعادن وغيرها :
 ولما ذكر الملابس التي هي شوط في صحة العبادة على وجه عام
 غيرها من المراكب وغيرها ، أتبعها المأكول والمشرب فقال : (والطيبات)
 أي من الحلال المستطاب (من الرزق) كالبحار والسائب ونحوها :
 ولما كان معنى الإنكار : لم يحرمها من يعتبر تحريمه يل أهلها ، وكان ربما غلا ١٠
 في الدين يقال تسمك بالآيات المنعرة عن الدنيا الموهبة لأشأنها مطلقا فضلا عن
 زينة [وطيبات الرزق] قال مستأفا لجواب من يقول : لم ؟ : (قل هي)
 أي الزينة ٢ [والطيبات (للذين آمنوا) وعجز هذه الصارة ولم يقل :
 وغيرهم ، فنيها على أنها لهم بالإصالة (في الحياة الدنيا) وأما الكفار
 فهم تابعون لهم في التمتع بها وإن كانت لهم أكثر ، فهي غير خالصة ١٥
 لهم وهي للذين آمنوا (خالصة) أي لا يشاركهم [فيها] ٢ [أحد ، ١٠
 هذا على قراءة نافع بالرفع ، والتقدير على قراءة غيره : حال كونها خالصة
 (يوم القيمة) وفي هذا تأكيد لما مضى من إحلالها بعد تأكيد ونحو
 الشكوك ، وداعية للتأمل في الفصل بين المقامين / لبيان أن الزهد المأمور به

(١) في ظ : من (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) في ظ : الكافرون .
 (٥) من ظ ، وفي الأصل : كان (٦) في ظ : لشكوك .

إنما هو بالقلب بمعنى أنه لا يكون للدنيا عنده^١ قدر ولا له إليها التفات ولا هي أكبر منه، وأما كونها يتنضع بها فيما أذن الله فيه وهي محقرة غير مهم بها فذلك من الحسن .

ولما كان هذا المعنى من دقائق المعاني وقائس المباني، أتبعه تعالى قوله جواباً لمن يقول: إن هذا التفصيل^٢ 'فاق' فهل^٣ يفضل غيره هكذا؟ (كذلك) أى مثل هذا التفصيل البديع (تفضل الأيت) أى نبين أحكامها ونميز بعض المشتبهات من بعض (لقوم يلبون) أى لم ملكة وقابلية للعلم ليتوصلوا به إلى الاعتقاد الحق والعمل الصالح .

ولما بين أن ما حرموه ليس بحرام^٤ فقرر^٥ ذلك تقررًا نزع من ١٠ النفوس ما كانت ألفته من خلافة^٦، ومحا من القلوب ما كانت أشربته من ضده^٧، كان كأنه قيل: فماذا حرم الله الذى ليس التحريم إلا إليه؟ فأمره تعالى بأن يجيهم عن ذلك ويزيدهم بأنه لم يحرم غيره فقال: (قل إنما حرم ربى) أى المحسن إلى بحمل ديني أحسن الأديان (الفواحش) أى كل فرد منها وهي ما زاد قبحه^٨، ولما كانت الفاحشة ما يزايد قبحه ١٥ فكان ربما ظن أن الإصرار بها غير^٩ مراد بالنهى قال: (ما ظهر منها) بين الناس (وما بطن) .

ولما كان هذا خاصاً بما عظمت شاعته قال: (والاِثم) أى

(١) في ظ: عليه (٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) من ظ، وفي الأصل: تهمر (٥) من ظ رنو لا حرو لا واه - ظ وفي الأصل: م (٦) من ظ
ظ

- مطلق الذنب^١ الذى يوجب الجزاء، فان الإثم الذنب والجزاء؛ ولما كان البقى زائد القبح خصوصا بأنه من أسرع الذنوب عقوبة، خصه بالذكر فقال: ﴿والبقى﴾ وهو الاستعلاء على الغير ظلما،^٢ ولكنه لما كان قد يطلق^٣ على مطلق الطلب، حقق معناه المسمى الشرعى فقال: ﴿بغير الحق﴾ أى الكامل الذى ليس فيه شائبة باطل، ففى كان فيه شائبة باطل كان بنيا، ولعله يخرج العلو بالحق بالانحصار من الباغى فانه حق كامل الحقيقة، وتكون تسميته بنيا على طريق المشاكلة تنفيذا - بادخاله تحت اسم البنى - من تعاطيه وندبا إلى العفو كما تقدم مثله فى "لا يجب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم"^٤ ويمكن أن يكون تقييده تأكيدا لمنه بأنه لا يتصور إلا موصوفا بأنه غير الحق كما قال ١٠ تخصيصا^٥ وتنصيصا تنديها على شدة الشناعة: ﴿وان تشركوا بالله﴾ أى الذى اختص بصفات الكمال ﴿ما لم ينزل به سلطانا﴾ فانه لا يوجد ما يسميه أحد شريكا إلا وهو ما لم ينزل به الله سلطانا بل ولا حجة به فى الواقع ولا برهان، ولعله إمعان قيده بذلك إرشادا إلى أن أصول الدين لا يجوز اعتمادها إلا قاطع فكيف بأعظمها وهو التوحيد؛ ولذلك عقبه بقوله: ١٥ ﴿وان﴾ أى وحرم أن ﴿تقولوا على الله﴾ أى الذى لا أعظم منه ولا كفوء له ﴿ما لا تعلمون﴾ أى ما ليس لكم به علم بخصوصه ولا هو مستند إلى علم أعم من أن يكون من الأصول أو لا .

(١) فى ظ: الكذب (٢) تحذف الهمزة (٣) أى الذى لا أعظم منه (٤) نطق (٥) أى الذى لا أعظم منه . وفى الأصل: يكون .

روى لما تقدم في أن الناس في زمان من هتد وصال في تكبر في الضلال
 باجتماعهم على الله بفعله ما منع منه وترك ما أمر به وكنيت العادة
 المستهدة للولول أهم لا يعلمون منه تكبر عظمته لهم ؛ كان كأنه قيل :
 ظ لا يهلك من يخالفه ؟ قيل وعظا في تحذيرا : إنهم لا يضررون بذلك
 إلا أنفسهم ، ولا يفعلون شيئا منه إلا بإرادته برسواه عندهم بقاؤهم
 وملاكمهم ؛ إنما يستحل من يخلف القوت أو يخشى الضرر ، ولهم أجل
 لا بد من استيفائه ، وليس ذلك بإحصائهم بل (ولكل أمة أجل ع) .
 و' هور [عطف ب'] على " فيها تحيرون وفيها يمتنون " .
 (فاذا جاء أجلهم) .
 ١٠ ولما كان ظرهم إلى القصة في الأجل ، وكان يقطع رجائهم منه
 من جملة عذابهم ، قدمه فقال : (لا يستأخرون) أي عت الأجل
 (ساعة) عبر بها والمراد أقل ما يمكن ؛ لأنها أقل الأوقات في
 الاستعمال في العرف ثم عطف على الجملة الشرطية بكاملها لاسم على جزائها
 قوله : (ولا يستقدمون) أي على الأجل المحتوم ، لأن الذي ضرب
 لهم ما ضربه إلا وهو عالم بكل ما يكون / من أمرهم ، لم يتجدد له علم
 لم يكن يتجدد شيء من أحوالهم ، ويحوز أن يكون معطوفا على قوله
 " ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين " وتكون الآية معللة
 بأنهم سيتناسلون فيكثرون حتى يكووا أمتا ، ولا يترضون جملة
 بل يكون لكل أمة وقت .

(١) في ظ : (٢) زيد من ظ .

ولما كان استشراف النفس^١ إلى التناول عما يكون بعد حين
المستقر والمتاع أشد من استشرافها^٢ إلى هذا لكونه أخفى منه ، فهو
أبعد من خطوره في البال ، قدم قوله ” قال فيها تحيون “ - الآية ، ولما
كان ذكر الدواء لداء هتك السوء أهم قدم ” انزلنا عليكم لباسا “
ثم [ما - ٢] بعده حتى كان الأنسب بهذه^٣ الآية هذا الموضع فنظمت فيه . هـ
ولما تقدمت الإشارة إلى الحث على اتباع الرسل بآيات المقصد
الأول من مقاصد هذه السورة كقوله تعالى ” كتب انزل “ اليك “
و ” لتذر “ و ” اتبعوا ما انزل اليكم “ وقوله ” فلنستلن الذين ارسل
اليهم “ - [الآية - ٢] ، وقوله ” قل امر ربي بالقسط “ ، ” اما حرم ربي
الفواحش “ و التحذير من الشياطين بقوله ” ولا تتبعوا من دونه اولياء “ ١٠
و بقوله ” لا تعدن لهم صراطك المستقيم “ ، ” لا يفتنكم الشيطان “ ، وغيره ،
فتحرر أنه لا سبيل إلى النجاة إلا بالرسل ، وختم ذلك بالاجل حثا على
العمل في أيام المهلة ، أتبع ذلك قوله حاثا على التعلق بأسباب النجاة
باتباع [الدعاة - ٣] الهداة قبل الموت بمحادث الموت^٤ ببيان الجراء
لمن أحسن الاتباع في الدارين : (يَنْبَىٰ آدَمَ) .

١٥

ولما كان له سبحانه أن يعذب من خالف داعي العقل من غير
إرسال رسول ، وكان إرسال الرسل جائزا له و فضلا منه سبحانه إذ

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : استشراف (٣) زيد من ظ .
(٤) في ظ : لهذه (٥) من ظ والقرآن الكريم ، وفي الأصل : انزلنا (٦) زيدت
الواو بعده في ظ .

لا واجب عليه، أشار إلى ذلك بحرف الشك فقال: (أما) هي 'إن' الشرطية وصلت بها 'ما' تأكيداً (يأتينكم رسل) ولما كانت زيادة الخبرة^١ بالرسول أقطع للعدو وأقوى في الحجة قال: (منكم) أى من نوعكم من عند ربكم.

٥ [و لما كان الأغلب على مقصد هذه السورة العلم كما تقدم في "فلنقصن عليهم بعلم و ما كنا غائبين" و يأتي في "و لقد جثثهم بكسب فضله على علم" و غيرها، كان التعبير بالقص - الذى هو تنوع الأثر كما تقدم في الأنعام - أليق فقال -^٢]: (يقصون عليكم أيتى لا) أى يتأسون ذكرها لكم على وجه مقطوع به، [و -^٣] يتبع بعضهم بها أثر ١٠ بعض لا يتخالفون في أصل واحد من الأصول.

و لما كان لقاء الرسل حتماً و الهجرة إليهم واجبة لأن العمل لا يقبل إلا بالاستعداد^٢ إليهم مهما وجد إلى ذلك سبيل، ربط الجزاء بالقاء فقال: (فن اتقى) أى خاف مقامى و خاف وعيدى بسبب التصديق بالرسول و التلقى عنهم (و اصلح) أى عمل صالحاً باقتفاء آثارهم (فلا خوف) ١٥ أى غالب (عليهم) أى بسبب ذلك من شيء يتوقعونه (و لا هم) أى بضائرهم (يجزونون^٥) أى يتجدد لهم [في -^٦] وقت ما حزن على شيء فاتهم، لأن الله يعطيهم ما يقر^١ به أعينهم، و كأنه غاية في التعبير لأن إجلالهم لله تعالى و هيبتهم له يمكن أن يطلق عليها خوف.

(١) في ظ: الخير (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) في ظ: باستناد (٤) في ظ: تقرر (٥) في ظ: لانه (٦) في ظ: عليها.

ولما ذكر المصدق، أتبعه المكذب فقال: ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا﴾
 أى على ما لها من العظمة باضاحها إلينا؛ ولما كان التكذيب قد يكون
 عن شبهة أو نوع من العذر، نفى ذلك بقوله: ﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾
 أى أوجدوا الكبر إيجاد من هو طالب له عظيم الرغبة فيه، متجاوزين
 عنها إلى أضداد ما دعت إليه .

ولما كان ذلك ليس سببا حقيقيا للتعذيب، وإنما هو كاشف عن
 ذرأه الله لهم لإقامة الحجة عليه، أعزى عن الفاء قوله: ﴿وَأُولَئِكَ﴾
 أى البعداء البغضاء ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ولما كان صاحب الشيء هو
 الملازم له المعروف به، قال مصرحا بذلك: ﴿م﴾ أى خاصة ليخرج
 العاصي من غير تكذيب ولا استكبار ﴿فِيهَا﴾ أى النار خاصة، وهى ١٥
 تصدق بكل طبقة من طبقاتها ﴿يُخْلَدُونَ﴾ فقد تبين أن إثبات الفاء
 أولا للترغيب فى الاتعاف، وتركها ثانيا للترهيب من شكاسة الطباع،
 فالمقام فى الموضوعين خطر، ولعل / من فوائده الإشارة إلى أنه إذا بعث
 رسول وجب على كل [من - °] سماع به أن يقصده لتحرير أمره، فإذا
 بان له صدقه تبعه، وإن تخلف عن ذلك كان مكذبا - والله الموفق . ١٥
 ولما كان تكذيب الرسل تارة يكون بشيء لم يتبعه،

(١) سقط من ظ (٢) تأخر فى الأصل عن « لا استكبار » والترتيب من ظ .
 (٣) من ظ : وفى الأصل : استكبارا (٤) تأخر فى الأصل عن « من طبقاتها »
 والترتيب من ظ (٥) زيد من ظ .

و تارة يرد ما شرعوه قولا و فعلا ، و أخبر أن المكذبين أهل النار ،
 علل ذلك بقوله : ﴿ فن اظلم ﴾ أى أشنع ظلما ﴿ بم افترى ﴾ أى تعدد
 ﴿ على الله ﴾ أى الملك الاعلى ﴿ كذبا ﴾ أى كمن شرع فى المطاعم و الملابس
 غير ما شرع ، أو ادعى أنه يوحى إليه لحكم بوجوده ما لم يوجد
 ٥ ﴿ او كذب بآياته ﴾ أى برد ما أخبر به الرسل لحكم بانكار ما وجد .
 و لما كان الجواب : لا أحد أظلم من هذا ، بل هو أظلم الناس ،
 و كان بما علم أن الظالم مستحق للعقوبة فكيف بالأظلم قال : ﴿ اولئك ﴾
 أى البعداء من الحضرات الربانية ﴿ ينالهم نصيبهم من الكسب ﴾ أى
 الذى كتب حين فزع الروح أو من الآجال التى ضربها سبحانه [لهم - ٥]
 ١٠ و الارزاق التى قسمها ، تأكيدا لرد اعتراض من قال : إن كنا خالفنا فما
 له لا يهلكنا ؟ ثم غيى نيل النصيب بقوله : ﴿ حتى إذا جاءتهم رسلنا ﴾
 أى الذين قسمنا لهم من عظمتنا ما شئنا حال كونهم ﴿ يتوفونهم ﴾
 أى يقبضون أرواحهم كاملة من جميع أبدانهم ﴿ قالوا ابن ما كنتم ﴾
 عنادا كمن هو فى جبلته ﴿ تدعون ﴾ أى دعاء عبادة ﴿ من دون الله ﴾
 ١٥ أى تزعمون أنهم واسطة لكم عند الملك الاعظم و تدعونهم حال كونكم
 معرضين عن الله ، ادعوا الآن ليمنعوكم من عذاب الهوان الذى نذيقكم
 ﴿ قالوا ضلوا ﴾ أى غاوا ﴿ عنا ﴾ فلا ناصر لنا .

(١) فى ظ ه و (٢) من ظ ، وفى الأصل : يوجد (٣) فى ظ : يوجد (٤) فى ظ :
 الذى (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : يزعمون .
 (٨) من ظ ، وفى الأصل : او (٩) فى ظ : الهون .

ولما كان الإله لا يغيب فعلوا ضلالهم بغيبتهم عنهم ، قال مترجما عن ذلك : ﴿ وشهدوا على أنفسهم ﴾ أى . بالغوا فى الاعتراف ﴿ أنهم كانوا كافرين ﴾ أى سائرین عنادا لما كشف لهم عنه نور العقل فلا مانع منه لإحطوط النفوس ولزوم البؤس .

ولما كان كأنه قيل : لقد اعترفوا ، والاعتراف - كما قيل - إنصاف ، هـ
 مهل يفهم ؟ قيل : هيئات اقات عمله بفوات^١ دار العمل لا جرم ! ﴿ قال ﴾
 أى الذى جعل الله إليه أمرهم ﴿ ادخلوا ﴾ كائنين ﴿ فى آامم ﴾ أى فى جملة جماعات و فرق أم بعضها بعضا^٢ ، ثم وصفهم دالا ببناء التأنيث على ضعف عقولهم فقال : ﴿ قد خلت ﴾ ولما كان فى الزمن الماضى من آمن ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ ولما كان الجن الأصل فى الإغواء ١٠ قدمهم فقال : ﴿ من الجن والانس ﴾ ثم ذكر محل الدخول فقال : ﴿ فى النار^٣ ﴾ .

ولما جرت عادة الرفاق بأنهم يتكلمون وحين الاجتماع يتسالمون تشوف السامع إلى حالهم فى ذلك فقال مجيبا له : ﴿ كلما دخلت أمة ﴾ أى منهم فى النار ﴿ لعنت اختها^٤ ﴾ أى القرية منها فى الدين^٥ والملة التى قضيت^٦ آثارها و اتبعت منارها ، يلعن اليهود اليهود والنصارى النصارى - وهكذا ، واستمر ذلك منهم ﴿ حتى إذا اداركوا ﴾ أى تداركوا وتلاحقوا ، يركب بعضهم بعضا - بما يشير إليه الإدغام ﴿ فيها جميعا^٧ ﴾ لم يبق منهم أمة ولا واحد^٨ من أمة ﴿ قالت اخرهم ﴾ أى فى الزمن

(١) فى ظ : يفوت (٢) فى ظ : بعض (٣) فى ظ : الزمن (٤) من ظ ، وفى الأصل : هت - كذا (٥) فى ظ : احدا .

و المنزلة ، و هم الاتباع و السفل ﴿لاولهم﴾ أى لاجلهم غاطبين لله
 خطاب المخلصين ﴿ربنا﴾ أى الذى ما قطع إحسانه فى الدنيا عنا على^٢
 ما كان منا من مقابلة إحسانه بالإساءة ﴿هؤلاء﴾ أى الاولون ﴿اضلونا﴾
 أى لكونهم أول من سن الضلال ﴿فأتهم﴾ أى أذقهم بسبب ذلك
 ه عذابا ضعفا ﴿أى يكون بقدر عذاب غيرهم^٣ مرتين لأنهم ضلوا
 و أضلوا لأنهم سنوا الضلال ، و من سن سنة [سيئة -] كان عليه
 وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، و منه لا تقتل^٤ نفس ظلما
 إلا على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه أول من سن القتل -^٥ ،
 ثم أكدوا شدة العذاب بقولهم : / ﴿من النار﴾ .

/ ٢٩٨

١٠ و لما كان كأنه قيل : لقد قالوا ما له وجه ، فهم أحيوا ؟ قيل :
 ﴿قال﴾ أى جوابا لهم ﴿لكل﴾ أى من السابق و اللاحق و المتبوع
 و التابع ﴿ضعف﴾ و إن لم يكن الضعفان^٦ متساويين لأن^٧ المتبوع و إن
 كان سببا لضلال التابع فالتابع أيضا كان سببا لهدى المتبوع فى ضلاله
 و شدة شكيمته [فيه تقويته -^٨] بالاتباع و تأييده بالمناصرة عنه و الدفاع ؛
 ١٥ و لما كانوا جامعين باستحقاقهم الضعف لسبب هذه الدقيقة قال :
 ﴿ولكن لا تعلمون ه﴾ أى بذلك .

و لما ذكر ملام الآخرين على الاولين ، عطف عليه جواب الاولين
 فقال : ﴿وقالت اولئهم﴾ أى أولى الفرق و الأمم ﴿لاخرتهم﴾ مسيئين

(١) من ظ ، و فى الأصل : ايها (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : ربهم ربهم - كذا .
 (٤) زيد من ظ (ه) من ظ ، و فى الأصل : لا يقبل (٦) من ظ ، و فى الأصل :
 الضعفا - كذا (٧) فى ظ : اد - كذا .

- عن^١ تأسيسهم لهم الضلال ودعائهم إليه ﴿فما كان لكم علينا﴾
 أى بسبب اتقيادكم لنا واتباعكم فى الضلال ﴿من فضل﴾ أى لتحمل^٢
 عنكم بسببه شيئاً من العذاب لأنه لم يعد علينا من ضلالكم قمع وقد شاركتمونا
 فى الكفر ﴿فقد عرفوا﴾ أى بسبب ذلك ﴿العذاب﴾ فى يحين ﴿بما﴾
 أى بسبب ما ﴿كنتم تكسبون﴾^٣ لا بسبب اتباعكم لنا فى الكفر .
 ولما جرت العادة بأن أهل الشدائد يتوقعون الخلاص^٤ ، أخبر
 أن هؤلاء ليسوا كذلك ، لأنهم أنجاس فليسوا أهلاً لمواطن الأقداس ،
 فقال مستأنفاً للجواب من كآبه قال : أما هؤلاء خلاص ؟ وأظهر موضع
 الإضمار تميمياً و تعليقاً للحكم بالوصف : ﴿ان الذين كذبوا بآياتنا﴾ أى
 وهى المعروفة بالعظيمة بالنسبة إلينا ﴿واستكبروا عنها﴾ أى وأوجدوا^٥
 الكبر متجاوزين عن اتباعها ﴿لا تفتح لهم﴾ أى لصعود أعمالهم
 ولا دعائهم ولا أرواحهم ولا لزول البركات عليهم ﴿ابواب السماء﴾
 لأنها طاهرة عن الأرجاس الحسية والمعنوية فاذا صعدت^٦ أرواحهم
 الحسية بعد الموت مع ملائكة العذاب أغلقت الأبواب دونها ثم أقيت
 من هناك إلى يحين ﴿ولا يدخلون الجنة﴾ أى التى هى أطهر المنازل^٧
 وأشرفها ﴿حتى﴾ يكون ما لا يكون بأن ﴿يلج﴾ أى يدخل ويحوز^٨
 ﴿الجل﴾ على كبره ﴿فى سم﴾ أى فى خرق ﴿الحياط﴾ أى
 (١) من ظ ، وفى الأصل : على (٢) من ظ ، وفى الأصل : ليحمل (٣) من ظ
 و القرآن الكريم ، وفى الأصل : تكفرون - كذا (٤) سقط من ظ (٥) من
 ظ ، وفى الأصل : الكفر (٦) من ظ ، وفى الأصل : اصعدت (٧) فى ظ : يحيل - كذا .

الإبرة^١ أى حتى يكون مالا يكون ، إذا^٢ [فهو تعليق على محال -^٣] ، فإن
الجل مثل فى عظم الجرم عند العرب ، وسم الإبرة مثل فى ضيق
المسلك ، يقال : أضيق من خرق الإبرة ، ومنه الماهر الخريت للدليل
الذى يهتدى فى المضايق المشبهة بأخراق الإبر ، وعن ابن مسعود
ه رضى الله عنه أنه سئل عن الجل فقال : زوج الناقة - استجهالا للسائل
و إشارة إلى أن^٤ طلب معنى آخر غير هذا الظاهر تكلف .

و لما كان هذا للكذابين المستكبرين أخبر أنه لمطلق القاطعين أيضا
قال : (وكذلك) أى [و -^٥] مثل ذلك الجزاء بهذا العذاب
[وهو أن دخولهم الجنة محال عادة -^٦] (يجرى المجرمين ه) أى القاطعين
١٠ لما أمر الله به أن يوصل وإن كانوا أذنانا مقلدين للمستكبرين [المكذبين -^٧] ،
ثم فسر جزاء الكل فقال : (لهم من جهنم مهاد) أى فرش من تحتهم ،
جمع مهده ، ولعله لم يذكره لأن المهاده كالصرح فيه (ومن فوقهم غواش^٨)
أى أغطية - جمع غاشية - تغشيهم من جهنم^٩ ، و صرح فى هذا بالفوقية
لأن الغاشية ربما كانت عن يمين أو شمال ، أو كانت بمعنى مجرد الوصول
١١ والإدراك ، ولعله إنما حذف الأول لأن الآية من الاحتباك ، فذكر
جهنم أولا دليلا على إرادتها ثانيا ، وذكر الفوق ثانيا دليلا على إرادة
التحت أولا .

(١ - ١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ .

(٤) من ظ ، وفى الأصل : جهنم .

ولما كان بعضهم 'ربما لا تكون' له أهلية قطع ولا وصل ، قال
عاما بلميسع أنواع الضلال : (وكذلك) أى ومثل ذلك الجزاء
(نهى الظالمين) لعرف أن المدار على الوصف ، والمجرم : المذنب ،
و مادته ترجع^١ إلى القطع ، و الظالم : الواضح للشئ في غير موضعه كفعل
من يمشى في الظلام ، [ويحوز -^٢] أن يكون به سبحانه بتغير الأوصاف^٣ ،
على تلازمها ، فن كان ظالما لزمه الإجرام والتكذيب والاستكبار
/ وبالعكس .

٢٩٩ /

ولما أخبر عن أحوالهم ترهيبا ، أتبعه الإخبار عن أحوال المؤمنين
ترغيبا فقال : (والذين آمنوا^٤) في مقابلة "الذين كذبوا"^٥ .
ولما قال : (وعملوا) أى تصديقا لإيمانهم في مقابلة "الذين استكبروا"^٦ .
(الصلحت) وكان ذلك مظنة لتوهم أن عمل جميع الصالحات - لانه
جمع على^٧ [بالالف و -^٨] اللام - شرط في دخول الجنة ، خلل ذلك بجملة
اعتراضية تدل على التخفيف فقال : (لا نكلف نفسا الا وسعها^٩) وترغيبا
في اكتساب^{١٠} ما لا يوصف من النعيم بما هو في الوسع (اولئك) أى
العالو الرتبة^{١١} (اصحب الجنة^{١٢}) ولما كانت الصحبة تدل على الدوام ،
صرح به فقال : (هم فيها خالدون^{١٣}) .

- (١-١) من ظ ، وفي الأصل : انما لا يكون (٢) من ظ ، وفي الأصل : يرجع .
(٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : الاصواف (٥) من ظ والقرآن
الكريم ، وفي الأصل : اتقوا - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : كفروا - كذا .
(٧) في ظ : محكي (٨) من ظ ، وفي الأصل : باللام (٩) من ظ ، وفي الأصل :
الكتاب (١٠) من ظ ، وفي الأصل : الدين .

ولما كانت الدار لا تطيب إلا بحسن الجوار قال: ﴿ ونزعنا ﴾
 أى بما لنا من العظمة التى لا يعجزها شيء ﴿ ما^١ ﴾ كان فى الدنيا
 ﴿ فى صدورهم من غل ﴾ أى ضغينة وحق و غش من بعضهم على بعض
 يقل ، أى يدخل بلطف إلى صميم القلب ، ومنه الغلول ، وهو الوصول
 بالحيلة إلى الذنوب الدقيقة ، ويقال : غل فى الشيء^٢ وتغلغل فيه - إذا
 دخل فيه بلطافة كالحب يدخل فى صميم الفؤاد ، حتى أن صاحب الدرجة
 [السافة لا يحصد صاحب -^٣] العالية .

ولما كان حسن الجوار لا يلذ إلا بطيب القرار باحكام الدار ، وكان
 الماء سبب العمارة وطيب المنازل ، و كان الجارى منه أعم قعما و أشد
 ١٠ استجلايا للسرور^٤ قال تعالى : ﴿ تجري من ﴾ وأشار إلى علوم بقوله :
 ﴿ تحتهم الأنهر ﴾ فلما تمت لهم النعمة بالماء الذى به حياة كل شيء فعرف
 أنه يكون^٥ عنه الرياض و الأشجار^٦ و كل ما به حسن الدار ، أخبر عن
 تعاطيهم الشكر لله و لرسوله المستجلب للزيادة بقوله : ﴿ وقالوا الحمد ﴾ أى
 الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ لله ﴾ أى المحيط بكل شيء علما و قدرة لذاته
 ١٥ لا شيء آخر ، ثم وصفوه بما يقتضى ذلك له لأوصافه أيضا ، فقالوا
 معللين أنه لا سبب لهم فى الوصول إلى النعيم غير فضله فى الأولى

(١) تأخر فى الأصل عن « فى الدنيا » والترتيب من ظ (٢) من ظ ، وفى
 الأصل : السى (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : بالسرور (٦) زيد
 بعده فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٧) فى ظ : تكون (٨) من
 ظ ، وفى الأصل : الايجاب - كذا (٩) فى ظ : لأنه .

و الأخرى : ﴿ الذى هدنا ﴾ أى باليان و التوفيق ، [وأوصوا الهداية على ما وصلوا إليه إطلاقاً للسبب على السبب - ١] ﴿ لهذا ﴾ أى للعمل الذى أوصلنا إليه (وما) أى و الحال أنا ما ﴿ كنا لتهتدى ﴾ أصلاً لبناء جبلتنا على خلاف ذلك ﴿ لو لا أن هدنا الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ، و قراءة ابن عامر بنير واو على أن الجملة موضحة لما قبلها ، و القراءتان ٥ دامتان للقدرة .

و لما كان تصديقهم للرسول فى الدنيا إيماناً بالغيب من باب علم اليقين ، أخبروا فى الآخرة بما وصلوا إليه من عين اليقين سروراً و تبججاً لا تعبداً ، و ثناء على الرسول و من أرسلهم بقولهم مفتحين بحرف التوقع لأنه محله : ﴿ لقد جاءت رسل ربنا ﴾ أى المحسن إلينا ١٠ ﴿ بالحق ﴾ أى الثابت الذى يطابقه الواقع الذى لا زوال له .

و لما غبطوا أنفسهم و حقروها و أثبتوا الفضل لأهلهم ، عطف على قولهم [قوله - ١] ماثلاً عليهم بقبول أعمالهم ، و لما كان السار الإخبار عن الإيراث لا كونه من معين ، بنى للقول قوله : ﴿ و نودوا ﴾ أى إتماماً لتعظيمهم (ان) هى المخففة من الثقيلة أو هى المفسرة ﴿ تلکم الجنة ﴾ ١٥ العالقة (اورثموها) أى صارت إليكم من غير تعب و لا منازع ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كنتم تعملون ٥ ﴾ لأنه سبحانه جعله سبباً

(١) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : العمل (٣) فى ظ : قرا (٤) فى ظ : علم (٥) فى ظ : بقوله (٦) فى ظ ٥ و (٧ - ٧) فى ظ : بنير . (٨) زيد بعده فى الأصل : أى إتماماً لتعظيمهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها .

١ ظاهرًا بكرمه^١ ، و الحب الحقيقي هو ما ذكروه [م-٢] من توفيقه .

ولما استقرت بهم الدار ، ونودوا بدوام الاستقرار ، أخرج سبحانه
أهلهم أقبلوا متبججين على أهل النار شامتين بهم في إحلالهم دار البوار
تلذذا لأنفسهم بالنعيم وتكديرا على الأشقياء في قوله : (و نادى أصحاب
الجنة) أي بعد دخول^٢ كل من الفريقين إلى داره (أصحاب النار)

يخبرونهم بما أسبغ عليهم من النعم ، ويقررونهم بما كانوا يتوعدونهم
به من حلول^٣ النعم ، ثم فر^٤ ما وقع له النداء بقوله : (ان) أو هي^٥
عضفة من الثقبلة ، وذكر حرف التوقع لأنه محله فقال : (قد وجدنا)

٣٠٠ / أي / بالبيان كما كنا واجدين له بالإيمان (ما وعدنا ربنا) أي المحسن

١٠ إلينا في الدارين من الثواب (حقا) أي [وجدنا جميع ما وعدنا

ربنا لنا ولنغيرنا حقا - ٢] كما كنا نعتقد (فهل وجدتم) أي كذلك

(ما وعد) وأثبت المفعول الأول تلذذا ، وحذف هنا احتقارا

للخاطئين ، ويشمل^٦ ما للفريقين فيكون ' وجد ' بمعنى العلم و بمعنى اللقي ،

وفي التعبير بالوعد دون الوعيد مع ذلك تهكم بهم (ربكم) أي الذي

١٥ أحسن إليكم فقابلتم إحسانه بالكفران^٧ من العقاب (حقا) [لكونكم

وجدتم ما توعدكم به ربكم حقا - ٢] (قالوا نعم ج) أي قد وجدنا ذلك

(١-٢) من ظ ، وفي الأصل : طاهرا بالكرامة (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ .

(٤-٤) من ظ ، وفي الأصل : النعم بهم غير - كذا (هـ) من ظ ، وفي الأصل :

يشتمل (٦) من ظ ، وفي الأصل : بالكفر .

كله حقا ، قال سيويه : 'نعم' عِدَّة ، أى فى جواب : أتعطينى كذا ، و تصديق
فى مثل قد كان كذا ، [و الآية من الاحتباك : أثبت المفعول الثانى أولا دليلا
على حذف مثله ثانيا ، وحذفه ثانيا دليلا على إثبات مثله أولا - والله أعلم -] .
ولما حبوا من النعم بما تقدم ، وكان منه الجار الحسن ، وكان

- العيش مع ذلك لا يهنا إلا بإبعاد جار السوء ، أخبروا يعده و زيدوا سرورا □
باهاتته فى قوله : (فاذن) أى بسبب ما أقر به أهل النار على أنفسهم
(مؤذن بينهم) أى بين الفريقين (ان) مخففة أو معصرة فى قراءة
نافع و أبى عمرو و عاصم ، و شدها الباقون و نصبوا (لعنة الله) أى
طرد الملك الأعظم و إبعاده على وجه الغضب (على الظلمين) أى
الذين كانوا مع البيان الواضح يضعون الأشياء فى غير مواضعها كحال^٢ ١٠
من لم ير نورا أصلا (الذين يصدون) أى لهم فعل الصد لمن أراد
الإيمان و لمن آمن و لغيرهما بالإضلال بالإرغاب و الإرهاب و المكر
و الخداع (عن^٣ سبيل الله) أى طريق دين الملك الذى لا كفوء له
الواضح الواسع (و ييغونها) أى يطلبون لها (عوجاج) بالقاء الشكوك
و الشبهات ، و قد تقدم ما فيه فى آل عمران (و هم بالأخرة كفرون^٤) ١٥
أى ساترون ما ظهر لمقولهم من دلائلها ، فتى وجدت هذه الصفات
الأربع حقت اللعنة (و بينهما) أى [و -^١] حال الفريقين عند [هذه -^١]
المناداة أنه بينهما^٥ أو بين الدارين^٦ (حجاب^٧) أى سور لئلا يجد أهل
(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لخال (٣) فى ظ : فى - كذا .
(٤ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ .

النعم في دارهم ما يكدر نعيمها ﴿وعلى الاعراف﴾ جمع عرف وهو كل عال مرتفع لانه يكون أعرف بما انخفض، وهي المشرقات من ذلك الحجاب ﴿رجال﴾ استوت حسناتهم وسيئاتهم فوقوا هنالك حتى يقضى الله فيهم ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته كما جاء مفسرا في مسند ابن أبي خيثمة من حديث جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يرفون كلا﴾ أى من أصحاب الجنة وأصحاب النار قبل دخول كل منهم داره ﴿بسينهم﴾ أى علامتهم ﴿ونادوا﴾ أى أصحاب الاعراف ﴿اصحب الجنة﴾ أى بعد دخولهم إليها واستقرارهم فيها ﴿ان سلم عليكم﴾ أى سلامة وأمن من كل ضار.

١٠ ولما كان هذا السلام ربما أشعر أنه بعد دخول أهل الاعراف الجنة، فكأنه قيل: أكان نداؤهم بعد مفارقتهم الاعراف ودخولها؟ قيل: لا، ﴿لم يدخلوها﴾ أى الجنة بعد ﴿وهم﴾ أى والحال أنهم ﴿يطمعون﴾ فى دخولها، وعبر بالطمع لانه لا سبب للعباد إلى الله من أنفسهم وإن كانت لهم أعمال فضلا عن هؤلاء الذين لا أعمال لهم.

١٥ ولما دل ما تقدم على أنهم مقبلون على الجنة وأهلها، قال مرغبا مرهبا: ﴿واذا صرفت﴾ بناء للفعول لأن الغيف لهم الصرف لا كونه من معين ﴿ابصارهم﴾ أى صرفها صارف من قبل الله بغير اختيار منهم ﴿تلقآء﴾ أى وجاه ﴿اصحب النار﴾ أى بعد استقرارهم فيها قرأوا ما فيها من العذاب ﴿قالوا﴾ أى أصحاب الاعراف حال كونهم لم يدخلوها (١) زيد بعده في الأصل: على، ولم تكن الزيادة في ظ لخذفناها (٢) سقط من ظ.

وهم يخافون [مستعيزين منها - ١] ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا فى الدنيا بكل إحسان وفى الآخرة بكونك لم تدخلنا إلى هذا الوقت إلى النار ﴿ لا نجعلنا مع القوم الظالمين ٢ ﴾ بأن تدخلنا مدخلهم .

- ولما تقدم كلامهم لأهل الجنة بالسلام ، أخبر أنهم يكلمون أهل النار بالتوبيخ والملام فقال : ﴿ ونادى ﴾ وأظهر الفاعل ثلثا يلبس بأهل الجنة فقال : ﴿ اصحب الاعراف ﴾ أى حال صرف وجوههم إلى جهة أهل النار ﴿ رجالا ﴾ أى من أهل النار ﴿ يعرفونهم ﴾ أى بأعيانهم ، وأما معرفتهم إجمالاً فتقدم ، وإنما قال هنا : ﴿ بسيمنهم ﴾ لأن النار قد أكلتهم وغيرت معاملهم مع تغيرهم بالسمن و سواد الوجوه وعظم الجثث^٣ ونحوه ﴿ قالوا ﴾ نفياً أو استفهاماً توبيخاً وتقريماً ﴿ ما أغنى عنكم جمعكم ﴾ ١٠
أى لئال والرجال ﴿ وما كنتم تستكبرون ٤ ﴾ أى تهجدون بها هذه الصفة وتوجدونها دائماً فى الدنيا زاعمين أنه لا غالب لكم ، ثم زادوا فى توبيخهم وتقريعهم وتحزينهم وتأسيفهم والإنكار عليهم بقولهم^٥ مشيرين إلى ناس كانوا يستضعفونهم من أهل الجنة ويحقرونهم : ﴿ اتولوا ﴾ وكأنه يكشف لهم عنهم حتى يروهم^٦ زيادة فى عذابهم ﴿ الذين اقسمت ﴾ ١٥
أى فى الدنيا ﴿ لا ينالهم الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ برحمته^٧ ﴾ فكيف بكال الرحمة .

ولما كان التصريح بأمرهم بدخول الجنة إنكاه لأهل النار لانه أننى

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : الجنب (٤) فى ظ « و » (٥) من ظ ، وفى الأصل : بقوله (٦) من ظ ، وفى الأصل : وهم - كذاه

لما أقسموا عليه ، قالوا : ﴿ ادخلوا ﴾ أى قال الله لهم أو قاتل من قبله :
 ادخلوا ﴿ الجنة لا خوف عليكم ﴾ أى من شئ يمكن توقع أذاه
 ﴿ ولآ اتم تخرونه ﴾ أى يتجدد لكم حزن فى وقت من الأوقات على
 شئ فات لما عندكم من الخيرات التى لا تدخل تحت الوصف .

٥ ولما تقدم نداء أصحاب الجنة عند ما حصل لهم السرور بدخولها
 لأصحاب النار بما يؤلم وينكى^٢ ، وختم هذه الرحمة التى تطمع المحروم
 فيما يسر ويركى ، أخبر أن أصحاب النار ينادون أصحاب الجنة عند ما حصل
 لهم من النعم بدخولها ، لكن بما شأنه أن يرقق ويكى ، فقال ما يدل على أن
 عندهم كل مانق عن أهل الجنة فى ختام الآية السالفة من الخوف والحزن :
 ١٠ ﴿ ونادى أصحاب النار ﴾ أى بعد الاستقرار ﴿ أصحاب الجنة ﴾ بعد أن^٣
 عرفهم لإيام وأمر الجنة فتزخرفت فكان ذلك زيادة فى عذابهم ؛
 ثم فسر المنادى به فقال : ﴿ ان افيضوا علينا من الماء ﴾ أى لأنكم أعلى
 منا ، فاذا أفضتموه وصل إلينا ، وهذا من فرط ما هم فيه من البلاء ، فان
 بين^٤ النار والجنة أهوية لا قرار لها ولا يمكن وصول شئ من الدارين
 ١٥ إلى الأخرى معها .

ولما كانت الإفاضة تتضمن الإزال قالوا : ﴿ او ﴾ أى^٥ أو أنزلوا
 علينا ﴿ بما رزقكم الله ﴾ أى الذى له النقي المطلق ، من أى شئ هان
 عليكم لإزاله ﴿ قالوا ﴾ أى أصحاب الجنة ﴿ ان الله ﴾ أى الذى حاز
 (١) من ظ ، وفى الأصل : لا يدخل (٢) فى ظ : ييكى (٣) سقط من ظ .
 (٤) من ظ ، وفى الأصل : يضمن .

جميع العظمة ﴿ حرهما ﴾ أى منعها بتلك الأهوية وغيرها من الموانع
 ﴿ على الكافرين ﴾ أى الساترين لما دلهم عليه قويم العقل و صريح
 النقل ﴿ الذين اتخذوا ﴾ أى تكلفوا غير ما دلهم عليه العقل الفطرى
 حين نبه بالعقل الشرعى بأن أخذوا ﴿ دينهم ﴾ بعد ما محقوا صورته
 و حقيقته كما يمحى الطين إذا اتخذته خروفاً ، فصار الدين ﴿ هوا ﴾ أى ه
 اشتغالا بما من شأنه أن يغفل و ينسى عن كل ما ينفع من الأمور المعجبة
 للنفس من غير نظر فى عاقبة ، فحوزوا من [جنس - ١] عملهم بأن
 لم ينظر لهم فى إصلاح العاقبة .

ولما قدم ما هو ادعى إلى الاجتماع على الباطل الذى هو ضد^٢
 مقصود السورة من الاجتماع على الجيد و ادعى إلى الغفلة ، وكان من ١٠
 شأن الغفلة [عن الخير - ٢] أن تجر إلى استجلاب الأفراح و الانهاك
 فى الهوى ، حقق ذلك [بقوله - ٢] : ﴿ ولعبا ﴾ أى إقالا على ما يجب
 السرور و يقطع الوقت الحاضر بالغرور ، و لذلك أتبعه قوله : ﴿ وغرهم ﴾
 أى فى فعل ذلك ﴿ الحياة الدنيا ﴾ أى بما فيها من الأعراض الزائلة من
 تأميل طول العمر و البسط^٣ فى الرزق و رغد العيش حتى صاروا بذلك ١٥
 محجوبين عن نظر معانيها و عمادها إلى تعالى من الأعراض عنها فلم يحسبوا
 / حساب ما وراءها . [ولما كان تركهم من رحمته سبحانه مؤيدا ، أسقط
 الجار - ٢] ﴿ فاليوم ﴾ أى قسب^٤ عن ذلك أنا فى هذا اليوم ﴿ أنفسهم ﴾
 (١) فى ظ : دل (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : فيه (٤) فى ظ : بالقرر (ه) فى ظ :
 البسطة (٦) من ظ ، وفى الأصل : فسبب .

أى تتركهم ترك المنسى (كما) فعلوا [م-'] بأقْسَمهم بأن (نسوا) أى تركوا (لقاء يومهم هذا) فلم يعدوا له عذته (وما) أى وكما (كانوا) أى جبلة وطبعا (بأيتنا) على ما لها من العظمة بنسبتها إلينا (يحدون) أى ينكرون وهم يعرفون حقيقتها لأنها فى غاية الظهور .

٥ ولما ذكر نسيانهم وجحودهم ، ذكر حالهم عند ذلك فقال :
(ولقد) أى فعلوا ذلك والحال أما وعزتنا قد (جئتهم) أى على عظمتنا باتيان رسولنا إليهم عنا (بكسب) ليس هو موصفا للجحد أصلا ، ثم بين ذلك فى سياق مرغب للوآلف مرهب للخالف فقال :
(فصلته) أى بينا معانيه لم ندع فيها لبسا ، وجعلنا آياته فواصل حال
١٠ كون ذلك التفصيل (على علم) أى عظيم ، فجاء معجرا فى نظمه ومعناه وسائر علمه ومفراه ، وحال كونه (هدى) أى يانا (ورحمة) أى إكراما ، ثم خص المتضمنين به لأن من لا ينتفع بالشئ فهو كالمعدوم فى حقه فقال : (لقوم يؤمنون) أى فيهم قابلية ذلك ، وفيه رجوع إلى وصف الكتاب [الذى هو أحد مقاصد السورة على
١٥ أبدع وجه فى أحسن أسلوب .

ولما وصف الكتاب - '] وذكر المتفع به ، تشوفت النفس إلى السؤال عن حال من لا يؤمن به وهم الجاحدون ، فقال مشيرا إلى أن حالهم فى وقوفهم عن المتابعة بعد العلم بصدقه بجزم عنه كحال من

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : على .

ينتظر أن يأتي مضمون وعيده : ﴿ هل ينظرون ﴾ أى ينظرون ، ولكنه لما لم يكن لهم قصد فى ذلك بغير ما يفهمه الحال ، جرد الفعل وإفادة أنه بتحقيق إتيائه^١ فى غاية القرب حتى كأنه مشاهد لهم ﴿ الا تاويله : ﴾ أى تصوير^٢ ما فيه من وعد وعيد إلى مقاره وعواقب أمره التى أخبر أنه يصير إليها .

ولما كان كأنه قيل : ما يكون حالهم حينئذ ؟ قال : التحسر والإذعان حيث لا ينفع ، والتصديق والإيمان حين لا يقبل ، وعبّر عن ذلك بقوله : ﴿ يوم يأتي تاويله ﴾ أى بلوغ وعيده إلى مبلغه فى الدنيا أو فى الآخرة ، ولما قدم اليوم اهتماما به ، أتبعه العامل فيه فقال : ﴿ يقول الذين نسوه ﴾ أى تركوه ترك المنسى ، ويجوز أن يكون عد ذلك ١٠ نسيانا لأنه ركز فى ° الطباع أن كل ملك لا بد له من عرض جنده ومحاسبتهم ، فلما أعرضوا عن ذلك فيما هو من جانب الله عده نسيانا منهم لما ركز فى ° طباعهم .

ولما كان نسيانهم فى بعض الزمان السابق ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل ﴾ أى قبل كشف الغطاء محققين للتصديق ﴿ قد جاءت ﴾ أى ١٥ فيما سبق من الدنيا ﴿ رسل ربنا ﴾ أى المحسن إلينا ﴿ بالحق ﴾ أى المطابق لهذا الواقع الذى نراه مما كانوا يتوعدوننا به ، فما صدقوا حتى رأوا

(١) فى ظ : ليحقق (٢) من ظ ، وفى الأصل : إتيائه (٣) من ظ ، وفى الأصل : يصير (٤-٥) تكرر ما بين الرقين فى ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ .

فلم يؤمنوا بالغيب [ولا -^١] أوقموا الإيمان في دار العمل فلذا لم ينفعهم .

ولما وصفوه سبحانه بالإحسان لما كشف الحال عنه من حله و طول
أناته ، سيوا عن ذلك قولهم : ﴿ فهل لنا من شفعاء ﴾ أى فى هذا اليوم ،
و كأنهم جمعوا الشفعاء لدخولهم فى جملة الناس فى الشفاعة العظمى لفصل
القضاء ، ثم سيوا عن ذلك تحقيق كونهم لهم أى بالخصوص فقالوا :
﴿ فيشفعوا لنا ﴾ أى سواء كانوا من شركائنا الذين كنا نتوهم فيهم النفع
أو من غيرهم ليغفر لنا ما قدمنا من الجرائم ﴿ او زرد ﴾ أى إن لم يغفر لنا
إلى الدنيا التى هى دار العمل ، والمعنى أنه لا سبيل لنا إلى الخلاص إلا
١٠ أحد هذين السبيلين^٢ ، ثم سيوا عن جواب هذا الاستفهام الثانى قولهم :
﴿ فنعمل ﴾ أى فى الدنيا ﴿ غير الذى كنا ﴾ أى بمجالاتنا من غير نظر
عقلى ﴿ فنعمل ط ﴾ .

ولما كان من المعلوم عد من صدق القرآن و علم^٣ مواقع ما فيه
من الاخبار أنه لا يكون لهم شئ من ذلك ، كانت نتيجة^٤ قوله :
١٥ ﴿ قد خسروا أنفسهم ﴾ أى فلا أحد أخسر منهم ﴿ و ضل ﴾ أى غاب و بطل
/ ٣٠٣ ﴿ عنهم ما كانوا ﴾ / أى جملة و طبعا ، لا يمكنهم الرجوع^٥ عنه إلا عند
روية الأساس^٦ ﴿ يفترون ع ﴾ أى يتعمدون فى الدنيا من الكذب

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : الشيعين .
(٤-٤) فى ظ : ما وقع (٥) فى ظ : نتيجة (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ .

في أمره لقصد العناد للرسول من ادعاء أن الأصنام تشفع لهم [و - ١] غير ذلك من أكاذيبهم .

ولما كان مدار القرآن على تقرير الأصول الأربع : التوحيد والنبوة والمعاد والعلم ، وطال الكلام في إخاره سبحانه عن أوامره ونواهيه وأفعاله بأوليائه وأعدائه الدالة على تمام القدرة والعلم ، وختم بأن شركاءهم هـ تغنى عنهم ، علل ذلك بأنه " الرب لا غيره ، في سياق دال على الوحدانية التي هي أعظم مقاصد السورة ، كقيل باظهار الحجج عليها ، وعلى المقصد الثاني - وهو الإعادة التي فرغ من تقرير أحوالها بالإدعاء الذي تقرر في العقول أنه " أشد من الإعادة - بأدلة متكفلة بتمام القدرة والعلم فقال : (ان ربكم) أي المحسن إليكم بالإيجاد من العدم وتدير المصالح هو (الله) ١٠ أي الملك الذي لا كفوء له وحده لا صنم ولا غيره ، ثم وصفه بما حقق ذلك فقال : (الذي خلق السموات والأرض) أي على اتساعها وعظمتها .

ولما كان ربما قال الكفار : ما له إذا كان قادرا وأنت محق في رسالتك لا يجعل لنا الإتيان بتأويله ، بين أن عادته الأناة وإن كان ١٥ أمره وأخذ كالمح بالبصر إذا أراد ، فقال : (في ستة أيام) أي في مقدارها ؛ ولما كان تدير هذا الخلق أمرا باهرا لا تسعه العقول ، ولهذا كانت قریش تقول : كيف يسع الخلق إله واحد ! أشار إلى

(١) زيد من ظ (٢-٢) في ظ : بأن (٣) في ظ : الذي (٤) من ظ ، وفي الأصل : متكلفة (٥) من ظ ، وفي الأصل : اراد (٦) من ظ ، وفي الأصل : مقدرها .

عظمته وعلو رتبته بأداة البعد فقال: ﴿تم استوى على العرش قد﴾
 أى أخذ في التدبير لما أوجده وأحدث خلقه أخذا مستوفى مستقصى
 مستقلا^١ به لأن هذا شأن من يملك ملكا ويأخذ في تدبيره وإظهار
 أنه لا منازع له في شيء منه وليكون^٢ خطاب الناس على ما ألفوه^٣ من
 ٥ ملوكهم لتستقر في عقولهم عظمته سبحانه، وركز في فطرم الأولى من
 نفي التشبيه^٤ منه، ويقال: فلان جلس على سرير الملك، وإن لم يكن
 هناك سرير ولا جلوس، وكما يقال في ضد ذلك: فلان مثل عرشه، أى
 ذهب عزه وانتقض ملكه وفسد أمره، فيكون هذا كناية لا يلتفت
 فيه إلى أجزاء التركيب، والالفاظ على ظواهرها كقولهم للطويل:
 ١٠ طويل النجاد، وللكریم: عظيم الرماد.

ولما كان سبحانه لا يشغله شأن عن شأن، ابتدأ من التدبير بما هو آية
 ذلك بمشاهدته في تغطية الأرض بظلامه في آن واحد، فقال دالا على
 كمال قدرته المراد بالاستواء بأمر يشاهد كل يوم على كثرة منافعه التي
 جعل سبحانه بها انتظام هذا الوجود: ﴿يغشى﴾ أى استوى حال كونه
 ١٥ يغشى ﴿الليل النهار﴾ وقال أبو حيان: وقرأ حميد بن قيس: يغشى الليل -
 بفتح الياء وسكون الفين وفتح الشين وضم اللام، كذا^١ قال عنه^٢
 أبو عمرو الداني، وقال أبو الفتح بن جنى عن حميد بنصب الليل ورفع
 (١) من ظ، وفي الأصل: مستقبلا (٢) من ظ، وفي الأصل: قال - كذا.
 (٣) من ظ، وفي الأصل: الفتي - كذا (٤) من ظ، وفي الأصل: التشبه.
 (٥) سقط من ظ (٦-٦) تكرر ما بين الرقین في ظ (٧) العبارة من هنا إلى
 «أبي عمرو الداني» ساقطة من ظ.

النهار ، وقال ابن عطية : وأبو الفتح أثبت ، [و - ١] هذا الذي قاله
 - أن أبا الفتح أثبت - كلام لا يصح ، إذ رتبة أبي عمرو الداني في القراءة
 [ومعرفة - ١] وضبط رواياتها واختصاصه بذلك بالمكان الذي
 لا يدانيه أحد من أئمة القراءة فضلا عن النحاة الذين ليسوا مقرئين
 ولا رووا القراءة عن أحد ولا روى عنهم القراءة * أحد ، هذا مع ٥
 الديانة الزائدة والكتبت في النقل وعدم التجاسر وفور الحظ من
 العرية ، فقد رأيت له كتابا في ' كلا ' وكتابا في إدغام أبي عمرو الكبير
 دلا على اطلاعه على ما لا يكاد يطلع عليه أئمة النحاة ولا المقرئين إلى
 سائر تصانيفه ، والذي نقله أبو عمرو الداني عن حميد أمكن من حيث
 المعنى ، لأن ذلك موافق لقراءة الجماعة إذ " الـ " في قراءتهم - وإن كان ١٠
 منصوبا - هو الفاعل من حيث المعنى إذ همزة / النقل أو التضمين
 صيره مفعولا ، ولا يجوز أن يكون مفعولا ثانيا من حيث المعنى ، لأن
 المنصوبين تعدى إليهما الفعل وأحد هما فاعل من حيث المعنى ، فيلزم
 أن يكون الأول منهما كما لزم ذلك في : ملكك زيدا عمرا ، إذ رتبة التقديم
 هي الموضحة أنه الفاعل من حيث المعنى كما [لزم ذلك - ٩] في ضرب ٥
 موسى عيسى - انتهى .

(١) زيد من البحر المحيط ٣٠٩ / ٤ (٢) من البحر ، وفي الأصل : قال (٣) في
 ظ : المكان (٤) في ظ : معربين (٥) في البحر : القرآن (٦-٧) من ظ والبحر ،
 وفي الأصل : الزيادة والتثنية (٧) من ظ والبحر ، وفي الأصل : التباسه -
 كذا (٨) من البحر ، وفي الأصل و ظ « و » (٩) زيد من ظ والبحر .

ولما أخبر سبحانه أن الليل يغطي النهار ، دل على أن النهار كذلك بقوله
 •بيننا لحال الليل: (يطلبه) أى الليل يمر^١ و يطلب^٢ النهار دائماً طلباً (حيثاً)
 أى سريعاً جداً لتغطية^٣ الليل ، وذلك لأن الشيء لا يكون مطلوباً
 إلا بعد وجوده ، وإذا وجد النهار كان مغطياً ليل^٤ ، لأنها ضدان ،
 ٥ وجود أحدهما ماح لوجود الآخر ، و ابتداء سبحانه بذكر الليل لأن
 إغشائه أول كائن بعد تكمل الخلق ، و حركتها بواسطة حركة
 العرش ، ولذا ربطها به ، وهى أشد الحركات سرعة و أكلها شدة ،
 و للشمس نوعان من الحركة : أحدهما بحسب ذاتها تم بقطع الدرج كلها
 فى^٥ جميع الفلك ، و بسببه تحصل السنة ، و الثانى بحسب حركة الفلك
 ١٠ الأعظم تتم^٦ فى اليوم بليلته ، و الليل و النهار إنما يحصلان^٧ بسبب^٨
 حركة السماء الأقصى الذى يقال له^٩ العرش لا بسبب حركة النيرين ،
 و أجاز ابن جنى أن يكون " يطلبه " حالا من النهار فى قراءة الجماعة
 و إن كان مفعولاً ، أى حال كون النهار يطلب الليل حيثاً ليغطيه^{١٠} ،
 و أن يكون حالا منهما معا لأن كلا منهما طالبي للآخر ، " وهذا
 ١٥ يتنظم ما قاله فى قراءة حميد ، فان كلا منهما يكون غاشياً للآخر " ،
 قال فى كتابه المختص فى القراءات الشواذ : و وجه صحة القراءتين
 (١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : طلب (٣) فى ظ : ليغطيه .
 (٤) من ظ ، وفى الأصل : الليل (٥) من ظ ، وفى الأصل : فن (٦) فى ظ :
 يتم (٧) من ظ ، وفى الأصل : يحصلان (٨) فى ظ : بحسب (٩) من ظ ،
 وفى الأصل : لتغطيه (١١-١٢) سقط ما بين الرقيع من ظ .

- [و-^١] التقاء معنيهما أن الليل و النهار يتعاقبان ، و كل واحد منهما^٢ و إن أزال صاحبه فان صاحبه أيضا مزيل له . و كل واحد منهما على هذا فاعل و إن كان مفعولا و مفعول و إن كان فاعلا ، على^٣ أن الظاهر في الاستحاثات هنا إنما هو النهار لأنه بسفوره و شروقه أظهر أثرا في الاستحاثات من الليل .
- ولما ذكر الملوك ، أتبعهما آية كل فقال : ﴿ و الشمس و القمر و النجوم ﴾ أى خلقها ، أو يفتى كل قليل منهما^٤ ما الآخر آيته حال كون الكل ﴿ مسخروت ﴾ أى للسير وغيره ﴿ بامرء ﴾ و هو إرادته و كلامه ، تقودها الملائكة كما^٥ روى أن لله ملائكة يحرون الشمس و القمر .
- ولما صح^٦ أن جميع ما رآه^٧ من الذوات خلقه ، و ما نعله من المعاني أمره ، أتبع قطعا قوله : ﴿ الاله ﴾ أى وحده ، [و قدم السبب ١٠ على السبب ترقية - كما هو مقتضى الحكم - من المحسوس إلى المعقول فقال -^١] : ﴿ الخلق ﴾ و هو ما كان من الإيجاد بتسبيب و تنمية و تطوير ، قال الرازى : فكل ما كان جسما أو جسمانيا كان مخصوصا بمقدار معين فكان من عالم الخلق ، فعالم الخلق بتسخيره ، و عالم الامر بتدبيره ، و استيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره^٨ ﴿ و الامر ﴾ و هو ما كان من ذلك ١٥ إخراجا من العدم من غير تسبب كالروح ، و ما كان حفظا و تدويرا بالكلام
-
- (١) زيد من ظ (٢-٣) زيد بعده في الأصل : على ، ولم تكن الزيادة في ظ لحذفها .
 (٣) سقط من ظ (٤-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) من ظ ، وفي الأصل : منها (٦) في ظ : اوضح (٧) من ظ ، وفي الأصل : يراه (٨) من ظ ، وفي الأصل : بتقدير .

كالاديان وكل ما يلاحظ القومية؛ وقال الرازي: كل ما كان بريئا من الحجم و المقدار كان من عالم الامر، وعد الملائكة من عالم الامر، فأتيج 'ذلك قطعا' قوله على سبيل المدح الذى ينقطع دونه الاعناق و يتقاصر دون عليائه ذرى الافاق: ﴿تَبْرَكَ﴾ أى ثبت ثبوتا هـ لا ثبوت فى الحقيقة غيره مع اليمين و البركة و كثرة الآثار الفاضلة و النتائج الشريفة ﴿الله﴾ أى ذو الجلال و الإكرام^١.

و لما دل على أنه يستحق هذا الثناء لذاته، دل على أنه يستحقه لصفاته فقال: ﴿رب العالمين هـ﴾ أى مبدع ذلك كله و مريه^٢ خلقا و تصريفا بأمره، [و-^٤] فى الجزء السادس من فوائد / المخلص عن سفيان ٣٠٥ / ابن عينة أنه قال: ما يقول هذه الدوية - بعبى بشرا المريسى؟ قالوا: ١٠ يا أبا محمد ابرع أن القرآن مخلوق، فقال: كذب، قال الله عز وجل "إلا له الخلق و الامر" فالخلق خلق الله، و الامر القرآن - انتهى. و هذا الذى فسر به مما تحتمله الآية بأن يكون الامر هو المراد بقوله "بأمره"^٣ و هو الإرادة و الكلام مع احتمال ما قدمته.

١٥ و لما ذكر تعالى تفرده بالخلق و الامر المقتضى لتفرده بالعبادة للتوجه^٤ إلى تحصيل المعارف النفسانية و العلوم الحقيقية، أمر بهذا المقتضى اللائق بتلك المعارف، و هو الدعاء الذى هو مخ العبادة فقال: ﴿ادعوا ربكم﴾ أى الدائم الإحسان إليكم دعاء عبادة و خضوع ﴿تضرعا﴾ أى تذلا

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) فى ظ: الكريم (٣) من ظ، وفى الأصل: مزينه (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: هو (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: للتوجه.

- ظاهرًا (و خفية^١) أى وتذللًا باطنًا، وقد أتى على عبده زكريا عليه السلام فقال "اذنادى ربه نداه خفيًا"^٢ أى اجمعوا إلى خضوع الظاهر . خضوع الباطن، أى اخلصوا له العبادة، إنه يحب المخلصين لأن قدره بأن يدعى هو اللائق بمقام عز^٣ الربوبية، والتذلل على هذه الصفة هو اللائق بمقام ذل العبودية، وهذا هو المقصود^٤ من الدعاء لا تحويل العلم^٥ الآزلى، وهو المقصود من جميع العبادات،^٦ فإن العبد لا يدعو إلا وقد استحضر من نفسه الذل والصعب والحاجة، ومن ربه العلم والقدرة والكفاية، وهذا هو المقصود من جميع العبادات^٧، فلهذا^٨ كان الدعاء مخ العبادة، وقد جمع هذا الكلام على وجازته كل ما يراد^٩ تحقيقه وتحصيله من شرائط الدعاء بحيث أنه لا مزيد عليه، ومن فعل خلاف^{١٠} ذلك فقد تجاوز الحد، وإلى ذلك أوما بتعليقه بقوله: ﴿انه لا يحب المعتدين^{١١}﴾ أى المجاوزين لما أمروا به فى الدعاء وغيره، قالوا: فالمعنى أن من ترك هذا لا يحبه الله، أى لا يثيبه البتة ولا يحسن إليه، فالآية من الاحتباك: آخرها يدل على حذف ضده من صدرها، و صدرها يدل على أنه^{١٢} حذف قبل الآخر: ولا تركوا الإخلاص تكونوا معتدين^{١٣} .
- ولما كان ذلك من الوفاء بحق الربوبية والقيام بحق العبودية مقتضيا للصالح، أمر بإدامته بالتهى عن ضده فى قوله: ﴿ولا تفسدوا﴾ أى^{١٤} لا تدفوا فسادا ﴿فى الارض﴾ أى بالشرك والظلم، فهو^{١٥} منع من
- (١) سورة ١٩ آية ٣ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: المهود (٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) فى ظ. ملذا (٦) من ظ، وفى الأصل: ير - كذا (٧) فى ظ: انها . (٨) من ظ، وفى الأصل: وهو.

إيقاع^١ ماهية الإفساد في الوجود ، وذلك يقتضى المنع من جميع أنواعه
 فيتناول الكليات الخمس التي اتفقت عليها الملل ، وهي الأديان^٢ و الأبدان
 و العقول و الأنساب و الأموال^٣ (بعد اصلاحها) و الظاهر أن
 الإضافة بمعنى اللام وهي إضافة [في -]^٤ المفعول ، أى لا تدنسوها
 ٥ بفساد بعد أن أصلها لكم خلقا بما سوى فيها من المنافع المشار إليها بقوله
 ” يقضى الليل النهار “ - الآية ، الدال على الوحدةانية الداعى إلى الحق إقامة
 للأبدان ، و أمر بما أنزل من كتبه على السنة رسله عليهم الصلاة و السلام
 إقامة للأديان لجمع إلى الإيجاد الأول الإبقاء الأول .

و لما كان ذلك ربما اقتضى الاختصار بكمال التذلل على مقام الخوف ،
 ١٠ نفي ذلك بقوله : (و ادعوه خوفاً) أى من عدله ؛ و لما كان لا سبب
 للعباد من أنفسهم في الوصول إليه سبحانه ، عبر بالطمع فقال : (و طمعاً)
 أى في فضله ، فان من جمع بين الخوف و الرجاء كان في مقام الإحسان
 وكأنه مشاهد للرحمن ، ما زجره زاجر الجلال بسياط سطوته إلا دعاه
 داعى الجلال إلى بساط رأفته ، و من حاز مقام الإحسان كان أهلاً للرحمة
 ١٥ (ان رحمت الله) أى إكرام ذى الجلال و الإكرام لمن يدعوه على هذه
 الصفة ، و غفمها بالتذكير لإضافتها إلى غير مؤنث فيما قال سيويه ، فقال :
 (قريب) و كان الأصل : منكم ، ولكنه أظهر تعميماً و تعليقاً للحكم
 بالوصف / فقال : (من المحسنين ٥) .

/ ٣٠٦

(١) في ظ : اقتطاع (٢ - ٢) في ظ : فالأبدان فالعقول فالأنساب فالأموال .

(٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ .

ولما كان دوام الصلاح لا يكون إلا بالغيث، وهو من أجل أنواع
الرحمة، وهو لا يكون إلا بالسحاب، وهو لا يكون إلا بالريح، قال تعالى
عاطفاً [على -^٣] "ان ربكم الله" تنبيها بعد تحقيق المبدأ على تحقيق المعاد:
(وهو) أى لا غيره (الذى يرسل) أى بالتحريك (الريح) هذا
في قراءة الجماعة، وأنواعها خمس: جنوب وشمال وصبا ودبور ونكباء،
وهى كل ريح انخرفت فوقعت بين ريحين، ووحيد ابن كثير وحمزة
والكسائي على إرادة الجنس (نشراً) بضم نين في قراءة أهل الحجاز
والبصرة، أى منتشرة جمع نشور من النشر، وهو بسط ما كان مطوياً،
[وتفريقه في كل وجه لا لذات الريح وإلا لدام ذلك منها ولا بقوة فلك
أو نجم لأن نسبتها إلى الهواء واحدة -^٣] (بين يدي) أى قبل (رحمته) ١٠
أى المطر، ولعله عبر فيه باليدين: اليمنى واليسرى^٥، لدلالته - مع ما فيه
من الفخامة - على أنه تارة يكون رحمة وتارة يكون عذاباً كما كان على قوم
نوح عليه السلام وإن كانت الرحمة فيه أغلب وهى ذات اليمن، وتارة تكون
الرياح جامعة لها لحفظ الماء، وتارة مفرقة مبطله لها، وتارة تكون مقومة
للزروع والأشجار مكملة لها وهى اللواقع، وتارة تكون منمية لها أو مهلكة ١٥
كما يكون في الخريف، وتارة تكون طيبة وتارة مهلكة إما بشدة الحرارة
والبرودة، ثم غيّر الإرسال بقوله: (حتى إذا أقلت صحاباً) أى حلتها

- (١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) في ظ: عطفاً (٣) زيد من ظ.
(٤) سقط من ظ (٥) وفي مصاحفنا: بشراً (٦) من ظ، وفي الأصل: النشور.
(٧) في ظ: الشوى (٨) في ظ: الاشجاع (٩) من ظ، وفي الأصل: شدة.

لقلتها عندما تحتها عليها ﴿تقالا﴾ أى بالماء؛ ولما دل على العظمة بالجمع
وحقق الأمر بالوصف، أفرد^١ اللفظ دلالة على غاية العظمة بسوقه مجتمعاً
كأنه قطعة واحدة، لا يفترق جزء منه عن سائر^٢ه إذ لو تفرق لاختل
أمره، فقال: ﴿سقته بلد﴾ أى لاجله وإليه^٣ ﴿ميت﴾ أى بدم^٤
النبات ﴿فأزلقنا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿به﴾ أى بالبد، أو بسبب ذلك
السحاب ﴿الماء﴾ أى هذا الجنس، وأشار إلى عظمة الإنبات بالنون فقال:
﴿فأخرجنا به﴾ أى بالماء ﴿من كل الثمرات﴾ أى الحقيقية على الأشجار،
والمجازية من النبات وجوبه . ولما كان هذا - مع ما فيه من التذكير^٥
بالنعمة المقتضية لتويده بالدعوة - دليلاً ثانياً في غاية الدلالة على القدرة على
البعث، قال تعالى: ﴿كذلك﴾ أى مثل ما أخرجنا هذا النبات من الأرض
بعد أن لم يكن ﴿نفخرج الموتى﴾ أى من الأرض بعد أن صاروا تراباً
﴿لعلكم تذكرون﴾^٦ أى قلنا هذا لتكون حالكم حال من يرجى تذكر
هذه الآية المشاهدة القريبة المأخذ ولو على أدنى وجوه التذكر^٧ بما أشار
إليه الإدغام، لأنه سبحانه كما قدر على إعادة النبات بجمع الماء له من
جوف الأرض بعد أن^٨ كان تغيب^٩ في الأرض وصار تراباً، وأحيى
الشجرة بعد أن كانت لا روح لها بإبداع الثمرة التي هي روحها، فهو
(١) العبارة من هنا إلى «أمره فقال» ساقطة من ظ (٢) زيد بعده في الأصل:
على، لحدقنا الزيادة لأنها لا تناسب السياق (٣-٤) سقط ما بين الرقين من
ظ (٥) من ظ، وفي الأصل: بعد (٥) من ظ، وفي الأصل: التذكر (٦) سقط
من ظ (٧) في ظ: التذكير (٨-٩) في ظ: كانت تنفتت - كذا.

قادر على إعادة الاشباح وإبداعها الأرواح^١ كما كانت أول مرة ، لأنه لا فرق بين الإخراجين .

ولما كانت الموت موتين : حيا و متويا - كما أشير إليه في الأتنام في آية "انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يعثهم الله"^٢ وآية "او من كان ميتا فأحييناه"^٣ كان كأنه قيل : لا فرق في ذلك عندنا بين أموات^٤ الإيمان و أموات الابدان^٥ ، فكما أنا فإوتنا بين جواهر الاراضى بخلق بعضها جيدا وبعضها رديئا كذلك فإوتنا بين عناصر الانامى بجعل بعضها طيبا وبعضها خيئا ، فالجيد المنصر يسهل إيمانه^٦ ، والخبيث الأصل يعسر إذعانه و بعد استقامت و إيمانه (و البلد الطيب) [أى -^٦] الذى طابت أرضه فكانت كريمة منبهة (يخرج نباته) أى إذا نزل عليه^٧ الماء^٨ ١٠ خروجا كثيرا حسنا [سهلا -^٩] غزيرا^{١٠} (بأذن) أى بتمكن (ربه) أى المربي له بما هيأ^٩ له ، (و الذى طاب فى الجملة و لم يصل إلى الغاية يخرج له نبات دون ذلك ، و الخبيث لا يخرج له نبات أصلا يمنع ربه له -^{١١}) (و الذى خبت) أى حصلت له خباثة فى جلته بكون أرضه / سبخة أو نحوها مما لم يهيئه الله تعالى للنبات (لا يخرج) أى نباته ١٥ / ٣٠٧ (الا) [أى -^{١٢}] حال كونه (نكد^{١٢}) أى قليلا ضعيف المنفعة ، و هو

(١) من ظ ، و فى الأصل : لأرواح (٢) آية ٣٦ (٣) آية ١٢٢ (٤-٤) فى ظ : الابدان و أموات الإيمان (٥) من ظ ، و فى الأصل : أتمامه (٦) زيد من ظ . (٧-٧) فى ظ : أنزل عليها (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : هيأ .

- مع كونه دالا على أن ذلك ما كان على ما وصف مع استواء الاراضى^١
 فى الأصل و استواء المياه و نسبتها إلى الافلاك و النجوم إلا بالفاعل
 المختار - مثل ضربه سبحانه للؤمن و الكافر عند سماعها للذكر من الكتاب
 و السنة، [و الآية من الاحتبك - ٢] .

٥ ولما استوت هذه الآيات على الذروة^٢ من بدائع الدلالات، كان
 السامع جديرا بأن يقول: هل تبين جميع هذه^٣ الآيات هذا اليان؟ قليل:
 ﴿كذلك﴾ أى نعم، مثل هذا التصريف، و هو الترديد مع اختلاف
 الالحاء لاختلاف الدلالات و إرازها فى قوالب الالفاظ الفاتحة و المعانى
 الرائقة فى النظم المعجزة على وجوه لا تكاد تدخل تحت الحصر:
 ١٠ ﴿نصرف الأيت﴾ أى كلها، ولما تم ذلك على هذا المنهاج القريب و المتوال
 العجيب المذكور^٤ بالنعم فى أسلوب دال على التفرد و تمام القدرة، كان
 أنسب الاشياء ختمه بقوله مخصصا بها المتفجع لأنها بالنسبة إلى غيرهم
 كأنها لم توجد: ﴿لقوم يشكرون﴾ أى يوجد منهم الشكر للنعم وجودا
 مستمرا فلا يشركون^٥ بل يتفجعون بما أنعم عليهم به وحده فى عبادته
 ١٥ وحده، و ينظرون بعقولهم أنه أقدرهم نعمه على ما هم عاجزون عنه،
 فلا يسلبون عنه شيئا من قدرته على بعث و لا غيره فانهم يزعمون أنهم
 أهل معالى الاخلاق التى منها أنه ما جزاء الإحسان إلا الإحسان .

(١) من ظ، و فى الأصل: الارض (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و فى الأصل:
 الدورة (٤) سقط من ظ (٥) فى الأصل و ظ: المذكور (٦) فى ظ: فلا
 يشكرون - كذا .

ولما طال^١ تهديده سبحانه لمن أصر^٢ على إفساده^٣، ولم يرجع عن غية وعناده بمثل مصارع الأولين ومهالك الماضين، ونوع في هذه الآيات محاسن الدلالات على التوحيد والمعاد بوجوه ظاهرة وبيئات قاهرة وبراهين قاطعة وحجج ساطعة، ساق سبحانه تلك القصص دليلا حسيبا على أن في الناس الخبيث والطيب مع الكفالة - في الدلالة^٤ على تمام القدرة والغيرة من الشرك على تلك الحضرة - بتفصيل أحوال من سلفت الإشارة^٥ إلى إهلاكهم وبيان مصارعهم وأنه لم تفض عنهم قوتهم شيئا، ولا كبرتهم بقوله تعالى "وكم من قرية اهلكناها" - الآية وقوله "فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة" - الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتقوية لصالحى أبنائه بالتنبيه على أن الإعراض عن الآيات ليس من خواص هذه الامة بل هي عادة الأمم السالفة، وعلى أن النعم خاصة بالشاكرين، ولذا كانت النقم مقصورة على الكافرين، فقال تعالى: (لقد ارسلنا) أى بعظمتنا، وافتحه بحرف التوقع لما للسامع الفطن من التشوف إلى ذكر ما^٦ تكرر من الإشارة إليه، ولأن اللام المجاب بها القسم المحذوف لا ينطقون بها غالبا إلا مقترنة بقدر، لأن الجملة القسمية لاتساق إلا تأكيدا^٧ للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة بمعنى التوقع الذى هو معنى 'قد' عند استماع المخاطب كلمة القسم (نوحا) يعنى ابن ملك من (١) فى ظ: كان (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: سادته (٤-٤) من ظ، وفى الأصل: بالدلالة (٥-٥) فى ظ: سلف بالإشارة (٦) من ظ، وفى الأصل: الآية (٧) فى ظ: هذه (٨-٨) فى ظ: ذكره لا.

متوشلخ بن خنوخ ، وهو إدریس علیہ السلام ، وكان عند الإرسال ابن
نخسین سنة .

ولما كان إرساله صلى الله عليه وسلم قبل تفرق القبائل باختلاف
اللغات قال : (إلى قومه) أى الذين كانوا ملء الأرض كما فى حديث
الشفاعة فى الصحيحين وغيرهما عن أنس رضى الله عنه : اتوا نوحا أول

نبي بشه الله إلى أهل الأرض . وفيهم من القوة^١ على القيام بما يريدون
ما لا يخفى على من تأمل آثارهم وعرف أخبارهم ، فان كانت آثارهم قد

حصل المراد ، وإن كانت^٢ لمن بعدهم علم^٣ - بحكم قياس الاستقراء - / أنهم

أقوى على مثلها وأعلى منها ، ولسوق ذلك دليلا على [ما - ٣] ذكر

١٠ جاء مجردا عن أدوات العطف ، وهو مع ذلك كله منه على أن جميع

الرسل متطابقون على الدعوة إلى ما دل عليه برهان " أن ربكم الله الذى

خلق السموات والأرض " من التوحيد والصلاح إلى غير ذلك من

بحور الدلائل والحجج المتلاطمة الأمواج - والله الهادى إلى سبيل

الرشاد ، وكون نوح عليه السلام رسولا إلى جميع أهل الأرض - لأنهم

١٥ قومه لوحدة لسانهم - لا يقدح فى تخصيص نبينا صلى الله عليه وسلم

بعموم الرسالة ، لأن معنى العموم إرساله إلى جميع الأقوام المختلفة باختلاف

الالسن وإلى جميع من ينوس من^٢ الإنس والجن^٣ والملائكة ، وسيأتى

إن شاء الله تعالى فى سورة الصافات لهذا مزيد بيان .

ولما كان من المقاصد العظيمة الإعلام بأن الذى دعا إليه هذا

(١) من ظ ، وفى الأصل : القوم (٢) فى ظ : كان (٣) زيد من ظ (٤-٥) فى

ظ : الجن والإنس .

- الرسول لم تزل^١ الرسل - على جميعهم أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام - تدعو إليه ، و كان نوح أول رسول ذكرت رسالته عقب ذكر إرساله بذكر ما أرسل به بالفاء بقوله : ﴿ فقال يقوم ﴾ [أى -^٢] فتحجب إليهم بهذه الإضافة ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة من الخلق و الأمر ، فانه مستحق لذلك و قد كلف عباده به . ٥
- ولما كان المقصود إفراده بذلك ، علله بقوله مؤكدا له بائئات الجار : ﴿ ما لكم ﴾ و أغرق في النفي فقال : ﴿ من اله غيره ﴾ ثم قال معللا أو^٣ مستأنفا غروفا مؤكدا لأجل تكذيبهم : ﴿ ائى احاف عليكم ﴾ في الدنيا و الآخرة ، و لعله قال هنا : ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ و في هود " اليوم " و قال في المؤمنون " أفلا " تقول " لأن ترتيب السور الثلاث - و إن ١٠ كان الصحيح أنه باجتهاد الصحابة رضى الله عنهم - فلهل جاء على ترتيبها في النزول ، لأنها مكيات^٤ ، و على ترتيب مقال نوح عليه السلام لهم فالأن لهم أولا المقال من حيث أنه أرحم أن العظم الموصوف به " اليوم " [لا -^٥] بسبب العذاب بل لأمر آخر ، فيصير العذاب مطلقا يتناول أى عذاب كان [و -^٦] لو قل ، فلما تبادى تكذيبهم ١٥ بين لهم أن عظمه^٧ إما هو من جهة إيلاهم العذاب الواقع فيه . فلما لجؤا في عتوهم قال لهم قول^٨ القادر إذا هدد عند مخالفة غيره له :
- (١) من ظ ، و في الأصل : لم يزل (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) آية ٢٦ .
 (٥) من ظ و القرآن الكريم آية ٢٣ ، و في الأصل : الا (٦) في ظ : محكيات -
 كذا (٧) من ظ ، و في الأصل : عظمت (٨) من ظ ، و في الأصل : قال .

ألا تفعل ما أقول لك؟ أى متى خالفت بعد هذا عاجلك بالعقاب
و أنت تعرف قدرى^١.

ولما تم ذلك، وكانت الحال مقتضيا - مع ما نصب من الأدلة
الواضحة على الوحداية - لأن يحبوا بالتصديق، كان كأنه قيل: فيما ذا
٥ كان جوابهم؟ فقال: ﴿قال الملا﴾ أى الاشراف الذين يملأ العيون
مرآهم عظمة، وتوجه^٢ العيون فى المحافل إليهم، ولم يصفهم فى هذه
السورة بالكفر لأن ذلك أدخل فى التسلية، لأنها أول سورة قصر فيها
مثل هذا فى ترتيب الكتاب، ولأن من آمن به مطلقا كانوا فى جنب
من لم يؤمن فى غاية القلة، فكيف عند تقييدهم بالشرف! وأكد ذمهم
١٠ تسلية لهذا النبي الكريم بالتعريف^٣ بقرهم منه فى النسب بقوله:
﴿من قومه﴾ وقابلوا رفته وأدبه سلفه مؤكدا^٤ ما تضمنته من البهتان
لأن حالهم^٥ مكذب لهم فقالوا: ﴿انا لنراك﴾ أى كل واحد منا يمتد
اعتقادا هو فى الثقة به كالرؤية أنك ﴿فى ضلل﴾ أى خطأ وذهاب عن
الصواب، هو ظرف لك يحيط بك ﴿مبين﴾ أى ظاهر فى نفسه حتى
١٥ كأنه يظهر ذلك لغيره.

ولما قدفوه بضلال مقيد بالوضوح، نفي الضلال المطلق الذى هو
الاعم، و بنفيه يتبقى كل أخصيائه^٦ بل نفي أقل شيء من الضلال، فقال

(١) من ظ، وفى الاصل: قدرى (٢) من ظ، وفى الأصل: توجه (٣) من
ظ، وفى الأصل: بالتعريب (٤) فى الأصل وظ: موكد (٥) من ظ، وفى
الأصل: حالة (٦) فى ظ: اخصيائه.

تعالى مخبرا عنه ﴿ قال يقوم ﴾ مجددا / لاستعطافهم ﴿ ليس من ضلّلة ﴾ ٣٠٩ /
فني وحدة غير معينة ، ولا يصدق ذلك إلا بنفي لكل فرد ، فهو أنص من
نفي المصدر ، ولم يصف الملاّ من قومه هنا بالذين كفروا و وصفهم بذلك
في سورة هود ، إما لأنها صفة ذم لم يقصد بها التقييد فلا يحتل المعنى
بإثباتها ولا نفيها ، أو لأنهم أجابوه بذلك مرتين : إحداهما قبل أن يسلم ه
أحد من أشرافهم ، والثانية بعد أن أسلم بعضهم .

ولما نفي^٢ ما رموه به على هذا الوجه البليغ ، أثبت له [ضده - ٣]
بأشرف ما يكون من صفات الخلق ، فقال مستدركا - بعد نفي الضلال - إثبات
ملزوم ضده : ﴿ ولكن رسول ﴾ أى إليكم بما أمرتكم به فأننا على أقوم
طريق ﴿ من رب العالمين ه ﴾ أى المحسن إليهم بارسال الرسل لهدايتهم ١٠
باتخاذهم من الضلال ، فرد الأمر عليهم بألطف إشارة ؛ ثم استأنف الإخبار
عن وظيفته بآنا لرسالته فقال : ﴿ المفعم ﴾ و كأن أبواب كفرهم كانت
كثيرة لجمع باعتبارها أو باعتبار تعدد معجزاته أو تعدد نوبات الوحي
في الأزمان المتطاولة والمعاني المختلفة ، أو^٤ أنه جمع له ما أرسل به من قبله
كادريس جده وهو ثلاثون صحيفة وشيث وهو خمسون صحيفة ١٥
عليها السلام فقال : ﴿ رسلت ربي ﴾ أى المحسن إلى من الأوامر والنواهي
وجميع أنواع التكاليف من أحوال الآخرة وغيرها ، لا أزيد فيها أقص
منها كما هو شأن كل رسول مطيع .

(١) من ظ ، وفي الأصل : أحدهما (٢) من ظ ، وفي الأصل : نفوا (٣) ريد من
ظ (٤) في ظ اليهم (هـ) من ظ ، وفي الأصل : كريم (٦) من ظ ، وفي الأصل : و .

ولما أعيدت القصة في سورة يونس عليه السلام، كان الالتيق
بكلام البلغاء والأشبه بطرائق الفصحاء التفنن في العبارة، فمدى [التضعيف
مع ما فيه من الأبلغية بفهم مزيد الاعتناء مناسبة لما تقدم - ١] من
مزيد التفويض في قوله "فاجمعوا امركم وشركاءكم" - الآية، وتلا
هـ بـ "من"، ضمنا للفرع إلى الفرع فان ["من" - ١] مشترك بين الوصل والشرط،
وهي أيضا قد تطلق على ما لا يعقل، فناسب ذلك الحال، وزيد هناك
في وصف الناجين "وجعلتهم خلف" نظرا إلى قوله تعالى [في - ١]
أول السورة "ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا" - الآية،
ثم قال "ثم جعلكم خلف في الأرض من بعدهم" لتظهر كيف تعملون
١٠ فلوح لهم بالإهلاك إن ظلموا. ثم أشار لهم - في قصة نوح عليه السلام
بكونه أعلمهم أن الخلائق هم الناجون الباقي ذكرهم وذريتهم - إلى أنه
تفضل عليهم بالتوفيق إلى الإجابة ورحمهم بهذا النبي الكريم - عليه
أفضل الصلاة والتسليم - فقضى أنهم غير مهلكين .

ولما افتتحت القصة بنسبتهم له إلى الضلال باطلا، وهو ناشئ
١٥ عن عى البصيرة أو البصر، فاسب أن يقلب الأمر عليهم على وجه الحق
فقال مؤكدا لإنكارهم ذلك: (أنهم كانوا) أى لما في جبلتهم من العوج

(١) زيد من ظ (٢) آية ٧١ (٣) زيد بعده في الأصل: الأرض، ولم تكن
الزيادة في ظ ولا في القرآن الكريم سورة ١٠ آية ٧٣ لخذاها (٤) آية ١٣ .
(٥) من ظ و القرآن الكريم آية ١٤، وفي الأصل «و» (٦) من ظ و القرآن
الكريم، وفي الأصل: بعدكم .

(قوما عمن) أى مطبوعين فى عى القلب مع قوتهم فيما يحاولونه ، ثابت لهم ذلك ، بما أشار إليه فعل دون أن يقال فاعل ، و ختمت القصة فى يونس بقوله " فانظر كيف كان عاقبة المتذرين " لقوله أوها " ان كان كبر عليكم مقامى و تذكيرى " أى إنذارى لأنه أعلم أنه كبر عليهم و لو كان تبشيرا^١ لما عز عليهم .

٥

و لما كان عاد بعدهم ، و لم يكن هنا ما يقتضى تشويش الترتيب ، اتبهم بهم مقدما المرسل إليه ليقيد تخصيص رسالته بهم و هم بعض أهل الأرض فقال : (و الى عاد) أى خاصة أرسلنا^٢ (اعام) أى فى النسب لأنهم عنه أنهم و بحاله فى الثقة و الأمانة أعرف ، و لما عطفه على نوح عليها^٣ السلام بعد تقديم المرسل إليهم ، بينه بقوله : (هودا^٤) بخلاف قوم نوح فأنهم كانوا جميع أهل الأرض ، لأن القبائل لم تكن فرقت الناس و لا الألسنة إذ كان لسان الكل واحدا ، و لم تفرق الألسنة إلا بعد الصرح ، و لهذا عم^٥ الفرق جميع أهل الأرض ، فكان المعنى حيثئذ لا يختلف فى قصته بتقديم و لا تأخير ، فناسب تقديم الرسالة أو^٦ المرسل لأنه أم .

١٥

و لما كانت قصة نوح عليه السلام أول قصص الأنبياء مع قومهم^٧ ، و لم يكن للعرب عهد بمجاورات الأنبياء و من يرسلون إليه ، فأتى فيها (١) آية ٧٣ (٢) آية ٧١ (٣) من ظ ، و فى الأصل : اكبر (٤) من ظ ، و فى الأصل : بشيرا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : عليه (٧) من ظ ، و فى الأصل : اعم (٨) فى ظ « و » (٩) فى الأصل : قوتهم ، و فى ظ : قولهم .

بالأصل « أرسلناه ، فقال سيقا واحدا إخبارا » لمن هو فارغ الذهن من كل جزء من أجزائها ؛ أنت قصة هود عليه السلام بعد علم السامعين بقصة نوح عليه السلام مما وقع من تبليغه لهم و ردعهم عليه ، فلما ذكر إرساله تشوف السامع إلى أنه هل قال لهم كما قال نوح و هل ردوا عليه كرد قومه
 ٥ أو كان الامر بخلاف ذلك ؟ فأجيب سؤال المتشوف بقوله : ﴿ قال ﴾ كقول نوح عليه السلام سواء ﴿ يقوم ﴾ مدكرا لهم بأنه أحدم يمه ما بهمهم ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى لاستحقاقه ذلك لذاته ، ثم علل أو استأنف بقوله : ﴿ ما لكم ﴾ / و أغرق في النفي فقال : ﴿ من الـه غيره ﴾ و لما كانوا عارفين بما أصاب قوم نوح قال : ﴿ افلا تتقونه ﴾ أى أفلا يتعلمون
 ١٠ بينكم و بين عذاب هذا الواحد الجار وقاية .

و لما تشوف السامع إلى جوابهم بعد هذا الترغيب الممزوج بالترهيب ، أجيب بقوله : ﴿ قال الملا ﴾ أى الاشراف الذين يملأون العيون بهجة و الصدور هية ؛ و لما كانت عاد قليلا بالنسبة إلى قوم نوح عليه السلام ، و كان قد أسلم من أشرافهم من له غنى في الجملة ، قيد بقوله : ﴿ الذين كفروا ﴾
 ١٥ أى ستروا ما من حقه الظهور من أدلة الوحداية ، و وصعوا تسلية لهذا النبي الكريم فيما يرى من جفاء قومه بان مثل ذلك كان لإخوانه من الانبياء بقوله : ﴿ من قومه ﴾ و أكدوا ما واحوه به من الجفاء لانهم علمون بأن حاله في علمه و حكمه يكذبهم بقولهم : ﴿ انا لنراك ﴾ أى نعلك علما متيقنا
 (١) من ظ ، و في الأصل : أخبروا (٢) من ظ ، و في الأصل : بما (٣) من ظ ، و في الأصل : عنا .

حتى كأنه محسوس (في سفاهة) أى مطروفا لخفة العقل ، فهو يحيطه بك
من جمع الجوانب ، لاختلاص لك منها ، فلذا أدتلك إلى قول لاحقيقة له .
فالتنوين للتعظيم ، فان قيل : بل للتحقير ، كأنهم توقعوا في وصفه بذلك
كما توقعوا^١ في الجزم بالكذب فقالوا^٢ : (وانا لنظنك من الكذابين *)
أى المتعمدين للكذب ، وذلك^٣ لأنه كان عندهم علم من الرسل وما يأتي
مخالفتهم من العذاب من قصة نوح عليه السلام ولم يكن العهد بعيدا ،
و أما قوم نوح فجزموا بالضلال وأكدوه بكونه ميينا ، لأنه لم يكن
عندهم شعور بأحوال الرسل وعذاب الامم قبل ذلك ، ولهذا قالوا
" ما " سمعنا بهذا في ابائنا الاولين * " ، قيل : ليس كذلك ، فقد ورد في
جواب قوم نوح في سورة هود مثل هذا ، وهو قوله " بل ظنكم كذابين " ١٠
فان قيل : إنما كان هذا في ثانی الحال بعد أن نصب لهم الأدلة
وأقام البراهين على صحة مدعاه و ثارت حظوظ الأنفس بالجدال ، فانه
يبعد أن يكون قومه أجابوه بذلك أول ما دعاهم ، قيل : الأمر كذلك
في قصة هود عليه السلام سواء ، فانه لم يقل له ذلك إلا الكفار من قومه ،
فتعديدهم^٧ بالوصف يدل على أنه كان فيهم^٨ من اتبعه^٩ بل وإن متبعه كان ١٥
من أشرافهم^{١٠} بالظن ، و تعبير في الكذب لإرادتهم أنه يكفي في

(١) زيد بعده في الأصل : في وصفه بذلك كما توقعوا ، ولم تكن الزيادة في ظ
لحذفها (٢) من ظ ، وفي الأصل : فقال (٣) من ظ ، وفي الأصل : لذلك .
(٤) سقط من ظ (٥) سورة ٢٣ آية ٢٤ (٦) آية ٢٧ (٧) من ظ ، وفي الأصل :
تعيدهم (٨) في ظ : فيه (٩) في ظ : تعبير .

وصفه بالسفاهة التي زعموها إقدامه على ما يحتمل معه ظنهم لكذبه،
أو يكون قوله غير الحق في زعمهم مرددا بين أن يكون قالة عن
تعمد أو حمله عليه ما رموه به من السفه من غير تأمل . ولما قابلوا
ليته^١ لهم وشفقته عليهم بهذه اللفظة ، أعرض عن ذلك وعاملهم^٢
من الحلم بضد ما سموه^٣ به بأن (قال) معلبا الأدب في مخاطبة السفهاء
(يقوم) مذكرا بما بينهم من النسب الداعي إلى الود والمناصفة والعطف
والملاطفة (ليس في سفاهة) ففي أن يكون به^٤ شيء من خفة حلم ،
فاتقن أن يكون كاذما لأن الداعي إلى الكذب الخفة والطيش فلم يحتج
إلى تخصيصه بنق .

١٠ ولما نفي السفاهة ، أثبت ما يلزم منه ضدها بقوله : (ولكني رسول)
وبين المرسل تعظيما للأمر بقوله : (من رب العالمين) أي المحسن
إليهم بعد نعمة الإيجاد و الأزاق بإرسال الرسل إليهم ليكسبهم معالي
الأخلاق التي بها انتظام نعمة الإبقاء (ابلغكم) وجمع الرسالة لما تقدم
في قصة نوح عليه السلام فقال : (رسلت ربي) أي المحسن إلى تبليغي
١٥ ما لم أكن أعلم وتأهيلي لما لم يكن في حسابي .

ولما كانوا قد رموه بالسفه الذي هو من غرائز النفس لأنه ضد
الحلم والرزاة ، عبر عن مضمون الجملة النافية له بما يقتضي الثبات فقال :
(واتاكم ناصح) أي لم يزل النصيح من صفتي ، وليس هو [ما - °]
تكسبه بل غريزة في^٥ ، / قد بلوتموني فيه قبل الرسالة وإظهار هذه المقالة

/ ٣١٢

(١) في ظ : ليته (٢) من ظ ، وفي الأصل : عامهم - كذا (٣) في ظ : رسموه .
(٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ .

دهرا دھيرا و^١ زما طويلا ، ولما قالوا : إنهم يظنون كذبه ، زادم
صفة الأمانة فقال : ﴿ أمين ٥ ﴾ .

ولما كان يعرف ما يعتقدونه من أمانته وعقله ، و ظن أنه ما حلهم
على هذا إلا العجب من أن يطلع على ما لم يطلعوا عليه ، أنكر عليهم
ذلك ذاكرًا لما ظنه حاملا لهم ملوحا بالعطف إلى التكذيب فقال : ٥
﴿ او عجبت ﴾ أى أكذبت وعجبت ﴿ ان جاءكم ذكر ﴾ أى شرف و تذكير
﴿ من ربكم ﴾ أى الذى لم يقطع^٢ إحسانه عنكم^٣ قط ، منزلا
﴿ على رجل منكم ﴾ أى عزه عنكم و شرفه شرفكم فإى فاتكم شيء
﴿ لينذركم^٤ ﴾ أى يحذركم ما لمن كان على ما أتم عليه من وخامة العاقبة .

ولما كان التقدير : فاحذروا ، عطف عليه تذكيرهم بالنعمة مشيرا به إلى ١٠
التحذير من عظيم النعمة فى قوله : ﴿ و اذكروا اذ ﴾ أى حين ﴿ جعلكم خلفاء ﴾
أى فيما أتم فيه من الأرض ، ولما كان زمنهم متراخيا بعدهم ، أتى بالجار
فقال : ﴿ من بعد قوم نوح ﴾ أى يكون المحذوف ما اقتضاه الاستفهام
فى قوله ” او عجبت ” من طلب الجواب ، أى أجيئوا و اذكروا ، أى
ولا تبادروا بالجواب حتى تذكروا ما أنعم به عليكم ، وفيه الإشارة ١٥
إلى التحذير مما وقع لقوم نوح ، أو يكون العطف على معنى الاستفهام
الإنكارى فى ” أفلا تتقون “ ، ” او عجبت “ أى اتقوا ولا تعجبوا و اذكروا ،
أو يكون العطف - وهو أحسن - على ” اعبدوا الله “ وقوله ” خلفاء “

(١) من ظ ، وفى الأصل : او (٢) فى ظ : لم يقع (٣) فى الأصل : عليكم ، وفى ظ :
عنه (٤) من ظ ، وفى الأصل : فلما (٥) فى ظ : من .

قيل : إنه يقتضى أن يكونوا قاموا^١ مقامهم ، و من المعلوم أن قوم
 نوح كانوا ملء^٢ الأرض ، وأن عادا إنما كانوا فى قطعة منها بسيرة
 و^٣ هى الشجرة^٣ من ناحية اليمن ، فقيل : إن ذلك لكون شداد بن عاد
 ملك جميع الأرض ، فكأنه قيل : جعل جدكم خليفة فى جميع الأرض ،
 هـ فلو حصل الشكر لثبت النعمة ، فأطيعوا يزدكم من فضله ، [وقيل -^٤] :
 إن^٥ قصة ممود مثل ذلك ، ولم يكن فيهم من ملك الأرض ولا أرض
 عاد ، فأجيب^٦ بما طرد^٧ ، وهو أن عادا لما كانوا أقوى أهل الأرض
 أبدانا وأعظمهم أجسادا وأشدهم خلقا وأشهرهم قبيلة وذكرنا ، كان
 سائر^٨ الناس لهم تبعاء . وكذا ممود فيما أعطوه من القدرة على تحت
 ١٠ الجبال ونحوها ييوتا ، وعندى أن السؤال من أصله لا يرد ، فان
 بين قولنا - : [فلان -^٩] خليفة فلان ، و فلان خليفة من بعد فلان -
 من الفرق ما لا يخفى ، فالخلفوف فى الثاني لم يذكر ، فكأنه قيل : جعلكم
 خلفاء لمن كان قبلكم فى هذه الأرض التى أتم بها ، وخص قوم نوح
 و عاد بالذكر تذكيرا مما حل بهم من العذاب ، ولهذا بعينه خص الله
 ١٥ هذه^{١٠} الأمم التى وردت فى القرآن بالذكر ، وإلا فقد كانت الأمم
 كثيرة العد زائدة على الحد عظيمة الانتشار فى جميع الأقطار ، ومعلوم
 (١) فى ظ : أقاموا (٢) زيد بعده فى ظ : أهل (٣-٤) من ظ ، وفى الأصل :
 هو الشجر (٥) زيد من ظ (٦) زيد بعده فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة
 فى ظ : لغفلتها (٧) من ظ ، وفى الأصل : فاجببت (٨) فى ظ : يطرد .
 (٩) سقط من ظ .

أن الله تعالى لم يترك واحدة منها بغير رسول " وما كنا معذنين حتى
نُبعث رسولا " وفي قصة هود في سورة الأحقاف " وقد خلت
النذر من بين يديه ومن خلفه " وله سر آخر وهو " أن هذه الأمم كان
عند العرب كثير من أخبارهم ففصلت لهم أحوالهم ، وطوى عنهم من
لم يكن عندهم شعور بهم فلم يذكروا إلا إجمالا لتلا يسارعوا إلى التكذيب بما
ينزل فيهم من غير دليل شهودي يقام عليهم .

ولما ذكرهم بمطلق الإبقاء بعد ذلك الإغراق العام ، أتبعه التذكير
بالزيادة فقال : (و زادكم) أى على من قبلكم أو على من هو موجود في
الأرض في زمانكم (في الخلق) أى الخاص بكم (بسطة ع) أى في الحس
بطول الأبدان والمعنى بقوة الأركان ، قيل : كان طول كل واحد منهم ١٠
أثني عشر ذراعا ، وقيل : أكثر .

ولما عظمت النعمة ، كرر عليهم التذكير فقال مسببا عن ذلك
/ (فاذكروا الله) أى نعم الذى استجمع صفات العظمة التى أنعم عليكم
٣١٣ / بها من الاستخلاف والقوة وغيرها ، واذكروا أنه لا نعمة عندكم لغيره
أصلا ، فصار مستحقا لأن تخصوه بالعبادة (لعلكم تعلمون) أى ليكون ١٥
حالك حال من يرجى فلاحه وهو ظفروه بجميع مراده ، لأن الذكر موجب
لشكر الموجب للزيادة .

(١) سورة ١٧ آية ١٥ (٢) آية ٢١ (٣) فى ظ : هى (٤) فى ظ : كانت (٥) فى
ظ : ما (٦) فى ظ : يوجب .

ولما كان هذا منه موجبا ولا بد لكل سامع منصف [من -]
 المبادرة إلى الإذعان لهذه الحجة القطعية، وهي استحقاقه للأفراد بالعبادة
 للتفرد بالإمام، ازداد تشوف المخاطب إلى جوابهم، فأجيب بقوله:
 ﴿قَالُوا﴾ منكرين عليه معتمدين على محض التقليد ﴿اجتئنا﴾ أى من عند
 ٥ من ادعيت أنك رسولہ ﴿لنعبده﴾ أى الملك الأعظم ﴿وحده﴾ ولما
 كان هذا منهم في غاية العجب المستحق للانكار، أتبعوه ما هو كالملّة
 لإنكارهم عليه ما دعاهم إليه فقالوا: ﴿ونذر﴾ أى نترك على غير صفة
 حسنة ﴿ما كان يعبد آبؤنا﴾ أى مواظبين على عبادته بما دلوا عليه
 بـ "كان" وصيغة المضارع - مع الإشارة بها إلى تصوير آباؤهم في
 ١٠ حالهم ذلك - ليحسن في زعمهم إنكار مخالفتهم لهم .

ولما كان معنى هذا الإنكار أنا لا نطيعك، وكان قد لوح لهم
 بالتذكّر بقوم نوح وقوله "اعلّا" تنقون، إلى الأخذ إن أصروا،
 سبوا عن ذلك قولهم: ﴿فأتينا﴾ أى عاجلا ﴿بما تعدنا﴾ أى من العذاب
 بما لوح إليه إيمانهم إلى التكذيب بقولهم: ﴿إن كنت من الصدّيقين﴾
 ١٥ و تسميتهم للانذار بالعذاب وعدا من باب الاستهزاء .

ولما كانوا قد بالنوا في السفه في هذا القول، وكان قد علم من محاورته
 صلى الله عليه وسلم لهم الحلم عنهم، اشتد التطلع إلى ما يكون
 من جوابه لهذا و التوقع له . فشفي غليل هذا التشوف بقوله:
 (١) زيد من ظ (٢) في ظ: بالذكر (٣) من ظ والقرآن الكريم، وفي
 الأصل: الا .

(قال قد وقع) أى حق ووجب و قرب أن يقع (عليكم من ربكم)
 أى الذى غركم به تواتر إحسانه عليكم و طول إملائه لكم (رجس)
 أى عذاب شديد الاضطراب فى تتبع أفعالكم و أدناكم موجب لشدة
 اضطرابكم (و غضب) أى شدة فى ذلك العذاب لا تقتلون منها .

و لما أخبرهم بذلك ، بين لهم أن سبه كلامهم هذا فى سياق الإنكار ه
 فقال : (اتجادلوننى) و لما كانت آلتهم تلك التى يجادلون فيها لا تزيد على

الاسماء لكونها خالية من كل معنى . قال : (فى أسماء) ثم بين أنه لم يسمها
 آلهة^٢ من يعبد به فقال : (سميتوها أنتم و آبؤكم) و لما كان لله تعالى أن يفعل

ما يشاء و أن يأمر بالخضوع لمن يشاء ، قال [نافيا التذليل فانه يلزم منه نفي

الإزال-^٣] : (ما نزل الله) أى الذى ليس الأمر لإلاله (بها) ١٠
 أى تعبدكم لها أو تسميتكم إياها . و أغرق فى النفي فقال : (من سلطان)
 ولعله أتى بصيغة التذليل لأن التفعيل يأتى بمعنى الفعل المجدد و بمعنى
 الفعل بالتدرج فقصده - [لانه فى سياق المجادلة و فى سورة مقصودها إنذار

من أعرض عما دعا إليه هذا الكتاب النازل بالتدرج -^٤] - النفي بكل

اعتبار ، سواء كان تجديدا أو تدريجا و إشارة إلى أنه لو نزل عليهم فى ١٥
 الأمر بعبادتها شىء واحد لتوقفوا فيه لعدم فهمهم لمعناه حتى يكرر عليهم
 الأمر فيه مرة بعد أخرى ، ففعلوا أن ذلك أمر حتم لا بد منه كما فعله
 بنو إسرائيل فى الأمر بذبح البقرة لاجل القتل لاجل أنهم لم يعقلوا

(١) من ظ ، وفى الأصل : تجادلون (٢) من ظ ، وفى الأصل : لا يزيد (٣) سقط

من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : تكرر .

معناه، دل ذلك قطعاً على [أن - ١] الأمر لهم بعبادتها إنما هو ظلام
 الهوى لأنه عى محض من شأن الإنسان ركوبه بلا دليل أصلاً .
 ولما أخبرهم بوقوع العذاب وسيه، بين لهم أن الوقوع ليس
 على ظاهره في الإيجاز، وإنما معناه الوجوب الذى لا بد منه فقال :
 ﴿ فانتظروا ﴾ تم استأنف الإخبار عن حاله بقوله ٢ : ﴿ انى ﴾ وأشار بقوله :
 ﴿ معكم ﴾ إلى أنه لا يفارقهم لحشيته منهم ولا غيرهما ﴿ من المتظرين ٥ ﴾
 ولما كان هذا ينبى أن يكون سبباً للتصديق الذى هو سبب الرحمة ٣ ،
 بين أنه إنما سبب لهم العذاب، وله ولمن تبعه النجاة، / فبدأ بالمؤمنين / ٣٩١
 اهتماماً بشأنهم [بقوله - ١] : ﴿ فاجيبه ﴾ أى بما لنا من العظمة [إجماع
 ١٠ وحياً سريماً سلطاناً ٤ من ذلك العذاب كسل الشعرة من العجين - ١]
 والذين معه ٥ أى فى الطاعة، وأشار إلى أنه لا يجب على الله شىء بقوله :
 ﴿ برحمة ﴾ أى باكرام وحيطة ﴿ منا ﴾ أى لا بعمل ولا غيره ٥ .

ولما قدم الإجماع اهتماماً به، أتبعه حالهم فقال معلماً بأن أحذه على
 غير أخذ الملوك الذين يعجزون عن الاستقصاء فى الطلب، فتفوتهم أوأخر
 ١٥ المساكر ٥ وشذاب ٥ الجنود والأتباع ﴿ وقطعنا ﴾ دابرهم أى آخرهم،
 هكذا كان الأصل، ولكنه أظهر تصريحاً بالمقصود ويأى لعله أخذهم
 فقال : ﴿ دابر ﴾ أى آخر، أى استأصلنا وحملنا ذلك الاستئصال معجزة
 لهود عليه السلام ﴿ الذين كذبوا بآيتنا ﴾ أى ولم يراقبوا عظمتها بالنسبة

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : قال (٣) زيد بعده فى الأصل : ما،
 ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ : بغيره (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين

[إلنا - ١] ، وقوله : ﴿ وما كانوا ﴾ أى خلقا و جبلة ﴿ مؤمنين ﴾ ٥
 صطب على صلة "الذين" وهى "كذبوا بآيئنا" وهى جارية مجرى
 التعليل لاخذهم مؤذة [بأنه - ١] لا يحصل منهم صلاح كما ختم قصة نوح
 بقوله "انهم كانوا قوما عيين" تعليلا لإغراقهم ، أى أنا قطعنا دابرهم
 وهم مستحقون لذلك ، لانهم غير قابلين للإيمان لما فيهم من شدة العناد
 ولزوم الإلحاد ، فالمنع : وما كان الإيمان من صفتهم ، أى ما آمنوا فى
 الماضى ولا يؤمنون فى الآتى ، فيخرج منه من آمن وكان قد كذب
 قبل إيمانه ومن لم يؤمن فى حال دعائه لهم وفى علم الله أنه سيؤمن ،
 ويريده حسنا أنهم لما انتحوا كلامهم بأن نسبوه إلى السفاهة كاذبين ،
 فاسب ختم القصة بأن يقلب الأمر عليهم فيوصفوا ١ بمثل ذلك ٢ صدقا ١٠
 بكلام يبين أن اتصافهم به هو الموجب لما فعل بهم ، لأن الإيمان لا يصدر
 إلا عن كمال الثبات والرزاق وترك الهوى وقمع رجوات النفس والانتقياد
 لواضح الأدلة وظاهر البراهين ، فمن تركه مع ذلك فهو فى غاية الطيش
 والحفنة وعدم العقل ، وأيضا فوصفهم بالتكذيب بالفعل الماضى لا يفهم
 دوامهم على تكذيبهم ، فقال سبحانه ذلك لنفى احتمال أنهم آمنوا بعد ١٥
 التكذيب وأن أخذهم إيمانا كان لمطلق صدور التكذيب منهم ، وأنهم
 لم يبادروا إلى الإيمان قبل التكذيب ، ويحتمل أن تكون الجملة حالا ،
 والمعنى على كل تقدير : قطعنا دابرهم فى حال تكذيبهم وعدم إيمانهم .
 ولما أتم سبحانه ما أراد من قصة عاد ، أتبعهم تمود فقال :

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل :
 يكون (٤) فى ظ : تم .

(والى ثمود) أى خاصة ، 'منع من' الصرف لأن المراد به القبيلة ، وهو مشتق من التمد وهو الماء القليل ، وكانت مساكنهم الحجر^٢ بين الحجاز والشام إلى وادى القرى ، أرسلنا (إصم صلحاء) ثم استأنف الإخبار عن قوله - كما مضى فى هود عليه السلام فقال : (قال يقوم) هـ مستعظفا لهم بالتذكير بالقرابة وعاطف النسابة (عابدوا الله) أى الذى لا كإل إلا له (ما لكم) وأكد النفي بقوله : (من اله غيره^١) . ولما دل على صدقه فى ذلك أنهم دعوا أوثانهم فلم تجهم ، ودعا هو صلى الله عليه وسلم ربه سبحانه فأخرج لهم الناقة ، علل صحة ما دعا إليه بقوله : (قد جاءكم بينة) أى آية ظاهرة جدا على صدق فى ادعائه ١٠ رسالتى وصحة ما أمرتكم به . وزادتم رغبة بقوله : (من ربكم^٣) أى الذى لم يزل محسنا إليكم ؛ ثم استأنف بيانها بقوله : (هذه) مشيرا إليها بعد تكوينها تحقيقا [لها - ٢] وتعظيما لشأنها وشأنه فى عظيم خلقها وسرعة تكوينها لأجله .

ولما أشار إليها ، سماها فقال : (ناقة الله) شرفها بالإضافة ١٥ إلى الاسم الأعظم ، ودل على تخصيصها بهم بقوله : (لكم) حال كونها (آية) أى^٢ لمن شاهدها ولمن سمع بها وصح عنده أمرها^٤ ؛ ثم سبب عن ذلك قوله : (فذروها) أى أتركوها ولو على أدنى وجوه^٥ الترك (تاكل) أى من النبات (فى أرض الله) أى مما أنبت الله الذى له كل شيء . (١ - ١) فى ظ : يمنع (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : امره . (٥) فى ظ : احوال .

و^١ هي تائه^١ / كما أنت الأرض كلها مطلقا أرضه والنبات رزقه ،
ولذلك أظهر لثلاث يختص [أكلها -^٢] بأرض دون أخرى .

ولما أمرهم بتركها لذلك ، أكد الأمر بنهيهم عن أذاها فقال :
(ولا تمشوها بسوء) فضلا عما بعد المس (فياخذكم) أى أخذ قهر
بسبب ذلك المس وعقه (عذاب اليم) أى مؤلم .

ولما أمرهم ونهاهم ، ذكر لهم ترغيبا مشيرا إلى تهيب فقال :
(واذكروا) أى نعمة الله عليكم (اذجعلكم خلفاء) أى فيما أنتم فيه
(من بعد عاد) أى إهلاكهم (وبواكم فى الأرض) أى جعل لكم فى
جنسها مساكن تبوؤن أى ترجعون إليها وقت راحتكم ، سهل عليكم من
عملها فى [أى -^٣] أرض أردتم ما لم يسهله^٤ على غيركم ، ولهذا فسر^{١٠}
المراد بقوله : (تخذون) أى بما لكم من الصنائع (من سهولها قصورا)
أى أبنية^٥ بالطين واللبن^٦ والاجر واسعة عالية حسنة يقصر^٧ أمل الآمل
ونظر الناظر عليها عما فيها من المرافق والمخاسن (وتنحتون الجبال)
أى أى جبل أردتم تقدرونها (ببوتائى) .

ولما ذكرهم بهذه النعم مرغبا مرهبا ، كرر ذلك إشارة وعبرة^{١٥}
فقال مسيا عما ذكرهم به : (فاذكروا) أى ذكر إذعان ورغبة ورهبة
(الآء) أى نعم (الله) أى الذى [له -^٨] صفات الكمال فلا حاجة

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : هو تائه (٢) زيد من ظ (٣) من ظ والقرآن
الكریم ، وفى الأصل : فلا (٤) من ظ ، وفى الأصل : لم يسهل (٥-٥) فى ظ :
بالطين والطين (٦) من ظ ، وفى الأصل : تقصر .

به إلى أحد، فاحسانه هو الإحسان في الحقيقة (ولا تشوا في الأرض)
 من العنى وهو الفساد، وهو مقلوب عن العيث - قاله ابن القطاع،
 وحيث يكون قوله: (مفسدين) بمعنى متعمدين للفساد.
 ولما حصل الالتفات إلى جوابهم، قيل: (قال الملا) أى الإشراف،
 ٥ وبيته بقوله: (الذين استكبروا) أى أوقموا الكبر واتصفوا به فصار لهم
 خلقا ظم يؤمنوا، ونه على التأسية بقوله: (من قومه) ولما قال:
 (الذين استضعفوا) كان ربما فهم أنهم آمنوا كلهم، فنفى ذلك بقوله
 مبدلا منه: (لمن آمن منهم) أى المستضعفين، فهو أوقع في النفس
 وأروع^٢ للجنان من البيان في أول وهلة مع الإشارة إلى أن أتباع الحق
 ١٠ هم الضعفاء، وأنه لم يؤمن إلا بعضهم، فيه إيماء إلى أن الضعف أجل
 النعم لملازمته لطرح النفس المؤدى إلى الإذعان للحق، وبنائه للفعول
 دليل على أنهم في غاية الضعف بحيث يستضعفهم كل أحد (اتعلون)
 أى بدأوهم بالإنكار صدا لهم عن الإيمان (ان صلحا) سموه باسمه حفاء
 وغلفة وإرهاها للمسؤولين ليجيئهم بما يرضيهم (مرسل من ربه)
 ١٥ وكأنهم قالوه ليعلموا حالهم فينبوا عليه ما يفعلونه، لأن المستكبرين
 لا يتم لهم كبرهم إلا بطاعة المستضعفين.

ولما علموا ذلك منهم، أعلمهم بالمناينة اعتمادا على الكبير المتعال

(١) من ظ، وفي الأصل: انطان - كذا (٢) من ظ، وفي الأصل: معتمدين.
 (٣) من ظ، وفي الأصل: اورع (٤-٥) ق ظ: لان (٥) زيد بعده في الأصل:
 المستضعفين، ولم تكن الزيادة في ظ مخذفاها.

الذى يضمحل كل كبر عند كبره ولا يجد لأحد أمر مع أمره، بأن
 ﴿ قالوا ﴾ منبهين لهم على غلظتهم وغلطهم في توسمهم في حالهم معبرين^٢
 بما دل على العلم بذلك والإذعان له ﴿ انا بما أرسل به ﴾ وبنى للفعول
 إشارة إلى تعميم التصديق وإلى أن كونه من عند الله أمر مقطوع به
 لا يحتاج إلى تعيين ﴿ مؤمنون ه ﴾ أى غريقون^٣ في الإيمان به ، ولذلك ه
 ﴿ قال الذين استكبروا ﴾ أى في جوابهم معبرين بما يدل على المخالفة لهم
 والمعاندة ﴿ انا بالذى ﴾ ووضعوا موضع 'أرسل به' - ردا لما جملوه
 معلوما وأخذوه مسلما ﴿ آمتم به ﴾ أى كاتنا ما كان ﴿ كفرون ه ﴾
 ثم سبب عن قولهم قوله ﴿ فمقروا الناقه ﴾ أى التى جعلها الله لهم آية ، و عبر
 بالمقردون النحر لشموله كل سبب لقتلها لأن ابن إسحاق ذكر أنه اجتمع ١٠
 لها ناس منهم فرماها أحدهم بسهم وضرب آخر قوائمها بالسيف : بحرما آخر
 فأطلق اسم السبب على المسبب ، لكن قوله تعالى "فنادوا صاحبهم فتعاطى
 فعمره" وقوله "اذ انعت اشقها" وقوله صلى الله عليه وسلم "انعت
 لها رجل عزيز عارم منيع في قومه" قالوا : هو قدار^٤ بن سالف ، حملت / له
 امرأة من قومه ابنتها إن عقرها ، فعلم فكان أشقى الأولين ، وأشقى الآخرين ١٥
 عبد الرحمن بن ملجم المرادى تنازل على س أبى طالب رضى الله عنه ،

(١) من ظ ، وفى الأصل : على - كذا (٢) من ط ، وفى الأصل : معتبرين .

(٣) فى ظ : الغريقين (٤) من ظ ، وفى الأصل : مردا (٥) سورة ٤٤ آية ٢٩ .

(٦) - سورة ٩١ آية ١٢ (٧) من معالم التنزيل - راجع الحاسان ٢ / ٢١٠ ، وفى

الأصل : قوم ، وفى ظ : قوله - كذا (٨) فى ظ : قدا .

جعلت له قطام امرأة من بني مجل جميلة قصها إن قتلها ، فالمناسبة بينهما^١
 أن كلا منهما ألقى نفسه في المعصية العظمى لأجل شهوة فرجه في زواج
 امرأة ، وقوله صلى الله عليه وسلم « أشقى الأولين عاقر الناقة ، يدل على
 أن عاقرها رجل واحد ، وحيث يكون المراد به قطع القوائم ، [فحيث
 ٥ جمع أراد الحقيقة والمجاز معا ، وحيث أفرد أراد الحقيقة فقط - ٢] ،
 فالتعبير به لأنه الأصل^٣ والسبب الأعظم في ذبح الإبل ، قال البغوي :
 قال الأزهرى : العقر هو قطع عرقوب البعير ، ثم جعل النحر عقرا لأن
 ناجر البعير يعقره ثم ينحره - انتهى . وكان هذا إشارة إلى أن المراد بالعقر
 في كلامه النحر ، [و - ١] لاريب في أن أصل العقر في اللغة القطع ،
 ١٠ ومادته تدور على ذلك ، عقر النخلة - إذا قطع رأسها فيبست ، والفرس :
 ضرب قوائمها بالسيف ، وأكثر ما يستعمل العقر في الفساد ، وأما النحر
 فيستعمل غالبا في الانتفاع بالمنحور لحما وجلدا وغيرهما ، فلعل التعبير به
 دون^٤ النحر إشارة إلى أنهم لم يقصدوا بنحرها إلا إهلاكها^٥ عتوا على الله
 وعنادا وفعلا للسوء مخالفة^٦ لنهى صالح^٧ عليه السلام ، ولا يشكل ذلك
 ١٥ بما ورد من أنهم اقتسموا لحما ، لأنه لم يدع أن العقر يلزمه عدم الانتفاع
 بالمنحور ، [و - ٢] على^٨ التناول فهم^٩ لم يريدوا بذلك الانتفاع باللحم ،
 وإنما قصدوا - حيث لم يمكنهم^{١٠} المشاركة جميعا في العقر - أن يشتركوا

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاذرين من ظ (٣) في ظ : اصل (٤) من ظ ،
 وفي الأصل : هلاكها (٥-٥) في ظ : لصالح (٦) من ظ ، وفي الأصل : يلزمها .
 (٧-٧) من ظ ، وفي الأصل : يرى فيهم - كذا (٨) في ظ : لم تمكنهم .

فيا نشأ عنه تعرضا برضام به ومشاركتهم فيه بما يمكنهم (وعتوا)
 أى تجاوزوا الحد فى الغلظة والتكبر (عن امر) أى امثال أمر
 (ريهم) أى المحسن إليهم الذى أتاهم على لسان رسوله من تركها
 (وقالوا) زيادة فى العتو (يُصلح اتنا) .

ولما نزلوا وعيدهم له - حيث لم يؤمنوا به - منزلة الوعد والشارة ، ه
 قالوا: (بما تعدنا) استخفافا منهم ومبالغة فى التكذيب ، [كأنهم
 يقولون: نحن على القطع بأنك لا تقدر على أن تأتينا بشئ من ذلك ،
 وإن كنت - ٢] صادقا فافعل ولا تؤخره رفقا بنا وشفقة علينا ، فانا
 لا تأذى بذلك ، بل تلذذه تلذذ من يلقي الوعد الحسن ، وحاصله التهم
 منهم به وإلاشارة إلى عدم قدرته ؛ وأكدوا ذلك بقولهم بأداة الشك : ١٠
 (ان كنت من المرسلين ه) أى الذين سمعنا أخبارهم فيما مضى ،
 ثم سبب عن عتوم^٢ قوله : (فاخذتهم الرجفة) أى التى كانت عنها أو منها
 الصيحة ، أخذ من هو فى القبضة على غاية من الصغار والحقارة ، ولعل
 توحيد الدار هنا مع الرجفة فى قصة صالح وشعيب عليهما السلام فى
 قوله تعالى : (فاصبوا فى دارهم) أى مساكنهم ، وجمعها فى القصتين ١٥
 مع الصيحة فى سورة هود عليه السلام للإشارة إلى عظم الزلزلة والصيحة
 فى الموضعين ، وذلك لأن الزلزلة إذا كانت فى شئ واحد كانت أمكن ،
 فتكون فى المقصود من التكال أعظم ، والصيحة من شأنها الانتشار ،
 فاذا عمت الاماكن المتناثرة والديار المتباعدة فأهلكت أهلها ومزقت
 (١) فى ظ : تركوا (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : عقرهم (٤) من ظ ، وفى الأصل :
 فيكون .

جماعتها و فرقت شملها ، كانت من القوة المقرطة و الشدة البالغة بحيث
 تنزعج^١ من تأمل وصفها النفوس و تحب له القلوب ، و حاصله أنه حيث
 عبر بالرجفة وحد الدار إشارة إلى شدة العذاب بعظم الاضطراب ، و حيث
 عبر بالصيحة جمع إيماء إلى عموم الموت بشدة الصوت ، و لا مخالفة لأن
 عذابهم كان بكل منهما ، و لعل إحداهما كانت سببا للآخرى^٢ ، و لعل
 المراد بالرجفة اضطراب القلوب اضطرابا قطعها ، أو أن الدار رجفت
 فرجفت القلوب و هو أقرب ، و خصت^٣ الاعراف بما ذكر فيها ، لأن مقصودها
 إنذار المعرضين ، و الرجفة أعظم قرعا لعدم الإلف لها - و الله اعلم (جسمين ه)
 أى باركين على ركبهم لازمين أما كنهم لا حراك بأحد منهم ، و لم يبق
 منهم في تلك الساعة أحد^٤ إلا رجل / واحد كان في الحرم ، فلما خرج
 منه أصابه ما أصاب قومه و هو أبو رغال^٥ ، و مساقه الحرم عن أرضهم
 تزيد على مسيرة^٦ عشرة أيام ، و من الآيات العظيمة أن ذلك الذى
 [خلق -^٧] قلوبهم و أزال أرواحهم لم يؤثر في صالح عليه السلام
 و المستضعفين معه شيئا ، و ذلك مثل الريح التى^٨ زلزلت الأحزاب ،
 ١٥ و أقاتلهم أشد العذاب ، و رمتهم بالحجارة و التراب حتى هزمتهم و ما بال
 النبى^٩ صلى الله عليه وسلم و أصحابه منها^{١٠} كبير أذى ، و كفها الله عن
 (١) من ظ ، و فى الأصل : يتزعج - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : للآخر .
 (٣) فى ظ : مضت (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و العالم ، و فى الأصل :
 أبو رغال (٦) من ظ ، و فى الأصل : مسيرة (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى
 الأصل : الذى (٩) فى ظ : للمصطفى .

حذيفة ، وكذا البرد الذي كان ذلك زمانه لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم ليخبر^١ له أخبارهم .

ولما أصابهم ذلك ، سبب لهم الهجرة عن ديارهم ديار السوء والغضب
واللعنة فقال تعالى إعلاما لنا بذلك : ﴿ قولي ﴾ أى كلف نفسه الإعراض
﴿ عنهم و قال ﴾ أى لما أدركه من أحوال البشر من الرقة على فوات ه
إيمانهم وهم أصله وعشيرته ﴿ يقوم ﴾ أى الذين يعز على ما يؤذيهم
﴿ لقد ابلتكم ﴾ ولعله وحد قوله : ﴿ رسالة ربى ﴾ لكون آيته واحدة
﴿ ونصحت ﴾ وقصر الفعل وعده باللام فقال : ﴿ لكم ﴾ دلالة على
أنه خاص [بهم - ٢] ، روى^٢ أنه خرج عنهم^٣ في مائة وعشرة من
المسلمين وهو يسكى ، وكان قومه ألفا وخمسمائة دار ، وروى أنه رجع ١٠
بمن معه فسكنوا ديارهم* .

ولما كان التقدير : فعلت معكم ما هو مقتضى لأن تحبوني لأجله ،
عطف عليه قوله : ﴿ ولكن ﴾ لم تحبوني^٤ ، هكذا كان الأصل ولكنه
عبر بما يفهم أن هذا كان دأبهم وخطأهم مسح كل ناصح فقال :
﴿ لا تحبون ﴾ [أى - ٢] حاكيا لحالهم الماضية ﴿ النصحين ﴾ أى ١٥
كل من فعل فعلى من النصح التام .

ولما أتم سبحانه ما وفى بمقصد هذه السورة فى هذا السياق من
قصتهم ، أتبعه من بعده^٥ بمن تعرضه العرب كما فعل فيما قبل فقال :

(١) فى ظ : ليعرف (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤-٤) تكرر ما بين الرقيين
من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل : بهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ لحذفها (٦) فى ظ :
منكم (٧) من ظ ، وفى الأصل : لم يحبوني (٨) من ظ ، وفى الأصل : بعدهم .

(ولو طأ اذ قال) و لما كانت رسالته إلى مدن شتى ، وكانهم كانوا قبائل شتى ، قيل : كانوا خمسة وهى المؤتصكات ، [و - ١] قيل : كانوا أربعة آلاف بين الشام و المدينة الشريفة ، قال : (لقومة) و قد جوزوا أن يكون العامل فيه ' أرسلنا ' و ' اذكر ' و لا يلزم من تقدير ' أرسلنا ' أن يكون إرساله فى وقت تقومه لهم هذا القول غير سابق عليه ، لأنه كما أن ذلك الزمن - المنطبق على أول قوله و آخره - وقت له فكذلك اليوم - الذى وقع فيه هذا القول - وقت له ، بل و ذلك الشهر و تلك السنة و ذلك القرن ، فان من شأن العرب تسمية الايام المشتركة فى الفعل الواحد يوما ، قالوا : يوم القادسية ، و هو أربعة أيام إن اعتبرنا مدة القتال فقط ، و عدة شهور .
 ١٠ - إن اعتبرنا بالاجتماع له ، و كذا يوم صفين ، و قال تعالى فى قصة بدر " و اذ يمدكم الله احدى الطائفتين انهما لكم - إلى أن قال : اذ تستغيثون ربكم - إلى أن قال : اذ ينشيكم النعاس امنة منه - اذ يوحى ربك الى الملكة " و كلها إبدال من قوله " و اذ يمدكم الله احدى الطائفتين " و لا ريب فى * أن زمان الكل لم يكن متحدا إلا بتاويل جميع الايام المتعلقة بالوقعة من سير و قتال و غير ذلك - والله أعلم ، و عبر فى قصة نوح [عليه السلام - ١] بـ " أرسلنا نوحا الى قومه " ، ثم نسق من بعده عليه فقيل : " و الى عاد اخاهم هودا " و " و الى ثمود اخاهم صالحا " و " و الى مدين اخاهم شعيبا " و عدل عن هذا الأسلوب فى قصة لوط [فلم يقل :
 (١) زيد من ظ (٢) فى ظ : ذلك (٣) فى ظ : الاجتماع (٤) سورة ٨ آية ٧
 - ١٢ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : لا .

و إلى أهل أدوما^١ أعام لوطا، أو إلى أهل سدوم لوطا - [أو وأرسلنا لوطا
إلى قومه ونحو ذلك كما سيأتى فى قصة موسى عليه السلام، لأن من أعظم
المقاصد بسباق هذه القصص تسلية النبی صلى الله عليه وسلم فى مخالفة قومه
له وعدم استجابتهم وشدة أذاهم وإندار^٢ قومه أن يحل بهم ما حل بهذه
الأمم من العذاب، وقصص من عدا قوم لوط مشابهة لقصة قريش فى ٥

الشرك باق^٣، والأذى لعباده المؤمنين، وأما قصة قوم لوط فزائدة عن
ذلك بأمر فظيع عظيم الشناعة شديد العار والفحش فعدل عن ذلك
النسق تنبيها عليه تهويلا للأمر وتبشيعا له، ليكون فى التسلية أشد، وفى
استدعاء الحمد والشكر آتم، وحيد^٤ يرجع أن يكون العامل 'اذكر'

٣١٨/ 'لا' أرسلنا^٥، أى واذكر لوطا وما حصل عليه من قومه زيادة على ١
شركهم من رؤيته فبهم هذا الأمر الذى لم يبق للشاعة موضعا، فالقصة
فى الحقيقة تسليية وتذكيرة^٦ بنعمة معاقاة العرب من مثل هذا الحال،
وإندار لهم سوء المآل مع ما شاركت^٧ فيه أخواتها من الدلالة على سوء
جبله هؤلاء القوم وشرارة جوهرهم المقضى لتفردهم عن أهل الأرض
بذلك الأمر العاخش، والدليل على أنه أشنع الشنع^٨ بعد الشرك - مع ١٥

ما جعل الله تعالى فى كل طبع سليم من النفرة عنه - اختصاصه بمشاركته
للشرك فى أنه لم يحل فى ملة من الملل فى وقت من الأوقات ولا مع

(١) فى تاج العروس: دوما - راجع «اطك» (٢) زيد من ظ (٣) من ظ،
وفى الأصل: اندر (٤) فى ظ: فى الله (هـ - هـ) فى ظ: لأرسلنا - كذا (٦) فى
ظ: تذكيرا (٧) من ظ، وفى الأصل: شركت (٨) سقط من ظ.

وصف من الأوصاف، وبقية^١ المحرمات ليست كذلك، فأما قتل النفوس فقد حل في^٢ القصاص والجهاد^٣ وغير ذلك، والوطى^٤ في القبل^٥ لم يحرم إلا بقيد كونه زنى، ولولا الوصف لحل، وأكل المال الأصل فيه الحل، وما حرم إلا بقيد كونه بالباطل - وكذا غير ذلك؛

٥ قال أبو حيان: ولما كان هذا الفعل معهودا قبحه ومركوزا في العقول فحشه، أتى معرفا - أى في قوله بعد إنكاره عليهم وتقريره وتوبيخه لهم: ﴿اتاتون الفاحشة﴾ أى أفعالون السنة المتبادية في القبح وإن كان بينكم وبينها مسافة بعيدة - أو تكون^٦ "أل" فيه للجنس على سبيل المبالغة، كأنه^٧ لشدة قبحه جعل جميع الفواحش ولبعد العرب عن ذلك البعد ١٠ التام، [وذلك -^٨] بخلاف الزنى فإنه قال [فيه -^٩] "ولا تقربوا الزنى أنه كان فاحشة^{١٠}".

ولما كان غير مستبعد على صفاقة وجوههم وقاحتهم أن يقولوا: لم تكون^١ فعلت متكررا موبخا عليها؟ قال: ﴿ما سبقكم بها﴾ وأغرق في النفي بقوله: ﴿من أحد﴾ وعظم ذلك بتعميمه في قوله: ﴿من الغالين﴾

١٥ فقد اخترعتم شيئا لا يكون مثل فحشه لتذكروا^٢ به أسوأ ذكر، [كما -^٣]

- (١) في ظ: قصة (٢-٣) في ظ: الجهاد والقصاص (٣) من ظ، وفي الأصل: لوط (٤) في ظ: الدبر (٥) من ظ والبحر المحيط ٣٣٢/٤، وفي الأصل: يكون (٦) من البحر، وفي الأصل وظ: فانه (٧) زيد من البحر (٨) سورة ١٧ آية ٣٢ (٩) من ظ، وفي الأصل: يكون (١٠) من ظ، وفي الأصل: ليذكروا (١١) زيد من ظ.

أن ذوى المهم العوال والفضل والكمال يستنطون من المحاسن والمنافع ما يبق لهم ذكره وينفعهم أجره، وفي ذلك أعظم إشارة إلى تقبيح البدع والتشجيع على فاعليها، لأن العقول لا تستقل بمعرفة المحاسن .
ولما أبهم الفاحشة ليحصل التشوف إلى معرفتها، عينها في استفهام آخر كالآول في إنكاره وتوينه ليكون أدل على تناهى الزجر عنها فقال: ٥
(انكم لتأتون الرجال) أى تغشونهم غشيان النساء، ولما أتى للتشوف بجلا، عين بقوله: (شهوة) أى مشتهين، أو لأجل الشهوة، لا حامل لكم على ذلك إلا الشهوة كالبهائم التى لا داعى لها من جهة العقل^٢، وصرح بقوله: (من دون النساء) فلما لم يدع لبسا، وكان هذا ربما أودم إقامة عذر لهم في عدم وجدان النساء أو عدم كفايتهن لهم، أضرب ١٠ عنه بقوله: (بل اتم قوم) .

ولما كان مقصود هذه السورة الإنذار كان الإليق به الإسراف الذى هو غاية الجهل المذكور في سورة النمل [فقال -^٣] (مسرفون) أى لم يحملك على ذلك ضرورة لشهوة تدعونها، بل اعتياد المجاوزة للحدود، ولم يسم قوم لوط^٤ في سورة من السور كما سميت عاد وممود وغيرهم صونا ١٥ للكلام عن تسميتهم، وأما قوم نوح^٥ فأنما لم يسموا لعدم تفرق القبائل اذ ذاك، فكانوا لذلك جميع أهل الأرض ولذا عمهم الفرق - والله أعلم .
ولما كان كأنه قيل : هذا التقرع يوجب غاية الاستحياء، بل أنه

(١) وفي مصاحفنا: انكم (٢) سقط من ظ (٣) زيد لاستقامة العبارة (٤-٥) سقط

ما بين الرقيين من ظ (٥) من ظ، وفي الأصل: فاته .

/ ٣١٩

/ يذهب كل من سمه منهم إلى مكان لا يعرف فيه سترًا لحاله^١، فيا ليت
شعري ما كان حالهم عنده^٢ قليل : كان كأنهم^٣ أجابوه بوقاحة عظيمة
ولجور زائد على الحد ، فإكان جوابهم إلا أذى لوط عليه السلام وآله
بما^٤ استحقوا منهم به شديد الإنذار الذي هو مقصود السورة ، [عطف
٥ عليه -^٥] قوله : ﴿ وما كان جواب قومه ﴾ أي الذين كانوا [م -^٥]
أهل قوة شديدة وعزم عظيم وقُدرة على القيام بما يحاولونه
﴿ الآن قالوا ﴾ .

ولما كانت المقصود بيان أنهم أسرعوا لإجابه بما ينكيه أضمر
ما لا يشكل بالإضمار ، [أو أنه لما كان السياق لبيان الحثيث بين أنه
١٠ لا أخذ من هؤلاء الذين بلغ من رذالتهم أنهم عدوا الطاهرين المتطهرين
بما يهسان اللسان عن ذكره -^٤] فقال [تعالى مشيرًا إلى ذلك في حكاية
قولهم -^٤] : ﴿ اخرجوهم ﴾ أي المحدث عنهم ، وهم لوط ومن انضم إليه
﴿ من قريتم ﴾ والمراد ببيان الإسراع في هذا تسليّة النبي صلى الله
عليه وسلم من رد قومه لكلامه لئلا يكون في صدره حرج من إنذارهم ؟
١٥ ثم عللوا^١ إخراجهم بقولهم : ﴿ انهم اتاس ﴾ أي ضغفاء ﴿ يتطهرون ﴾
وكانهم قصدوا بالفعل نسبتهم إلى [حجة -^٤] هذا الفعل القبيح ، وأن
تركهم له إما هو تصنع وتكليف لنفوسهم بردها عما هي مائلة إليه ،
وإقبال على الطهر من غير وجه^٢ وإظهار له رياء بما أشار إليه إظهار تاء

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفي الأصل : انهم (٣) في ظ : بما (٤) زيد ما بين
الحاخرين من ظ (٥) في ظ : فيه (٦) في ظ : علل (٧) العبارة من هنا إلى « من
السخرة » ساقطة من ظ .

انفعل ، وفيه مع ذلك حرف من السخرية ، وحرص^١ جوابهم في هذا المعنى المؤدى بهذا اللفظ لا ينافي آية العنكبوت القائلة " فما كان جواب قومه الا ان قالوا اتتنا بعذاب الله -^٢ " - الآية ، لأن إطلاق الجواب على هذا يجوز ، والمعنى : فما كان قولهم في جوابه إلا إتيانهم بما لا يصلح جوابا ، وذلك مضمون هذا القول وغيره مما لا يتعلق بالجواب ، أو أن هذا ٥ الجواب لما كان - لما فيه من التكذيب والإيذان بالإصرار والإغلاظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم - مستلزما للعذاب ، كانوا كأنهم نطقوا به فقالوا " اتتنا بعذاب الله " . جعل نطقهم بالسب نطقا بالمسبب . أو أنهم استعملوا لكل مقام مقالا . ويؤيده أن المعنى لما اتحدنا وفي النمل حصر الجواب في هذا ، أى فما كان جوابهم لهذا القول إلا هذا ، ولما زادهم ١٠ في العنكبوت في التقرع فقال " ائكم لتاتون الرجال و تقطعون السيل و تاتون في نادىكم المنكر^٣ " أتوه بأبلغ من هذا تكديبا واستهزاء فقالوا " اتتنا بعذاب الله " - الآية .

و لما تسبب^٤ عن عادم إهلاكهم وإنجاؤه ، وكان الإعلام بإنجائه - مع كونه يفهم إهلاكهم - أم ، قال : (فابجئنه واهلته) أى من أطاعه ١٥ (الا امراته ملية) ولما كان كأنه قيل : ما لها ؟ قال : (كانت من الغريرين *) أى الباقيين الذين لحقتهم بالعذاب العبرة والتذكير إشارة إلى أنها أصابها مثل عذاب الرجال سواء ، لم تنقص^٥ عنهم لأنها كانت كافرة مثلهم .

(١) في ظ : حصرهم (٢) آية ٢٩ (٣) من ظ ، وفي الأصل : سبب (٤) من ظ ، وفي الأصل : لم ينقص .

ولما أفهم هذا إهلاكهم، بينه دالا على نوعه بقوله: ﴿ و امطرنا ﴾
 أى حجارة البكريت بعد أن قلعت^١ مدائنهم ورفضت وقلبت حتى رجم
 بها مسافروهم وشذابهم لانه^٢ عذاب الاستكصال^٣ عن^٤ لا يعجزه شيء،
 وأوضحه بقصره^٥ الفعل وتمدته بحرف الاستملاء فقال: ﴿ عليهم ﴾
 ٥ و أكد كونه من السماء لا من سطح أو جبل ونحوه بقوله: ﴿ مطرا^٦ ﴾
 وأشار إلى عظمه مزينا للبس [أصلا - *] بما سبب عنه من قوله:
 ﴿ فانظر كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ المجرمين ﴾ و أظهر موضع
 الإخمار تعليقاً للحكم بوصف القطع لما حقه الوصل بوصل ما حقه القطع
 من فاحش المعصية دليلاً على أن الرجم جزاء من فعل هذا الفعل بشرطه،
 ١٠ لأن الحكم يدور مع العلة، وسأيت في سورة هود عليه السلام سياق قصتهم
 من التوراة بعد أن مضى في البقرة عند^٧ " اذ قال له ربه اسلم^٨ " وأاتل
 أمرهم، وهذا كما سومت^٩ الحجارة لقريش - لما أجمعوا أن يرجعوا بعد
 توجيههم عن غزوة أحد من الطريق - ليفزعوا من التئ صلى الله عليه
 وسلم وأصحابه على زعمهم، كما قال صلى الله عليه وسلم: «والذى نفسى
 ١٥ يدهم القدر سومت لهم الحجارة، ولو/رجعوا لكانوا كأمس الذاهب»، ولكنه
 ٣٢٠ / صلى الله عليه وسلم لما كان رسول رحمة لم يقض الله برجعهم ففضوا
 حتى أسلم بعد ذلك كثير منهم، وكما أمطر^{١٠} الله الحجارة على أصحاب الفيل
 ستة مولده صلى الله عليه وسلم حماية لبلده^{١١} ببركته.

(١) من ظ، وفي الأصل: فالت (٢) في ظ: لان (٣) في ظ: من (٤) في ظ:
 بقصر (٥) زيد من ظ (٦) من ظ، وفي الأصل: بعد (٧) آية ١٣١ (٨) من
 ظ، وفي الأصل: سويت (٩) في ظ: امر (١٠) في ظ: ليته.

- ولما اقتضت هذه القصة العجيبة في القصص، أعاد النسق الأول
 فقال: ﴿وإلى مدين﴾ أى أرسلنا، وهى بلد، وقيل: قبيلة من أولاد مدين
 [ابن -^١] إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿إحاثم﴾ أى من النسب،
 وبنته بقوله: ﴿شعيا^٢﴾ وهو موصوف بأنه خطيب الأنبياء عليهم السلام
 لحسن مراجعة قومه، ثم استأنف قوله على ذلك النسق: ﴿قال يقوم﴾ ٥
 دالا على النصيحة والشفقة بالتذكير بالقرابة، وبدأ بالأصل المعبر في
 جميع الشرائع المأثورة عن الأنبياء عليهم السلام فقال: ﴿اعبدوا الله﴾
 أى^٣ الذى يستحق العبادة لذاته بما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى .
 ولما كان المراد إفراده بالعبادة لأنه [لا -^١] يقبل الشرك لانه غنى،
 علل ذلك بقوله: ﴿ما لكم﴾ وأغرق فى النفي بقوله: ﴿من اله غيره^٤﴾ ١٠
 ثم استأنف التذكير بما دل على صحة دعواه فى نفسه وصدقته فى دعوى
 الرسالة بقوله: ﴿قد جاءكم﴾ أى على يدي ﴿بينه﴾ ولما كنا عالمين
 من قول النبي صلى الله عليه وسلم الذى أخرجه الشيخان عن أبي هريرة
 رضى الله عنه «ما من الأنبياء نبي إلا أوتى من الآيات ما مثله آمن عليه
 البشر، أن هذه البيئة معجزة، مثلها كاف فى صحة الدعوى ولم تدع ١٥
 ضرورة إلى ذكرها لنا، لم تمن، ثم زادهم ترغيا بقوله: ﴿من ربكم﴾
 أى الذى لم تروا إحسانا إلا منه .

ولما كان إتيانه بالبينات سببا لوجوب امتثال أمره، قال مسبيا عنه:
 ﴿فادفوا الكيل﴾ أى^٥ المكيال والوزن ﴿والميزان﴾ أى ابدلوا ما
 (١) زيد من ظ (٢) زيد فى ظ: ان (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفى
 الأصل: لم يروا .

تعطون بها بوافيا ، فالآية من الاحتباك ، وكان المحكى عنه هنا من أوائل قوله لهم فترك التأكيد الرافع لمجاز المقاربة بذكر القسط .

و لما كان الأمر بالوفاء يتضمن النهى عن البخس ، صرح به على وجه يعم غيره فقال : ﴿ ولا تبخسوا ﴾ أى تنقصوا ، أو تفسدوا كما أفسد البخسة .
 ٥ ﴿ الناس اشياء ﴾ أى شيئا من البخس فى كيل ^٢ ولا ^٣ وزن ولا غيرهما ، والناس - قال فى القاموس - يكون من الإس ومن الجن جمع إنس أصله أناس جمع عزيز أدخل عليه 'أل' ، وقال أبو عبد الله القزاز : الناس أصله عند البصريين أناس ، ثم أدخلوا الألف واللام على ذلك وحذفوا الهزمة ^٢ وبقي الناس ، وكان أصله فعال من : أنست^٤ به ، فكأنه قيل :
 ١٠ أناس - يعنى على القلب ، قال : لأنه يؤنس إليهم - انتهى . إذا علم هذا علم أن نهيه صلى الله عليه وسلم عن بخش الجمع الذين فيهم قوة المدافعة نهى عن بخش الواحد من باب الأخرى لأن الشرائع إنما جاءت بتقوية الضعيف على حقه .

ولما نهى عن الفساد بالبخس ، عم كل فساد فقال : ﴿ ولا تفسدوا ﴾
 ١٥ أى توقعوا الفساد ﴿ فى الارض ﴾ بوضع شئ من حق الحق أو الخلق فى غير موضعه ؛ ولما نهام عن هذه الرذائل ، ذكر بنعمة الله تأكيذا للهوى بما فى ذلك من التخويف وحثا على التخلق بوصف السيد فقال : ﴿ بعد اصلاحها ﴾ أى إصلاح الله لها بنعمة الإيجاد الاول بخلقها وخلق منافعها وما فيها على هذا النظام البديع المحكم^٦ ثم بنعمة الإبقاء الاول

(١-١) سقط ما بين الرفين من ظ (٢-٢) فى ظ : او (٣) فى ظ : الهمز (٤) من ظ ، وفى الأصل : انسب (٥) من ظ ، وفى الأصل « و » (٦) من ظ ، وفى الأصل : المحكمة .

بأنزال الكتب وإرسال الرسل ونصب الشرائع التي بها يحصل النفع
وتم النعمة باصلاح^١ أمر المعاش والمعاد تعظيم أمر الله والشفقة على
خلق الله، ويجمع ذلك كله التنزه عن الإساءة .

ولما تقدم إليهم بالامر والنهي، أشار إلى عظمة ما تضمنه ذلك

حاثلم على أمثاله فقال : ﴿ ذلكم ﴾ أى الامر العظيم العالى الرتبة بما ذكر ٥

في هذه القصة ﴿ خير لكم ﴾ ولما كان الكافر ناقص المدارك / كامل ٣٣١ /

المهلك، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ ان كنتم مؤمنين ٥ ﴾ أى فلا تفسدوا
أو فأتتم تعرفون صحة ما قلته^٢، وإذا عرقتم صحته عملتم به، وإذا عملتم به
أفلحتم كل الفلاح، ويحوز - وهو أحسن - أن يكون التقدير: فهو

خير لكم، لأن المؤمن يثاب على فعله لبنائه له على أساس الإيمان، ١٥
والكافر أعماله فاسدة فلا يكون فعله لهذه الأشياء حيرا له من جهة إبعاده
في الآخرة لأنه لا ثواب له .

ولما كان للتعميم بعد التخصيص و التمهيد بعد الإجمال من الموقع

في النفوس ما لا يخفى، و كان النهى عن الإفساد بالصد عن سبيل الله

هو المقصود بالذات لأنه ينهى عن كل فساد، خصه بالذكر إشارة إلى ١٥

أنه زبدة^٣ المراد بعد التعميم فقال : ﴿ ولا تقعدوا ﴾ أى تفعلوا فعل

المرصد المقبل بكلية ﴿ بكل صراط ﴾ أى طريق من طرق الدنيا والدين

من الحلال والحرام والأوامر والنواهي والمحكم والمتشابه والأمثال

(١) من ظ، وفي الأصل: باصلاح (٢) من ظ، وفي الأصل: قبله (٣) من ظ، وفي

الأصل: زائدة (٤) من ظ والقرآن الكريم، وفي الأصل: فلا (٥) في ظ: طريق.

(توعدون) أى تهتدون من يسلكه بكل شر إن لم يوافقكم على ما تريدون .

ولما كان طريق الدين أهم، خصه بالذكر فقال: (وتصدون) أى توقعون الصد على سبيل الاستمرار (عن سبيل الله) أى طريق من له الأمر كله؛ ولما ذكر الصدود عنه، ذكر المصدود فقال: (من آمن به) أى باقته فسلك سبيله الذى لا أقوم منها؛ ولما كانوا لا يقتنعون بمطلق الصد بالتهديد ونحوه، بل يبدون للصدود شها توهمه أنه على ضلال، قال عاطفا: (وتبغونها عوجا) أى و تطلبون السبيل حال كونها ذات عوج، أى تطلبون اعوجاجها بالقاء الشبهات والشكوك كما تقول: أريد فلانا ملكا، أى أريد ملكه، وقد تقدم فى آل عمران أن نصبه على الحال أرجح، وأن قوله صلى الله عليه وسلم فى الصحيح «بغى أحجارا أستنفض بها» يرجح نصبه على المفعولية - والله أعلم .

ولما كانت أفعالهم تقص الناس إما فى الأموال بالبخل وإما فى الإيمان ونصرة بالصد، ذكرهم أن الله تعالى فعل معهم ضد ذلك من التكثير بعد القلة فى سياق منذر ماجتائهم عن وجه الأرض وحصم فضلا عن تقليهم وتقصم، فقال عطفا على قوله "اعبدوا الله" وما بعده من الأوامر والنواهي: (واذكروا إذ) أى حين (كتم قليلا) أى فى العدد والمدد (فكثركم) أى كثر عددكم وأموالكم وكل شيء ينسب إليكم، فلا تقابلوا النعمة بصددها، فإن ذكر النعمة مرغب ٢٠ فى الشكر .

(١) فى ظ: عليه (٢) فى ظ: يغبونها .

ولما رغبهم بالتذكير بالنعمة ، حذرهم بالتذكير بأهل النعمة فقال :
 ﴿ وانظروا كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ المفسدين ٥ ﴾ أى فى
 عموم الإهلاك بأنواع العذاب لتحذروا من أن يصيبكم مثل ما أصابهم
 كما صرح به فى سورة هود ' لكون الحال هناك مقتضيا للبسط كما سيأتى
 إن شاء الله تعالى .

ولما حذرهم وعامة الفساد الذى نهام عنه ، وعلق انتباههم عنه
 بوصف الإيمان ، رجع إلى قسم^٢ ما شرط به الانتهاء عن الإفساد فقال :
 ﴿ وان كان طائفة منكم ﴾ أى جماعة فيهم كثرة بحيث يتحلقون^٣ بمن
 يريدون ﴿ امنوا بالذى ارسلت به ﴾ وبناء للفعل إشارة إلى أن الفاعل
 معروف بما تقدم من السياق ، وأنه صار بحيث لا يتطرق إليه شك لما
 نصب من الدلالات ﴿ وطائفة ﴾ أى منكم ﴿ لم يؤمنوا ﴾ أى بالذى
 أرسلنى به من أيدى بما علمتم من البينات ، وحذرهم سطوته بقوله :
 ﴿ فاصبروا ﴾ أى أيها الفريقان ﴿ حتى يحكم الله ﴾ أى الذى له جميع
 العظمة ﴿ بينا ﴾ أى بين فريقنا باعزاز المصلح وإهلاك المفسد كما أجرى
 بذلك عادته ﴿ وهو ﴾ أى والحال أنه ﴿ خير الحكمين ٥ ﴾ لأنه يفصل
 النزاع على أم وجه وأحكمه .

(١) زيد بعده فى ظ : لا (٢) فى ظ : قسم (٣) فى ظ : يتخلفون (٤) من ظ ،
 وفى الأصل : كما (٥) فى ظ : ما .

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء السابع من تفسير «نظم الدرر» في تناسب الآيات والسور، للشيخ العلامة بهاء الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله يوم الخميس الخامس من شهر شوال سنة ١٣٩٣ هـ = أول نوفمبر سنة ١٩٧٣ م، تحت مراقبة مدير الدائرة وعميدها الأديب الأريب صاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد المعيد خان - تغمده الله بروح منه وريحان ومغفرة ورضوان إلى تاريخ وفاته ٢٥ سبتمبر ١٩٧٣، ثم تحت إدارة الحبيب اللبيب السيد محمّد علي العباسي - أبقاه الله لخدمة العلم والدين !

وقد عني بتصحيحه والتعليق عليه مصحح الدائرة رفيق الفاضل محمد عمران الأعظمي العمري (الحامل شهادة أفضل العلماء من جامعة مدراس) حفظه الله ! واعتنى بتقيقه خادم العلم والعلماء راقم هذه الخاتمة - كان الله له ولوالديه !

وبليه الجزء الثامن إن شاء الله تعالى وأوله «ولما انتهى كلامه عليه السلام على هذا الوجه البديع - الخ» .
و في الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به ويوفقنا لما يحبّه ويرضاه،
و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه أجمعين .
و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغني الحميد
السيد محمد حبيب الله القادري الرشيد
(كامل الجامعة النظامية)
صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية



DA'IRATU'L-MA'ARIFI'L-OSMANIA PUBLICATIONS

NEW SERIES, No. I/iv/vii



NAZMUD-DURAR
FI
TANĀSUB-IL-ĀYĀTI WAS-SUWAR

BY

BURHĀNUDDĪN ABUL ḤASAN IBRĀHĪM

B. 'OMAR AL-BIQĀ'Ī

[d. 885 A.H./1480 A.D.]

Vol. VII

Printed

Under the Auspices of the Ministry of Education
Government of India

&

The Supervision of
M.A. Abbasi

Director, Da'iratu'l-Ma'arifi'l-Osmania

(First Edition)



Published by

THE DA'IRATU'L-MA'ARIFI'L-OSMANIA
(OSMANIA ORIENTAL PUBLICATIONS BUREAU)
OSMANIA UNIVERSITY, HYDERABAD—500007
INDIA

(1393 A.H. / 1973 A.D.)

